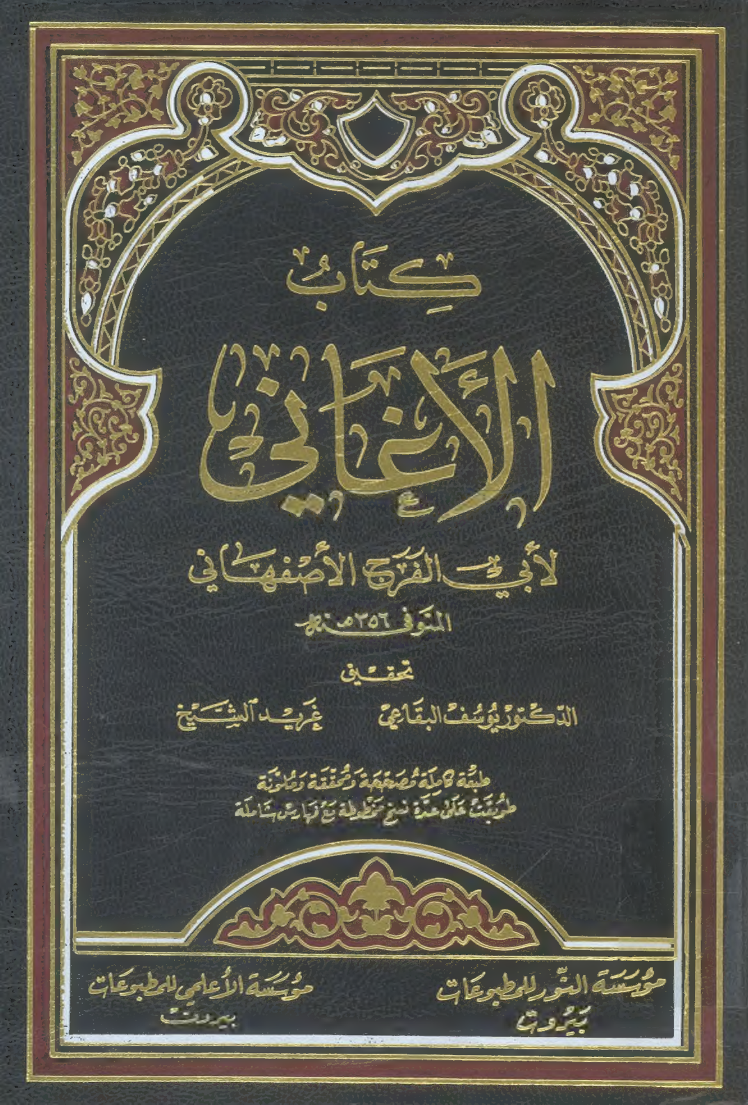


كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت



كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي　　غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الرابع عشر

منشورات

مؤسسة الأعلى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخبار الحُصين بن الحُمام ونسبه

[توفي نحو سنة ١٠ ق.هـ /نحو سنة ٦١٢م]

[اسمه ونسبه ومكانته]

هو الحُصَين بن الحُمام بن رَبيعة بن مُساب بن حَرام بن واثلة بن سهْم بن مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بغيض بن الرَّيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة قال:

كان الحصين بن الحمام سيِّد بني سَهم بن مُرَّة. وكان خُصَيْلَةُ بن مُرَّة وصِرْمَةُ بن مرّة وسهم بن مرّة أُمهم جميعاً حَرْقَفَةُ بنت مَعْنَم بن عَوف بن بَلِيِّ بن عمرو بن الْحَافِ بن قُضاعة، فكانوا يداً واحدة على مَنْ سواهم، وكان حصين ذا رأيهم[1] وقائدَهم ورائدَهم، وكان يقال له: مانع الضَّيم.

وحدّثني جماعة من أهل العلم أنّ ابنه أتى بابَ معاوية بن أبي سُفيان فقال لآذِنِه: استأْذِنْ لي على أمير المؤمنين وقل: ابن مانع الضيم، فاستأْذَنَ له؛ فقال له معاوية: ويْحَك! لا يكون هذا إلا ابن عُرْوة بن الوَرْد العَبْسيّ، أو الحصين بن الحُمام المُرِّيّ، أدخِلْهُ. فلمّا دخل إليه قال له: ابنُ مَن أنت؟ قال: أنا ابن مانع الضيم الحصين بنِ الحمام؛ فقال: صدقت، ورفع مجلسه وقضى حوائجه.

---

(١) كان ذا رأيهم: كان صاحب رأيهم.

[حرب قومه بني سهم بن مرة مع بني صرمة بن مرة]

أخبرني ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان ناس من بطنٍ من قُضاعة يقال لهم: بنو سَلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاعة. وبنو سَلامان بن سعد إخوة عُذْرة بن سعد، وكانوا حلفاء لبني صِرْمة بن مُرّة ونزولاً فيهم. وكان الحُرْقة وهم بنو حُمَيْس بن عامر بن جُهَينة حلفاء لبني سهم بن مرّة، وكانوا قوماً يرمون بالنَّبل رمياً سديداً[١]، فسُمُّوا الحرقة لشدّة قتالهم. وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مُرّة. وكان في بني صِرْمَةَ يهوديٌّ من أهل تَيْماء يقال له جُهَينة بن أبي حمَل. وكان في بني سهم يهوديٌّ من أهل وادي القُرَى يقال له غُصَين بن حَيّ، وكانا تاجرين في الخمر. وكان بنو جَوْشَن ـ أهلُ بيت من عبد الله بن غَطَفان ـ جيراناً لبني صِرمة، وكان يُتَشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصَيْلة كان يقطع الطريق وحده. وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه، ويَنْشُدونه في كل مجلس وموسِم. فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجَوْشنيّ في بيت غُصَين بن حَيّ جار بني سهم يبتاع خمراً، فبينما هو يشتري إذ مَرَّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيلة، فقال غُصَين: [الوافر]

تُسائِلُ عن أخِيها كُلَّ رَكْبٍ ... وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ

فأرسلها مثلاً[٢]، يعني بجهينة نفسه. فحفِظ الجوشنيّ هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نَشَدْتُك الله ودينَك هل تعلم لأخي عِلْماً؟ فقال له: لا وديني لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثّل: [الطويل]

لَعَمْرُك ما ضَلَّتْ ضَلالَ ابن جَوْشَنٍ ... حَصاةٌ بِلَيْلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ[٣]

أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبداً ـ فلما سمع الجوشنيّ ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله، وقال الجوشني: [الطويل]

طَعَنْتُ وقد كادَ الظَّلامُ يُجِنُّني ... غُصَيْنَ بْنَ حَيٍّ في جِوارِ بَني سَهْمِ[٤]

---

(١) سديداً: مصيباً.

(٢) «وعند جهينة الخبر اليقين» مثل أنظر معناه وأول ما قيل في لسان العرب مادة(جهن).

(٣) الجندل: الصخر العظيم.

(٤) يُجنني: يسترني.

فَأُتِيَ حصين بن الحُمَام فقيل له: إنّ جارك غُصَيْناً اليهوديّ قد قتله ابن جوشن جار بني صِرْمة. فقال حصين: فاقتلوا اليهوديّ الذي في جوار بني صرمة، فَأَتَوْا جهينة بن أبي حَمَل فقتلوه. فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُمَيْس بن عامر جيرانِ بني سهم فقتلوهم. فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بني سَلامان ثلاثة نَفَرٍ، ففعلوا. فاستَعَرَ الشرُّ بينهم. قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رَهْطِ الحصين بكثير. فقال لهم الحصين: يا بني صرمة، قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي، فقتلتم من جيراننا من قُضاعة ثلاثة نَفَرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سَلامان ثلاثة نَفَر، وبيننا وبينكم رَحِم ماسّة قريبة[١]، فمُرُوا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم، ونأمر جيرانَنا من قُضاعة فيرتحلون عنا جميعاً، ثم هم أعلم. فأبى ذلك بنو صِرْمة، وقالوا: قد قتلتم جارَنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم؛ فإنك تعلم أنكم أقلُّ منا عدداً وأذلّ، وإنَّما بنا تَعِزّون وتُمْنعون. فناشدهم الله والرّحِم فأبَوْا. وأقبلت الخُضْرُ[٢] من مُحارب، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نَهْبَ بني سهم إذا انتُهِبُوا فنُصيب منهم. وخَذَلت غَطفَان كُلُّها حصيناً، وكرِهوا ما كان من مَنْعِه جيرانَه من قضاعة. وصافَّهم حصينٌ الحربَ وقاتلهم ومعه جيرانه، وأمرهم ألاّ يزيدوهم على النَّبْل، وهزمهم الحصين، وكفَّ يدَه بعدما أكثر فيهم القتل. وأبى ذلك البطنُ من قضاعة أن يَكُفُّوا عن القوم حتى أثْخنوا[٣] فيهم. وكان سِنَان بن أبي حارثة خذَّل الناسَ عنه لعداوته قضاعةَ، وأحبّ سنان أن يَهُبَّ الحيّان من قضاعة، وكان عُيَينة بن حصن وزَبّان بن سَيّار بن عمرو بن جابر ممن خَذَّل عنه أيضاً. فأجلبَتْ بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة، وأجلبَتْ مُحارب بن خَصَفة معهم. فقال الحصين بن الحُمام في ذلك من أبيات: [الطويل]

أَلاَ تَـقْـبلُـونَ الـنَّـصْـفَ مـنّـا وأَنْـتُـمُ ... بَنُو عَمِّـنا! لا بَلَّ هـامَكُمُ الـقَطْرُ[٤]
سَنَأبَى كـمـا تَأْبَوْنَ حتى تُلِينَكُمْ ... صَفائحُ بُصْرَى والأسِنَّةُ والأصْرُ[٥]

(١) بينهم رحم ماسة: بينهم قرابة قريبة.
(٢) الخُضْر: بطن من محارب.
(٣) أثخنوا فيهم: أكثروا الجراح والقتل.
(٤) النِّصْف والنَّصَف: الإنصاف والعدل. والهام: جمع هامة وهي الرأس. وفي قوله دعاء عليهم أن لا يُمطروا.
(٥) الصفائح: السيوف العريضة. وبصرى بلد في حوران من أعمال دمشق. (معجم البلدان ١/ ٤٤١). والأصر: الحبس، والكسر.

أَيُؤْكَلُ مَوْلانا وَمَولَى ابْنِ عَمِّنا مُقيمٌ ومَنْصُورٌ كما نُصِرَتْ جَسْرُ[١]
فتلكَ التي لم يَعْلَمِ النّاسُ أنَّني خَنَعْتُ لها حَتَّى يُغيِّبَني القَبْرُ[٢]
فَلَيْتَكُمُ قَدْ حالَ دونَ لِقائِكُمْ سِنُونَ ثمانٍ بَعْدَها حِجَجٌ عَشْرُ[٣]
أَجَدِّيَ لا أَلْقاكُمُ الدَّهرَ مَرَّةً على مَوْطِنٍ إلاّ خُدودُكُمُ صُعْرُ[٤]
إذ ما دُعُوا لِلْبَغْيِ قامُوا وَأَشْرَقَتْ وُجُوهُهُمُ، وَالرُّشْدُ وِرْدٌ لَهُ نَفْرُ[٥]
فَواعَجَبا حَتَّى خُصَيلَةُ أصْبَحَتْ مَوَالِيَ عِزٍّ لا تَحِلُّ لها الخَمْرُا

قوله: موالي عِزٍّ، يهزأ بهم. ولا تحلّ لهم الخمر، أراد فحرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك ـ:

أَلَمّا كَشَفْنا لأْمَةَ الذُّلِّ عَنْكُمُ تَجَرَّدْتَ لا بِرٌّ جَمِيلٌ ولا شُكْرُ[٦]
فَإنْ يَكُ ظَنِّي صادِقاً تَجْزِ مِنْكُمُ جَوازِي الإِلٰهِ وَالخِيانَةُ وَالغَدْرُ[٧]

[انتصاره وفخره، وأخبار أُخرى وشعر]

قال: فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خَصَفة. وكان رئيس محارب حُمَيْضة بن حَرْملة. وَنَكَصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه، وهما عَدْوان وعبد عمرو ابنا سهم، فسار حصين، وليس معه من بني سهم إلا بنو واثلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرَقة، وكان فيهم العدد، فالتَقَوْا بدارة موضوع، فظفِر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر. وقال الحصين بن الحُمام في ذلك: [الطويل]

جَزَى الله أفناءَ العَشِيرَةِ كُلَّها بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عُقُوقاً ومَأْثَما[٨]

---

(١) مولانا: حليفنا. وجسر وجسر بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان.
(٢) خنعت: خضعت وذلّت.
(٣) الحجج: جمع حجة وهي السنة.
(٤) الجدّ: الحظ، وأبو الأب أو الأم وكلا المعنيين وارد في معنى البيت. يحلف وحق جدّي. والخدّ الأصعر: المائل كبراً.
(٥) النفر: الجماعة يتقدمون في أمر.
(٦) اللأمة: الدرع. ولأمة الذل: قميص الذلّ.
(٧) الجوازي: الجزاء.
(٨) أفناء العشيرة: أخلاطها. ودارة موضوع: موضع بين ديار بني مرة وديار بني شيبان.

بَني عَمِّنا الأدنَيْنَ مِنهُمْ ورَهْطَنَا فَزَارَةَ إذ رامَتْ بنا الحَرْبَ مُعْظَما[١]
وَلَمّا رأيتُ الوُدَّ لَيْسَ بِنافِعِي وإنْ كانَ يَوماً ذا كَواكِبَ مُظْلِما[٢]
صَبَرْنا وكانَ الصَّبْرُ مِنّا سَجِيَّةً بأسْيافِنا يَقْطَعْنَ كَفّاً ومِعْصَما[٣]
نُفَلِّق هاماً مِنْ رِجالٍ أعِزَّةٍ عَلَيْنا وَهُمْ كانُوا أعَقَّ وَأظْلَما
نُطاردهم نستنقِذُ الجُرْدَ بالقَنَا ويستنقذون السَّمْهَرِيَّ المُقوَّما[٤]

نستنقذ الجرد، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه. ويستنقذون السمهريَّ وهو القنا الصلب، أي نطعنهم فتجرُّهم الرماح ـ:

لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتّى أتى اللَّيْلُ ما تَرَى مِنَ الخَيْلِ إلاّ خارِجيّاً مُسَوَّما[٥]
وَأجْرَدَ كالسِّرْحانِ يَضرِبُهُ النَّدَى وَمَحْبُوكةً كالسِّيدِ شَقّاءَ صِلْدِما[٦]
يَطَأْنَ من القَتْلَى وَمِن قِصَدِ القَنا خَباراً فما يَجْرِينَ إلا تَقَحُّما[٧]
عَلَيْهِنَّ فِتْيانٌ كَساهُمْ مُحَرِّقٌ وكانَ إذا يَكْسُو أجادَ وأكْرَما[٨]
صَفائِحَ بُصْرَى أخلَصَتْهَا قُيُونُها ومُطَّرِداً من نَسْجِ داودَ مُبْهَما[٩]
جَزَى الله عنّا عَبْدَ عَمْرٍو مَلامَةً وعَدْوانَ سَهْمٍ ما أذَلَّ وَألأما
فَلَسْتُ بِمُبْتاعِ الحَياةِ بِسُبَّةٍ ولا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّما

وقال أبو عبيدة: وقتل في تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عُبَاد بن

---

(١) أي جزى الله بني عمنا الأردنين أمراً معظماً.

(٢) يوم ذو كواكب: أي مظلم. كما يقال في المثل العامي: أريته نجوم الظهر.

(٣) السجية: الطبيعة والخلق.

(٤) السمهري: الرمح المنسوب إلى سمهر وهو رجل كان يقوّم الرماح. وامرأته ردينة كانت تقوم الرماح أيضاً فقيل: رمح رديني.

(٥) الغدوة: ما بين الفجر وطلوع الشمس، أو البُكرة. والخارجي: ما فاق جنسه ونظائره. والمسوّم: المعلّم.

(٦) السرحان: الذئب. والسِّيد: الذئب. والشقّاء: التي تشتق في عدوها فتميل يميناً وشمالاً كأنها تميل في أحد شقيها، والطويلة. والصلدم: الصلب، الشديد الحافر.

(٧) قِصَد القنا: قطع الرماح المتكسرة. والخبار الأرض اللينة المسترخية وتقحم الأمر: رمى بنفسه فيه بغير روية.

(٨) محرق: لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من الغساسنة، ولقب عمرو بن هند ملك المناذرة في الحيرة.

(٩) المبهم: الذي لا ثلم فيه.

حبيب بن واثلة بن سهل، قتلته بنو صِرْمة يوم دارة موضوع، وكان وادّاً للحصين فقال يرثيه: [الوافر]

قَتَلْنَا خَمْسَةً ورَمَوْا نُعَيْماً وكانَ القَتْلُ لِلْفِتْيانِ زَيْنَا
لَعَمْرُ الباكِياتِ على نُعَيْمٍ لَقَدْ جَلَّتْ رَزِيَّتُهُ عَلَيْنا[١]
فلا تَبْعَدْ نُعَيْمُ فَكُلُّ حَيٍّ سَيَلْقَى مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ حَيْنَا[٢]

قال أبو عبيدة: ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضَوْا، فلحِقَ بهم الحصين بن الحُمَام فردّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتالِه عشيرتَه عنهم، وقال في ذلك:

إنَّ آمْرأً بَعْدِي تَبدَّلَ نَصْرَكُمْ بِنَصْرِ بنِي ذُبْيانَ حَقّاً لَخاسِرُ
أولـئكَ قَوْمٌ لا يُهانُ ثَوِيُّهُمْ إذا صَرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّ الصَّنابِرُ[٣]

وقال لهم أيضاً: [الوافر]

ألاَ أبْلِغْ لديك أبا حُمَيْسٍ وعاقبةُ المَلامَةِ للمُلِيمِ[٤]
فَهَلْ لَكُمُ إلى مَوْلًى نَصُورٍ وخَطْبُكُم من الله العظيمِ
فإنَّ ديارَكُمْ بِجَنُوب بُسٍّ إلى ثَقْفٍ إلى ذاتِ العُظومِ[٥]

بُسّ: بناء بنته غَطَفان شبّهوه بالكعبة، وكانوا يَحُجّونه ويعظّمونه ويسمّونه حَرَماً، فغزاهم زُهَيْرُ بن جَناب الكلبيّ فهدمه ـ:

غَذَتْكُمْ في غَداةِ النّاسِ حُجّاً غِذاءَ الجائعِ الجَدِعِ اللَّئيمِ[٦]
فَسِيرُوا في البلادِ وَوَدِّعُونا بقَحْطِ الغَيْثِ والكَلأ الوَخِيمِ

قال أبو عبيدة: قال عمرو: زعموا أن المثلَّم بن رَبَاح قتل رجلاً يقال له حُبَاشة في جِوار الحارث بن ظالم المُرّي، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ ذلك الحارث بن ظالم، فطلب الحصينَ بدم حُباشة، فسأل في قومه

---

(١) الرزيّة: المصيبة.
(٢) الحين: الموت.
(٣) الثويّ: الضيف. وكَحْل: السنة المجدبة. والصنابر: الرياح الباردة.
(٤) المليم: الذي يأتي ما يلام عليه.
(٥) ثقف وذات العظوم: موضعان.
(٦) حُجّاً: جمع حاجّ. والجَدِع: السيّء الغذاء.

وسأل في بني حميس جيرانِهِ فقالوا: إنّا لا نَعْقِل بالإبل، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم. فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته: [الطويل]

خَلِيلَيّ لا تَسْتَعْجِلا أنْ تَزَوَّدَا ... وأنْ تَجْمَعا شَمْلِي وَتَنْتَظِرا غَدَا
فَمَا لَبَثٌ يَوْماً بسائقِ مَغْنَمٍ ... ولا سُرْعَةٌ يَوْماً بسابِقَةِ غَدا[1]
وَإنْ تُنْظِرَانِي اليَوْمَ أَقْضِ لُبانَةً ... وَتَسْتَوْجِبا مَنّاً عليَّ وَتُحْمَدا[2]
لَعَمْرُكَ إنِّي يومَ أغْدُو بِصِرْمَتِي ... تَنَاهَى حُمَيْسٌ بادِئِينَ وعُوَّدا[3]
وَقَدْ ظَهَرَتْ مِنْهُمْ بَوَائِقُ جَمَّةٌ ... وَأَفْرَعَ مَوْلاهُمْ بنا ثم أصْعَدا[4]
وما كانَ ذَنْبِي فِيهِمُ غَيْرَ أنَّني ... بَسَطْتُ يَداً فِيهِمْ وأتبعْتُها يَدا
وَأنّي أحامِي مِن وَرَاءِ حَرِيمِهِمْ ... إذا ما المُنادِي بالمُغِيرَةِ نَدَّدا[5]
إذا الفَوْجُ لا يَحْمِيهِ إلاّ مُحافِظٌ ... كَرِيمُ المُحَيَّا ماجِدٌ غَيْرُ أجْرَدا
فإنْ صَرَّحَتْ كَحْلٌ وَهَبَّتْ عَرِيَّةٌ ... مِنَ الرِّيحِ لم تَتْرُكْ لِذِي العَرْضِ مَرْفَدا[6]
صَبَرْتُ عَلى وَطْءِ المَوالِي وَخَطْبِهِمْ ... إذا ضَنَّ ذُو القُرْبى عَلَيْهِمْ وأَجْمَدَا[7]

[الحصين والبرج بن الجلاس]

أخبرني ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان البُرْج بن الجُلاَس الطائيّ خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب، وفيه يقول البرج بن الجُلاس: [الوافر]

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الكَأْسَ طِيباً ... سَقَيْتُ وَقَدْ تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ[8]
رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ فَكَشَفْتُ عَنْهُ ... بِمُعْرَقَةٍ مَلامَةَ مَنْ يَلُومُ[9]
وَنَشْرَبُ ما شَرِبْنَا ثم نَصْحُو ... وَلَيْسَ بِجانِبَيْ خَدِّي كُلُومُ

(١) اللَّبث: الإقامة، المكث.
(٢) أنظره: أمهله. واللبانة: الحاجة.
(٣) الصرمة: القطعة من الأبل. وتناهى: كفّ. وبنو حميس: قبيلة. وعوّداً: معيدين.
(٤) البوائق: جمع بائقة وهي الداهية. وأفرع: نزل.
(٥) المغيرة: الخيل المغيرة.
(٦) العرية: الريح الباردة. والعرض: السعة. والمرفد: المعونة.
(٧) أجمد: اشتد بخله.
(٨) تغورت النجوم: غابت.
(٩) الخمر المعرقة: الممزوجة بقليل من الماء.

وَنَجْعَلُ عِبْأَها لِبَنِي جُعَيْلٍ وَلَيْسَ إذا انتَشَوْا فِيهِمْ حَلِيمُ[١]

كانت للبرج أخت يقال لها العُفاطة، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أخته فافتضّها، وندِم على ما صنَعَ لمّا أفاق، وقال لقومه: أيُّ رجل أنا فيكم؟ قالوا: فارسُنا وأفضلنا وسيِّدنا. قال: فإنه إن علم بما صنعتُ أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبتُ رأسي فلم تَرَوْني أبداً، فلم يسمع بذلك أحد منهم. ثم إن أمَةً لبعض طيىء وقعت إلى الحصين بن الحُمَام، فرأت عنده البرجَ الطائي يوماً وهما يشربان. فلما خرج من عنده قالت للحصين: إنّ نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كَيْتَ وكيت، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلّما أتاك فسكر عندك. فزجرها الحصين وسَبَّها، فأمسَكَتْ. ثم إنّ البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحُرَقة فأخذ أموالهم. وأتى الصَّريخُ الحصينَ بن الحمام، فتبع القوم، فأدركهم، فقال للبرج: ما صَبَّك على جيراني يا برج؟ فقال له: وما أنت وهم هؤلاء من أهلِ اليمن وهم منّا. وأنشأ يقول: [الكامل]

أَنَّى لَكَ الحُرُقاتُ فيما بَيْنَنا! عَنَنٌ بَعِيدٌ منكَ يابْنَ حُمامِ[٢]
أقْبَلْتَ تُزْجِي ناقَةً مُتَباطِئاً عُلُطاً تُزَجِّيها بِغَيْرِ خِطَامِ

تزجي: تسوق. علطاً: لا خطام عليها وَلا زمام، أي أتيت هكذا من العجلة ـ فأجابه الحصين بن الحمام: [الكامل]

بُرْجٌ يُؤَثِّمُنِي ويَكفُرُ نِعْمَتِي صَمِّي لما قالَ الكَفِيلُ صَمَامِ[٣]
مَهْلاً أبا زَيْدٍ فإنَّكَ إنْ تَشَأْ أورِدْكَ عُرْضَ مَناهِلٍ أسْدامِ[٤]
أورِدْكَ أقْلِبَةً إذا حافَلْتَها خَوْضَ القَعُودِ خَبِيثَةَ الأخْصامِ[٥]
أقْبَلْتُ مِنْ أرْضِ الحِجازِ بِذَمَّةٍ عُطُلاً أسوقُها بِغَيْرِ خِطامِ[٦]
في إثْرِ إخْوانٍ لَنا مِنْ طَيِّئٍ لَيْسُوا بأكْفاءٍ ولا بِكِرامِ

---

(١) انتشوا: أصابتهم نشوة السكر.
(٢) العنن: الاعتراض.
(٣) صَمِّي صَمامِ: أي زيدي ما شئت أيتها الداهية. والكفيل هنا: الذي لا يثبت على ظهر الدابّة.
(٤) العرض: الوسط. ومياه أسدام: متغيرة.
(٥) الأقلبة: جمع قليب وهي البئر. والأخصام: جمع خُصْم وهو من كل شيء طرفه وجانبه. والقعود: البكر إلى أن يصير في السادسة من العمر.
(٦) الذَّمّة: الناقة الهزيلة. والعُطُل: الناقة ليس عليها زمام. والخطام: الزمام.

لا تَحْسَبَنَّ أخا العفاطَةِ أنَّنِي رَجُلٌ بِخُبْرِكَ لَيْسَ بالعَلاَّمِ(١)
فاسْتَنْزَلُوكَ وَقَدْ بَلَلْتَ نِطاقَها عَنْ بِنْتِ أُمِّكَ وَالذُّيُولُ دَوامِي(٢)

ثم ناصب الحصينُ بن الحُمَام البرجَ الحربَ، فقتل من أصحاب البرج عدَّة وهزم سائرهم، واستنقذ ما في أيديهم، وأسر البرج، ثم عرف له حقّ نِدامه وعشرته إياه فمنَّ عليه وجزّ ناصيته وخلّى سبيله. فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال: أشَعْتم ما فعلتُ بأختي وفضحتموني، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم، فلم يعرف له خبر إلى الآن.

وقال ابن الكلبيّ: بل شرب الخمر صِرفاً حتى قتلته.

أخبرني ابن دريد قال: حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عَدِيٍّ ثم أغار على بني عُقَيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نَعَماً كثيراً ونساء، فأصاب أسماء بنت عمرو سيِّد بني كعب فأطلقها ومَنَّ عليها، وقال في ذلك: [الوافر]

فِدًى لِبَنِي عَدِيٍّ رَكْضُ سَاقِي وما جَمَّعْتُ مِنْ نَعَمٍ مُراحِ
تَرَكْنَا من نِساءِ بَنِي عُقَيْلٍ أَيَامَى تَبْتَغِي عَقْدَ النِّكاحِ(٣)
أَرُعْيانَ الشَّوِيِّ وَجَدْتُمُونا أَمَ اصْحابَ الكَرِيهَةِ والنِّطاحِ(٤)
لَقَدْ عَلِمَتْ هَوازِنُ أَنَّ خَيْلِي غَداةَ النَّعْفِ صادِقَةُ الصَّباحِ
عَلَيْها كُلُّ أَرْوَعَ هِبْرِزِيٍّ شَدِيدٍ حَدُّهُ شاكِي السِّلاحِ(٥)
فَكَرَّ عَلَيْهِمُ حتَّى الْتَقَيْنا بِمَصْقُولٍ عَوارِضُها صِباحِ(٦)
فَأُبْنا بِالنِّهابِ وَبِالسَّبايا وَبِالبِيضِ الخَرائِدِ واللِّقاحِ(٧)

---

(١) الخُبْر: العلم بالشيء.
(٢) النطاق: حزام يشد به الوسط. والدوامي: جمع دامية، وهي التي تقطر دماً.
(٣) الأيامى: جمع أيم، وهي التي لا زوج لها.
(٤) الشَّوِيّ: جمع شاة. والكريهة: الحرب الشديدة المكروهة لشدتها.
(٥) الأروع: المعجب بحسنه أو بشجاعته. والهبرزيّ: المقدام. وحدّه: بأسه. وشاكي السلاح: قويّ التسلّح. مجهز بكامل عدته الحربية.
(٦) العوارض: جمع عارضة، وهي صفيحة الخدّ. والصِّباح: جمع صبيحة، وهي المشرقة الوجه.
(٧) النهاب: جمع نهب، وهي الغنيمة. والخريدة البكر التي لم تمس أو الحيية الصامتة المتسترة، وجمعها خرائد. واللقاح: الإبل.

وَأعْتَقْنا ابْنَةَ العَمْرِيِّ عَمْرٍو وَقَدْ خُضْنا عَلَيْها بالقِداحِ

أخبرنا ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أنَّ الحصين بن الحمام أدرك الإسلام. قال: ويدلّ على ذلك قوله: [المتقارب]

وقَافِيَةٍ غَيْرِ إِنْسِيَّةٍ قَرَضْتُ مِنَ الشِّعْرِ أمْثالَها

شَرُودٍ تَلَمَّعُ بالخافِقَيْنِ إذا أُنْشِدَتْ قِيلَ مَن قالَها[1]

وَحَيْرانَ لا يَهْتَدِي بالنَّهارِ مِنَ الظَّلْعِ يَتْبَعُ ضُلاّلَها[2]

وَداعٍ دعا دَعْوَةَ المُسْتَغِيثِ وَكُنْتُ كَمَنْ كانَ لَبَّى لها

إذا المَوْتُ كانَ شَجاً بالحُلُوقِ وبادَرَتِ النَّفْسُ أشْغالَها

صَبَرْتُ وَلَمْ أكُ رِعْدِيدَةً وَلَلصَّبْرُ في الرَّوْعِ أنْجَى لها[3]

وَيَوْمٍ تَسَعَّرُ فيهِ الحُرُوبُ لَبِستُ إلى الرَّوْعِ سِرْبالَها[4]

مُضَعَّفَةَ السَّرْدِ عادِيَّةً وَعَضْبَ المَضارِبِ مِفْصالَها[5]

وَمُطَّرِداً مِنْ رُدَيْنِيَّةٍ أذودُ عَنِ الوِرْدِ أبْطالَها[6]

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذاكَ إلا التُّقَى وَنَفْسٌ تُعالِجُ آجالَها

أُمورٌ مِنَ اللهِ فوقَ السَّماءِ مَقاديرُ تَنْزِلُ أنْزالَها[7]

أعُوذُ بِرَبِّي مِنَ المُخْزِيا تِ يَوْمَ تَرَى النَّفْسُ أعْمالَها

وَخَفَّ المَوازِينُ بالكافِرِينَ وَزُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزالَها

ونادَى مُنادٍ بأهْلِ القُبورِ فَهَبُّوا لِتُبْرِزَ أثْقالَها

وَسُعِّرَتِ النّارُ فِيها العَذابُ وكانَ السَّلاسِلُ أغْلالَها

حدّثنا ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: مات حُصَيْن بن الحُمَام في بعض أسفاره، فسُمع صائح في الليل يصيح لا يُعرفُ في بلاد بني مُرَّة:

---

(١) القافية الشرود: السريعة الانتشار في البلاد. وتلمّع: تبرق.

(٢) الظّلْع: العَرَج.

(٣) الرعديد والرعديدة: الجبان. والروع: الخوف.

(٤) تسعّر: تستعر تتقد. والسربال: هنا الدرع.

(٥) العضب: القاطع. والمفصال الشديد الفصل.

(٦) أذود: أدافع.

(٧) الأنزال: المواقع.

[الطويل]

أَلاَ هَلَكَ الحُلْو الحَلاَلُ الحُلاَحِلُ ... ومَن عَقْدُه حَزْمٌ وعَزْمٌ ونائلُ[1]

الحلو: الجميل، والحلال: الذي ليس عليه في ماله عيب. والحلاحل: الشريف العاقل ـ:

وَمَنْ خَطْبُهُ فَصْلٌ إذا القَوْمُ أُفحِمُوا ... يُصِيب مَرَادِي قَوْلِهِ مَن يُحاوِلُ

المَرادِي: جمع مِرادة، وهي صخرة تُردَى بها الصخور، أي تكسر ـ قال: فلما سمع أخوه مُعَيَّة بن الحُمام ذلك قال: هَلَكَ والله الحصين، ثم قال يرثيه:

[الوافر]

إذا لاقَيْتُ جَمْعاً أو فِئَاماً ... فإنِّي لا أرى كأبي يَزِيدا[2]

أَشَدَّ مَهابَةً وأعَزَّ رُكْناً ... وأصْلَبَ ساعَةَ الضَّرَّاءِ عُودا

صَفِيِّي وابْنُ أُمِّي وَالمُواسِي ... إذا ما النَّفْسُ شارَفتِ الوُرِيدا[3]

كَأَنَّ مُصَدَّراً يَخْبُو وَرَائِي ... إلى أشْبالِهِ يَبْغِي الأسُودا

المُصَدَّر: العظيم الصدر، شبَّه أخاه بالأسد.

صوت

[البسيط]

لاَ أَرَّقَ الله عَيْنَيْ مَنْ أرِقْتُ لَهُ ... ولا مَلاَ مِثْلَ قَلْبِي قَلْبَهُ تَرَحَا

يَسُرُّنِي سُوءُ حالي في مَسَرَّتِهِ ... فَكُلَّما ازْدَدْتُ سُقْماً زادَنِي فَرَحا

الشعر لمحمد بن يسير، والغناء لأحمد بن صَدَقة، رَمَلٌ بالوسطى.

---

(١) النائل: العطاء.

(٢) الفئام: الجماعة من الناس.

(٣) الصفي: المصافي، الودود.

أخبار محمد بن يسير ونسبه

[توفي نحو سنة ٢١٠هـ / نحو سنة ٨٢٥م]

[اسمه ونسبه وولاؤه]

محمد بن يسير الرِّياشي، يقال إنه مولًى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرِّياشي الأخباري الأديب، ويقال إنه منهم صليبةً. وبنو رِياش يذكرون أنهم من خَثْعَم. ولهم بالبصرةِ خطَّة وهم معروفون بها. وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين، متقلِّل، لم يفارق البَصْرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُنْتَجِعاً، ولا تجاوز بلده، وصُحْبتُه طبقتُه، وكان ماجِناً هَجّاءً خبيثاً.

[قصته مع والي البصرة]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارمة قال: بعث إليَّ محمد بن أيُّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان ـ وهو يتولّى البصرة حينئذ ـ في ليلةٍ صبيحتُها يومَ سبتٍ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر، فقلت له: أَنِمتَ وانتبهتَ أم لم تنم بعدُ؟ فقال: قد قضيتُ حاجتِي من النوم، وأريد أن أصطبح وأبتدىء الساعةَ بالشرب، وأصِلَ ليلتِي بيومي محتجباً عن الناس، وعندي محمد بن رباح، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رِياش، وحضرتَ أنت، فمن ترى أن يكون خامسَنا؟ قلت: محمد بن يسير. فقال: والله ما عَدَوتَ[1] ما في نفسي، فقال لي ابن رباح: اكْتُبْ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طِيبَ هذا الوقت، وكان يوم غَيم، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع؛ فكتب إليه ابن رَباح:

---

(١) ما عدوتَ: ما جاوزتَ.

صوت

[الخفيف]

يَـوْمُ سَـبْـتٍ وشَـنْـبَـذٍ ورَذَاذٍ فَعَلامَ الجُلُوسُ يابْنَ يَسِير[1]؟
قُمْ بنا نأخُذ المُدامَةَ من كَـ ـفِّ غَزالٍ مُضَمَّخٍ بالعَبِيرِ

في هذين البيتين لعباسٍ أخي بحرٍ ثقيل أوّل بالبنصر ـ وبعث إليه بالرُّقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب. فقال لهم: بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة! فقالوا: لم نَلْقَه، وإنما كتب جوابَها في منزله، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجُم. فقرأها فإذا فيها: [الطويل]

أجيءُ على شَرْطٍ فإنْ كُنْتَ فاعلاً وإلاَّ فإنّي راجعٌ لا أُناظِرُ
لِيُسْرَجْ ليَ البِرذَوْنُ في حالِ دُلْجَتِي وأنْتَ بدُلْجاتِي مَعَ الصُّبْحِ خابِرٌ[2]
لأقْضِيَ حاجاتِي إلَيْهِ وأنْثَنِي إلَيْكَ، وحَجَّامٌ إذا جِئْتُ حاضِرُ
فيأخُذُ من شَعْرِي ويُصلِحُ لِحيتي وَمِنْ بَعْدُ حَمَّامٌ وطِيبٌ وجامِرٌ[3]
ودَسْتِيجَةٌ مِنْ طيِّبِ الرّاحِ ضَخْمَةٌ يُرَوِّدنيها طائِعاً لا يُعاسِرُ[4]

فقال محمد بن أيوب: ما تقول؟ فقلت: إنك لا تقوَى على مطاولته، ولكن اضْمَنْ له ما طلب. فكتب إليه: قد أُعِدَّ لك ـ وحَياتِك ـ كلُّ ما طلبت فلا تُبْطِئْ؛ فإذا به قد طلع علينا. فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة. فلما أُحضرت أمَر بمحمد بن يسير فشُدّ بحبل إلى أُسطوانة من أساطين المجلس، وجلسنا نأكل بحذائه. فقال لنا: أيُّ شيء يخلِّصني؟ قلنا: تُجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب. فقال: كُفّوا عن الأكل إذاً ولا تستبِقوني به فتَشْغَلوا خاطري، ففعلنا ذلك وتوقّفنا، فأنشأ يقول: [الطويل]

أيا عَجَبا مِنْ ذا التَّسَرِّي فإنَّهُ لَهُ نَخوةٌ في نَفْسِهِ وتَكابُرُ[5]

---

(١) شنبذ: كلمة فارسية تعني يوم السبت. والرذاذ: المطر الخفيف.

(٢) الدلجة: السير من أول الليل، أو سير الليل كله.

(٣) أجمر ثوبه: بخّره بالطيب.

(٤) الدستجة: إناء كبير يحوّل باليد وينقل (جمع دساتج). والراح: الخمر. ويُرَوِّدُنيها: يجعلني أرودها. يقال: زادت الإبل ترود: اختلفت في المرعى مراراً. ولا يعاسر: لا يشاكس.

(٥) التسري: تكلف السرو وهو الشرف والرفعة.

يُشارِطُ لمّا زارَ حَتّى كأنّهُ ... مُغَنٍّ مُجيدٌ أو غلامٌ مُؤاجَرُ
فَلولا ذِمامٌ كانَ بَيْني وَبَيْنَهُ ... لَلَطَّمَ بَشّارٌ قَفاهُ وَياسِرُ[1]

فقال محمد: حسبُك، لم نُرِدْ هذا كله، ثم حلَّه وجلس يأكل معنا، وتممنا يومنا.

[هجاؤه شاة أكلت زرعه ودخلت داره]

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ قال: كان محمد بن يسير من شعراء أهلِ البصرة وأدبائهم، وهو من خَثْعَم وكان من بخلاء الناس، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق[2] قَلَعها من داره، فغرَس فيه أصلَ رُمّان وفَسِيلةً[3] لطيفة، وزَرَعَ حَوالَيه بَقْلاً، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له مَنِيع، فأكلت البقل ومَضَغت الخُوص[4]، ودخلتْ إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيسَ فيها شِعرهُ وأشياءُ من سَماعاته، فأكلَتْها وخرجَتْ، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة منيع: [الرمل]

لِيَ بُسْتانٌ أَنيقٌ زاهِرٌ ... ناضِرُ الخُضْرَةِ رَيّانُ تَرِفْ[5]
راسِخُ الأعْراقِ رَيّانُ الثَّرَى ... غَدِقٌ تُرْبَتُهُ لَيْسَتْ تَجِفْ[6]
لِمَجارِي الماءِ فِيهِ سُنَنٌ ... كَيْفَما صَرَّفْتَهُ فيهِ انْصَرَفْ[7]
مُشْرِقُ الأنْوارِ مَيّادُ النَّدَى ... مُنْثَنٍ في كُلِّ رِيحٍ مُنْعَطِفْ[8]
تَمْلِكُ الرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ... فإذا لَمْ يُؤْنِس الرِّيحَ وَقَفْ
يَكْتَسِي في الشَّرْقِ ثَوْبَيْ يُمْنَةٍ ... وَمَعَ اللَّيْلِ عَلَيْها يَلْتَحِفْ[9]
يَنْطَوِي اللَّيْلُ عَلَيْهِ فإذا ... واجَهَ الشَّرْقَ تَجَلَّى وانْكَشَفْ

---

(١) الزمام: العهد والحرمة. وبشار وياسر: من خدام الوالي أو من أتباعه.
(٢) الطوابيق: جمع طابق: وهو الآجر الكبير.
(٣) الفَسِيلة: النخلة الصغيرة.
(٤) الخوص: ورق النخل وما شابه.
(٥) الناضر: الشديد الخضرة. والترف: يقال ترف النبات ترفاً: كثر ماؤه ونَضُر.
(٦) التربة الغدقة: أي الندية المبتلة.
(٧) السنن: جمع سنة: وهي الطريقة.
(٨) الأنوار: جمع نَوْر: وهو ضرب من الزهر الأبيض.
(٩) اليمنة: ضرب من برود اليمن وهو الموشي.

صابرٌ لَيسَ يُبالِي كَثْرَةً جُزَّ بالمِنْجَلِ أوْ مِنْهُ نُتِف
كُلَّمَا أُلحِفَ مِنهُ جانِبٌ لَمْ يَتَلَبَّثْ منهُ تَعْجِيلُ الخَلَفْ[1]
لا تَرَى لِلْكَفِّ فِيهِ أثَراً فيهِ بَلْ يَنْمِي على مَسِّ الأكُفْ[2]
فَتَرَى الأطْباقَ لا تُمْهِلُهُ صادراتٍ وارداتٍ تَختَلِفْ
فِيهِ لِلْخارِفِ من جِيرانِهِ كُلَّما احْتاجَ إلَيهِ مُخْتَرَفْ[3]
أُقْحُوانٌ وَبَهَارٌ مُونِقٌ وَسِوَى ذلكَ مِنْ كُلِّ الطُّرَفْ[4]
وَهْوَ زَهْرٌ لِلنَّدَامَى أُصُلاً بِرِضا قاطِفِهِم مِمَّا قَطَفْ[5]
وهو فِي الأيْدِي يُحَيُّون بِهِ وعلى الآنافِ طَوْراً يُسْتَشَفْ[6]
أغْفِهِ يا رَبِّ مِن واحِدَةٍ ثُمَّ لا أحْفِلُ أنْواعَ التَّلَفْ[7]
اكْفِهِ شَاةَ مَنِيعٍ وَحْدَها يَوْمَ لا يُصْبِحُ في البَيْتِ عَلَفْ
اكْفِهِ ذات سُعالٍ شَهْلَةً مُتْعَتْ في شَرِّ عَيْشٍ بالخَرَفْ[8]
اكْفِهِ يا رَبِّ وَقْصاءَ الطُّلَى ألْحم الكِتْفَيْنِ منها بالكَتِفْ[9]
وَكَلُوحٌ أبَداً مُفْتَرَّةٌ لَكَ عَنْ هُتْمٍ كَلِيلاتٍ رُجُفْ[10]
وَنَؤُوس الأنفِ لا يَرْقَا ولا أبَداً تُبْصِرُهُ إلاّ يَكِفْ[11]
لَمْ تَزَلْ أظْلافُها عافِيَةً لم يُظَلِّفْ أهْلُها منها ظِلَفْ[12]

---

(١) ألحف: استأصل. ولم يتلبث: لم يتأخر.
(٢) ينمي: يزيد.
(٣) المُخْتَرَف: المجتنى.
(٤) الأقحوان: نبتٌ زهره أصفر أو أبيض. والبهارُ: نبت أصفر طيب الريح. ومونق: معجب.
(٥) الأصل: جمع أصيل: وهو الوقت بين العصر والمغرب. والندامى: جمع ندمان: وهو المجالس على الشراب.
(٦) يستشف: بمعنى يتقصى شمه كما يستشف الماء.
(٧) لا أحفل: لا أبالي.
(٨) الشهلة: العجوز. والخرف هنا: التمر الرديء.
(٩) الوقصاء: القصيرة العنق. والطُّلى: جمع طلية أو طلاة وهي: العنق. وألحمه: لأمه. والمعنى هنا أنه يدعو عليها أن يلحم الله كتفيها.
(١٠) الكالح: الذي قلصت شفته عن أسنانه. وافترّ عن ثغره: أبدى أسنانه. والهتم: الأسنان المكسرة. والرجف: المضطرب اضطراباً شديداً، وجمعه رجوف.
(١١) نؤوس الأنف: ذات أنت أنف يسيل ماؤه. لا يرقا: لا ينقطع. ويكف: يسيل.
(١٢) الأظلاف: جمع ظِلف: وهو الظفر المشقوق للشاة وغيرها. والعافية: الطويلة والكثيرة. ولم يظلف: لم يقلم. أي لم يقلم أظفاره. والظِّلَف: بفتح اللام: (أصله ظَلْفاً بسكون اللام والنصب على أنه مفعول).

فَتَرى في كُلِّ رِجْلٍ وَيَدٍ مِنْ بقاياهُنَّ فَوْقَ الأرْضِ خُفّ
تَنْسِفُ الأرْضَ إذا مَرَّتْ بهِ فلَها إعْصارُ تُرْبٍ مُنْتَسِف[1]
تُرْهِجُ الطُّرْقَ على مُجْتازِها بِيَدٍ في المَشْي والخَطْوِ القَطِف[2]
في يَدَيْها طَرَقٌ، مِشْيَتُها حَلْقةُ القَوْسِ، وفي الرِّجْلِ حَنَف[3]
فإذا ما سَعَلَتْ واحْدَوْدَبَتْ جاوَبَ البَعْرُ عَلَيها فخُصِف[4]
وأحِصَّ الشَّعْرُ منها، جِلْدُها شَنَّةٌ في جَوْفِ غارٍ مُنْخسِف[5]
ذاتُ قَرْنٍ وَهْيَ جَمَّاءُ، ألاَ إنَّ ذا الوَصْفَ كَوَصْفٍ مُخْتَلِف[6]
وإذا تَدْنُو إلى مُسْتَغْسِبٍ عافَها نَتْناً إذا ما هُو كَرَف[7]
لا تَرَى تَيْساً عَلَيْها مُقْدِماً رُمِيَتْ منْ كُلِّ تَيْسٍ بالصَّلَف[8]
شُوهَةُ الخِلْقَةِ، ما أبْصَرَها مِن جَميعِ النّاسِ إلاّ وحَلَف[9]
ما رَأى شاةً ولا يَعْلَمُها خُلِقَتْ خِلْقَتَها فيما سَلَف
عَجَباً منها ومن تَأْلِيفِها عَجَباً مِن خَلْقِها كيفَ ائتلَف!
لو يُنادُون عليها عَجَباً كَسَبُوا منها فُلُوساً ورُغُف
لَيْتَها قَدْ أفْلَتَتْ في جَفْنَةٍ مِنْ عَجينٍ أو دَقِيقٍ مُجْتَرَف[10]
فتَلَقَّتْ شَفْرَةً مِن أهْلِهِ قَدرَ الإصْبعِ شَيْئاً أو أشَف
أحْكَمَتْ كَفّا حَكِيمٍ صُنْعَها فأتَتْ مَجْدُولَةً فيها رَهَف[11]
أُدْمِجَتْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ غَيْرَ ما ألَّلَ الأقْيانُ مِنْ حَدِّ الطَّرَف[12]

---

(١) تنيفُ الأرض: تقتلعها من أصلها. والإعصار: ريح تهب بشدة وترتفع كالعمود إلى السماء.

(٢) تُرهج الطُّرق: تثير فيها الغبار. والقطف: البطيئة السير المتقاربة الخطو.

(٣) الطرق: ضعف في ركبتي البعير ويده. ومشيتها حلقة القوس: يشبهها الشاعر بحلقة القوس لاعوجاجها وعدم استقامتها. وحَنَفَ الرجلُ حنفاً: اعوجّت قدمه إلى الداخل.

(٤) خصف عليها: ضمها إليه. ولصق بجسمها.

(٥) أحص الشعر: تناثر وتفرق. وذنب أحص: أي لا شعر عليه. والشنّة جمع شنان: وهي القربة الخلق الصغيرة يكون فيها ماء أبرد من غيرها.

(٦) الجمّاء: النعجة أو الشاة التي لا قرن لها.

(٧) المستَغسِب: أراد هنا التيس الهائج. وعافها: كرهها وأعرض عنها. وكرفها: شمها.

(٨) الصَّلف: الكره والبغض. وقيل الصلف: الكبر: أي صلف التيس وأدل عليها.

(٩) شوهة الخلقة: قبيحتها. ويقال: رجل أشوه وامرأة شوهاء.

(١٠) الجفْنَة: القصعة.

(١١) رهَفَ: رقّ ولطف.

(١٢) ألّل الشيء تأليلاً: حدّد طرفه. والأقيان: جمع قين: وهو الحداد.

قَابِضُ الرَّوْنَقِ فيها مَاتِعٌ ... يَخْطَفُ الأبْصارَ منها يُستَشَفْ[1]
لَمَحَتْها فاسْتَخَفَّتْ نَحْوَها ... عَجَلاً ثم أحالَتْ تَنْتَسِفْ[2]
فَتَناهَتْ بَيْنَ أضعافِ المِعَى ... وَتَبَوَّتْ بينَ أثناءِ الشُّغُفْ[3]
أوْ رَمَتْها قَرْحَةٌ زادَتْ لها ... ذَوَبَاناً كُلَّ يَوْمٍ ونَحَفْ
كُلَّ يوم فيه يدنو يومُها ... أوْ تُرَى واردةً حَوْضَ الدَّنَفْ[4]
بَيْنَما ذاكَ بها إذْ أصبَحَتْ ... كَحَمِيتٍ مُفْعَمٍ أو مثلَ جُفْ[5]
شاغِراً عُرْقوبُها قد أعْقِبَتْ ... بِطْنَةً من بَعْدِ إدمانِ الهَيَفْ[6]
وَغَدَا الصِّبْيَةُ مِنْ جِيرَانِها ... لِيَجُرُّوها إلى مأوَى الجِيَفْ
فَتَراها بَيْنَهُمْ مَسْحُوبَةً ... تَجْرُفُ التُّرْبَ بِجَنْبٍ مُنْجَرِفْ
فإذا صاروا إلى المَأوَى بِها ... أعْمَلُوا الآجُرَّ فيها والخَزَفْ[7]
ثُمَّ قالُوا: ذا جَزاءٌ لِلَّتِي ... تَأكُلُ البُسْتانَ مِنَّا والصُّحُفْ
لا تَلُومُوني، فَلَوْ أبْصَرْتُ ذا ... كُلَّهُ فِيها إذَنْ لَمْ أنْتَصِفْ

[بينه وبين امرأته]

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن يسير، وحدّثني سوار بن أبي شُرَاعة قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: هَوِيَ أبي قَيْنةً[8] من قِيان أبي هاشم بالبصرة، فكتبتْ إليه أمي تعاتبه، فكتب إليها: [البسيط]

لا تَذْكُرِي لَوْعةَ إثْرِي ولا جَزَعا ... ولا تُقاسِنَّ بَعْدِي الهَمَّ والهَلَعا

---

(١) الرونق: رونق السيف: ماؤه وحسنه. وقابض الرّونق: أي ما يمسكه ويحفظه. والماتع: البالغ في الجودة. واستشفه: رأى ما وراءه.
(٢) استخفت نحوها: أسرعت نحوها. وأحالت: هوت عليها تنتسفها.
(٣) تناهت: انتهت أي وصلت. وتبوّت: حلت وأقامت وأصلها تبوأت، سهلت الهمزة. والشغف، والشغاف: غلاف القلب.
(٤) الدَّنف: المرض المثقل.
(٥) الحَمِيت: الزِّق يجعل فيه السمن وغيره. والجُفّ: الشَّن البالي يقطع ويجعل من نصفه قربةً أو دلواً.
(٦) شاغراً عرقوبها: مرفوعاً. والبطنة: عظم البطن. والهَيَف: ضمور البطن ورقة الخصر.
(٧) الآجُرّ: الطوب. والخَزَف: ما صنع من طين وشوي بالنار فصار فخّاراً.
(٨) القيان: الجواري.

بَلِ ائْتَسِي تَجِدِي إِنِ ائْتَسَيْتِ أُساً ... بمثلِ ما قَدْ فُجِعْتِ اليومَ قد فُجِعا[١]
ما تصنَعين بعَينٍ عَنْكِ قد طَمَحَتْ ... إلى سِواكِ وَقَلْبٍ عَنْكِ قد نَزَعا[٢]
إنْ قُلتِ قَدْ كُنتُ في خَفْضٍ وتَكرِمَةٍ ... فَقَدْ صدَقْتِ، وَلكنْ ذاكِ قد نُزِعا[٣]
وأيُّ شَيْءٍ من الدُّنيا سَمِعْتِ بِهِ ... إلا إذا صارَ في غاياتِهِ انْقَطَعا
وَمَنْ يُطيقُ خَليعاً عندَ صَبْوَتِهِ ... أمْ مَن يَقُومُ لِمستورٍ إذا خَلَعَا[٤]

أخبرني عمي قال: حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنا عبد الله بن يسير أن أباه دُعي إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النجم، فعبِثَ بأبي وباغضه وأساء أدبه، فقال يهجوه: [الطويل]

نَشَتْ بأبي النَّجْمِ المُغَنِّي سَحَابَةٌ ... عليهِ من الأيدي شآبيبُها القَفْدُ[٥]
نَشَا نَوْؤُها بالنَّحْسِ حَتَّى تَصَرَّمَتْ ... وغابَتْ فلم يَطلُعْ لها كَوكبٌ سَعْدُ[٦]
سَقَتْهُ فَجَادَتْ فارْتَوَى مِنْ سِجالِها ... ذُرَا رأسِهِ وَالوَجْهُ وَالجِيدُ والخَدُّ[٧]
فلا زالَ يَسْقِيهِ بها كُلَّ مَجْلِسٍ ... بهِ فتيَةٌ أمثالُها الهَزْلُ والجِدُّ

أراد به يسقيانه.

[قصته مع صديقه داود ورثاؤه إياه]

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: وحدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: كان لأبي صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهاً وأقلِّهم أدباً، إلا أنه كان وافر المتاع، فكان القِيان يواصلنه ويكثُرن عنده، ويُهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب، فيدعو بأبي فيعاشره، فهَوِيته قينةٌ من قِيان البصرة، كانت من أحسن الناس

(١) ائتسي: تعزَّي. وأُساً: جمع أسوة: وهو ما يتعزى به الحزين.
(٢) نزع هنا: كفّ وانتهى.
(٣) الخفض: الدعة في العيش.
(٤) خلَع: انقاد لهواه وتهتَّك.
(٥) نشت: نشأت، خففت الهمزة. والشآبيب: جمع شؤبوب: الدفعة من المطر. وقفده: صفع قفاه بباطن كفّه.
(٦) النوء: النجمُ مالَ للغروب. جمع أنْواءٌ ونوءانٌ. وتصرمت: تقطعت.
(٧) السجال: جمع سجل وهو: الدلو المملوءة العظيمة.

وجهاً، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جدّاً تعاتبه فيها وتستجفيه[1] وتستزيره[2]. فسأل أبي أن يُجيبها عنه، فقال أبي: اكْتُبْ يا بُنَيَّ قبل أن أُجيب عنها: [الخفيف]

وابـلائـي مِـن طـول هٰـذا الـكـتـابِ ... أسْـعِـدُونـي عَـلَـيْـهِ يـا أصْـحـابـي
أسْـعِـدونـي عـلـى قِـرَاةِ كِـتـابٍ ... طُولُـهُ مثلُ طولِ يَوْمِ الحِساب[3]
إنَّ فِـيـهِ مِـنِّـي الـبَـلاءَ مُـلَـقًّـى ... وَلِغَيْـرِي فيـهِ الـهَـوى والتَّـصابـي
وَلَـهُ الـودُّ والـهَـوَى، وَعَـلَـيْـنـا ... فيـهِ لِـلْـكـاتِـبِـيـنَ رَدُّ الـجَـواب
ثُـمَّ مِـمَّـنْ يـا سَـيِّـدي؟ وإلَـى مَـنْ؟ ... مِنْ هَضِيـمِ الحَشَا لَعُوبٍ كَعَابِ[4]
وإلـى مَـنْ إنْ قُـلْـتُ فـيـهِ بِـعَـيْـبٍ ... لَـمْ أحِـطْ في مَقـالَـتِي بـالـصَّـوابِ
لا يُـسـاوِي عـلـى الـتَّـأمُّـلِ والـتَّـفْـ ... ـتِيشِ يَوْماً في النَّاسِ كَفَّ تُرابِ

فقال عبد الله: وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه، فيمشي قُدَّامه، فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذًى لَقِي داود شرَّه وحَذِره أبي. فمات داود. وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران، فعثَر بدُكّان[5] وتلوَّث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عَنَتاً، فقال يرثي داود: [البسيط]

أقـولُ والأرْضُ قَـدْ غَـشَّـى وجَـلَّـلَـهـا ... ثَوْبُ الدُّجَى فَهْوَ فَوْقَ الأرْضِ مَمْدُودُ[6]
وَسَـدَّ كـلَّ فُـروجِ الـجَـوِّ مُـنْـطَـبِـقـاً ... وَكُـلُّ فَـرْجٍ بـه فـي الـجَـوِّ مَـسْـدُودُ
وفـي الـوَدَاعِ وفـي الإبْـداءِ لـي عَـنَـتٌ ... دونَ الـمَـسِـيرِ وبابُ الدارِ مَسْدُودُ[7]
مَن لِي بِداودَ في ذي الحالِ يُرْشِدني؟ ... مَـن لـي بـداودَ؟ لَـهْـفـي! أيـنَ داودُ؟
لَـهْـفِـي عـلـى رِجْـلِـهِ ألاَّ أقَـدِّمَـهـا ... قُدَّامَ رِجْلِي فتَلْقَاها الجَلامِيدُ[8]
إذ لا أزالُ إذا أقْـبَـلْـتُ يَـنْـكُـبُـنـي ... حَـرْفٌ وجُـرْفٌ ودُكَّـانٌ وأُخْـدودُ[9]

---

(١) تستجفيه: تنسبه إلى الجفاء.
(٢) تستزيره: تدعوه إلى زيارتها.
(٣) قراة: قراءة.
(٤) الهضيم من النساء: اللطيفة الكشحين الضامرة البطن. واللعوب: الحسنة الدّل. والكاعب: الناهدة الثدي.
(٥) الدكان: المصطبة.
(٦) غشّى: غطى. وجلّلها: غطّاها.
(٧) الإبداء: الابتداء بالشيء.
(٨) الجلاميد: جمع جلمود، وهو الصخرة.
(٩) الجرف: ما تجرفه السيول وتأكله من الأرض. والأخدود: الحفرة المستطيلة في الأرض. جمعه أخاديد.

فَإِن تَكُنْ شَوْكَةٌ كانَتْ تَحُلُّ بِهِ أو نُكْتَةٌ في سَوادِ اللَّيْلِ أو عُودُ

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال: هجمتْ شاة منيع البَقَّال على دار ابن يسير وهو غائب، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة، فأكلتها كلَّها، فقال في ذلك: [المنسرح]

قُلْ لِبُقَاةِ الآدابِ ما صَنَعَتْ مِنْها إِلَيْكُمْ فلا تُضِيعُوها

وَضَمِّنُوها صُحُفَ الدَّفاتِرِ بالـ حِبْرِ وحُسْنَ الخُطوطِ أوعُوها[1]

فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَلَمْ يَكُنْ عَلَفٌ تُسِيغُهُ عِنْدَكُمْ فَبِيعُوها[2]

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدّثني ابن شِبْل البُرْجُمِيّ قال: كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان، وكان يوسف أشدَّ خلق الله عربدةً، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه. ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولِحاءٌ[3]، فعربد يوسف عليه وشَجَّه، فقال ابن يسير يهجوه: [الكامل]

لا تَجْلِسَنْ مَعَ يُوسُفٍ في مَجْلِسٍ أَبَداً ولم تَحْمِلْ دَمَ الأخَوَيْنِ[4]

رَيْحانُهُ بِدَمِ الشَّبابِ مُلَطَّخٌ وَتَحِيَّةُ النُّدْمانِ لَطْمُ العَيْنِ

أخبرني جعفر بن قُدامَة قال: حدّثني الحسين بن يحيى المنجّم قال: حدثني أبو عليّ بن الخُراسانيّ قال: كان لمحمد بن يسير البصريّ بابانِ يدخل من أحدهما وهو الأكبر، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر، ومَنْ يَسْتَشْرِط[5] من المُرْدِ[6] فجاء يوماً غلامٌ قد خرجتْ لحيته، كانت عادته أن يدخل من الباب

(١) أوعُوها: ضمّنوها.
(٢) ساغ الشراب والطعام في الحلق: سهل مدخله في الحلق.
(٣) اللحاء: النزاع والخصام.
(٤) دم الأخوين: العندم.
(٥) يستشرط: يطلب العجلة والسرعة.
(٦) المُرْدِ: جمع أمرد وهو الشاب الذي لم تنبت لحيته بعدُ.

الأصغر، فمرّ من ذلك الباب فجعل يُخاصم لدالّته[1]، وبلغ ابن يسير فكتب إليه:

[مجزوء الرمل]

قُـلْ لِـمَـنْ رامَ بِـجَـهْـلٍ ... مَـدْخَـلَ الـظَّـبْـيِ الـغَـريـرِ
بَـعْـدَ أنْ عَـلَّـقَ فـي خَـدَّيْـهِ ... مِـخْـلاةَ الـشَّـعِـيـرِ
لَـيْـتَـهُ يَـدْخُـلُ إنْ جـاءَ ... مِـنَ الـبـابِ الـكَـبِـيـرِ

وأخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال: كنّا في مجلس ومعنا محمد بن يسير وعمرو القِصَافيّ، وعندنا مغنية حسنة الوجه شَهْلة[2] تغنّي غناءً حسناً، فكنّا معها في أحسن يوم، وكان القِصَافيّ يَعين[3] في كل شيء يستحسنه ويحبّه، فما برحْنا من المجلس حتى عانها، فانصرفتْ محمومةً شاكيةَ العين. فقال ابن يسير: [الخفيف]

إنَّ عَـمْـراً جَـنَـى بِـعَـيْـنَـيْـهِ ذَنْـباً ... قَـلَّ مِـنِّـي فـيـهِ عَـلَـيْـهِ الـدُّعـاءُ
عـانَ عَـيْـنـاءَ، فـعـيـنُـهُ لِـلَّـتِـي عـانَ فِـدًى، وقَـلَّ مِـنْـهُ الـفِـداءُ[4]
شَـرُّ عَـيْـنٍ تَـعِـيـنُ أحْـسَـنَ عَـيْـنٍ ... تَـحْـمِـلُ الأرْضُ أو تُـظِـلُّ الـسَّـمـاءُ

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مَهْرويه قال: حدّثنا القاسم بن الحسن قال: استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجةٍ أرادها فأبى عليه، فمضى إليها ماشياً، وكتب إلى عمرو القِصَافيّ ـ وكان جاراً للهاشميّ وصديقاً ـ يشكوه إليه ويُخبره بخبره: [البسيط]

إنْ كُنْتُ لا عَيْرَ لي يَوْماً يُبَلِّغُنِي ... حاجِي وأَقْضِي عليهِ حَقَّ إخْوانِي[5]
وضَنَّ أهْلُ العَوارِي حِينَ أسْأَلُهُم ... من أهْلِ وُدِّي وخُلْصانِي وَجِيرانِي[6]
فإنَّ رِجْلَيَّ عِنْدِي ـ لا عَدِمْتُهُما ـ ... رِجْلا أخِي ثِقَةٍ مُذْ كانَ جَوْلانِي[7]

---

(١) لدالّته: لثقته بمحبته وتدلله عليه.
(٢) شهلة: يريد شهلاء: وهي من خالط سواد عينها زرقة.
(٣) يعين: يصيب بالعين.
(٤) العيناء: الواسعة العينين.
(٥) العَيْر: الحمار الوحشي.
(٦) العواري: جمع عاريّة: وهي ما يستعار. وخُلصاني: المخلصون لي وأخلص لهم.
(٧) يقال رجل جولاني: عام المنفعة للبعيد والقريب. أي يجول معروفه في كل أحد. (المعجم الوسيط، مادة جول).

تُبَلِّغانِيَ حاجاتِي وإنْ بَعُدَتْ وتُدْنِيانِيَ مما لَيْسَ بالدّانِي
كأنَّ خَلْفِي إذا ما جَدَّ جِدُّهُما إعْصارَ عاصِفَةٍ مِمَّا تُثِيرانِ
رجلايَ لم تَألَمَا نَكْباً كأنَّهُما قَطّاً وقَدّاً وإدْماجاً مَداكانِ[١]
كأنَّ ما بِهِما أخْطُو إذا ارتَهَيا في سِكَّةٍ مِنْ أيِّ ذاكَ سماكانِ
إنْ تُبْعَثا في دَهَاسٍ تَبْعثَا رَهَجاً أو في حُزُونٍ ذَكَا فيها شِهابانِ[٢]
فالحَمْدُ لله يا عَمْرُو الّذي بِهِما عن العَوارِي وعن ذا النّاسِ أغْناني

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال: حدّثني محمد بن سعد الكُرّانيّ قال: كنّا في حَلْقة التَّوَّزِيّ[٣]، فلما تقوَّضتْ أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قولَه: [البسيط]

جُهْدُ المُقِلِّ إذا أعْطاهُ مُصْطَبِراً ومُكْثِرٌ من غِنًى سِيّانِ في الجُودِ
لا يَعْدَمُ السّائلونَ الخَيْرَ أفْعَلُهُ إمّا نَوالِي وإمّا حُسْنَ مَرْدُودِ

فقلنا له: ما هذا التكارُم[٤]! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جُلَّة[٥] تَمرٍ كانت عنده أكثرَها وحملْنا بقيّتها. فكتب إلى والي البصرة عُمرَ بن حَفْص: [المديد]

يا أبا حَفْصٍ بِحُرْمَتِنا عَنِّ نَفْساً حِينَ تَنْتَهِكُ[٦]
خُذْ لَنا ثَأراً بِجُلَّتِنا فَبِكَ الأوْتارُ تُدَّرَكُ[٧]
كَهْفُ كَفِّي حِينَ تَطْرَحُها بَيْنَ أيْدِي القَوْمِ تَبْتَرِكُ[٨]
زَارَنا زَوْرٌ فلا سَلِمُوا وأُصِيبُوا أيَّةً سَلَكُوا[٩]

---

(١) نكب الحجر: رجله أصابها. والقطّ: القطع عرضاً. والقدّ: القطع طولاً. والمداك: مدقّ الطيب.

(٢) الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب. والرهج: الغبار. والحُزُون: جمع حزن وهو: ما غلظ من الأرض. وذكت النار: اشتد لهيبها. والشهاب: الشعلة الساطعة من النار.

(٣) التَّوزيّ: نسبة إلى توَّز بلدة بفارس، وهو عبد الله بن محمد بن هارون التوزي من أئمة اللغة والنحو. قرأ على أبي عمر الجرمي كتاب سيبويه. (توفي سنة ٢٣٨هـ) (أنظر معجم البلدان ٢/ ٥٨).

(٤) التكارم: التظاهر بالكرم.

(٥) الجُلّة: وعاء من خوص.

(٦) عنّاه: أتعبه. وتنتهكُ: أي تنتهك حرمتنا.

(٧) الأوتار: جمع وِتْر: وهو الثأر.

(٨) الكهف: الملجأ والوزر. وابتركت السماء: اشتدّ مطرها.

(٩) الزَّوْرُ: جمع زائر. الزائرون.

أكَـلُـوا حَـتَّـى إذا شَـبِـعُـوا أخَـذُوا الـفَـضْـلَ الَّـذِي تَـرَكُـوا[١]

قال: فبعث إلينا فأحضرنَا فأغرَمَنَا مائة درهم، وأخذ من كلّ واحدٍ منا جُلّة تمرٍ، ودفع ذلك إليه.

أخبرني الأخفش قال: حدَّثنا أبو العَيْناء قال: كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ، فَزَجَّهُ[٢] أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشرّهِ وعَبَثاً به، فأخذ ابن يسير بأذن الحمار وقال له: قُلْ لهذا الحمار الراكب فوقك لا يُؤذي الناس، فضحك أحمد ونزل، فعانقه وصالحه.

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمد بن عليّ الشاميّ قال: طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المدينيّ فِراخاً من الحمام الهُدَّاء[٣]، فوعده أن يأخذها له من المُثَنَّى بن زُهَيْر، ثم نَوَّرَ عليه[٤] أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دَلَّسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه. فقال محمد بن يسير:

يـا رَبَّ رَبَّ الـرّائِـحِـيـنَ عَـشِـيَّـةً بِـالـقَـوْمِ بَـيْـنَ مِـنًـى وبَـيْـنَ ثَـبِـيـرِ[٥]
وَالـواقِـفِـيـنَ عـلـى الـجِـبـالِ عَـشِـيَّـةً وَالـشَّـمْـسُ جانِـحَـةٌ إلـى الـتَّـغْـوِيـرِ[٦]
حَـتَّـى إذا طَـفَـلَ الـعَـشِـيُّ وَوَجَّـهَـتْ شَـمْـسُ الـنَّـهـارِ وآذَنَـتْ بـغُـؤُورِ[٧]
رَحَـلُـوا إلـى خَـيْـفٍ نَـواحِـلَ ضَـمَّـهـا طُـولُ الـسِّـفـارِ وبُـعْـدُ كُـلِّ مَـسِـيـرِ[٨]
ابْـعَـثْ عـلـى طَـيْـرِ الـمَـدِيـنِـيِّ الَّـذِي قـالَ الـمُـحَـالَ وجـاءنِـي بـغُـرورِ
ابْـعَـثْ عـلـى عَـجَـلٍ إلَـيـهـا بَـعْـدَمـا يـأخُـذْنَ زِيـنَـتَـهـنَّ فـي الـتَّـحْـسِـيـرِ[٩]

---

(١) الفضل: البقية من الطعام.
(٢) زجّه: هنا صدمه.
(٣) الهدَّاء: ضرب من الحمام الزاجل.
(٤) نوّر عليه: لبّس عليه أمره.
(٥) منى: اسم موضع أنظر: (معجم البلدان ٥/١٩٨). وثبير: جبل بمكة. (معجم البلدان ٢/ ٧٢).
(٦) جانحة إلى التغوير: مائلة إلى الغياب.
(٧) طفل: دنا. ووجَّهت: ذهبت. وغارت: غابت.
(٨) الخيف: يقصد خيف منى. والخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. أنظر: (معجم البلدان ٢/٤١٢). ونواحل: مهزولة.
(٩) التحسير: سقوط ريش الطائر.

فِي كُلِّ ما وَصَفُوا المَراحِلَ وَابْتَدَوْا فِي المُبْتَدِينَ بِهِنَّ وَالتَّكْسِيرِ
وَمَضَيْنَ عن دُورِ الخُرَيْبَةِ زُلْفَةً دونَ القُصُورِ وَحَجْرَةِ الماخُورِ[1]
مَعَ كُلِّ ريحٍ تَغْتَدِي بِهُبُوبِها فِي الجَوِّ بين شَواهِنٍ وصُقُورِ[2]
مِنْ كُلِّ أكلَفَ باتَ يَدْجُنُ لَيْلَهُ فَغَدا بغُدْوَةِ ساغِبٍ مَمْطُورِ[3]
ضَرِمٍ يُقَلِّبُ طَرْفَهُ مُتَأَنِّساً شَيْئاً فَكُنَّ لَهُ مِنَ التَّقْدِيرِ[4]
يَأْتِي لَهُنَّ مَيَامِناً وَمَيَاسِراً صَكّاً بِكُلِّ مُزَلَّقٍ مَمْكُورِ[5]
مِنْ طائِرٍ مُتَحَيِّرٍ عَنْ قَصْدِهِ أوْ ساقِطٍ خَلِجِ الجَناحِ كَسِيرِ[6]
لَمْ يَنْجُ مِنْهُ شَرِيدُهُنَّ فإنْ نَجا شَيْءٌ فَصارَ بِجانباتِ الدُّورِ[7]
لِمُشَمِّرِينَ عَنِ السَّواعِدِ حُسَّرٍ عَنْها بِكُلِّ رَشِيقَةِ التَّوْتِيرِ[8]
سُدُدِ الأكُفِّ إلى المَقاتِلِ صُيَّبٍ سَمْتَ الحُتُوفِ بجُؤْجُؤٍ ونُحُورِ[9]
لَيْسَ الَّذِي تُخْطِي يَداهُ رَمِيَّةً مِنْهُمْ بِمَعْذُورٍ ولا مَعْذُورِ[10]
يَتَبَوَّعُونَ وَتَمْتَطِي أيْدِيهِمُ فِي كُلِّ مُعْطِيَةِ الجِذابِ نَتُورِ[11]
عُطُفَ السِّياتِ دَوائِراً في عِطْفِها تُعْزَى صِناعَتُها إلى عُصْفُورِ[12]
يَنْفُثْنَ عن جَذْبِ الأكُفِّ ثَواقِباً مُتَشابِهاتِ القَدِّ والتَّدْوِيرِ

---

(١) الخريبة: موضع بالبصرة. أنظر: (معجم البلدان ٢/٣٦٣). والزُّلفة: الطائفة من أول الليل. والحجرة: الناحية. الماخور: بيت الخمار حيث يجتمع أهل الفساد والفسق.

(٢) الشاهين: من سباع الطير. والجمع شواهين.

(٣) الكلفة: لون بين السواد والحمرة. ويدجن: يظلم. والغدوة: بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. والساغب: الجائع. والممطور: الذي أصابه المطر وبلّله.

(٤) الضرم: الشديد الجوع.

(٥) الصكّ: الضرب الشديد. والمزلّق: المنقار والمخلب يضرب بهما. الممكور: المصبوغ بالمكر وهو مادة حمراء.

(٦) خلج الجناح: مضطرب الجناح.

(٧) جانبات: جمع جانبة. والجانب: الغريب، أي الأجنبي.

(٨) حُسَّر: جمع حاسر، أي كاشفين عن السواعد. والتوتير: شدّ الوتر. والرشيقة: القوس الخفيفة السريعة.

(٩) صُيَّب: جمع صائب: والسَّمت: الطريق. والحتوف: جمع حتف وهو الموت. والجؤجؤ: الصدر. والنحور: جمع نحر وهو موضع الذبح.

(١٠) تخطي: تخطىء. والرميّة: الصيد المرميّ بالسهم.

(١١) تبوّع: مدّ باعه. معطية الجذاب لينة المجاذبة. والنتور: الشديدة الجذب.

(١٢) السيات جمع سية: وهي ما عطف من طرفيها. والعطف: جمع عطوف وهي القوس التي عطفت سيتها عليها عطفاً شديداً. وعصفور القواس إليه تنسب القسيّ العصفورية.

تَجْرِي بِهَا مُهَجُ النُّفُوسِ وَإِنَّها ... لَنَواصِلٌ سُلْتٌ من التَّحْبِيرِ[١]
ما إن تُقَصِّرُ عَنْ مَدَى مُتَبَاعِدٍ ... في الجَوِّ يَحْسُرُ طَرْفَ كلِّ بَصِيرِ[٢]
حَتَّى تَراهُ مُزَمَّلاً بِدِمائِهِ ... فكأنَّهُ مُتَضَمِّخٌ بِعَبِيرِ[٣]
فَيَظَلُّ يَوْمُهُمُ بِعَيْشٍ ناصِبٍ ... نُصُبَ المَراجِلِ مُعْجَلِي التَّنْوِيرِ[٤]
ويؤوبُ ناجِيهِنَّ بَيْنَ مُضَرَّجٍ ... بِدَمٍ وَمَخْلُوبٍ إلى مَنْسُورِ[٥]
عارِي الجَناحِ مِنَ القَوادِمِ، والقَرَا ... كَاسٍ، عليه مائِرُ التَّامُورِ[٦]
فَيَؤُودُهُ مُتَبَهْنِسٌ في مَشْيِهِ ... خَطِفُ المُؤَخَّرِ مُشْبَعُ التَّصْدِيرِ[٧]
ذو حُلْكَةٍ مِثْلِ الدُّجى أو غُبْثَةٍ ... شَغِبٌ شَدِيدُ الجِدِّ والتَّشْمِيرِ[٨]
فَيَمُرُّ منها في البَرارِي وَالقُرَى ... منْ كُلِّ أعْصَلَ كالسِّنانِ هَصُورِ[٩]
في حِينِ تُؤْذِيها المَبايِتُ مَوْهِناً ... أو بَعْدَ ذلكَ آخِرَ التَّسْحِيرِ[١٠]
يَخْتَصُّ كُلَّ سَلِيلِ سابِقِ غايَةٍ ... مَحْضِ النِّجارِ مُجَرَّبٍ مَخْبورِ[١١]
عَجِّلْ عليهِ بِما دَعَوْتُ لَهُ بِهِ ... أَرِهِ بِذاكَ عُقُوبَةَ التَّنْوِيرِ
حَتَّى يقولَ جَميعُ مَنْ هُوَ شامِتٌ ... هذِي إجابَةُ دَعْوَةِ ابنِ يَسِيرِ
فَلأُلْفِيَنَّكَ عندَ حالَيْ حَسْرَةٍ ... وَتَأَسُّفٍ وَتَلَهُّفٍ وزَفِيرِ
وَلَتُلْفَيَنَّ إذا رَمَتْكَ بِسَهْمِها ... أيْدِي المَصائِبِ منكَ غَيْرَ صَبُورِ

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال: خرجنا مع بعض ولد النُّوشَجانِيّ إلى قصرٍ له في بستانهم بالجَعْفَرِيَّة[١٢]، ومعنا محمد بن يسير، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة

(١) مهج: جمع مهجة وهي الدم. والنواصل: جمع ناصل، وهو السهم ذو النصل. والسُّلت: جمع أسلت، وهو السهم الذي أجيد بريه. والتحبير: التزيين والتنميق.
(٢) حسر البصر: كلَّ.
(٣) مزملاً: ملتفاً.
(٤) عيش ناصب: عيش متعب. والمراجل: القدور. والتنوير: الإنارة، وأراد هنا إيقاد النار.
(٥) مضرج: ملطخ. والمخلوب: المخدوش بظفر. والمنسور: الذي نُتِف لحمه بمنسر.
(٦) القرا: الظهر. والمائر: السائل. والتامور: الدم.
(٧) يؤوده: يمسكه. والمتبهنس: المتبختر. وخَطِفُ المؤخر: خفيف لحم المؤخر.
(٨) الحلكة: الظلمة. والغبثة: الغبرة. والشَّغِب: المهيِّج للشر.
(٩) الأعصل: الأعوج. والهصور: الكاسر.
(١٠) الموهن: نصف الليل أو بعده بقليل.
(١١) سليل: ولد. والنجار: الأصل. والمحض: الخالص. ومخبور: مجرّب.
(١٢) الجعفرية: محلة مشهورة في بغداد. (معجم البلدان ٢/ ١٤٤).

بالحسن، فإذا هو قد خَرِبَ واختلّ، فقال فيه محمد بن يسير: [الوافر]

ألا يا قَصْرُ قَصْرَ النُّوشَجَانِي أرَى بِكَ بَعْدَ أَهْلِكَ ما شَجَانِي[1]
فَلَوْ أَعْفَى البَلاءُ دِيارَ قَوْمٍ لِفَضْلٍ مِنْهُمُ وَلِعُظْمِ شانِ
لَمَا كَانَتْ تُرَى بِكَ بَيِّناتٌ تَلُوحُ عَلَيْكَ آثارُ الزَّمانِ

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا محمد بن أبي حرب قال: أنشدنا يوماً محمد بن يسير في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفُضَيْل بن عِياض لنفسه قال: [السريع]

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللهُ ومَنْ تَكُونُ النّارُ مَثْواهُ
وَا غَفْلَتَا في كُلِّ يَوْمٍ مَضَى يُذْكِرُني المَوْتَ وأنْساهُ
مَنْ طالَ في الدُّنيا بِهِ عُمْرُه وعاش فَالمَوْتُ قُصارَاهُ[2]
كَأَنَّهُ قد قِيلَ في مَجْلِسٍ قد كُنْتُ آتِيهِ وأغْشَاهُ
مُحَمَّدٌ صارَ إلى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا الله وإيّاهُ

قال: فأبكى والله جميع مَنْ حضر.

أخبرني الحسن بن عليّ وعَمّي قالا: حدّثنا ابن مَهْرويه قال: حدّثني أبو الشِّبْل قال: كان محمدُ بن يسير صديقاً لداود بن أحمد بن أبي دُواد كثيرَ الغِشيانِ له ففقده أهلُهُ أيّاماً وطلبوه فلم يجدوه، وكان مع أصحاب له قد خرجوا يتنزّهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم: اطلبوه في منزل «حُسْن» المغنِّية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شُجاع صاحب شُرْطة «خُمَار» التركي. فلما كان بعد أيام جاءه ابن يسير فقال له: إيه أيها القاضي، كيف دَلَلْتَ عليّ أهلي؟ قال: كما بَلَغَكَ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً. قال: أوَ فَعَلتَ ذلك أيضاً؟ زِدْني من بِرِّكَ هات، أيْش قلتَ؟ فأنشده: [الوافر]

ومُرْسِلَةٍ تُوَجِّهُ كلَّ يَوْمٍ إلَيَّ وما دعا لِلصُّبْحِ داعِي
تُسائِلُني وقد فَقَدُوهُ حَتَّى أرادوا بَعْدَهُ قَسْمَ المَتاعِ
إذا لم تَلْقَهُ في بَيْتِ «حُسْنٍ» مُقِيماً لِلشَّرابِ ولِلسَّماعِ

---

(١) شجاني: أحزنني.
(٢) قصاراه: غايته.

ولـم يُـرَ فـي طَـرِيـقِ بَـنِـي سَـدُوسٍ يَـخُـطُّ الأرْض مـنـهُ بـالـكُـراعِ[1]
يَـدُقُّ حُـزُونَـهـا بِـالـوَجْـهِ طَـوْراً وَطَـوْراً بِـالـيَـدَيْـنِ وَبِـالـذِّراعِ
فَـقَـدْ أغـيـاكَ مَـطْـلَـبُـهُ وأمْـسَـى (فلا تَـغْـلَـطْ) حَـبِـيـسَ أبـي شُـجـاعِ

قال: فجعل ابن يسير يضحك ويقول: أيّها القاضي لو غيرُك يقول لي هذا لعرفتَ خبرَه. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلَع عليه خِلْعَةً من ثيابه.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليُّ بن القاسم طارمةُ قال: كنتُ مع المعتصم لما غزا الروم، فجاء بعض سَراياه[2] بخبر عمّه، فركب من فَوْره وسار أَجَدَّ سيرٍ وأنا أسايره، فسمع مُنْشِداً يتمثَّل في عسكره: [البسيط]

إنَّ الأمُـورَ إذا انْـسَـدَّتْ مَـسـالِـكُـهـا فَـالـصَّـبْـرُ يَـفْـتَـحُ منها كُلَّ ما ارتَـتَـجا[3]
لا تَـيْـأَسَـنَّ وإنْ طـالَـتْ مُـطـالـبَـةٌ إذا اسْـتَـعَـنْـتَ بِـصَـبْـرٍ أنْ تَـرَى فَـرَجـا

فَسُرَّ بذلك وطابت نفسه، ثم التفتَ إليّ وقال لي: يا عليُّ أتروي هذا الشعر؟ قلت نعم. قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفاءل باسمه ونسبه، وقال: أمر محمود وسير سريع يَعقُب هذا الأمرَ. ثم قال: أنْشِدْني الأبيات، فأنشدتُه قوله: [البسيط]

مـاذا يـكـلِّـفُـكَ الـرَّوْحـاتِ وَالـدُّلَـجَـا الـبَـرَّ طَـوْراً وَطَـوْراً تَـرْكَـبُ الـلُّـجَـجا[4]
كَـمْ مِـنْ فَـتًى قَـصُـرَتْ فـي الـرِّزْقِ خُـطْـوَتُـهُ أَلْـفَـيْـتَـهُ بِـسِـهـامِ الـرِّزْقِ قَـدْ فَـلَـجَـا[5]
لا تَـيْـأَسَـنَّ وإنْ طـالَـتْ مُـطـالـبَـةٌ إذا اسْـتَـعَـنْـتَ بِـصَـبْـرٍ أنْ تَـرَى فَـرَجـا
إنَّ الأمُـورَ إذا انْـسَـدَّتْ مَـسـالِـكُـهـا فـالـصَّـبْـرُ يَـفْـتَـحُ منها كُلَّ ما ارْتَـتَـجا
أَخْـلِـقْ بِـذِي الـصَّـبْـرِ أن يَـحْـظَـى بِـحـاجَـتِـهِ ومُـدْمِـنِ الـقَـرْعِ لـلأبـوابِ أنْ يَـلِـجَـا
فَـاطْـلُـبْ لِـرِجْـلِـكَ قبلَ الـخَـطْـوِ مَـوْضِـعَـهـا فَـمَـنْ عَـلا زَلَـقـاً عـن غِـرَّة زَلَـجـا[6]

(١) الكراع من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب.
(٢) السرايا: جمع سرية، وهي القطعة من الجيش.
(٣) ارتتج: أُغلق.
(٤) الروحات: جمع روحة، وهي المرة من الرواح. والرواح العودة عند العشيّ. والدُّلَج: جمع دلجة وهي السير ليلاً. واللُّجج: جمع لجة، وهي معظم الماء.
(٥) فلج: ظفر.
(٦) الزلق: المكان الذي تزلّ فيه الرجل. والغرّة: الغفلة. وزلج: زلق، عثر.

ولا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أنتَ شارِبُهُ فَرُبَّما كانَ بالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجا
لا يُنتَجُ النَّاسُ إلا من لِقاحِهِمُ يَبْدُو لِقاحُ الفَتَى يَوْماً إذا نُتِجا[1]

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن عليّ وعمّي قالوا: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو الشِّبْل قال: كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان ذاتَ يوم ومعنا محمد بن يسير ونحن على شراب، فأمر أن نُبَخَّر ونُطَيَّب، فأقبلتْ وَصِيفةٌ لَه حسنةُ الوجه، فجعلتْ تبخّرنا وتُغلِّفنا بغاليةٍ[2] كانت معه. فلما غلَّفت ابن يسير وبخَّرته التفتَ إليّ - وكان إلى جنبي - فأنشدني: [البسيط]

يا باسِطاً كفَّه نَحْوِي يُطَيِّبنِي كَفَّاكَ أطْيَبُ يا حِبِّي من الطِّيبِ
كفَّاكَ يَجْرِي مكانَ الطِّيبِ طِيبُهُما فلا تَزِدْنِي عليها عندَ تَطْيِيبِي
يا لائِمِي في هَوَاها أنتَ لَمْ تَرَها فأنتَ مُغْرًى بتأنيبي وتعذيبي
أنْظُرْ إلى وَجْهِها، هَلْ مِثْلُ صُورَتِها في النَّاسِ وَجْهٌ مُجَلًّى غَيْرُ مَحْجُوبِ؟

فقلتُ له: اسكت ويلكَ! لا تُصْفَعُ والله وتُخْرَجُ. فقال: والله لو وثقتُ بأن نُصْفَع جميعاً لأنشدتُهُ الأبيات، ولكني أخشى أن أُفْرَدَ بالصَّفْعِ دونك.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الكُرانيُّ قال: حدّثنا الرِّياشي قال:

كان محمد بن يسير جالساً في حَلْقتنا في مسجد البَصْرة، وإلى جانبنا حَلْقةُ قومٍ من أهل الجَدَلِ يتصايحونَ في المقالات والحجج فيها، فقال ابن يسير: اسمَعوا ما قلت في هؤلاء، فأنشدنا قوله:

يا سائِلي عن مَقالَةِ الشِّيَعِ وَعَنْ صُنُوفِ الأهْواءِ وَالبِدَعِ
دَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الأهْواءِ ناحِيَةً فَلَيْسَ مِمَّنْ شَهِدتُ ذو وَرَعِ
كُلُّ أُناسٍ بَدِيُّهُمْ حَسَنٌ ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ لِلسُّمَعِ[3]
أكْثَرُ ما فيهِ أنْ يُقالَ لَهُمْ: لم يَكُ في قَوْلِهِ بِمُنْقَطِعِ

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني محمد بن

(١) اللقاح: ماء الفحل. ونُتِجَ: وُلِدَ.
(٢) الغالية: أخلاط من الطيب.
(٣) بَدِيُّهم: ظاهرهم.

عليٌّ الشاميُّ قال: كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه؛ من ذلك قوله: [الطويل]

إذا ما غَدا الطُّلاَّبُ لِلْعِلْمِ ما لَهُمْ مِنَ الحَظِّ إلا ما يُدَوَّنُ في الكُتْبِ
غَدَوْتُ بِتَشْمِيرٍ وَجِدٍّ عَلَيْهِمُ فَمِحْبَرَتِي أُذْنِي ودَفْتَرُها قَلْبِي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني إبراهيم بن المدبِّر قال: كان إبراهيم بن ريَاح إذا حَزَبه[1] الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير: [مجزوء الكامل]

تُخْطِي النُّفُوسُ مَعَ العِيا نِ وَقَدْ تُصِيبُ مَعَ المَظِنَّهْ
كَمْ مِنْ مَضِيقٍ في الفَضا ءِ وَمَخْرَجٍ بَيْنَ الأسِنَّهْ

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السَّرِيّ قال: مرَّ ابن يسير بأبي عثمان المازنيّ فجلس إليه ساعة، فرأى مَنْ في مجلسه يتعجّبون من نعل كانت في رجله خَلَقٍ وسِخَةٍ مقطّعة، فأخذ ورقةً وكتب فيها:

[الخفيف]

كَمْ أرَى ذا تَعَجُّبٍ مِن نِعالي وَرِضائِي مِنها بِلُبْسِ البَوالِي
كُلُّ جَرْداءَ قَد تَكَنَّفَها مِن أقْطارِها بِسُودِ النِّقالِ
لا تُدانِي، وَلَيْسَ تُشْبِهُ في الخِلْـ ـقَةِ إن أُبْرِزَتْ، نِعالَ المَوالِي
مَنْ يُغالِ مِن الرِّجالِ بِنَعْلٍ فَسِوَايَ إذاً بِهِنَّ يُغالِي
لَوْ حَذَاهُنَّ لِلْجَمالِ فَإنِّي في سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمالِي[2]
في إخائِي وفي وَفائِي وَرَأْيِي وَلِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفَعالِي
ما وَقانِي الحَفَا وَبَلَّغَنِي الحا جَةَ مِنْها فَإنَّنِي لا أُبالِي

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: دعا قُثَم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده، فلما سَكِرَ سرقَ منه ألواح آبَنُوس[3] كانت تكون في كمّه، فقال في ذلك:

---

(١) حزبه الأمر: اشتد عليه، نابه.
(٢) حذا النعل: فصّلها، وأراد: اقتناها ولبسها.
(٣) الآبنوس: شجر يعيش في المناطق الحارة، خشبه أسود صلب.

[الخفيف]

عَـيْـنُ بَـكّـي بِـعَـبْـرَةٍ تَـسْـفَـاحِ وَأَقِـيـمِـي مـآتِـمَ الألْـواحِ[1]
أوْحَشَتْ حُجْزَتي ورُدْناي مِنْها في بُكُوري وعِنْدَ كُلّ رَوَاحِ[2]
واذكُريها إذا ذَكَرْتِ بما قدْ كانَ فيها من مَرْفِقٍ وصلاحِ
آبَنُوسٌ دَهْماءُ حالِكَةُ اللَّوْ نِ لُبَابٌ من اللِّطافِ الملاحِ
ذاتُ نَفْعٍ خَفِيفَةُ القَدْرِ والمَحْـ ـمِلِ حُلْكُوكَةُ الذُّرَا والنَّواحي[3]
وَسَرِيعٌ جُفُوفُها إنْ مَحاها عندَ مُمْلٍ مُسْتَعْجِلُ القَوْمِ ماحي
هيَ كانَتْ على [عُلوميَ] والآ دابِ وَالفِقْهِ عُدَّتي وَسِلاحِي[4]
كُنْتُ أغْدُو بها على طَلَبِ العِلْـ ـمِ إذا ما غَدَوْتُ كُلَّ صَباحِ
هِيَ كانَتْ غِذَاءَ زَوْرِي إذا زا رُ، وَرِيٌّ النَّدِيمِ يَوْمَ اصْطِباحِي[5]

يعني أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزوّاره المأكول والمشروب ـ:

آبَ عُسْرِي وَغابَ يُسْرِي وَجُودي حِينَ غابَتْ وغابَ عنّي سَماحِي[6]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: كان محمد بن يسير يُعادي أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشَّقُ جاريةً سوداء مغنّيةً، فقال ابن يسير يهجوه: [المنسرح]

أقولُ لَمّا رَأَيْتُهُ كَلِفاً بِكُلِّ سَوْداءَ نَزْرَةٍ قَذِرَهْ[7]
أهْلٌ لَعَمْري لِمَا كَلِفتَ بهِ عندَ الخَنازِيرِ تَنْفُقُ العَذِرَهْ[8]

أخبرني وكيع قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا أبو العواذل قال: عُوتِبَ محمدُ بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا مَحْبَرةٍ، وأنه لا يكتب ما

(١) الألواح: أراد: ألواح الآبنوس.
(٢) الحجزة: معقد الإزار. والرُّدْن: الكمّ.
(٣) حلكوكة: شديدة الحلكة.
(٤) ما بين قوسين ليس في الأصل.
(٥) الزَّوْر: جمع زائر.
(٦) السَّماح: العطاء.
(٧) كلفاً: مولعاً: والنزرة: القليلة.
(٨) العَذِرَة: الغائط. وتنفق: تروج.

يسمعه، فقال: [السريع]

مـا دَخَـلَ الـحَـمّـامَ مِـنْ عِـلْـمِـي ... فَـذاكَ مـا فـازَ بِـهِ سَـهْـمِـي[١]
وَالـعِـلْـمُ لا يَـنْـفَـعُـنِـي جَـمْـعُـهُ ... إذا جَـرَى الـوَهْـمُ عـلـى فَـهْـمِـي

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: كان محمدُ بن يسير يُعاشر ولدَ جعفر بن سُليمَان، فأخذ منه قُثَمُ بن جعفرٍ ألواحَ آبَنُوس كان يكتب فيها بالليل، فقال ابن يسير في ذلك: [المديد]

أبْـقَـتِ الألْـواحُ إذْ أُخِـذَتْ ... حُـرْقَـةً فـي الـقَـلْـبِ تَـضْـطَـرِمُ
زانَـهـا فَـصّـانِ مِـن صَـدَفٍ ... واحْـمِـرَارُ الـسَّـيْـرِ والـقَـلَـمُ[٢]
وَتَـوَلّـى أخْـذَهـا قُـثَـمٌ ... لا تَـوَلّـى نَـفْـعَـهـا قُـثَـمُ

أخبرني الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال:

كان محمد بن يسير يُعاشر بعض الهاشميين، ثم جفاه الهاشميّ لِمَلاَلٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله: [الكامل]

قَدْ كُنْتُ مُنْقَبِضاً وأنْتَ بَسَطْتَنِي ... حَتّى انْبَسَطْتُ إلَيْكَ ثمَّ قَبَضْتَنِي
أذْكَرْتَنِي خُلُقَ النِّفاقِ وكانَ لي ... خُلُقاً فَقَدْ أحْسَنْتَ إذ أذْكَرْتَنِي
لَوْ دامَ وُدُّكَ وانْبَسَطْتُ إلى امْرِئٍ ... في الوُدِّ بَعْدَكَ كُنْتَ أنتَ غَرَرْتَنِي
فَهَلُمَّ نَجْتَلِب التَّذاكُرَ بَيْنَنَا ... وَنَعُود بَعْدُ كأنَّنا لَمْ نَفْطَنِ

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ قال: حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزي قال: حدّثنا مسعود بن يسير قال:

شَرِبَ محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه، حتى خَرَجَ من عندهم وهو لا يعقل فأخذ رِداءه وعثَرَ في طريقه وأصاب وَجهَهُ آثار، فلما أفاق أنشأ يقول: [السريع]

شارَبْتُ قَوْماً لَمْ أُطِقْ شُرْبَهُمْ ... يَغْرَقُ في بَحْرِهِمُ بَحْرِي
لَمّا تَجارَيْنا إلى غايَةٍ ... قَصَّر عَنْ صَبْرِهِمُ صَبْرِي
خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ مُثْخَناً ... تَدْفَعُني الجُدْرُ إلى الجُدْرِ[٣]

---

(١) سهمي: نصيبي.
(٢) الفصّ: حجر كريم يركب في الخاتم. والسير: ما قدّ من الجلد طولاً.
(٣) المثخن بالجراح: كثير الجراح.

مُقَبَّحَ المَشْيِ كَسِيرَ الخُطَا تَقْصُر عِنْدَ الجِدِّ عَنْ سَيْرِي
فَلَسْتُ أَنْسَى ما تجشَّمْتُ مِنْ كَدْحٍ وَمِنْ جُرْحٍ وَمِنْ أُثْرِ[1]
وشَقِّ ثَوْبٍ وتَوَى آخَرٍ وسَقْطَةٍ بانَ بِهَا ظُفْرِي[2]

حدّثني عمّي وجحْظة عن أحمد بن الطيب قال: حدّثنا بعضُ أصحابنا عن مسعود بن يسير، ثم ساق الخبر مثلَه سواءً.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدثني أبو العَيْناء قال: اجتمع جُعَيْفِرَانُ المُوَسْوِس ومحمد بن يسير في بُسْتان، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه، فقال جعيفران:

قَدْ قُلْتُ لابْنِ يَسِيرٍ لمّا رمَى مِنْ عِجانِهْ[3]
في الأَرْضِ تَلاً سَمَادٍ عَلاَ على كُثْبانِهْ[4]
طُوبَى لِصاحِبِ أرْضٍ خَرِئْتَ في بُسْتانِهْ

قال: فجعل ابن يسير يشتُم جعيفران ويقول: أيَّ شيء أردت مني يا مجنونُ يابن الزانية حتى صيَّرتني شُهرةً بشعرك!!

أخبرني جحظة قال: حدثني سوار بن أبي شُراعة قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال: كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشُّرْب، وما بات قطُّ إلاَّ وهو سكران، وما نَبَذَ قَطُّ نبيذاً، وإنما كان يشرَبه عند إخوانه ويستسقيه منهم، فأصبحنا بالبَصْرة يوماً على مطرٍ هادٍّ[5]، ولم تُمْكِنْه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد وكاد يُجَنُّ لمّا فقد النبيذ. فكتب إلى والي البصْرَةِ وكان هاشمياً، وهو محمد بن أيُّوب بن جعفر بن سُلَيْمَان قال: [البسيط]

كَمْ في عِلاجِ نَبِيذِ التَّمْرِ لي تَعَبٌ الطَّبْخُ والدَّلْكُ والمِعْصارُ والعَكَرُ[6]
وإنْ عَدَلْتُ إِلَى المَطْبوخِ مُعْتَمِداً رَأَيْتَني مِنْهُ عِنْدَ النَّاسِ أَشْتَهِرُ

---

(١) الأثر: أثر الجرح بعدما يبرىء.
(٢) التّوَى: الهلاك.
(٣) العجان: الاست.
(٤) الكثبان: جمع الكثيب، وهو التلّ من الرمل.
(٥) مطر هادّ: يصدر منه صوت قويّ يشبه صوت الرعد.
(٦) المعصار: اسم آلة من «عصر» وهي آلة يوضع فيها الشيء ليعصر. والعكر: الراسب من كل شيء.

نَقْلُ الدِّنانِ إلى الجيرانِ يَفْضَحُني والقِدْرُ تَتْرُكُني في القَوْمِ أعْتَذِرُ[١]
فَصِرْتُ في البَيْتِ أَسْتَسْقِي وأَطْلُبُهُ مِنَ الصَّدِيقِ ورُسْلي فِيهِ تَبْتَدِرُ[٢]
فَمِنْهُمُ باذِلٌ سَمْحٌ بِحاجَتِنا وَمِنْهُمُ كاذِبٌ بِالزُّورِ يَعْتَذِرُ
فَسَقِّني رِيَّ أَيّامٍ لِتَمْنَعَني عمَّنْ سِواكَ وتُغْنيني فَقَدْ خَسِروا
إنْ كانَ زِقٌّ فَزِقٌّ أوْ فَوافِرَةٌ مِنَ الدَّساتِيجِ لا يُزْرِي بها الصَّفَرُ[٣]
وَإِنْ تَكُنْ حاجَتي لَيْسَتْ بِحاضِرَةٍ وَلَيْسَ في البَيْتِ مِنْ آثارِها أَثَرُ
فاسْتَسْقِ غَيْرَكَ أو فاذْكُرْ لَهُ خَبَري إنِ اعْتَراكَ حَياءٌ مِنْهُ أو حَصَرُ[٤]
ما كانَ مِنْ ذلِكُمْ فَلْيَأْتِني عَجِلاً فَإِنَّني واقِفٌ بالبابِ أَنْتَظِرُ
لا لي نَبِيذٌ ولا خُبْزٌ فَيَدْعوني وَقَدْ حَمانِيَ مِنْ تَطْفِيلِيَ المَطَرُ

قال: فضحك لمَّا قرأها، وبعث إليه بزقٍّ نبيذٍ ومائتي درهم، وكتب إليه: اشرب النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يُمْسِك المطر ويتَّسع لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ فاجْعَلْني فِئَةً[٥] لك، والسلام.

صوت

[المنسرح]

أَنْتَ حَدِيثِي في النَّوْمِ واليَقْظَةْ أَتْعَبْتُ مِمَّا أَهْذي بِكَ الحَفَظَةْ
كَمْ واعِظٍ فِيكَ لي ووَاعِظَةٍ لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ تَنْهاهُ عَنْكَ عِظَةْ

الشعر لديك الجِنِّ الحِمْصِيّ. والغناء لعَريب، هَزَج، ذكر ذلك ذُكَاء وَجْهُ الرُّزَّة وقُمْرِيٌّ جميعاً، والله أعلم.

---

(١) الدنان: جمع دن، وهو وعاء الخمر.
(٢) تبتدر: تستبق.
(٣) الدساتيج: جمع دستجة، وهي إناء كبير. والصَّفَر: الفراغ، الخلوّ. أراد أنها ممتلئة.
(٤) الحصر: العيّ، ضيق الصدر.
(٥) الفيئة: الرجوع.

أخبار ديك الجنّ ونسبه

[١٦١ ـ ٢٣٥هـ/ ٧٧٨ ـ ٨٥٠م]

[اسمه ولقبه ونسبه]

دِيكُ الجِنّ لَقَبٌ غَلَبَ عليه، واسمه عبد السّلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حَبِيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد بن تميم. وكان جَدّه تميم ممن أنعم الله ـ عزّ وجلّ ـ عليه بالإسلام مِنْ أهل مُؤْتَةَ[١] على يدَيْ حَبِيبِ بن مَسْلَمَة الفِهْرِيّ، وكان شديد التشعُّب[٢] والعصبيّة على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإيَّاهم ولادةُ إبراهيم عليه السلام، وأسلمنا كما أسلموا، ومَنْ قَتَل منهم رجلاً منَّا قُتِل به، ولم نَجِد الله عزّ وجلّ فضَّلهم علينا، إذ جَمَعَنا الدين.

وهو شاعرٌ مُجِيدٌ يذهب مذهبَ أبي تمَّام والشاميِّين في شعره. من شعراء الدَّوْلة العبَّاسيَّة. وكان من ساكني حِمْص، ولم يبرح نواحيَ الشام، ولا وَفَد إلى العِراق ولا إلى غيره مُنتجعاً بشعره ولا مُتَصَدِّياً لأحد. وكان يتشيَّع تشيُّعاً حسناً، وله مَراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن عليٍّ ـ عليهما السلام، منها قوله: [المنسرح]

يـا عَـيْـنُ لا لِـلـقَـضَـا ولاَ الـكُـتُـبِ ... بُـكَـا الـرَّزَايَـا سِـوَى بُـكَـا الـطَّـرِبِ[٣]

وهي مشهورة عند الخاص والعام، ويناح بها. وله عدّة أشعار في هذا المعنى. وكانت له جاريةٌ يهواها، فاتَّهمها بغلامٍ له فقتَلها، واستنفد شعره بعد ذلك في مَراثيها.

---

(١) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. (معجم البلدان ٥/ ٢٢٠).

(٢) التشعب: من الشعوبية وهي التعصب ضد العرب.

(٣) الرّزايا: المصائب، واحدتها: رزيّة.

[خبره مع ابن عمه أبي الطيّب وهجاؤه]

قال أبو الفرج: ونسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بما فيه ابن أخ لدِيك الجِنّ يقال له أبو وَهْب الحِمْصيّ، قال: كان عمِّي خليعاً ماجناً معتكفاً على القَصْف واللهو، مِتْلافاً لما وَرِثَ عن آبائه، واكتسبَ بشعره من أحمد وجعفر ابنَيْ عليٍّ الهاشميِّين، وكان له ابنُ عم يُكْنَى أبا الطَّيِّب يَعِظُه وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يُؤْثِره ويركبه من لذَّاته وربما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمُجَّان وأهلِ الخَلاعة، فيستخفّ بهم وبه. فلما كَثُر ذلك على عبد السلام قال فيه: [المنسرح]

مَوْلاتُنا يا غلامُ مُبْتَكِرَهْ فباكِرِ الكأسَ لي بلا نَظِرَه[1]
غَدَتْ على اللَّهْوِ والمُجونِ، عَلَى أنَّ الفَتاةَ الحَيِيَّةُ الخَفِرَهْ[2]
لِحُبِّها - لا عَدِمْتُها - حُرَقٌ مَطْوِيَّةٌ في الحَشا ومُنْتَشِرَهْ
ما ذُقْتُ مِنها سِوَى مُقَبَّلِها وضَمِّ تِلْكَ الفُروعِ مُنْحَدِرَهْ[3]
وانْتَهَرَتْني فَجِئْتُ مِنْ فَرَقٍ يا حُسْنَها في الرِّضا ومُنْتَهِرَه[4]
ثُمَّ انْثَنَتْ سَوْرَةُ الخُمار بنا خِلال تِلْكَ الغَدائِرِ الخَمِرَهْ[5]
وَلَيْلَةٍ أشْرَفَتْ بِكَلْكَلِها عَلَيَّ كالطَّيْلَسان مُعْتَجِرَهْ[6]
فَتَقْتُ دَيْجُورَها إلى قَمَرٍ أثْوابُهُ بالعَفافِ مُسْتَتِرَهْ
عُجْ عَبَراتِ المُدام نحوِيَ مِن عَشْرٍ وعِشْرِين واثْنَتَيْ عَشَرَهْ[7]
قَدْ ذُكِرَ النَّاسُ عَنْ قِيامِهِمُ ذِكْرى بعَقْلي ما أصْبَحَتْ نَكِرَهْ[8]
مَعْرِفَتي بِالصَّواب مَعْرِفَةٌ غَرَّاءُ إمَّا عَرَفْتُمُ النَّكِرَهْ[9]

(١) باكر الكأس: بكر إليها. والنظرة: التأخير.
(٢) الخفرة: الشديدة الخفر، وهو الحياء.
(٣) الفروع: جمع فرع، وهو الشعر.
(٤) الفَرَق: الخوف.
(٥) سورة الخمار: شدته. والخمار الصداع الذي تخلفه الخمر في الشارب.
(٦) الكلكل: الصدر. ومعتجرة: ملتحفة.
(٧) عُج: مِلْ. والمدام: الخمر.
(٨) نكرة: منكرة.
(٩) غرّاء: بيضاء، مشهورة.

يـا عَـجَبـاً مِنْ أبي الـخُبيثِ ومِنْ سُرُوجِه فـي الـبَـقَـائِرِ الـدَّثِـرَهْ[١]
يَحْمِلُ رَأساً تَنْبُو المَعاوِلُ عَنْ صَفْحَتِهِ والجلامِدُ الوَعِرَهْ[٢]
لَوِ البِغالُ الكُمْتُ ارْتَقَتْ سَنَداً فِيهِ لَمَدَّتْ قَوائماً خَدِرَهْ[٣]
ولا المَجانِيقُ فِيهِ مُغْنِيَةٌ أَلْفٌ تَسامَى وأَلْفُ مُنْكَدِرَهْ[٤]
انْظُرْ إلى مَوْضِعِ المِقَصِّ مِنَ الـ هامَةِ تِلْكَ الصَّفِيحَةُ العَجِرَهْ[٥]
فَلَوْ أَخَذْتُمْ لها المَطارِقَ حَرْ انِيَّةً صَنْعَةَ اليَدِ الخَبِرَهْ[٦]
إذاً لراحَتْ أَكُفُّ جِلَّتِهِمْ كَلِيلَةً والأداةُ مُنْكَسِرَهْ[٧]
كَمْ طَرَباتٍ أَفْسَدْتَهُنَّ وكَمْ صَفْوةِ عَيْشٍ غادرتَها كَدِرَهْ
وكَمْ إذا ما رَأوْكَ يا مَلَكَ الـ مَوْتِ لَهُمْ مِنْ أنامِلٍ خَصِرَهْ[٨]
وكَمْ لَهُمْ دَعْوةٌ عَلَيْكَ وكَمْ قَذْفةٍ أُمِّ شَنْعاءَ مُشْتَهِرَهْ[٩]
كَرِيمَةٍ لُؤْمُكَ اسْتَخَفَّ بِها ونالَها بالمَثالِبِ الأشِرَهْ[١٠]
قِفُوا على رَحْلِه تَرَوْا عَجَباً في الجَهْلِ يَحكِي طَرائِفَ البَصرَهْ
يا كُلَّ مَنْيٍ وكلَّ طالِعَةِ نَحْسٍ ويا كُلَّ ساعَةٍ عَسِرَهْ[١١]
سُبْحانَ مَنْ يُمْسِكُ السَّماءَ على الـ أرْضِ وَفِيها أَخْلاقُكَ القَذِرَهْ

[حبه جارية نصرانية وزواجه منها وخبره معها]

قال: وكان عبد السلام قد اشتهر بجاريةٍ نَصْرانيَّةٍ من أهلِ حِمْصَ هَوِيها وتمادَى به الأمرُ حتى غلبتْ عليه وذهبتْ به. فلمَّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام

---

(١) البقائر: جمع بقير وهو الثوب يشق فيلبس. والدثر: الوسخ.
(٢) تنبو: تكل.
(٣) الكمت: جمع كميت وهو الذي لونه اسود تخالطه حمرة. والسند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح.
(٤) منكدرة: متناثرة.
(٥) الصفيحة العجرة: الحجر العريض الصّلب.
(٦) حرانية: نسبة إلى حرّان وهي مدينة من جزيرة أقلر، وقرية من قرى حلب.. (أنظر معجم البلدان ٢/ ٢٣٥).
(٧) جلة القوم: خيارهم، كبارهم.
(٨) خصرة: باردة.
(٩) مشتهرة: ظاهرة شنيعة.
(١٠) المثالب: العيوب.
(١١) المني: الابتلاء.

ليتزوّج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمتْ على يده، فتزوَّجها، وكان اسمها وَرْداً؛ ففي ذلك يقول: [الكامل]

انْظُرْ إلى شَمْسِ القُصُورِ وبَدْرِها ... وإلى خُزَامَاها وبَهْجَةِ زَهْرِها
لَمْ تَبْلُ عَيْنُكَ أَبْيَضاً في أَسْوَدٍ ... جَمَعَ الجَمالَ كوَجْهِها في شَعْرِها[1]
وَرْدِيَّةُ الوَجَنات يَخْتَبِر اسْمَها ... مِنْ رِيقِها مَنْ لا يُحِيطُ بخُبْرِها
وَتَمَايَلَتْ فضَحِكْتُ مِنْ أردافِها ... عَجَباً ولكنّي بَكَيْتُ لِخَصْرِها
تَسْقِيكَ كأسَ مُدَامةٍ مِنْ كَفِّها ... وَرْدِيَّةٍ ومُدامَةً مِنْ ثَغْرِها

قال: وكان قد أعسر واختلّت حالُه، فرَحَل إلى سَلَمْيَةَ[2] قاصداً لأحمد بن عليّ الهاشميّ، فأقام عنده مُدَّةً طويلة، وحَمَل ابنَ عَمِّه بُغْضُه إيَّاه بَعْد مودَّته له وإشفاقِه عليه بسبب هجائه له على أنْ أذاع على تلك المرأة التي تزوَّجها عبدُ السلام أنها تهوَى غلاماً له، وقرَّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى عبدَ السلام، فكتب إلى أحمد بن عليٍّ شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حِمْص ويُعْلِمه ما بلَّغه من خبر المرأة من قصيدة أوَّلها:

إنَّ رَيْبَ الزَّمانِ طالَ انْتِكاثُه ... كَمْ رَمَتْني بِحادِثٍ أحْداثُه[3]

يقول فيها:

ظَبْيُ إنْسٍ قَلْبي مَقِيلُ ضُحَاهُ ... وفُؤادي بَرِيرُهُ وكَبَاثُه[4]

وفيها يقول:

خِيفَةً أنْ يخونَ عَهْدِي وَأنْ يُضْـ ... ـحِي لِغَيْرِي حُجُولُه ورعاثُه[5]

ومدح أحمد بعد هذا؛ وهي طويلة. فأذن له فعاد إلى حمص؛ وقدّر ابن عمِّه وقت قدومه، فأرصد له قوماً يُعْلِمونه بمُوافاته بابَ حِمْص. فلمَّا وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنِّفاً على تمسُّكه بهذه المرأة بعد ما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنَّها قد أحدثتْ في مَغِيبِه حادثةً لا يجملُ به معها المُقامُ عليها،

---

(١) لم تبلُ: لم تختبر.
(٢) سلمية: بلدة من أعمال حماه. (معجم البلدان ٣/ ٢٤٠).
(٣) انتكاثه: انتقاضه.
(٤) البرير الأول من ثمر الأراك والكباث: النضيج منه.
(٥) الحجول: جمع حجل، وهو الخلخال. والرعاث: جمع رعثة وهي القرط.

ودسَّ الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدِم عبدُ السلام ودخل منزِله فقِفْ على بابه كأنَّك لم تعلَم بقدومه، ونادِ باسم وَرْد، فإذا قال: مَنْ أنت؟ فقل: أنا فُلان. فلمَّا نزل عبد السلام منزلَه وألقى ثيابَه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابتْه جوابَ مَنْ لم يعرف من القِصَّة شيئاً. فبينما هو في ذلك إذ قَرَعَ الرجلُ البابَ فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا فلان. فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمتِ أنَّك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتَلها، وقال في ذلك:

[الخفيف]

لَيْتَني لَمْ أكُنْ لِعَطْفِكِ نِلْتُ ... وإلى ذلِكَ الوِصالِ وَصَلْتُ

فالَّذي مِنِّيَ اشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ ... ألْعَارٌ ما قَدْ عَلَيْهِ اشْتَمَلْتُ

قالَ ذو الجَهْلِ قَدْ حَلُمْتَ ولا أعْـ ... ـلَمُ أنِّي حَلُمْتُ حَتَّى جَهِلْتُ

لائِمٌ لي بِجَهْلِهِ ولِماذا ... أنا وَحْدي أحْبَبْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ!

سَوْفَ آسَى طُولَ الحَياةِ وأبْكِيـ ... ـكِ على ما فَعَلْتِ لا ما فَعَلْتُ

وقال فيها أيضاً: [مجزوء الخفيف]

لَكِ نَفْسٌ مُواتِيَهْ ... والمَنايا مُعَادِيَهْ[1]

أيُّها القَلْبُ لا تَعُدْ ... بِهَوَى البِيضِ ثانِيَهْ

لَيْسَ بَرْقٌ يَكُونُ أخْـ ... ـلَبَ مِنْ بَرْقِ غانِيَهْ[2]

خُنْتِ سِرِّي وَلَمْ أخُنْـ ... ـكِ فَمُوتِي عَلانِيَهْ

قال: وبلغ السلطانَ الخبرُ فطلبه. فخرج إلى دِمَشْق فأقام بها أياماً. وكتب أحمد بن عليّ إلى أمير دمشق أن يُؤمِّنه، وتحمَّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته. فقَدِم حِمْص وبلغه الخبرُ على حقيقته وصحَّته، واستيقنه فندِم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يَطْعَم من الطعام إلا ما يقيم رَمَقه. وقال في نَدَمه على قتلها: [الكامل]

يا طَلْعَةً طَلَعَ الحِمامُ عَلَيْها ... وجَنَى لَها ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْها[3]

---

(١) مواتية: مطاوعة.

(٢) أخلب: أخدع. والغانية في الأصل: المرأة الغنية بحسنها عن الزينة، ثم أُطلقت على الجارية المغنية.

(٣) الحمام والردى: الموت.

رَوَّيْتُ مِنْ دَمِها الثَّرَى ولطالَما ... رَوَّى الهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْها
قَدْ باتَ سَيْفِي في مَجالِ وِشاحِها ... ومَدامِعِي تَجْرِي على خَدَّيْها
فوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وَطِئَ الحَصَى ... شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْها
ما كانَ قَتْلِيها لأنِّي لَمْ أَكُنْ ... أَبْكِي إذا سَقَطَ الذُّبابُ عَلَيْها
لٰكِنْ ضَنَنْتُ على العُيونِ بِحُسْنِها ... وأنِفْتُ مِنْ نَظَرِ الحَسودِ إِلَيْها

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن.

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحّاف قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن منصور قال:

كان من غَطَفانَ رجلٌ يقال له السُّلَيْك بن مُجَمِّع، وكان من الفُرسان، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم، وكان يهوَى ابنة عمٍّ له، وكان خَطَبَها مُدَّةً فمنَعها أبوها، ثم زوَّجه إياها خوفاً منه، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته، فلقيه من بني فَزارَة ثلاثون فارساً كلُّهم يطلُبه بذَحْلٍ[1]، فحلَّقوا عليه، وقاتلهم وقتل منهم عدداً، وأثخن بالجِراح آخرين، وأُثخِن هو حتى أيقن بالموت، فعاد إليها فقال: ما أسمح بك نفساً لهؤلاء، وإني أُحِبُّ أن أُقدِّمك قبلي. قالت: افعل، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدَك. فضربها بسيفه حتى قتلها، وأنشأ يقول:

يا طَلْعَةً طَلَعَ الحِمامُ عَلَيْها

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن، ثم نزل إليها فتمرَّغ في دمها وتخضَّب به، ثم تقدَّم فقاتل حتى قُتِل. وبلغ قومَه خبرُه، فحملوه وابنة عمِّه فدفنوهما. قال: وحفِظتْ فَزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها. قال: وبلغني أن قومَه أدركوه وبه رمق[2]، فسمِعوه يردّد هذه الأبيات، فنقلوها وحفظوها عنه، وبقي عندهم يوماً ثم مات.

وقال ديك الجن في هذه المقتولة: [الكامل]

أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمانُ بِغَدْرِهِ ... أَوْ أُبْتَلَى بَعْدَ الوِصالِ بِهَجْرِهِ
قَمَرٌ أنا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ ... لِبَلِيَّتِي وجَلَوْتُهُ مِنْ خِدْرِهِ
فَقَتَلْتُهُ وَلَهُ عَلَيَّ كَرامَةٌ ... مِلْءَ الحَشَى وَلَهُ الفُؤادُ بِأَسْرِهِ

(١) الذحل: الثأر.

(٢) الرمق: بقية الروح.

عَهْدِي بِهِ مَيْتاً كَأَحْسَنِ نائِمٍ ... والحُزْن يَسْفَحُ عَبْرَتِي في نَحْرِهِ
لَوْ كانَ يَدْري المَيْتُ ماذا بَعْدَهُ ... بِالحَيِّ حَلَّ بَكَى لَهُ في قَبْرِهِ
غُصَصٌ تكادُ تَفِيظُ منها نَفْسُهُ ... وتكاد تُخْرِج قَلْبَه مِنْ صَدْرِه[١]

وقال فيها أيضاً: [الوافر]

أساكِنَ حُفْرةٍ وقَرارِ لَحْدٍ ... مُفارِقَ خُلَّةٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ[٢]
أجِبْنِي إنْ قَدَرْتَ عَلَى جَوابي ... بِحَقِّ الوُدِّ كَيْفَ ظَلِلْتَ بَعْدي
وَأيْنَ حَلَلْتَ بَعْدَ حُلولِ قَلْبي ... وَأحْشائي وَأضْلاعي وَكَبْدِي؟
أمَا والله لَوْ عايَنْتَ وَجْدِي ... إذَا اسْتَعْبَرْتُ في الظُّلُماتِ وَحْدِي[٣]
وجَدَّ تَنَفُّسِي وعلا زَفِيرِي ... وَفاضَتْ عَبْرتي في صَحْنِ خَدِّي
إذاً لَعَلِمْتَ أنِّي عَنْ قَرِيبٍ ... سَتُحْفَرُ حُفْرتي ويُشَقُّ لَحْدِي
ويَعْذِلُني السَّفِيهُ على بُكائي ... كَأنِّي مُبْتَلًى بِالحُزْنِ وَحْدي
يَقُولُ قَتَلْتَها سَفَهاً وجهلاً ... وتَبكِيها بكاءً ليس يُجدي
كَصيَّادِ الطُّيورِ لَهُ انْتِحابٌ ... عَلَيْها وَهْوَ يَذْبَحُها بِحَدِّ

وقال فيها أيضاً: [البسيط]

ما لامْرِئٍ بِيَدِ الدَّهْرِ الخَؤونِ يَدُ ... ولا على جَلَدِ الدُّنْيا لَهُ جَلَدُ[٤]
طُوبَى لأحْبابِ أقْوامٍ أصابَهُمُ ... مِنْ قَبْلِ أنْ عَشِقوا مَوْتٌ فَقَدْ سَعِدوا
وحَقِّهِم إنَّهُ حَقٌّ أضِنُّ بِهِ ... لأُنْفِدَنَّ لَهُمْ دَمْعي كما نَفِدوا
يا دهرُ إنَّك مَسْقِيٌّ بِكَأْسِهِمُ ... ووارِدٌ ذلِكَ الحَوضَ الَّذِي وَرَدُوا
الخَلْق ماضُونَ والأيَّامُ تَتْبَعُهُمْ ... نَفْنَى [جَمِيعاً] وَيَبْقَى الواحِدُ الصَّمَدُ[٥]

وقال فيها:

أمَا آنَ لِلطَّيْفِ أنْ يأتِيَا ... وَأنْ يَطْرُقَ الوَطَنَ الدَّانِيَا
وإنِّي لأحْسَبُ رَيْبَ الزَّما ... نِ يَتْرُكُني جَسَداً بالِيا

---

(١) تفيظ: تفيض.
(٢) قرار اللحد: أسفله. أعمق أعماقه.
(٣) استعبر: بكى، ذرف الدمع.
(٤) الجلد: الصبر.
(٥) زيادة ليست في الأصل.

سَــأَشْــكُــرُ ذٰلِــكَ لا نــاسِــيــاً جَـمِـيـلَ الـصَّـفـاءِ ولا قـالِـيـا[1]
وَقَـدْ كُـنْـتُ أَنْـشُـرُهُ ضـاحِـكـاً فَـقَـدْ صِـرْتُ أَنْـشُـرُهُ بـاكِـيـا

وقال أيضاً: [الخفيف]

قُلْ لِمَنْ كانَ وَجْهُهُ كَضياءِ الشَّـ ـمْسِ في حُسْنِهِ وبَدْرٍ مُنيرِ
كُنْتَ زَيْنَ الأَحْياءِ إِذْ كُنْتَ فِيهِمْ ثُمَّ قَدْ صِرْتَ زَيْنَ أَهْلِ القُبورِ
بِأَبي أَنْتَ في الحَياةِ وفي المَوْ تِ وَتَحْتَ الثَّرَى وَيَوْمَ النُّشورِ
خُنْتَنِي في المَغِيبِ والخَوْنُ نُكْرٌ وَذَمِيمٌ في سالِفاتِ الدُّهورِ
فَشَفانِي سَيْفِي وَأَسْرَعَ في حَـ ـزِّ التَّراقي قَطْعاً وحَزِّ النُّحُورِ[2]

[حبه غلاماً حمصياً وتشبيبه به]

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان دِيكُ الجِنّ يهوَى غلاماً من أهل حِمْصَ يقال له بكْر، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدَّثان إلى أن غاب القمر: [الطويل]

دَعِ البَدْرَ فَلْيَغْرُبْ فَأَنْتَ لَنا بَدْرُ إذا ما تَجَلَّى مِنْ مَحاسِنِكَ الفَجْرُ
إذا ما انْقَضَى سِحْرُ الَّذِينَ بِبابِلٍ فطَرْفُكَ لي سِحْرٌ ورِيقُكَ لي خَمْرُ[3]
وَلَوْ قِيلَ لي قُمْ فادْعُ أَحْسَنَ مَنْ تَرَى لَصِحْتُ بِأَعْلى الصَّوْتِ يا بَكْرُ يا بَكْرُ

قال: وكان هذا الغلام يُعْرَف ببكر بن دهْمرْد. قال: وكان شديد التَّمَنُّع والتَّصَوُّن، فاحتال قومٌ من أهل حِمْصَ فأخرجوه إلى مُتَنَزَّهٍ لهم يعرف بميماس، فأسكروه وفَسَقوا به جميعاً، وبلغ ديكَ الجنّ الخبرُ فقال فيه:

قُلْ لِهَضِيمِ الكَشْحِ مَيَّاس انْتَقَضَ العَهْدُ مِنَ النَّاسِ
يا طَلْعَةَ الآسِ الَّتِي لَمْ تَمِدْ إلاَّ أَذَلَّتْ قُضُبَ الآسِ
وَثِقْتَ بِالكَأْسِ وشُرَّابِها وحَتْفُ أَمْثالِكَ في الكَاسِ
وَحالَ مِيماسُ ويا بُعْدَما بَيْنَ مُغِيثِيكَ وَمِيماسِ[4]
تَقْطِيعُ أَنْفاسِكَ في أَثْرِهِمْ ومَلْكِهِمْ قَطَّعَ أَنْفاسي

---

(١) قالياً: كارهاً، مبغضاً.
(٢) التراقي: جمع ترقوة وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق.
(٣) بابل: ناحية في العراق. (معجم البلدان ١/ ٣٠٩).
(٤) ميماس: متنزه بحمص.

لا بَأْسَ مَولايَ، عَلَى أَنَّها نِهايَةُ المَكْروهِ والبَاسِ
هِيَ اللَّيالِي وَلَها دَوْلَةٌ وَوَحْشَةٌ مِنْ بَعْدِ إيناسِ
بَيْنا أناقَتْ وعَلَتْ بِالفَتَى إذْ قِيلَ حَطَّتْهُ على الرَّاسِ
فَالْهُ ودَعْ عَنْكَ أحادِيثَهُمْ سَيُصْبِحُ الذَّاكِرُ كالنَّاسِي

وقال فيه أيضاً: [الكامل]

يا بَكْرُ ما فَعَلَتْ بِكَ الأَرْطالُ يا دارُ ما فَعَلَتْ بِكِ الأَيَّامُ
في الدَّارِ بَعْدُ بَقِيَّةٌ نَسْتامُها إذْ لَيْسَ فِيكِ بَقِيَّةٌ تُسْتامُ[1]
عَرِمَ الزَّمانُ عَلَى الدِّيار بِرَغْمِهِمْ وَعَلَيْكَ أيضاً لِلزَّمانِ عُرَامُ[2]
شَغَلَ الزَّمانَ كَراكَ في دِيوانِهِ فَتَفَرَّغَتْ لِدَواتِكَ الأَقْلامُ

وقال فيه أيضاً: [البسيط]

قُولاَ لِبَكرِ بنِ دهْمرْدٍ إذا اعْتَكَرَتْ عَسَاكِرُ اللَّيْلِ بَيْنَ الطَّاسِ والجامِ[3]
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إنَّ البَغْيَ مَهْلَكَةٌ وَالبَغْيُ والعُجْبُ إفْسادٌ لأقْوامِ
قَدْ كُنْتَ تَفْرَقُ مِنْ سَهْمٍ بِغانِيَةٍ فَصِرْتَ غَيْرَ رَمِيمٍ رُقْعَةَ الرَّامي[4]
وَكُنْتَ تَفْزَعُ مِنْ لَمْسٍ وَمِنْ قُبَلٍ فَقَدْ ذَلَلْتَ لإسْراجٍ وَإلْجامِ
إنْ تَدْمَ فَخْذَاكَ مِنْ رَكْضٍ فَرُبَّتَما أُمْسِي وَقَلْبي عَلَيْكَ المُوجَعُ الدَّامِي

[شعره في جعفر بن علي الهاشمي]

أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكية، وبها أنشدني قصيدة البُحْتُرِي: [الوافر]

تَلاَمَكَ إنَّهُ عَهْدٌ قَرِيبُ ورُزْءٌ ما انْقَضَتْ مِنْهُ النُّدوبُ[5]

(١) السوم: عرض السلعة على البيع.
(٢) عرم: اشتد. والعرام: الاشتداد.
(٣) الطاس: إناء من نحاس يشرب به. والجام: إناء من فضة.
(٤) الرميم: البالي.
(٥) الندوب: جمع ندب، وهي أثر الجرح.

وأنشدني لديك الجنّ يُعَزِّي جعفرَ بن عليٍّ الهاشميّ: [السريع]

تَغْفُلُ والأيّامُ لا تَغْفُلُ ولا لَنَا من زَمَنٍ مَوْئِلُ(١)
والدَّهْرُ لا يَسْلَمُ من صَرْفِهِ أَعْصَمُ في القُنَّةِ مُسْتَوْعِلُ(٢)
يَتَّخِذُ الشِّعْرَى شِعاراً لَهُ كأنّما الأُفْقُ لَهُ مَنْزِلُ
كَأَنَّهُ بَيْنَ شَناظِيرِها بارِقَةٌ تَكْمُنُ أو تَمْثُلُ(٣)
ولا حَبابٌ صِلْتانُ السُّرَى أَرْقَمُ لا يَعْرِفُ ما يَجْهَلُ(٤)
نَضْناضٌ فَيْفاءَ يَرَى أَنَّهُ بِالرَّمْلِ غانٍ وهُوَ المُرْمِلُ(٥)
يَطْلُبُ مِنْ فاجِئَةٍ مَعْقِلاً وَهْوَ لِما يَطْلُبُ لا يَعْقِلُ
والدَّهرُ لا يَسْلَمُ مِنْ صَرْفِهِ مُسَرْبَلٌ بالسَّرْدِ مُسْتَبْسِلُ(٦)
ولا عَقَنْباةُ السُّلاَمَى لَها في كُلِّ أُفْقٍ عَلَقٌ مُهْمَلُ(٧)
فَتْخاءُ في الجَوِّ خُدارِيَّةٌ كالغَيْمِ والغَيْمُ لَها مُثْقِلُ(٨)
آمَنُ مَنْ كانَ لِصَرْفِ الرَّدَى أَنزلَها مِنْ جَوِّها مُنْزِلُ
والدَّهْرُ لا يَحْجُبُه مانِعٌ يَحْجُبُهُ العامِلُ والمُنْصُلُ(٩)
يُصْغي جَدِيدَاهُ إلى حُكْمِهِ ويَفْعَلُ الدَّهْرُ بِما يَفْعَلُ(١٠)
كَأَنَّهُ مِنْ فَرْطِ عِزٍّ بِهِ أَشْوَسُ إذْ أَقْبَلَ أَوْ أَقْبَلُ

الأقبل: الذي في عينه قَبَلٌ، وهو دون الحَوَلِ.

في حَسَبٍ أَوْفَى، لَهُ جَحْفَلٌ يَقْدُمُهُ مِنْ رَأْيِه جَحْفَلُ(١١)
بَيْنَا عَلَى ذٰلِكَ إذْ عَرَّشَتْ في عَرْشِهِ داهِيَةٌ ضِئْبِلُ(١٢)

---

(١) الموئل: الملاذ.
(٢) الأعصم: الوعل. والمستوعل: المتوغل في قمة الجبل.
(٣) الشناظير: جمع شنظير، وهو قمة الجبل.
(٤) الحباب: الحية. والصلتان: الشديد القوي. والأرقم: ضرب من الحيات الخبيثة.
(٥) النضناض: الحية التي لا تستقر بمكان. والفيفاء: الصحراء.
(٦) المسربل: الذي عليه درعه. والسَّرْد: الدرع.
(٧) العقنباة: العقاب، وهو طائر من الطيور الكاسرة. والسلامى: موضع.
(٨) الفتخاء من العقبان: اللينة الجناح. والخدارية: السوداء.
(٩) المنصل: السيف.
(١٠) الجديدان: الليل والنهار.
(١١) الجحفل: الجيش الكثير العدد.
(١٢) عرشت: بنت عشّاً. والضئبل: الداهية.

إنْ يَكُ في العِزِّ لَهُ مِشْقَصٌ ... ماضٍ فَقَدْ تاحَ لَهُ مَقْتَلُ[١]
جادَ عَلَى قَبْرِكَ مِنْ مَيِّتٍ ... بالرَّوْحِ ربٌّ لَكَ لا يَبْخَلُ[٢]
وَحَنَّت المُزْنُ على قَبْرِهِ ... بِعَارِضٍ نَجْوَتُه مَحْفِلُ[٣]
غَيْثٌ تَرَى الأرْضَ على وَبْلِهِ ... تَضْحَكُ إلاَّ أنَّهُ يَهْمُلُ[٤]
يَصِلُّ والأرْضُ تُصَلِّي لَهُ ... مِنْ صَلَوَاتٍ مَعَه تَسْأَلُ[٥]
أنتَ أبا العَبَّاس عَبَّاسُها ... إذا اسْتَطارَ الحَدَثُ المُعْضِلُ
وأنتَ يَنْبُوع أفانِيِنها ... إذا هُمُ في سَنَةٍ أمْحَلُوا
وأنتَ عَلاَّمُ غُيوبِ الثَّنَا ... يَوْماً إذا نَسْأَلُ أو نُسْأَلُ[٦]
نَحْنُ نُعَزِّيكَ وَمِنْكَ الهُدَى ... مُسْتَخْرَجٌ والنُّورُ مُسْتَقْبَلُ
نَقُولُ بالعَقْلِ وَأنْتَ الَّذِي ... نأوي إلَيْهِ وبِهِ نَعْقِلُ
نَحْنُ فِدَاءٌ لَكَ مِنْ أمَّةٍ ... وَالأرْضُ والآخِرُ والأوَّلُ
إذا غَفَا عَنْكَ وأوْدَى بِها ... ذا الدَّهْرُ فَهْوَ المُحْسِنُ المُجْمِلُ

قال أبو المعتصم: ثم مات جعفر بن عليٍّ الهاشمي، فرثاه ديكُ الجنّ فقال:

على هٰذِهِ كانَتْ تَدُورُ النَّوائبُ ... وفي كُلِّ جَمْعٍ لِلذَّهابِ مَذاهِبُ
نَزَلْنا على حُكْمِ الزَّمانِ وأمْرِهِ ... وَهَلْ يَقْبَلُ النِّصْفَ الألَدُّ المُشاغِبُ[٧]
وتَضْحَكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ ... ويرضَى الفَتَى عَنْ دَهْرِهِ وَهوَ عاتِبُ
ألاَ أيُّها الرُّكْبانُ والرَّدُّ واجِبٌ ... قِفُوا حَدِّثُونَا ما تَقولُ النَّوادِبُ[٨]
إلى أيِّ فِتْيانِ النَّدَى قَصَدَ الرَّدَى ... وأيُّهُمُ نابتْ حِمَاهُ النَّوائِبُ؟
فَيَا لأبِي العَبَّاسِ كَمْ رُدَّ راغِبٌ ... لِفَقْدِكَ ملهوفاً وكَمْ جُبَّ غارِبُ[٩]

(١) المشقص: النصل الطويل العريض.
(٢) الرَّوْح: الرحمة.
(٣) المزن: جمع مزنة، وهي السحابة. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والمحفل: مجتمع الماء.
(٤) يهمل: يسيل، ينهمر.
(٥) يصلّ: يصوِّت.
(٦) الثنا: الحديث المشاع.
(٧) الألدّ: الشديد الخصومة.
(٨) النوادب: الباكيات على الميت المعدِّدات محاسنه، واحدتها: نادبة.
(٩) جُبَّ غارب: قطع ظهر.

وَيَا لأبي العَبَّاسِ إنّ مَنَاكِباً تَنُوءُ بما حَمَّلْتَها لَنَوَاكِبُ
فيا قَبْرَهُ جُدْ كُلَّ قَبْرٍ بِجَوْدِهِ فَفِيكَ سَمَاءٌ ثَرَّةٌ وسَحَائِبُ[1]
فإنّك لَوْ تَدْرِي بما فِيكَ مِن عُلاً عَلَوْتَ وباتَتْ في ذَرَاكَ الكَوَاكِبُ
أخاً كُنْتُ أبْكِيهِ دماً وهو نائمٌ حِذَاراً وَتَعْمَى مُقْلَتِي وهو غائِبُ
فَماتَ ولا صَبْرِي على الأجْرِ واقفٌ ولا أنا في عُمْرٍ إلى الله راغِبُ
أأسعى لأحْظَى فيك بالأجْرِ إنّهُ لَسَعْيٌ إذن مِنّي لَدَى الله خائِبُ
ومَا الإثْمُ إلاّ الصَّبْرُ عَنْكَ وإنَّما عواقِبُ حَمْدٍ أنْ تُذَمَّ العواقِبُ
يَقُولُون: مِقْدَارٌ على المَرْءِ واجِبٌ فَقُلْتُ: وإعْوالٌ على المَرْءِ واجِبُ
هُوَ القَلْبُ لَمّا حُمَّ يَوْمُ ابْنِ أُمِّهِ وَهَى جانِبٌ مِنْهُ وأُسْقِمَ جانِبُ
تَرَشَّفْتُ أيّامِي وهُنَّ كَوالِحٌ عَلَيْكَ، وغَالَبْتُ الرَّدَى وهو غالِبُ
ودَافَعْتُ في صَدْرِ الزَّمانِ وَنَحْرِهِ وأيُّ يَدٍ لي والزَّمانُ مُحارِبُ؟
وَقُلْتُ لَهُ: خَلِّ الجَوَادَ لِقَوْمِهِ وهأنذا فازْدَدْ فإنّا عَصَائِبُ[2]
فوالله إخْلاصاً مِنَ القَوْلِ صادِقاً وإلاّ فَحُبِّي آلَ أحْمَدَ كاذِبُ
لَوَ انّ يَدِي كانَتْ شِفاءَكَ أو دَمِي دَمَ القَلْبِ حَتّى يَقْضِبَ القَلْبَ قاضِبُ[3]
لَسَلَّمْتُ تسليمَ الرِّضا وتَخِذْتُها يداً لِلرَّدَى ما حَجَّ للهِ راكِبُ
فَتًى كان مِثْلَ السَّيْف مِنْ حَيْثُ جِئْتَه لِنائِبَةٍ نابَتْكَ فَهْوَ مُضَارِبُ
فَتًى هَمُّه حَمْدٌ على الدَّهْرِ رابحٌ وإن غابَ عَنْهُ مالُهُ فَهْوَ عازِبُ
شمائِلُ إنْ يَشْهَدْ فَهُنَّ مَشَاهِدٌ عِظامٌ وإنْ يَرْحَلْ فَهُنَّ كتائِبُ
بَكاكَ أخٌ لَمْ تَحْوِهِ بِقَرَابَةٍ بَلَى إنَّ إخْوانَ الصَّفاءِ أقارِبُ
وأظْلَمَتِ الدُّنْيَا الّتِي كُنْتَ جارَها كأنّكَ لِلدُّنيا أخٌ ومُنَاسِبُ
يُبَرِّدُ نِيرانَ المَصائِبِ أنّني أرَى زَمَناً لَمْ تَبْقَ فِيهِ مَصائِبُ

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر: إنّ خطيب أهل حِمْصَ كان يصلّي على النَّبيِّ ﷺ على المِنْبَرِ ثلاث مرات في خطبته، وكان أهل

(١) الجَوْد: المطر الغزير. والثرّة: الكثيرة المطر.
(٢) العصائب: جمع عصابة، وهي الجماعة من الناس.
(٣) يقضب: يقطع.

حمص كلُّهم من اليمن، لم يكن فيهم من مُضَر إلاَّ ثلاثةُ أبيات، فتعصَّبوا على الإمام وعزلوه؛ فقال ديك الجِنّ: [الكامل]

سَمِعُوا الصَّلاةَ على النَّبيِّ تَوَالَى ... فَتَفَرَّقُوا شِيَعاً وقالُوا: لاَلاَ
ثُمَّ اسْتَمَرَّ على الصَّلاةِ إمامُهُم ... فَتَحَزَّبوا ورَمَى الرِّجالُ رِجالاَ
يا آلَ حِمْصَ تَوَقَّعُوا مِنْ عارِها ... خِزْياً يَحِلُّ عَلَيْكُمُ ووَبالاَ
شاهَتْ وُجُوهُكُم وُجُوهاً طالَما ... رَغِمَتْ معاطِسُها وَساءَتْ حالاَ[1]

صوت

أيابْنَةَ عَبْدِ الله وابْنَةَ مالِكٍ ... ويابْنَةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا ما صَنَعْتِ الزَّادَ فالتَمِسِي لَهُ ... أكِيلاً فَإنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

عَرُوضه من الطويل. الشعر لقيس بن عاصم المِنْقَرِيّ، والغناء لعَلُّويه ثقيلٌ أوّل بالوُسْطى.

(١) شاهت الوجوه: قبحت. والمعاطس: الأنوف.

أخبار قيس بن عاصم ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٠هـ/ نحو سنة٦٤٠م]

[اسمه ونسبه]

هو قَيْسُ بن عاصم بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَر بن عُبَيْد بن مُقاعِس. واسم مقاعِس الحارثُ بن عمرو بن كَعْبِ بن سَعْد بن زَيْد مَنَاة بن تميم. ويُكْنَى أبا عليّ. وأُمُّه أُمّ أَصْعَر بنتُ خَليفَة بن جَرْوَل بن مِنقر.

وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ حليمٌ كثير الغارات، مُظَفَّرٌ في غَزَاوتِه. أدرك الجاهليَّة والإسلام فساد فيهما. وهو أَحَدُ مَنْ وَأَدَ بناتِهِ في الجاهليَّة، وأسلم وحسُن إسلامه، وأتى النَّبيّ ﷺ، وصحبه في حياته، وعُمِّر بعده زماناً، وروَى عنه عِدَّةَ أحاديث.

[وأده بناته في الجاهلية]

أخبرني عَمِّي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال: حدّثني عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكَلْبِيّ عن أبيه قال:

وفَدَ قَيْسُ بن عاصم على رسول الله ﷺ، فسأله بعضُ الأنصار عما يُتَحدَّثُ به عنه من الموؤودات التيّ وَأَدَهُنَّ من بناته؛ فأخبر أنه ما وُلدتْ له بنتٌ قَطُّ إلاّ وَأَدها. ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدّثه فقال له: كنت أخاف سوء الأُحدوثة والفضيحةَ في البنات، فما وُلِدَتْ لي بنتٌ قط إلا وَأَدْتُها، وما رَحِمْتُ منهنّ موؤودةً قطّ إلاَّ بُنَيَّةً لي ولدتْها أُمُّها وأنا في سَفَرٍ، فدفعتها أُمُّها إلى أخوالها فكانت فيهم؛ وقَدِمتُ فسألت عن الحَمْلِ، فأخبرتني المرأة أنها ولدتْ ولداً مَيِّتاً. ومضت على ذلك سِنونَ حتى كَبِرت الصَّبيَّة ويَفَعَتْ، فزارتْ أُمَّها ذاتَ يومٍ، فدخلتُ فرأيتُها وقد

ضَفَرَتْ شَعْرَهَا وجعلتْ في قُرونِها شيئاً من خَلُوق ونظمتْ عليها وَدَعاً، وألبستها قِلاَدةَ جَزْعٍ[١]، وجعلتْ في عُنُقهَا مَخْنَقَةَ[٢] بَلَح. فقلتُ، مَنْ هذه الصَّبيَّة فقد أعجبني جَمالُها وكَيْسُها[٣]؟ فبكتْ ثم قالت: هذه ابنتُك، كنتُ خبَّرتكَ أنِّي ولدتُ ولداً مَيْتاً، وجعلتُها عند أخوالها حتى بلغتْ هذا المبلغ، فأمسكتُ عنها حتى اشتغلتْ عنها، ثم أخرجتها يوماً فَحَفَرْتُ لها حَفِيرَةً فجعلتُها فيها وهي تقول: يا أبَتِ ما تصنعُ بي؟! وجعلتُ أقذِفُ عليها التُّرابَ وهي تقول: يا أبتِ أَمُغَطِّيَّ أنتَ بالتُّراب؟! أتاركي أنت وحدي ومنصرفٌ عني؟! وجعلتُ أقذِفُ عليها التراب ذلك حتى واريتُها وانقطع صوتها، فما رَحِمْتُ أحداً ممن واريتُه غيرَها. فدمعتْ عَيْنَا النَّبيِّ ﷺ ثم قال: «إنَّ هذه لَقَسْوَةٌ، وإنَّ مَنْ لاَ يَرْحَم لاَ يُرْحَم» أو كما قال ﷺ.

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال: حدّثني عَمِّي أبو فراس محمد بن فِراس عن عمر بن أبي بَكَّار عن شيخ من بني تميم عن أبي هُرَيْرَة، أنَّ قَيْس بن عاصم دخل على رسول الله ﷺ وفي حِجْرِهِ بعضُ بَنَاتِهِ يَشمُّها، فقال له: ما هذه السَّخْلَةُ[٤] تَشَمُّها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد وُلِدَ لي بَنُونَ ووأدتُ بُنَيَّات ما شَمِمْتُ منهنَّ أُنثَى ولا ذكراً قَطُّ. فقال رسول الله ﷺ: «فَهَلْ إلا أنْ يَنْزِعَ الله الرحمةَ من قَلْبِكَ»!.

قال أحمد بن الهيثم قال عمِّي فحدَّثني عبد الله بن الأهْتَم، أن سَبَبَ وأد قيسٍ بَنَاتِهِ أنَّ المُشَمْرَجَ اليَشْكُرِيَّ أغار على بني سَعْدٍ فَسَبَى منهم نساءً واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأةٌ، خالُها قيس بن عاصم، وهي رَمِيمُ بنتُ أَحْمَرَ بن جَنْدَلٍ السَّعْدِيِّ، وأمُّها أخت قيس. فرحل قيسٌ إليهم يسألُهم أن يَهَبُوها له أو يَفْدُوها، فوجد عمرو بن المُشَمْرَج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلتُ أمْرها إليها فإن اختارتك فخذها. فَخُيِّرتْ، فاختارت عمرو بن المُشَمْرَج. فانصرف قيس فَوَأد كلَّ بنت، وجعل ذلك سُنَّةً في كلِّ بنتٍ تولَدُ له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كلُّ سيِّد يولَدُ له بنتٌ يَئِدُها خوفاً من الفضيحة.

---

(١) الجزع: ضرب من العقيق.

(٢) المخنقة: القلادة.

(٣) كَيْسها: عقلها.

(٤) السخلة: الشاة الصغيرة.

[كرمه دعاه ألاّ يأكل وحده]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريْد قال: حدَّثني عمِّي عن العبَّاس بن هِشام عن أبيه عن جَدِّه قال: تزوَّجَ قيس بن عاصِم المِنْقَرِيّ مَنْفُوسة بنتَ زيد الفَوَارِس الضَّبِّي، وأتته في الليلة الثانية من بِناته بها بطعام، فقال: فأين أكِيلي؟ فلم تعلم ما يريد، فأنشأ يقول: [الطويل]

أيـاَبْـنَـةَ عَـبْـد الله وابْـنَـةَ مـالِـكٍ ... ويـاَبْنَةَ ذي البُـرْدَيْـنِ والـفَـرَسِ الـوَرْدِ
إذا مـا صَـنَـعْـتِ الـزَّادَ فَـالْـتَـمِسِـي لَـهُ ... أكِـيـلاً فـإنِّـي لَـسْـتُ آكِـلَـهُ وَحْـدِي
أَخـاً طـارِقـاً أو جـارَ بَـيْـتٍ فـإنَّـنـي ... أخافُ مَلاَمَاتِ الأحادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإنِّي لَـعَـبْـدُ الـضَّـيْـفِ مِـنْ غَـيْـرِ ذِلَّـةٍ ... وما بِيَ إلاَّ تِلْكَ مِنْ شِيَمِ العَبْدِ

قال: فأرسلتْ جاريةً لها مليحة فطلبت له أكيلاً، وأنشأت تقول له: [الطويل]

أبَـى الـمَـرْءُ قَـيْـسٌ أنْ يَـذُوقَ طَـعَـامَـهُ ... بِـغَـيْـرِ أكِـيـلٍ إنَّـهُ لَـكَـرِيـمُ
فَبُورِكْتَ حَيّاً يا أخَا الجُودِ والنَّدَى ... وبُـورِكْـتَ مَيْتـاً قَدْ حَوَتْكَ رُجومُ[1]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدّثنا دَماذ عن أبي عُبيدة قال:

جاورَ رجلٌ من بني القَيْنِ من قُضاعَةَ قيسَ بن عاصم، فأحسن جِوارَهُ ولم يَرَ منه إلاّ خيراً حتى فارقه، ثم نزل عند جُوَيْن الطائيّ أبي عامر بن جُوَيْن، فوثب عليه رجال من طيىء فقتلوه وأخذوا ماله، فقال العبّاس بن مِرْدَاس يهجوهم ويمدَح قيساً:

لَعَمْرِي لَقَدْ أوْفَى الجَوادُ ابْنُ عاصِمٍ ... وأحْصَنَ جاراً يَوْمَ يَحْدِجُ بَكْرَهْ[2]
أقـامَ عَـزِيـزاً مُـنْـتَـدَى الـقَـوْمِ عِـنْـدَهُ ... فَلَمْ يَرَ سَوْءاتٍ وَلَمْ يَخْشَ غَدْرَهْ
أقـامَ بِـسَـعْـدٍ يَـشْـرَبُ الـمـاءَ آمِـنـاً ... وَيَأكُلُ وسْطَاهَا وَيَرْبِضُ حَجْرَهْ[3]
فـإنَّـكَ إذ بـادَلْـتَ قَـيْـسَ بـن عـاصِـمٍ ... جُـوَيْـنـاً لَـمُـخْـتَـارَ الـمـنـازِلِ شَـرَّهْ
فَـأصْـبَـحَ يَـحْـدُو رَحْـلَـهُ بِـمَـفَـازَةٍ ... ومـاذا عَـدَا جـاراً كَـرِيـمـاً وأُسْـرَهْ

(١) الرجوم: جمع رجمة، وهي الحجارة التي تنصب على القبر.
(٢) أحصن: منع، حمى. وحدج بكره: حمَّل بعيره.
(٣) الوسط من المرعى: أفضله. وربض حجرةً: ناحيةً.

يَظَلُّ بِأَرْضِ الغَدْرِ يَأْكُلُ عَهْدَهُ ... جُوَيْنٌ وشَمْخٌ خارِبَيْنِ بِوَجْرَهْ[(١)]

يُذِمّان بِالأَزْوادِ والزّادُ مَحْرَمٌ ... سَروقانِ مِنْ عِرقٍ شُروراً وفَجْرَهْ[(٢)]

[حلمه]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزي قال: حدّثني دماذ عن أبي عبيدة قال: قال الأحنف:

ما تعلَّمت الحلمَ إلا من قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ، فقيل له: وكيف ذلك يا أبا بحر؟ فقال: قتل ابن أخ له ابناً له فأُتي بابنِ أخيه مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذَعَرتم الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بُنَيَّ، نَقَصتَ عددك، وأوهيت ركنك، وفَتَتَّ في عضدك، وأشمتَّ عدوَّك، وأسأت بقومك. خَلُّوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، قال: فانصرف القاتل وما حلَّ قيس حُبْوته[(٣)]، ولا تغير وجهه.

[بعض أخباره ووفوده على رسول الله ﷺ]

أخبرني عبيدالله الرازيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن ابن جُعدُبَة وأبي اليقظان قالا:

وفد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ، فقال النبيّ عليه الصَّلاةُ والسلام: «هذا سيِّد أهلِ الوَبَرِ».

[خبره مع تاجر خَمّار]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال: جاور داريٌّ[(٤)] كان يَتَّجِرُ في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرِبَ قيسٌ ليلةً

(١) يأكل عهده: ينكث بوعده. والخارب: اللص. ووجرة: اسم موضع.
(٢) أذمّ به: تهاون. والفجرة: الأمر القبيح.
(٣) الحبوة والاحتباء: الجلوس على الأليتين وضم الفخذين والساقين إلى البطن بالذراعين.
(٤) الداريّ: نسبة إلى دارين، وهي بلد مشهورة بالخمر.

حتى سَكر، فَرَبَط الداريَّ وأخذ مالَه، وشرِب من شرابه فازداد سُكْراً، وجعل من السكر يتطاول ويُثاوِرُ[1] النجومَ لِيَبْلُغَهَا وليتناوَلَ القمر، وقال: [البسيط]

وتــاجِــرٍ فــاجِــرٍ جــاءَ الإلَــهُ بِــهِ كَــأَنَّ عُــثْــنــونَــهُ أذْنــابُ أجْــمــالِ[2]

ثم قسم صَدَقَة النَّبيِّ ﷺ في قومه وقال: [الطويل]

أَلاَ أبْـلِـغَـا عَـنِّـي قُـرَيْـشـاً رِسـالَـةً إذا مـا أتَـتْـهُـم مُـهْـدَيَـاتُ الـوَدَائِـعِ
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ في العامِ مِنْقَراً وَأَيْأَسْتُ مِنْها كُلَّ أطْلَسَ طامِعِ[3]

قال: فلما فَعَلَ بالداريّ ما فعل وسكر، جعل مالَهُ نُهْبَى[4]، فلم تزل امرأته تُسَكِّنُهُ حتَّى نام. فلما أصبح أُخبر بما كان منه، فآلى ألاّ يُدْخل الخمرَ بين أضلاعه أبداً.

أخبرني وكيعٌ قال: حدّثنا المدائنيّ قال: وَلِي قيسُ بن عاصم على عهد رسول الله ﷺ صَدَقَاتِ بني مُقاعِس والبُطونِ كلِّها، وكان الزِّبْرِقان بن بَدْرٍ قد وَلِي صَدَقات عوف والأبناء[5]. فلما تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ وقد جَمَعَ كلُّ واحد من قيسٍ والزِّبْرقانِ صَدَقَاتِ مَنْ وَلِيَ صَدَقَتَهُ دَسَّ إليه الزِّبْرقانُ مَنْ زَيَّن له المَنْع لِما في يده وخَدَعه بذلك، وقال له: إنَّ النَّبيّ ﷺ قد تُوُفِّي، فَهَلُمَّ نَجْمَع هذه الصدقةَ ونجعلها في قومنا، فإن استقام الأمرُ لأبي بكر وأدَّتِ العربُ إليه الزكاة جمعنا له الثانيةَ. ففرَّق قيس الإبلَ في قَوْمِهِ؛ فانطلقَ الزِّبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة بعير فأدَّاها إليه، وقال في ذلك: [الطويل]

وَفَـيْـتُ بِـأذوَادِ الـنَّـبِـيِّ مُـحَـمَّـدِ وكُنْتُ امْرأً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ[6]

فلمَّا عرف قيسٌ ما كادَهُ به الزبرقان قال: لو عاهد الزِّبرقانُ أُمَّه لغَدَرَ بها.

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال: حدّثنا الحارث بن أسامة قال: حدّثنا المدائنيّ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ثعلبٌ عن ابن الأعرابي قال:

---

(١) ثاور النجم: واثبه.
(٢) العثنون: اللحية.
(٣) حبوت: أعطيت. والمصدق: عامل الصدقات. والأطلس: اللص.
(٤) نهبى: نُهبة، منهوباً.
(٥) الأبناء: عبد شمس، ومالك، وعوف، وعوانة، وجشم.
(٦) الأذواد، وهو ثلاثة أبعرة إلى عشرة.

قيل لقيس بن عاصم: بماذا سُدْتَ؟ قال: بِبَذْلِ النَّدَى، وَكَفِّ الأَذَى، ونَصْرِ المَوالِي.

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا العُمَري عن الهيثم قال: كان قيسُ بن عاصم يقول لبنيه: إيّاكم والبَغْيَ، فما بَغَى قومٌ قَطُّ إلا قَلّوا وذَلُّوا، فكان بعضُ بَنِيه يلطِمُهُ قومُهُ أو غيرُهم فينهى إخوتَه عن أن ينصروه.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال: حدّثنا الحارث عن المدائني عن ابن جُعْدُبَة أنّ قيس بن عاصم قال: أتيتُ رسول الله ﷺ، فرحّب بي وأدناني، فقلت: يا رسول الله، المالُ الذي لا يكون عليّ فيه تَبِعةٌ ما ترى في إمساكِهِ لِضَيْفٍ إن طَرَقني، وعِيالٍ إنْ كَثُروا عليَّ؟ فقال: «نِعْمَ المالُ[1] الأربعون، والأكثرُ الستُّون، وويلٌ لأصحاب المِئِين - ثلاثاً - إلا مَنْ أعطى من رِسْلِها[2] وأطرَقَ[3] فَحْلَها، وأفقر ظَهرَها[4]، ومَنَحَ غَزيرَتها، وأطعم القانعَ والمُعْتَرَّ[5]». فقلت له: يا رسولَ الله، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ! إنه لا يُحَلُّ بالوادي الذي أنا فيه من كَثْرتها. قال: «فكيف تصنع في الإطراق؟» قلت: يغدو الناس، فَمَنْ شاء أن يأخُذَ برأس بَعِير ذَهَبَ به، قال: «فكيف تصنع في الإفقار؟» فقلت إنّي لأفقِرُ الناب[6] المُدبرةَ والضَّرَعَ[7] الصغيرة. قال: «فكيف تَصْنَع في المَنِيحة؟» قلت: إنّي لأمنح في السَّنَة المائة. قال: «إنّما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فَأبْقَيْتَ».

[خبره مع الحوفزان وشعره يوم جلود]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ: حدّثنا أبو غَسَّان دماذ عن أبي عُبَيْدة قال:

قيسُ بن عاصم هو الَّذي حَفَزَ الحَوْفَزَان بن شَرِيكِ الشَّيْبانِي، طَعَنُه في اسْتِهِ في يوم جَدُود[8].

(١) المال: الإبل.
(٢) الرِّسل: اللبن.
(٣) أطرق الفحل: أعاره للضراب.
(٤) افقر ظهر عيره: أعاره ليرُكب.
(٥) القانع: السائل الذي يطلب العطاء. والمعترّ: السائل الذي لا يطلب، وانما يتعرض للمعروف.
(٦) الناب: الناقة المسنّة.
(٧) الضَّرَع: الناقة الصغيرة.
(٨) جدود: موضع في أرض بني تميم، كان فيه يوم جدود. (معجم البلدان ٢/ ١١٤).

وكان من حديث ذلك اليوم أنّ الحارث بن شريكٍ بن عمرو الصُّلْب بن قَيْس بن شَرَاحِيل بن مُرَّةَ بن هَمَّام كانت بينه وبين بني يَرْبُوع مُوَادعةٌ، ثم هَمَّ بالغدر بهم، فجمع بني شَيْبَانَ وبني ذُهْلٍ واللَّهازمَ: قَيْسَ بن ثَعْلَبَةَ وتَيْمَ الله بن ثَعْلَبَة وغيرهم، ثم غزا بني يربوعٍ، فَنَذِرَ به عُتَيْبَةُ بن الحارث بن شِهاب بن شَرِيكٍ، فنادى في قومه بني جعفر بن ثَعْلَبَة من بني يَرْبُوع فوادَعَه. وأغار الحارثُ بن شريكٍ على بني مُقاعِس وإخوتهم بني رُبَيْع فلم يُجيبوهُم، فاستصرخوا بني مِنْقَرٍ فركِبوا حتَّى لَحِقُوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون[1] في يوم شديدِ الحَرِّ. فما شَعَرَ الحَوْفَزَانُ إلاَّ بالأهتم بن سُمَيٍّ بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَرٍ ـ واسم الأهتم سنان ـ وهو واقف على رأسه، فوثب الحوفزان إلى فرسِهِ فركبه وقال للأهتم: مَنْ أَنْتَ؟ فانتسب له، وقال: هذه مِنقر قد أتتك. فقال الحوفزان: فأنا الحارث بن شريك! فنادى الأهتم: يا آل سعد! ونادى الحوفزان: يا آل وائل! وحمل كلٌّ واحد منهما على صاحِبه، ولحِقت بنو مِنْقَرٍ، فاقتتلوا أشدَّ قتال وأبرَحه[2]، ونادت نساء بني رُبَيْع: يا آل سعد! فاشتدَّ قتال بني منقر لصياحهن، فهُزِمَتْ بكرُ بن وائل، وخَلَّوْا مَنْ كان في أيديهم من بني مُقاعِس، وما كان في أيديهم من أموالِهم، وتَبِعتهم بنو مِنْقَرٍ بين قَتْلٍ وأَسْر، فَأَسَرَ الأهتمُ حُمْرَان بن عَبْدِ عمرو، وقصد قيسُ بن عاصم الحوفزانَ، ولم يكن له هِمَّة غيرُهُ، والحارث على فرسٍ له قارحٍ[3] يُدْعَى الزُّبد، وقيس على مُهْرٍ، فخاف قيس أن يسبِقَهُ الحارث، فَحَفَزه بالرُّمْح في استِهِ، فَتَحَفَّزَ به الفرسُ فنجا، فَسُمِّي الحَوْفَزَان. وأطلق قيس أموال بني مُقاعِس وبني رُبَيْع وسَبَاياهم، وأخذ أموالَ بكر بن وائل وأساراهم. وانتقضت طعنة قيس على الحَوْفَزَان بعد سَنَةٍ فمات. وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم: [الطويل]

جَـزَى الله يَـرْبـوعـاً بـأَسْـوَإِ فِـعْـلِـهـا ... إذا ذُكِـرتْ فـي الـنَّـائِـبـاتِ أُمُـورُهـا
وَيَـوْمَ جَـدُودٍ قَـدْ فَـضَـحْـتُـمْ ذِمَـارَكُـم ... وسالَمْتُمُ وَالخَيْلُ تَدْمَى نُحورُها[4]
سَـتَـخْـطِـمُ سَـعْـدٌ والـرِّبـابُ أُنـوفَـكُـم ... كَما حزَّ في أنْفِ القَضِيبِ جَرِيرُها[5]

---

(١) نذر به: علمه فحذره.
(٢) قائلون: نائمون وقت القيلولة.
(٣) أبرح القتال: أشده وأكثره تبريحاً.
(٤) الفرس القارح: الذي استتم الخامسة.
(٥) الذمار: ما ينبغي الذود عنه.
(٦) القضيب: الناقة التي لم تروض. والجرير: الحبل، وهنا: الزمام.

وقال سَوَّار بن حَيَّان المِنْقَرِيُّ: [الطويل]

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَزانَ بِطَعْنَةٍ سَقَتْهُ نَجِيعاً مِنْ دَمِ الجَوْفِ أَشْكَلاَ[١]

وحُمْرَانُ قَسْراً أَنْزَلَتْهُ رِماحُنَا فَعَالَجَ غُلاً في ذِرَاعَيْهِ مُقْفَلاَ

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضاً على اللهازم، فَتَبِعَهُ بنو كَعْب بن سعد بالنِّباجِ[٢] وثَيْتَل[٣]، فتخوَّف أن يَكْرَهَ أصحابُهُ لقاءَ بكر بن وائل، وقد كانوا يَتَنَاجَوْنَ[٤] في ذلك، فقامَ ليلاً فَشَقَّ مزادهم[٥]، لئلا يَجِدُوا بُدّاً من لِقاءِ العدوّ، فلمَّا فَعَلَ ذلك أذعنوا بلقائهم وصَبَرُوا له، فأغار عليهم، فكان أشهَرُ يوم يومَ ثَيْتَل لبني سعد، وظَفِرَ قيسٌ بما شاء، وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم. وفي ذلك يقول ابنه عليّ بن قيس بن عاصم: [الطويل]

أنا ابنُ الَّذي شَقَّ المَزَادَ وَقَدْ رَأَى بِثَيْتَلَ أَحْيَاءَ اللَّهَازِمِ حُضَّرَا

فَصَبَّحَهُمْ بِالجَيْشِ قَيْسُ بْنُ عاصِمٍ وكَانَ إذا ما أَوْرَدَ الأمْرَ أَصْدَرَا

قال: وأغار قيسٌ أيضاً ببني سعد على عبد القَيْس، وكان رئيس بني سَعْدٍ يومئذ سِنَان بن خالد، وذلك بأرض البَحْرَيْنِ، فأصابوا ما أرادوا، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فُعِل بهم بالمُشَقَّر[٦] حين أُغلق عليهم بابه فامتنعوا، فقال في ذلك سوّار بن حيان: [الطويل]

فَيَا لَكِ مِنْ أَيَّامِ صِدْقٍ أَعُدُّهَا كَيَوْمِ جُؤاثَى والنِّبَاجِ وَثَيْتَلا[٧]

قال: وكان قيسُ بن عاصم رئيسَ بني سعد يوم الكُلاَب[٨] الثاني، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يَغُوثَ بن وَقَّاص بن صَلاءَةَ الحارثيّ حين أَسَره عِصْمَةُ بن أُبَيْر التَّيْمِيّ ودَفَعه إلى الأهتم، فرفع قيسٌ قَوْسَه فضرَب فَمَ الأهتم بها

---

(١) حفز: طعن. والأشكل: ما يخلط سواده حمرة.
(٢) النباج: موضع على عشر مراحل من البصرة.
(٣) ثيتل: ماء قرب النباج.
(٤) يتناجون: يتسارّون.
(٥) المزاد: جمع مزادة وهي وعاء لحمل الماء في السفر.
(٦) المشقَّر: حصن بين نجران والبحرين. (انظر معجم البلدان ٥/ ١٣٤).
(٧) جؤاثى: حصن بالبحرين. (معجم البلدان ٢/ ١٧٤).
(٨) الكلاب: ماء بين جبلة وشمام على سبع ليالٍ من اليمامة. (معجم البلدان ٤/ ٤٧٢).

فهَتَم أسنانه[1] والأشكل: فيومئذ سُمّي الأهتم.

[ما قاله لأولاده حين احتضاره]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبَيدة، وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرَّاق قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن عَدِيٍّ قال:

جَمَع قيسُ بن عاصم وَلَدهَ حين حضرته الوفاة وقال: يا بَنِيّ، إذا مُتُّ فسَوِّدُوا كِبَارَكم[2]، ولا تُسَوِّدوا صِغَارَكم فيُسَفِّهَ الناسُ كبارَكم. وعليكم بإصلاح المالِ فإنّه مَنْبَهةٌ للكريم، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم. وإذا مُتُّ فادْفِنُوني في ثيابي التي كنت أصَلّي فيها وأصوم. وإياكم والمسألةَ فإنّها آخِرُ مكاسبِ العبد؛ وإنَّ امرأً لم يسأل إلاّ ترك مكسبه. وإذا دفنتموني فأخْفُوا قبري عن هذا الحيّ من بَكْرِ بن وائل؛ فقد كان بيننا خُمَاشاتٌ[3] في الجاهليّة. ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوَتَرٍ، ثم قال: اكسِروها فلم يستطيعوا، ثم قال: فرِّقوا، ففرَّقوا، فقال اكسِروها سهماً سهماً، فكسروها. فقال: هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفُرْقة. ثم قال: [الخفيف]

إنّما المَجْدُ ما بَنَى وَالِدُ الصِّدْ ... قِ وَأَحْيا فَعالَهُ المَوْلودُ
وتَمامُ الفَضْلِ الشَّجاعَةُ والحِلْـ ... ـمُ إذا زانَهُ عَفافٌ وجُودُ
وَثَلاثونَ يا بَنِيَّ إذا ما ... جَمَعَتْهُمْ في النّائِباتِ العُهودُ
كَثَلاثِينَ مِنْ قِداحٍ إذا ما ... شَدَّها لِلزَّمانِ قِدْحٌ شَدِيدُ
لَمْ تَكَسَّرْ وَإنْ تَفَرَّقَتِ الأسْـ ... ـهُمُ أوْدَى بِجَمْعِها التَّبْدِيدُ
وَذوو الحِلْمِ والأكابِرُ أوْلَى ... أنْ يُرَى مِنْكُمُ لَهُمْ تَسْوِيدُ
وَعَلَيْكُمْ حِفْظَ الأصاغِرِ حَتّى ... يَبْلُغَ الحِنْثَ الأصْغَرُ المَجْهودُ[4]

ثم مات؛ فقال عَبْدَةُ بن الطَّبِيبِ يَرثيه: [الطويل]

عَلَيْكَ سَلامُ الله قَيْسَ بْنَ عاصِمٍ ... وَرَحْمَتُهُ ما شاءَ أنْ يَتَرَحَّما

---

(١) هتم أسنانه: كسرها.
(٢) سوِّدوا الكبير: اجعلوه سيداً.
(٣) خماشات: جراح.
(٤) الحنث: البلوغ.

تَحِيَّةَ مَنْ أوْلَيْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً إذا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلادَكَ سَلَّما[١]
فَما كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحِدٍ وَلْكِنَّهُ بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

أخبرني عُبَيد الله بن محمد الرازيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: لمّا مات عبد الملك بن مَرْوان اجتمع وَلَدُه حولَه، فبكى هشامٌ حتى اختلفتْ أضلاعه[٢]، ثم قال: رَحِمك الله يا أميرَ المؤمنين! فأنت والله كما قال عَبْدة بن الطبيب: [الطويل]

وَما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحِدٍ ولْكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

فقال له الوليد: كذبتَ يا أحولُ يا مشؤوم، لسنا كذلك، ولكنّا كما قال الآخر: [الطويل]

إذا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نابِهِ تَخَمَّطَ فِينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ[٣]

[بينه وبين عبدة بن الطبيب]

أخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ المُهَلّبِي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال:

كان بين قيس بن عاصم وعَبْدَة بن الطَّبيب لِحاءٌ، فهجره قيسُ بن عاصم، ثم حَمَل عَبْدةُ دماً في قومه، فخرج يسأل فيما تَحمَّله، فجمَع إبلاً، ومرَّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدِّيَة، فقال: فيمَ يسأل عَبْدة؟ فأُخبر؛ فساق إليه الدِّيَةَ كاملةً من ماله، وقال: قولوا له لِيَسْتَمْتِعْ بما صار إليه، ولْيَسُقْ هذه إلى القوم. فقال عَبْدةُ: أمَا والله لولا أنْ يكون صُلْحِي إيَّاه بعَقِب هذا الفِعْل عاراً عليّ لصالحتُه، ولكني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأُصالحه. ومضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيساً قد مات، فوقف على قبره وأنشأ يقول: [الطويل]

عَلَيْكَ سَلامُ الله قَيْسَ بْنَ عاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ ما شاءَ أنْ يَتَرَحَّما

الأبيات.

---

(١) الشحط: البعد.
(٢) اختلفت أضلاعه: اهتزت واضطربت.
(٣) المقرم: السيد. وتخمّط: قهر وغلب.

[تحريمه الخمر على نفسه وسبب ذلك]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزْهَر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَثان وهشامُ بن الكلبيِّ عن أشياخهما: أنّ قيسَ بن عاصم المِنْقريَّ سَكِر من الخمر ليلةً قبل أن يُسْلم، فَغَمَزَ عُكْنة[1] ابنتِه ـ أو قال أُخته ـ فهربتْ منه. فلمَّا صحا منها، فقيل له: أوَ مَا علمتَ ما صنعتَ البارحة؟ قال: لا. فأخبروه بصُنْعه، فحرَّم الخمر على نفسه، وقال في ذلك:

وَجَدْتُ الخَمْرَ جامِحَةً وَفِيها ... خِصَالٌ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الكَرِيمَا
فَلاَ والله أشْرَبُها حَياتِي ... ولا أدْعُو لَها أبَداً نَدِيمَا
ولا أُعْطِي بِها ثَمَناً حَياتِي ... ولا أَشْفِي بِها أبَداً سَقِيما
فإنَّ الخَمْرَ تَفْضَحُ شَارِبِيها ... وتُجْشِمُهُمْ بِها أمْراً عَظِيما[2]
إذا دارَتْ حُمَيَّاها تَعَلَّتْ ... طَوَالِعُ تُسْفِهُ الرَّجُلَ الحَلِيما[3]

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال: قال الزِّبْرقان: إنّ تاجراً دِيافيّاً[4] مرَّ بحِمْل خمرٍ على قَيْسٍ بن عاصم فنزل به، فقال قيس: اصْبَحْني قَدَحاً؛ ففعل. ثم قال له: زدني، فقال له: أنا رجلٌ تاجرٌ طالبُ ربح وخير، ولا أستطيع أن أسْقِيك بغير ثمن. فقام إليه قيس فَرَبطه إلى دَوْحةٍ في داره حتى أصبح، فكلَّمته أُخته في أمره، فلَطَمها وخَمش وَجْهَها ـ وزعموا أنَّه أرادها على نفسها ـ وجعل يقول: [البسيط]

وتاجِرٍ فاجِرٍ جَاءَ الإلٰهُ بِهِ ... كَأنَّ لِحْيَتَه أذْنابُ أجْمالِ

فلما أصبح قال: مَنْ فَعَل هذا بضَيْفِي؟ قالت له أُخته: الذي صنَع هذا بوجهي، أنت والله صنعتَه، وأخبرته بما فعل، فأعطى الله عهداً ألاَّ يشربَ الخمر أبداً. فهو أوَّل عربيٍّ حَرَّمها على نفسه في الجاهليَّة، وهو الذي يقول: [الطويل]

فَوالله لا أحْسُو يَدَ الدَّهْرِ خمرةً ... ولا شَرْبةً تُزْري بذِي اللُّبِّ والفَخْرِ

(١) العكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن من السِّمَن.
(٢) تجشمهم: تحملهم، تكلفهم.
(٣) حميّا الخمرة: شدّتها.
(٤) الدِّيافيّ: نسبة إلى دِياف وهي قرية بالشام، وقيل من قرى الجزيرة. (معجم البلدان ٢/ ٤٩٤).

فَكَيْفَ أَذُوقُ الخَمْرَ والخَمْرُ لَمْ تَزَلْ ... بِصاحِبِها حَتَّى تَكَسَّعَ في الغَدْرِ[1]
وصارَتْ بِهِ الأَمْثالُ تُضْرَبُ بَعْدَما ... يَكونُ عَمِيدَ القَوْمِ في السِّرِّ والجَهْرِ[2]
ويَبْذُرُهُمْ في كُلِّ أَمْرٍ يَنُوبُهُمْ ... ويَعْصِمُهُمْ ما نابَهُمْ حادِثُ الدَّهْرِ
فَيا شارِبَ الصَّهْباءِ دَعْهَا لأَهْلِهَا الـ ... غُواةِ وسَلِّمْ لِلجَسِيمِ مِنَ الأَمْرِ
فَإِنَّكَ لا تَدْرِي إذا ما شَرِبْتَها ... وَأَكْثَرْتَ مِنها ما تَرِيشُ وَما تَبْرِي[3]

[مفارقته زوجته بعد إسلامه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدَّثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المُبَارِكِيّ قال: أخبرني المدائني عن مَسْلَمَة بن مُحارِب قال:

قال الأحنف بن قيس: ذكرتُ بلاغَة النساء عند زِيَادٍ، فحدثته أن قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بني حنيفَة، فأبى أهلها وأبوها أن يُسْلِمُوا وخافوا إسلامَها، فاجتمعوا إليها وأقسموا إنَّها إن أسلمتْ لم يكونوا معها في شيء ما بقيت. فطالبتْ قيساً بالفُرْقة، ففارقها، فلمااحتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ: أمَا والله لقد صَحِبْتِنِي سَارَّة، ولقد فارقْتِنِي غيرَ عارَّة[4]، لا صُحْبَتُك مملولة، ولا أخلاقُك مذمومة، ولولا ما اخترتِ ما فرَّق بيننا إلاَّ الموتُ، ولكنَّ أمر الله ورسولهﷺ أحقُّ أن يُطاع. فقالت له: أُنبئتُ بحَسَبِكَ وفَضْلِك، وأنت والله إن كنتَ للدَّائمَ المحبة، الكثيرَ المودَّة، القليلَ اللائمة، المُعْجِبَ الخلوة، البعيدَ النَّبوة[5]. ولَتعلمنَّ أنِّي لا أسكن بعدك إلى زوج. فقال قيس: ما فارقتْ نفسي شيئاً قطُّ فَتَبعته كما تَبِعَتْها.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال: حدَّثني أبو فراس قال: كان قيسُ بن عاصم يُكْنَى أبا عليٍّ، وكان خاقان بن الأهْتَم إذا ذكره قال: بَخٍ[6]! مَنْ مِثْلُ أبي عليٍّ! [الطويل]

تُطِيفُ بِهِ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ كأَنَّما ... يُطِيفونَ عُمَّاراً بِبَيْتٍ مُحَرَّمِ[7]

(١) تكسّع: تمادى.
(٢) عميد القوم: سيدهم.
(٣) راش السهم: ألزق عليه الريش. وقولهم: لا يريش ولا يبري، أي لا يضر ولا ينفع.
(٤) عارّة: مسيئة.
(٥) النبوة: الجفوة.
(٦) بخ: كلمة تقال عند الرضا بالشيء والاعجاب به.
(٧) العمار: المؤدّون العُمْرَة.

وقال عَلاَّن بن الحسن الشُّعوبي: بنو مِنْقَرٍ قومٌ غُدُرٌ، يقال لهم الكَوَادِن[١]، ويُلَقَّبُون أيضاً أعرافَ البِغال، وهم أسوأ خَلْقِ الله جِواراً، يُسمُّون الغدر كَيْسانَ[٢]، وفيهم بخلٌ شديد.

[وصيته لأبنائه بحفظ المال]

وأوصى قيس بن عاصم بنيه، فكان أكثرَ وصيَّته إيَّاهم أن يحفظوا المالَ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً. وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمِر بن تَوْلَب: [البسيط]

يا مِنْقَرُ بنَ عُبَيْدٍ إنَّ لُؤمَكُمُ ... مُذْ عَهْدِ آدَمَ في الدِّيوانِ مَكْتُوبُ
لِلضَّيْفِ حَقٌّ عَلى مَنْ كانَ ذا كَرَمٍ ... والضَّيْفُ في مِنْقَرٍ عُرْيانُ مَسْلُوبُ

وقال النمر بن تولب يذكُر تسميتهم الغَدْرَ كَيْسانَ في قصيدة هجاهم بها:

[الطويل]

إذا ما دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ ... إلى الغَدْرِ أدْنَى مِنْ شَبَابِهِمُ المُرْدِ

قال: وهذا شائع في جميع بني سَعْد، إلا أنهم يتدافعونه إلى بني مِنْقَر، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سِنَان بن خالد بن مِنْقَر، وهو جَدُّ قيس بن عاصم.

وحكى ابن الكلبي أنَّ النبي ﷺ لمَّا افتتح مكَّة قَدِمتْ عليه وفودُ العرب، فكان فيمن قَدِم عليه قيسُ بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عَمِّه، فلمَّا صارا عند النبي ﷺ تَسَابَّا وتَهاتَرَا[٣]؛ فقال قيس لعمرو بن الأهتم: والله يا رسولَ الله ما هُمْ منَّا، وإنهم لمن أهل الحيرة. فقال عمرو بن الأهتم: بل هو والله يا رسولَ الله من الروم وليس منا. ثم قال له: [البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباءِ تَشْتُمُني ... عِنْدَ الرَّسولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ

الهَلْباء يعني استه، يعيره بذلك، وبأن عانته وافية.

إنْ تُبْغِضُونا فَإنَّ الرُّومَ أصْلُكُمُ ... والرُّومُ لا تَمْلِكُ البَغْضاءَ لِلعَرَبِ

(١) الكوادن: جمع كودن وهو الفرس الهجين أو البغل أو البرذون الهجين.

(٢) كيسان: اسم للغدر.

(٣) التهاتر: الشتائم.

سُدْنا فسُودَدُنا عَوْدٌ وسُودَدُكُمْ   مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ العَجْبِ والذَّنَبِ[١]

قال: وإنَّما نسبه إلى الرُّوم لأنه كان أحمرَ. فيقال: إنَّ النبي ﷺ نهاه عن هذا القول في قَيْسٍ، وقال: إن إسماعيل بن إبراهيم -ﷺ- كان أحمرَ. فأجابه قيس بن عاصم فقال: [السريع]

ما في بَنِي الأَهْتَمِ مِنْ طائِلٍ   يُرْجَى ولا خَيْرٍ لَهُ يَصْلُحُونْ

قُلْ لِبَني الحِيريِّ مَخْصُوصَةً   تُظْهِرُ مِنْهُمْ بَعْضَ ما يَكْتُمُونْ

لولاَ دِفاعِي كُنْتُمُ أَعْبُداً   مَسْكَنُها الحِيرَةُ فالسَّيْلَحونْ[٢]

جاءتْ بِكُمْ عَفْرةُ مِنْ أَرْضِها   حِيرِيَّةً لَيْسَتْ كما تَزْعُمُونْ

في ظاهرِ الكَفِّ وفي بَطْنِها   وَسْمٌ من الدَّاء الذي تَكْتُمونْ[٣]

[ارتداده عن الإسلام وإيمانه بسجاح]

وذكر عَلاَّن أنَّ قَيْساً ارتدَّ بعد النبيِّ ﷺ عن الإسلام، وآمن بسَجَاحٍ، وكان مُؤَذِّنَها، وقال في ذلك: [البسيط]

أضحَتْ نَبِيَّتُنا أُنْثَى نُطِيفُ بها   وأَصْبَحَتْ أَنْبِياءُ الله ذُكْرانَا

قال: ثم لمَّا تزوَّجت سَجَاحِ بمُسَيْلِمَةَ الكذَّاب الحَنَفيِّ وآمنت به آمن به قيسٌ معها. فلمَّا غزا خالد بن الوليد اليمامةَ وقتل الله مسيلمَةَ أخذَ قَيْسَ بن عاصمٍ أسيراً، فادَّعى عنده أنَّ مُسَيْلِمَة أخذ ابناً له، فجاء يطلبُه. فأحلفه خالد على ذلك، فحلف فخلَّى سبيله، ونجا منه بذلك.

قال: ومما يُعَيَّرون به أنَّ عُبَادة بن مَرْثَد بن عمرو بن مَرْثَد أسَرَ قَيْسَ بن عاصم وسَبَى أمَّه وأختيه يوم أَبْرَقِ الكِبريت[٤]، ثم مَنَّ عليهم فأطلقهم بغير فِداء، فلم يُثِبْه قيسٌ ولم يَشْكُرْه على فِعْله بقَوْلٍ يبلُغه. فقال عبادة في ذلك: [الطويل]

على أَبْرَقِ الكِبْرِيتِ قَيْسَ بن عاصِم   أَسَرْتُ وَأَطْرافُ القَنَا قِصَدٌ حُمْرُ[٥]

مَتَى يَعْلَقِ السَّعْدِيُّ مِنْكَ بِذِمَّةٍ   تَجِدْهُ إذا يَلْقَى وَشِيمَتُهُ الغَدْرُ

(١) العَجْب: أصل الذنب.
(٢) السيلحون: بلدة قرب الحيرة. (معجم البلدان ٣/ ٢٩٥).
(٣) الوسم: العلامة.
(٤) أبرق الكبريت: موضع كان به يوم من أيام العرب اسمه يوم ابرق الكبريت. (معجم البلدان ١/ ٦٩).
(٥) قِصَد: قطع، واحدتها: قِصْدَة.

قال: وكان قيسُ بن عاصم يسمَّى في الجاهلية الكَوْدَنَ.

وكان زيدُ الخيل الطائيّ خَرَج عن قَوْمه وجاوَرَ بني مِنْقَرٍ، فأغارت عليهم بنو عِجْلٍ وزيدٌ فيهم، فأعانهم وقاتل بني عِجْلٍ قتالاً شديداً، وأبلى بلاءً حسناً، حتى انهزمتْ عجل؛ فكَفَر قيس فِعْلَه وقال: ما هَزَمهم غَيْري. فقال زيد الخيل يعيِّره ويُكَذِّبه في قصيدة طويلة: [الطويل]

وَلَسْتُ بِوَقَّافٍ إذا الخَيْلُ أحْجَمَتْ وَلَسْتُ بكَذَّابٍ كَقَيْسِ بن عاصِمِ

ومما روى قيس بن عاصم عن النبيِّ ﷺ: حدَّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخِيّ قال: حدَّثنا أبو خَيْثَمَة زُهَيْر بن حَرْب قال: حدَّثنا وكيع قال: حدَّثنا سُفْيان الثَّوْري عن الأغَرِّ المِنْقَرِيِّ عن خَليفةَ بن حُصَيْن بن قَيْس بن عاصم عن أبيه عن جَدِّه أنَّه أسلمَ على عهد النبيِّ ﷺ، فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ.

وحدّثنا حامد قال: حدّثنا أبو خيثمة قال: حدّثنا جريرٌ عن المغيرة عن أبيه شُعْبَةَ عن التَّوْأم قال: سأل قيسُ بن عاصم رسولَ الله ﷺ عن الحلف، فقال: **«لا حِلْفَ في الإسلام، ولكن تَمَسَّكُوا بحِلْفِ الجاهلية»**.

أخبرني عَمِّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد قال: حدّثنا ابن عائشة قال: حدّثني رجلٌ من الرِّباب قال:

ذكر رجلٌ قَيْسَ بن عاصم عند النبي ﷺ فقال: لقد هممتُ أنْ آتِيَه فأفعلَ به وأصْنَعَ به، كأنه تَوَعَّده. فقال لهُ النبي ﷺ: **«إذاً تَحُولُ سَعْدٌ دونَه بِكَرَاكِرِها»**[1].

قال: ولما مات قيسٌ رثاه مِرْداس بن عَبْدَة بن مُنَبِّه فقال: [الطويل]

وما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحِدٍ وَلٰكِنَّهُ بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

صوت [مجزوء الخفيف]

خُذْ مِنَ العَيْشِ ما كَفَى وَمِنَ الدَّهْرِ ما صَفَا
حَسُنَ الغَدْرُ في الأنَا مِ كما اسْتُقْبِحَ الوَفَا
صِلْ أخا الوَصْلِ إنَّهُ لَيْسَ بالهَجْرِ مِنْ خَفَا
عَيْنُ مَنْ لا يُرِيدُ وَصْـ لَكَ تُبْدِي لَكَ الجَفَا

الشعر لمحمد بن حازم الباهليّ، والغناء لابن القَصَّار الطُّنْبُورِيّ، رملٌ بالبِنْصَر. أخبرني بذلك جحظة.

---

(١) الكراكر: جمع كركرة، وهي الجماعة من الناس.

أخبار محمد بن حازم ونسبه

[نوفي ـ نحو ٢١٥هـ / نحو ٨٣٠م]

[اسمه وكنيته ونسبه وشيء من أخباره]

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهليّ. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكني بَغْداد مولدُه وَمَنْشَؤه البَصْرة. أخبرني بذلك ابن عَمّار أبو العبَّاس عن محمد بن داوُد بن الجَرَّاح عن حسن بن فَهْم.

وهو من شعراء الدولة العبَّاسيَّة، شاعر مطبوع، إلا أنه كان كثيرَ الهجاء للناس، فاطُّرِح، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، ولا اتصل بواحد منهم، فيكونَ له نباهةُ طَبَقته. وكان ساقط الهمَّة، مُتَقلِّلاً جدّاً، يُرْضيه اليسير، ولا يتصدَّى لمدح ولا طلب.

حدثنا محمد بن العبَّاس اليزيدي قال: حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ قال:

سمعت محمد بن حازم الباهليّ في منزلنا يقول: بعث إليّ فلانٌ الطَّاهِريّ ـ وكنت قد هجوته فأفرطتُ ـ بألف دينار وثياب، وقال: أمَّا ما قد مَضَى فلا سبيلَ إلى رَدِّه، ولكن أحِبُّ ألا تزيدَ عليه شيئاً. فبعثت إليه بالألف الدينار والثياب، وكتبتُ:

[الكامل]

لا ألــبَسُ الــنَّـعْـمـاءَ مِـنْ رَجُـلٍ أَلْـبَـسْـتُـهُ عـاراً عـلـى الـدَّهْـرِ

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال: حدثنا أبو علي ـ وسقط اسمه من كتابي ـ قال قرأتُ في كتاب عَمِّي: قال لي محمد بن حازم الباهلي: مَرَّ بي أحمد بن سَعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلِّم عليّ سلاماً أرضاه، فكتبتُ رُقْعَةً وأتبعته بها، وهي:

[السريع]

وَبــاهِــلِــيٍّ مِــنْ بَــنِــي وَائِــلٍ أفــادَ مــالاً بَــعْــدَ إفْــلاسِ

قَطَّبَ في وجْهِيَ خَوْفَ القِرَى ... تَقْطِيبَ ضِرْغامٍ لَدَى البَاسِ[1]
وأظْهَرَ التِّيهَ فَتايَهْتُهُ ... تِيهَ امْرِئٍ لَمْ يَشْقَ بالنَّاسِ
أَعَرْتُهُ إعْراضَ مُسْتَكْبِرٍ ... في مَوْكِبٍ مَرَّ بِكَنَّاسِ

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو عليّ قال: لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلتُ له: يا أبا جعفر، كيف ما بينَك وبين صديقك سعد بن مَسْعود اليومَ - وهو أبو إسحاق بن سعد، وكان يكتب للنُّوشَجَاني - فأنشدني: [السريع]

رَاجَعَ بالعُتْبَى فأعتَبْتُهُ ... وَرُبَّما أعْتَبَكَ المُذْنِبُ[2]
وَإنَّ في الدَّهْرِ، على صَرْفِهِ ... بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ، لَمُسْتَعْتَبُ

[مدحه الشباب وذمه الشيب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ وابن الوَشَّاء جميعاً قالا: حدَّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبُ قال:

قال ابن الأعرابيّ: أحسنُ ما قال المُحْدَثُون من شُعَراء هذا الزَّمان في مديح الشَّباب وذَمّ الشَّيْب: [البسيط]

لا حِينَ صَبْرٍ فَخَلِّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ ... فَقْدُ الشَّبابِ بِيَوْمِ المَرْءِ مُتَّصِلُ
سَقْياً ورَعْياً لأيَّام الشَّبَابِ وإنْ ... لم يَبْقَ منهُ لَهُ رَسْمٌ ولا طَلَلُ
جَرَّ الزَّمانُ ذُيولاً في مَفَارِقِهِ ... وَلِلزَّمانِ على إحسانِهِ عِلَلُ
ورُبَّما جَرَّ أذيالَ الصِّبَا مَرَحاً ... وبين بُرْدَيْهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ[3]
يُصْبِي الغَوَانِي ويَزْهَاهُ بِشِرَّتِهِ ... شَرْخُ الشَّبَابِ وَثَوْبٌ حالِكٌ رَجِلُ[4]
لا تَكْذِبَنَّ فما الدُّنْيا بأجْمَعِها ... مِنَ الشَّبابِ بِيَوْمٍ واحِدٍ بَدَلُ
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عَيْباً عندَ غانِيَةٍ ... وَبِالشَّبابِ شَفِيعاً أَيُّها الرَّجُلُ
بانَ الشَّبابُ وَوَلَّى عَنْكَ بَاطِلُهُ ... فَلَيْسَ يَحْسُنُ منكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ
أمَّا الغَوانِي فَقَدْ أعْرَضْنَ عنكَ قِلًى ... وَكانَ إعْراضُهُنَّ الدَّلُّ والخَجَلُ
أعَرْنَكَ الهَجْرَ ما لاحتْ مُطَوَّقَةٌ ... فَلاَ وِصَالٌ ولا عَهْدٌ ولا رُسُلُ

---

(١) قطّب: عبس، وضم حاجبيه.
(٢) العتبى: الرضا. وأعتبه: أرضاه.
(٣) الخَضِل: الرطب الندي.
(٤) الشِّرَّة: النشاط. وشرخ الشباب: أوله ونضارته. وثوب أسود المرجَّل: أراد شعره الأسود المرجَّل.

لَيْتَ المَنَايَا أصابَتْني بأسْهُمِها فكُنَّ يَبْكِينَ عَهْدِي قَبْلَ أكْتَهِلُ
عَهْدَ الشَّبابِ لَقَدْ أبْقَيْتَ لي حَزَناً ما جَدَّ ذِكْرُكَ إلاَّ جَدَّ لي ثَكَلُ
إنَّ الشَّبابَ إذا ما حَلَّ رائِدُهُ في مَنْهَلٍ رادَ يَقْفُو إثْرَهُ أجَلُ[1]

قال ابن الوَشَّاء خاصَّةً: وما أساء ولا قَصَّر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى: [البسيط]

أبكِي الشَّبابَ لِنَدْمانٍ وغانِيَةٍ وللمَغَانِي وللأطلال والكُثُبِ
وَلِلصَّرِيخِ وَللآجام في غَلَسٍ وَلِلْقَنَا السُّمْرِ والهِنْدِيَّةِ القُضُبِ
وَلِلْخَيال الَّذِي قَدْ كَانَ يَطْرُقُني وَلِلنَّدامَى وَلِللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ
يا صاحباً لم يَدَعْ فَقْدِي لَهُ جَلَداً أضِعْتُ بَعْدَكَ إنَّ الدَّهْرَ ذُو عُقَبِ[2]
وَقَدْ أكُونُ، وَشَعْبانا معاً، رَجُلاً يَوْمَ الكَرِيهَةِ فَرَّاجاً عَنِ الكُرَبِ

[هجاؤه ابن حميد]

أخبرني ابن عمَّار عن العَنَزيّ قال: كان محمد بن حازم الباهليّ مدح بعض بني حُمَيْد فلم يُثِبْه، وجعل يفتش شعرَه فيعيب فيه الشيءَ بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاءً كثيراً شنيعاً، منه قوله: [الوافر]

عَدُوَّاكَ المَكَارِمُ والكِرَامُ وَخِلُّكَ دُونَ خُلَّتِكَ اللِّئَامُ
وَنَفْسُكَ نَفْسُ كَلْبٍ عِنْدَ زَوْرٍ أعُقْبَى زائِرِ الكَلْبِ الْتِدَامُ[3]
تَهِرُّ على الجَلِيسِ بلا احْتِرامٍ لِتَحْشِمَهُ إذا حَضَرَ الطَّعامُ[4]
إذا ما كانت الهِمَمُ المَعَالي فَهَمُّكَ ما يكونُ بِهِ المَلامُ
قَبُحْتَ ولا سَقَاكَ الله غَيْثاً وجانَبَكَ التَّحِيَّةُ والسَّلامُ

قال: فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه:

مَوْضِعُ أسْرارِك المُرِيبُ وَحَشْوُ أثْوابِكَ الغُيُوبُ

---

(١) الرائد: الذي يتقدم القوم ليبصر مواقع الكلأ ومساقط الغيث.
(٢) العُقَب: جمع عُقْبَة، وهي النوبة.
(٣) الزَّوْر: الزيارة. والالتدام: ضرب الصدر والوجه.
(٤) هَرَّ: صوَّت. وتحشمه: تقبضه.

وَتَمْنَعُ الضَّيْفَ فَضْلَ زادٍ ... وَرَحْلُكَ الواسِعُ الخَصِيبُ[1]
يا جامِعاً مانِعاً بَخيلاً ... لَيْسَ لهُ في العُلاَ نَصِيبُ
أبالرُّشَا يُسْتَمالُ مِثْلي؟ ... كَلاَّ ومَنْ عِنْدَهُ العُيوبُ[2]
لا أرْتَدِي حُلَّةً لِمُثْنٍ ... بِوَجْهِهِ من يَدِي نُدُوبُ[3]
وبَيْنَ جَنْبَيْهِ لي كُلُومٌ ... دامِيَةٌ ما لَها طَبِيبُ
ما كُنْتُ في مَوْضِعِ الهَدَايا ... مِنْكَ ولا شَعْبُنَا قَريبُ
أنى وَقَدْ نَشَّتِ المَكَاوِي ... عَنْ سِمَةٍ شأنُها عَجيبُ[4]
وسارَ بالذَّمِّ فيكَ شِعْرِي ... وَقيلَ لي مُحْسِنٌ مُصيبُ
مالُكَ مالُ اليَتِيمِ عِنْدِي ... ولا أرَى أكْلَهُ يَطِيبُ
حَسْبُكَ من مُوجِزٍ بليغ ... يَبْلُغُ ما يبلُغُ الخَطيبُ

حدَّثني عمِّي قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال: بعث الحسن بن سَهْلٍ محمدَ بن حُمَيْد في وِجْهةٍ، وأمره بجبايةِ مالٍ، وبحَرْبِ قوم من الشُّرَاةِ، فخان في المال وهَرَبَ من الحرب، فقال فيه محمد بن حازم الباهليّ: [المتقارب]

تَشَبَّهَ بالأسَدِ الثَّعْلَبُ ... فَغادَرَهُ مُعْنَقاً يُجْنَبُ[5]
وَحاوَلَ ما لَيْسَ في طَبْعِهِ ... فَأسْلَمَهُ النّابُ والمِخْلَبُ
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ أباطيلُهُ ... وحاصَ فَأحْرَزَهُ المَهْرَبُ[6]
وكانَ مُضِيّاً على غَدْرِهِ ... فَغُيِّبَ، والغادِرُ الأخْيَبُ
أيا ابْنَ حُمَيْدٍ كَفَرْتَ النَّعيـ ... ـمَ جَهْلاً وَوَسْوَسَكَ المَذْهَبُ[7]
وَمَنَّتْكَ نَفْسُك ما لا يَكُونُ ... وَبَعْضُ المُنَى خُلَّبٌ يَكْذِبُ
وما زِلْتَ تَسْعَى على مُنْعِمٍ ... بِبَغْيٍ وَتُنْهَى فلا تُعْتِبُ
فأصْبَحْتَ بالبَغْيِ مُسْتَبْدِلاً ... رشاداً وَقَدْ فاتَ مُسْتَعْتَبُ

---

(١) فضل الزاد: بقيته.
(٢) الرُّشا: جمع رشوة، وهي الجعل. وما يدفع لقضاء حاجة.
(٣) الندوب: آثار الجراح. مفرده: ندب.
(٤) نَشَّت: سمع لها صوت عند الكي.
(٥) المُعْنَق: الذي في عنقه قلادة. وَجَنَبَهُ: قاده إلى جنبه.
(٦) حاص: حاد وعدل.

قال: وقال فيه لمّا شخص إلى حيثُ وجَّهه الحسن بن سَهْلٍ: [مخلع البسيط]

إذا اسْتَقَلَّتْ بكَ الرِّكابُ ... فَحَيْثُ لا دَرَّتِ السَّحابُ
زالَتْ سِراعاً وزُلْتَ يَجْرِي ... بِبَيْنِكَ الظَّبْيُ والغُرابُ
بِحَيْثُ لا يُرْتَجَى إيابٌ ... وَحَيْثُ لا يَبْلُغُ الكِتابُ
فَقَبْلَ مَعْروفِكَ امْتِنانٌ ... ودُونَ مَعْروفِكَ العَذابُ
وَخَيْرُ أخلاقِكَ اللّواتِي ... تَعافُ أمْثالَها الكِلابُ

حدّثني أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني أبي قال: قال يحيى بن أكْثَم لمحمد بن حازم الباهليّ: ما نَعِيبُ شعرَك إلاَّ أنَّك لا تطيل، فأنشأ يقول: [الوافر]

أبى لِيَ أنْ أُطِيلَ الشِّعْرَ قَصْدِي ... إلى المَعْنَى وعِلْمِي بالصَّوابِ
وَإيجازِي بِمُخْتَصَرٍ قَرِيبٍ ... حَذَفْتُ بِهِ الفَضُولَ منَ الجَوابِ
فَأبْعَثُهُنَّ أرْبَعَةً وَخَمْساً ... مُثَقَّفَةً بألفاظٍ عِذابِ
خَوَالِدَ ما حَدا لَيْلٌ نَهاراً ... وما حَسُنَ الصِّبَا بأخِي الشَّبابِ
وَهُنَّ إذا وَسَمْتُ بِهِنَّ قَوْماً ... كأطْواقِ الحَمائِمِ في الرِّقابِ
وَهُنَّ إذا أقَمْتُ مُسافِراتٌ ... تَهَادَتْهَا الرُّواةُ مَعَ الرِّكابِ

[بينه وبين أبي ذؤيب التاريّ]

حدّثني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليُّ قال: كان بالأهواز رجلٌ يعرف بأبي ذُؤيب من التّتّار، وكان مَقْصِدَ الشعراء وأهل الأدب، فقصده محمد بن حازم، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بَذَّة[1]، وهيئة رَثَّة، ولم يعرِّفه نَفْسَه، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر، وأبو ذؤيب يتكلّم متحققاً بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم ـ وقد دخل عليه يوماً ـ عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاح جَهِلَهُ، فَرَدَّ عليه جواباً مُحالاً[2] كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مُغْضَباً. فلمّا خرج قيل له: ماذا صنعت بنَفْسِكَ وفتحتَ عليها من الشرّ؟ أتدري لمن تعرَّضتَ؟ قال: ومَنْ ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهليّ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافياً حتى لَحِقَهُ، فحلف له أنه لم يَعْرِفه، واستقاله

(١) ثياب بَذّة: رثة، خلقة.
(٢) المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه.

فأقاله، وحلف أنه لا يقبَل له رِفداً[١] ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً، وكتب إليه بعد أن افترقا: [الكامل]

أخطا وَرَدَّ عَلَيَّ غَيْرَ جَوابِي ... وَزَرَى عَلَيَّ وقالَ غَيْرَ صوابِ
وَسَكَتُّ مِنْ عَجَبٍ لِذاكَ فَزادَنِي ... فِيما كَرِهْتُ بِظَنِّهِ المُرْتابِ
وَقَضَى عَلَيَّ بظاهِرٍ مِنْ كُسْوَةٍ ... لَمْ يَدْرِ ما اشْتَمَلَتْ عليهِ ثِيابي
مِنْ عِفَّةٍ وَتَكَرُّمٍ وتَحَمُّلٍ ... وَتَجَلُّدٍ لِمُصِيبَةٍ وعِقابِ
وإذا الزَّمانُ جَنَى عَلَيَّ وَجَدْتَني ... عُوداً لِبَعْض صفائِحِ الأقْتابِ[٢]
وَلَئِنْ سألتَ لَيُخْبِرَنَّكَ عالِمٌ ... أنِّي بِحَيْثُ أحِبُّ مِنْ آدابِ
وإذا نَبا بِيَ مَنْزِلٌ خَلَّيْتُهُ ... قَفْراً مَجالَ ثَعالِبٍ وذِئابِ
وَأكُونُ مُشْتَرِكَ الغِنَى مُتَبَذِّلاً ... فإذا افْتَقَرْتُ قَعَدْتُ عن أصْحابي
لَكِنَّهُ رَجَعَتْ عَلَيْهِ نَدامَةٌ ... لَمَّا نُسِبْتُ وَخافَ مَضَّ عِتابي[٣]
فَأقَلْتُهُ لَمَّا أقَرَّ بِذَنْبِهِ ... لَيْسَ الكَرِيمُ على الكَرِيمِ بِنابِ

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا النوفليّ قال: كان سعد بن مسعود القُطْرُبُّلِيّ أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمد بن حازم الباهليّ، فسأله حاجةً فردّهُ عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم وترضّاه، فردّها وكتب إليه: [السريع]

مُتَّسِعُ الصَّدْرِ مُطِيقٌ لِمَا ... يَحارُ فيهِ الحُوَّلُ القُلَّبُ
راجَعَ بالعُتْبَى فأعْتَبْتُهُ ... وَرُبَّما أعْتَبَكَ المُذْنِبُ
أجَلْ وَفي الدَّهْرِ - على أنَّهُ ... مُوَكَّلٌ بالبَيْنِ - مُسْتَعْتَبُ
سَقْياً ورَعْياً لِزمانٍ مَضَى ... عَنِّي، وسَهْمُ الشَّامِتِ الأخْيَبُ
قد جاءَني مِنْكَ مُوَيْلٌ فَلَمْ ... أعْرِضْ لَهُ وَالحُرُّ لا يَكْذِبُ[٤]
أخْذِيَ مالاً مِنْكَ بَعْدَ الَّذي ... أوْدَعْتَنِيهِ مَرْكَبٌ يَصْعُبُ
أبَيْتُ أنْ أشْرَبَ عِنْدَ الرِّضا ... وَالسُّخْطِ إلاَّ مَشْرَباً يَعْذُبُ
أعَزَّني اليَأسُ وَأغْنَى فَمَا ... أرْجُو سِوَى اللهِ ولا أهْرُبُ

(١) الرفد: العطاء.
(٢) الأقتاب: جمع قتب، وهو رحل صغير على قدر سنام البعير. والصفائح: الألواح.
(٣) المض: الممض، المؤلم، الحادّ.
(٤) مويل: تصغير مال.

قارُونُ عِنْدِي في الغِنَى مُعْدِمٌ وَهِمَّتِي ما فَوْقَها مَذْهَبُ
فَأَيُّ هاتَيْنِ تَرَانِي بِها أَصْبُو إلى مالِكَ أو أَرْغَبُ؟

[أخبار متفرقة وشعر]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي وعيسى بن الحسين الورّاق، واللفظ له، قالا: حدّثنا الخليل بن أَسَدٍ النُّوشَجَانيّ، قال: حدّثنا حَمّاد بن يحيى قال: حدّثنا أحمد بن يحيى قال: آخِرُ ما فارقتُ عليه محمدَ بن حازِم أنه قال: لم يَبْقَ شيءٌ من اللَّذّاتِ إلاّ بَيْعُ السَّنَانير[1]، فقلت له: سَخِنت عينُك أَيْشٍ لكَ في بيع السنانيرِ من اللَّذّات؟ قال: يُعْجِبني أن تَجِيئني العجوزُ الرَّعْنَاء[2] تُخَاصِمني وتقول: هذا سِنَّوري سُرِقَ مِنّي، وأخاصمها وأَشْتُمُهَا وتشتمني، وأَغِيظُها وأُباغضها، ثم أنشدني:

[المجتث]

صِلْ خَمْرَةً بِخُمَارٍ وَصِلْ خُمَاراً بِخَمْرِ
وخُذْ بِحَظِّكَ مِنْها زاداً إلى حَيْثُ تَدْرِي

قال: قلتُ إلى أين ويحك؟ قال: إلى النار يا أحمق.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السَّري قال: كان إسحاق بن أحمد بن أبي نَهِيك آنِساً بمحمد بن حازم الباهليّ يدعوه ويُعاشره مُدَّة. فكتب إليه يَسْتَزِيرُه[3] ويُعاتبه عتاباً أغضبه، وبلغه أنه غضب، فكتب إليه:

[البسيط]

ما مُسْتَزِيرُكَ في وُدٍّ رَأَى خَلَلاً في مَوْضِعِ الأُنْسِ أَهْلاً مِنْكَ لِلْغَضَبِ
قَدْ كُنْتَ تُوجِبُ لي حَقّاً وَتَعْرِفُ لي قَدْرِي وَتَحْفَظُ مِنّي حُرْمَةَ الأَدَبِ
ثم انْحَرَفْتَ إلى الأُخْرَى فَأَحْشَمَنِي ما كانَ مِنْكَ بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ[4]
وإنّ أَدْنَى الَّذِي عِنْدِي مُسَامَحَةٌ في حاجَتي بَعْدَ أنْ أعذرْتُ في الطَّلَبِ
فاخْتَرْ فَعِنْدِيَ مِنْ ثِنْتَيْنِ واحِدَةٌ عُذْرٌ جَمِيلٌ وشُكْرٌ لَيْسَ بِاللَّعِبِ

---

(١) السنانير: جمع سنور، وهو حيوان أليف.
(٢) الرّعناء: الخرقاء.
(٣) يستزيره: يسأله زيارته.
(٤) أحشمني: أغضبني.

فإنْ تُجدِّد كما قد كُنْتَ تَفْعَلُهُ ....[1]

حدّثني محمد بن يونس الأنباريّ المعروف بمحصنة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: قال محمد بن حازم الباهليّ: عرضتْ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سَهْلٍ، فأتيتُهُ، وقد كنتُ قلت في السفينة شعراً، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له، فَعَرَفني، فقال: ما قلتَ فيه شيئاً؟ فقال له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً وهو في السفينة، فسألني أن أُنْشِدَهُ، فأنشدته قولي: [الوافر]

وَقالُوا لَوْ مَدَحْتَ فَتًى كَريماً ... فَقُلْتُ وَكَيْفَ لي بِفَتًى كَرِيمِ؟
بَلَوْتُ النّاسَ مُذْ خَمْسِينَ عاماً ... وَحَسْبُكَ بالمُجَرِّبِ مِنْ عَلِيمِ
فَما أحَدٌ يُعَدُّ لِيَومِ خَيْرٍ ... وَلا أحَدٌ يَعُودُ ولا حَمِيمُ[2]
وَيُعْجِبُني الفَتَى وأظُنُّ خَيْراً ... فَأكْشِفُ مِنْهُ عَنْ رَجُلٍ لَئِيمِ
تَقَيَّلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَأضْحَوْا ... بَنِي أبَوَيْنِ قُدّا من أدِيمِ[3]
فَطافَ النّاسُ بالحَسَنِ بن سَهْلٍ ... طَوافَهُمُ بِزَمْزَمَ والحَطِيمِ[4]
وقالُوا سَيِّدٌ يُعْطِي جَزِيلاً ... ويَكْشِفُ كُرْبَةَ الرَّجُلِ الكَظِيمِ[5]
فَقُلْتُ مَضَى بِذَمِّ القَوْمِ شِعْرِي ... وَقَدْ يُؤْتَى البَرِيءُ مِنَ السَّقِيمِ
وَما خَبَرٌ تُرَجِّمُهُ ظُنُونِي ... بِأشْفَى من مُعَايَنَةِ الحَلِيمِ[6]
فَجِئْتُ وَلِلأمُورِ مُبَشِّراتٌ ... وَلَنْ يَخْفَى الأغَرُّ من البَهِيمِ[7]
فَإنْ يَكُ ما تَنَشَّرَ عَنْهُ حَقّاً ... رَجَعْتُ بِأُهْبَةِ الرَّجُلِ المُقِيمِ
وَإنْ يَكُ غَيْرُ ذاكَ حَمِدْتُ رَبِّي ... وَزالَ الشَّكُّ عَنْ رَجُلٍ حَكِيمِ
وَما الآمالُ تَعْطِفُنِي عَلَيْهِ ... وَلكِنَّ الكَرِيمَ أخُو الكَرِيمِ

قال: فلمّا أنشدتُه هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير! والله لو كان نَظِيرَكَ لَمَا جاز أن تُخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم

(١) الشطر الثاني ساقط في الأصل.
(٢) في البيت إقواء.
(٣) قدا: قطعا. والأديم الجلد.
(٤) زمزم: بئر عند الكعبة. والحطيم: حجر الكعبة، أو جداره، أو ما بين الركن وزمزم.
(٥) الكظيم: المكروب، الذي كظم غيظه.
(٦) ترجمه ظنوني: ظنّه من غير أن تتيقنه.
(٧) الأغرّ: الأبيض. والبهيم: الأسود.

أمدحهُ بعدُ، ولكنني سأمدحه مدحاً يُشْبِهُ مثله. قال: فأفعل، وأنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعَجَّبَه من جَوْدة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح، فأُدخلت إليه. فأمرني أن أُنشدَ هذا الشعر، فآستعفيته فلم يُعْفِني، وقال: قد قَنِعْنَا منك بهذا القدر إذ لم تُدْخِلْنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إيَّاه، فضحك وقال: ويحك! ما لَكَ وللناس تَعُمُّهم بالهجاء؟ حَسْبُكَ الآن من هذا النَمَط وأبْقِ عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قَبِلْتُ، وأنا أُطالبك بالوفاء مطالبة من أهديتُ إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته: [الوافر]

وَهَبْتُ القَوْمَ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ... فَعَوَّضَنِي الجَزِيلَ مِنَ الثَّوابِ
وقالَ دَعِ الهجاءَ وقُلْ جَميلاً ... فَإنَّ القَصْدَ أقْرَبُ لِلثَّوابِ[١]
فَقُلْتُ لَهُ: بَرِئْتُ إلَيْكَ مِنْهُمْ ... فَلَيْتَهُمُ بِمُنْقَطَعِ التُّرابِ[٢]
وَلَوْلا نِعْمَةُ الحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ... عَلَيَّ لَسُمْتُهُمْ سُوءَ العَذابِ[٣]
بِشِعْرٍ يَعْجَبُ الشُّعَراءُ مِنْهُ ... يُشَبَّهُ بِالهِجاءِ وبِالعِتابِ
أكِيدُهُمُ مُكايَدَةَ الأعادِي ... وأخْتِلُهُمْ مُخاتَلَةَ الذِئابِ[٤]
بَلَوْتُ خِيارَهُمْ فَبَلَوْتُ قَوْماً ... كُهُولُهُمُ أخسُّ مِنَ الشَّبابِ[٥]
وما مُسِخُوا كِلاباً غَيْرَ أنِّي ... رَأيْتُ القَوْمَ أشْباهَ الكِلابِ

قال: فضحك وقال: ويحك! الساعةَ ابتدأتَ بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ. فقلت: هذه بُغْيَةٌ طَفَحَتْ على قلبي، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقَى الله الأمير.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني عليّ بن الحسن الشَّيْباني قال: كان لمحمد بن حازِمٍ الباهليّ صديقٌ على طُولِ الأيام، فنال مرتبةً من السُّلْطانِ وعَلاَ قَدْرُه، فجفا محمداً وتغيَّر له، فقال في ذلك محمد بن حازم: [مجزوء الكامل]

وَصْلُ المُلُوكِ إلى التَّعالِي ... وَوَفَا المُلُوكِ مِنَ المُحَالِ

---

(١) القصد: استقامة الطريق.
(٢) منقطع التراب: المكان الذي انقطع به، وأراد القبر.
(٣) سام: أذاق.
(٤) أختلهم: أخدعهم.
(٥) بلوت: جرّبت.

مـا لِـي رَأَيْـتُـكَ لا تَـدُو ... مُ عَـلَـى الـمَـوَدَّةِ لِـلـرِّجَـالِ
إنْ كَـانَ ذا أدَبٍ وظَـر ... فٍ قُـلْـتَ ذاكَ أخُـو ضَـلاَلِ
أو كـانَ ذا نُـسُـكٍ ودِيـ ... نٍ قُـلْـتَ ذاكَ مِـنَ الـثِّـقَـالِ
أو كـانَ فـي وَسَـطٍ مِـنَ الـ ... أمْـرَيْـنِ قـلـتَ يُـرِيـغُ مـالـي[1]
فَـبِـمِـثْـلِ ذا ـ ثَـكِـلَـتْـكَ أُمُّـ ... كَ ـ تَـبْـتَـغِـي رُتَـبَ الـمَـعَـالـي؟

حدّثني الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن علي الشيبانيّ قال: كان محمد بن حازمٍ الباهليّ قد نَسَكَ وترك شُرْبَ النبيذ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهديّ، فحادثه وناشده وأكل معه لما حضر الطعام، ثم جلسوا للشَّرَابِ، فَسأله إبراهيمُ أن يشرب، فأبى وأنشأ يقول: [المجتث]

أبَـعْـدَ خَـمْـسِـيـنَ أصْـبُـو؟ ... وَالـشَّـيْـبُ لِـلْـجَـهْـلِ حَـرْبُ
سِـنٌّ وَشَـيْـبٌ وَجَـهْـلٌ! ... أمْـرٌ لَـعَـمْـرُكَ صَـعْـبُ
يـا ابْـنَ الإمـام فَـهَـلاَّ ... أيَّـامَ عُـودِيَ رَطْـبُ!
وَشَـيْـبُ رأسِـي قَـلِـيـلٌ ... وَمَـنْـهَـلُ الـحُـبِّ عَـذْبُ
وإذْ سِـهَـامِـي صِـيَـابٌ ... ونَـصْـلُ سَـيْـفِـيَ عَـضْـبُ[2]
وإذْ شِـفَـاءُ الـغَـوَانِـي ... مِـنِّـي حَـدِيـثٌ وقُـرْبُ
فـالآنَ لَـمَّـا رأى بـي الـ ... عُـذَّالُ لِـي مـا أحَـبُّـوا
وأقْـصَـرَ الـجَـهْـلُ مِـنِّـي ... وسـاعَـدَ الـشَّـيْـبَ لُـبُّ
وآنَـسَ الـرُّشْـدَ مِـنِّـي ... قَـوْمٌ أعـابُ وأصْـبُـو
آلَـيْـتُ أشْـرَبُ كـأساً ... مـا حَـجَّ لِـلَّـهِ رَكْـبُ

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السَّريّ قال: وعد النُّوشجانيّ محمد بن حازمٍ شيئاً سأله إيَّاه ثم مطله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك، واقتضاه، فأقام على مَطْله؛ فكتب إليه: [الوافر]

أبَـا بـشْـرٍ تَـطـاوَلَ بِـي الـعِـتَـابُ ... وَطَـالَ بِـيَ الـتَّـرَدُّدُ والـطِّـلاَبُ
وَلَـمْ أتـرُكْ مِـنَ الأعْـذارِ شَـيْـئـاً ... ألامُ بـهِ وإنْ كَـثُـرَ الـخِـطَـابُ

(١) يُريغ: يطلب، يريد.

(٢) العضب: القاطع.

سَأَلْتُكَ حاجَةً فَطَوَيْتَ كَشْحاً ... على رَغْمٍ، وَلِلدَّهْرِ انْقِلابُ[١]
وَسُمْتَنِيَ الدَّنِيَّةَ مُسْتَخِفّاً ... كما خُزِمَتْ بِآنُفِها الصِّعابُ[٢]
كأَنَّكَ كنتَ تَطْلُبُني بِثَأْرٍ ... وفي هٰذا لَكَ العَجَبُ العُجابُ
فَإنْ تَكُ حاجَتي غَلَبَتْ وَأَعْيَتْ ... فَمَعْذورٌ، وَقَدْ وَجَبَ الثَّوابُ
وإنْ يَكُ وَقْتُها شَيْبَ الغُرابِ ... فلا قُضِيَتْ ولا شابَ الغُرابُ
رَجَوْتُكَ حينَ قِيلَ لي ابنُ كِسْرَى ... وَإِنَّكَ سِرُّ مُلْكِهِمُ اللُّبابُ
فَقَدْ عَجَّلْتَ لِي مِنْ ذاكَ وَعْداً ... وَأَقْرَبُ مِنْ تَنَاوُلِهِ السَّحابُ
وَكُلٌّ سَوْفَ يُنْشَرُ غيرَ شَكٍّ ... وَيَحْمِلُهُ لِطِيَّتِهِ الكِتابُ

أخبرني الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السَّريّ قال: قصد محمد بن حازم بعضَ ولدِ سعيدِ بن سالمٍ وقد وَلِيَ عَمَلاً، واسترفده[٣]؛ فأطال مُدَّته ولم يُعْطِهِ شيئاً، وانصرف عنه وقال: [الوافر]

أَلِلدُّنْيا أُعِدُّكَ يابْنَ عَمّي ... فَأَعْلَمَ أَمْ أُعِدُّكَ لِلْحِسابِ
إلى كَمْ لا أراكَ تُنِيلُ حَتّى ... أَهُزَّكَ! قَدْ بَرِئتُ مِنَ العِتابِ
وما تَنْفَكُّ مِنْ جَمْعٍ وَوَضْعٍ ... كَأَنَّكَ لَسْتَ تُوقِنُ بالإيابِ
فَشَرُّكَ عَنْ صَدِيقِكَ غَيْرُ نَاءٍ ... وَخَيْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ التُّرابِ
أَتَيْتُكَ زائِراً فَأَتَيْتُ كَلْباً ... فَحَظّي مِنْ إخائِكَ لِلْكِلابِ
فَبِئْسَ أخو العَشِيرةِ ما عَلِمْنَا ... وَأَخْبَثُ صاحِبٍ لأخي اغْتِرابِ
أَيَرْحَلُ عَنْكَ ضَيْفُكَ غَيْرَ راضٍ ... ورَحْلُكَ واسِعٌ خِصْبُ الجنابِ
فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ كَرَمٍ بَعِيداً ... وَمِنْ ضِدِّ المكارِمِ في اللُّبابِ
وما بِيَ حاجَةٌ لِجَداكَ لٰكِنْ ... أَرُدُّكَ عَنْ قَبِيحِكَ لِلصَّوابِ[٤]

حدّثني عمّي قال: حدّثني يزيد بن محمد المهلّبي قال: كُنّا عند المتوكل يوماً وقد غاضبتْهُ قَبِيحَةُ، فخرج إلينا فقال: مَنْ يُنْشِدُني منكم شعراً في معنى غَضَب قبيحةٍ عليّ، وحاجتي أن أَخْضَعَ لها حتى ترضى؟ فقلت له: لقد أحسنَ محمد بن حازمٍ

(١) طوى كشحه: أعرض.
(٢) سامه الدنية: كلفه إياها. والآنف: الأنوف جمع أنف. والصعاب: جمع صعب، وهو ضد الذلول.
(٣) استرفده: طلب رفده. والرفد: العطاء.
(٤) الجدا: العطاء.

الباهليُّ يا أمير المؤمنين حيث يقول: [الطويل]

صَفَحْتُ بِرَغْمِي عَنْكَ صَفْحَ ضَرُورةٍ إِلَيْكَ وفي قَلْبِي نُدُوبٌ مِنَ العَتْبِ
خَضَعْتُ وما ذَنْبِي إِنِ الحُبّ عَزَّنِي فأغْضَيْتُ صَفحاً عَنْ مُعالَجةِ الحُبِّ[١]
ومازالَ بي فَقْرٌ إِلَيْكَ مُنَازِعٌ يُذَلِّلُ مِنِّي كُلَّ مُمْتَنِعٍ صَعْبِ
إلى الله أشْكُو أنَّ وُدِّي مُحَصَّلٌ وَقَلْبِي جَمِيعاً عِنْدَ مُقْتَسِمِ القَلْبِ

الغناء لعُبَيْدَة الطُّنبوريّة رملٌ بالوسطى ـ قال: أحسنت وحياتي يا يزيد! وأمر بأن يُغَنّى فيه، وأمر لي بألف دينار.

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثنا عليُّ بن خالد البرمكيّ قال: سافر محمد بن حازم الباهليُّ سفراً، فمرَّ بقومٍ من بني نُمَيْرٍ، فَسَلُّوا[٢] منه بعيراً له عليه ثَقَلُهُ[٣]، فقال يهجوهم: [الطويل]

نُمَيْر: أَجُبْناً حَيْثُ يَخْتَلِفُ القَنَا ولُؤماً وبُخْلاً عِنْدَ زادٍ ومِزْوَدِ؟
ومَنْعَ قِرَى الأَضْيافِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ولا عَدَمٍ إلا حِذَارَ التَّعَوُّدِ
وبَغْياً على الجارِ الغَرِيبِ إذا طَرَا عَلَيْكُمْ وَخَتْلَ الرَّاكِبِ المُتَفَرِّدِ[٤]
على أنَّكُمْ تَرْضَوْنَ بالذُّلِّ صاحِباً وتُعْطُونَ مَنْ لاحاكُمُ الضَّيمَ عن يَدِ[٥]
أَمَا وأبي إِنَّا لَنَغْفُو وإِنَّنا على ذاك أحياناً نَجُورُ وَنَعْتَدِي
نَكِيدُ العِدَا بالحِلْمِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ ونَغْشَى الوَغَى بالصِّدْقِ لا بالتَّوَعُّدِ
نَفَى الضَّيْمَ عَنَّا أنفسٌ مُضَرِيَّةٌ صِراحٌ وطَعْنُ الباسِلِ المُتَمَرِّدِ
وإِنَّا لَمِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلاَنَ في التي هي الغايةُ القُصْوَى بِعِزٍّ وَسُؤدَدِ
وإنَّ لنا بالتُّرْكِ قَبْراً مُبَاركاً وبالصِّينِ قبراً عِزَّ كُلِّ مُوَحِّدِ
وما نابَنَا صَرْفُ الزَّمانِ بِسَيِّدٍ بَكَيْنَا عَلَيْهِ أو يُوَافِي بسَيِّدِ
وَلَوْ أنَّ قَوْماً يَسْلَمُونَ مِنَ الرَّدَى سَلِمْنَا وَلٰكِنَّ المَنَايَا بِمَرْصَدِ[٦]
أبى الله أنْ يَهْدِي نُمَيْراً لِرُشْدِها ولا يَرْشُدُ الإنسانُ إلاَّ بِمُرْشِدِ

---

(١) عَزَّني: ملكني، تغلب عليّ وقهرني.
(٢) سلّ: سرق.
(٣) الثَّقَل: متاع المسافر.
(٤) ختله: خدعه.
(٥) لاحى: خاصم، نازع. وعن يد: صاغرين أذِلاَّء.
(٦) أي ترصده على الطريق للإيقاع به.

حدّثني الحسن بن عليٍّ قال: حدّثني محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَد البَخْتَكَان[١] من الأهوازيين أنّ محمد بن حامد ولي بعضَ كُوَر الأهواز في أيّام المأمون، وأنّ محمد بن حازِم الباهليَّ قَدِمَ عليه زائراً وَمَدَحَهُ، فَوَصَلَهُ وأحسن إليه، وكتب له إلى تُسْتَرَ بِحِنْطَةٍ وشعير، فمضى بكتابه، وأخذ ما كُتِب له به، وتزوّج هناك امرأةً من الدَّهَاقين، فَزَرَعَ الحِنْطَةَ والشعير في ضَيْعَتِها، وولّى محمد بن حامدٍ رجلاً من أهل الكوفة الخَرَاجَ بِتُسْتَرَ، فوكل بِغَلَّةِ محمد بن حازِمٍ، وطالبه بالخراج فأدّاه، فقال يهجوه: [الطويل]

زَرَعنا فَلَمَّا سَلَّمَ الله زَرْعَنا ... وَأَوْفَى عَلَيْهِ مِنْجَلٌ بِحَصَادِ
بُلِينَا بِكُوفِيٍّ حَلِيفِ مَجاعَةٍ ... أَضَرَّ عَلَيْنا مِنْ دَباً وجَرادِ[٢]
أتى مُسْتَعِداً ما يُكَذِّبُ دُونَهُ ... ولَجَّ بإرغام لَهُ وبِعَادِ
فَطَوْراً بِإِلْحاحٍ عَلَيَّ وغِلْظَةٍ ... وَطَوْراً بِخَبْطٍ دائِمٍ وَفَسادِ
وَلَوْلا أبو العبّاسِ أعْنِي ابْنَ حامِدٍ ... لَرَحَّلْتُهُ عَنْ تُسْتَرٍ بِسَوَادِ
فَكُفُّوا الأذَى عَنْ جارِكم وتَعَلَّمُوا ... بِأنّي لكُمْ في العالَمِينَ مُنَادِي

فبعث محمد بن حامدٍ إلى عامله فصرفه عن الناحية، وقال له: عَرَّضتني لِمَا أكْرَه، واحتمل خَراج محمد بن حازم.

أخبرني محمد بن الحسين بن الكِنْدِيّ المؤدِّب قال: حدثنا الرِّياشي قال: سمعتُ الأصمعيَّ يقول: قال هذا الباهليُّ محمد بن حازمٍ في وصف الشَّيْب شيئاً حَسَناً، فقال له أبو محمد الباهليّ: تعني قولَه: [البسيط]

كَفاكَ بالشَّيْبِ ذَنْباً عِنْدَ غانِيةٍ ... وبالشَّبابِ شَفِيعاً أيُّها الرَّجُلُ

فقال: إيَّاه عَنيتُ. فقال له الباهليُّ: ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدَثينَ أحسنَ منه.

حدّثني عمّي قال: حدّثنا حسين بن فَهْم قال: حدّثني أبي قال: دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير، فدعاه إلى أن يشربَ معه، فامتنعَ وقال: [المجتث]

أَبَعْدَ خَمْسِينَ أَصْبُو ... والشَّيْبُ لِلْجَهْلِ حَرْبُ

(١) البختكان: والد الوزير الفارسي العادل بزرجمهر.
(٢) الدبا: دويبة صغيرة كالجراد والنمل.

سِنٌّ وشَيْبٌ وَجَهْلٌ! ... أَمْرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يَا بْنَ الإمام فَهَلاَّ ... أَيَّامَ عُودِيَ رَطْبُ!
وَشَيْبُ رَأْسِي قَلِيلٌ ... ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ
وإِذْ شِفَاءُ الغَوَانِي ... مِنِّي حديثٌ وشُرْبُ
الآن حِينَ رَأَى بِي ... عواذِلِي ما أَحَبُّوا!
آلَيْتُ أَشْرَبُ كَأْساً ... ما حَجَّ لِلَّهِ رَكْبُ

قال: فأعطاه محمد بن زبيدة ووَصَله.

أخبار ابن القَصّار ونسبه

[سماته وأخلاقه وصنعته وبعض أخباره]

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرْد الخِيَار، سليمان بن عليٍّ. وذكره جحظة في كتاب الطُّنْبُورِيِّين، فَتَلَّه[١] في نفسه وأخلاقه ومَدَحَ صَنْعَتَه، وقال: مما أَحْسَنَ فيه قوله:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ لاَحَ في فَحْمَةِ الدُّجَى فأذْكَرَنِي الأَحْبابَ والمَنْزِلَ الرَّحْبا

قال: وهذا خفيف رمل مطلق. ومما أحسن فيه أيضاً: [المتقارب]

تَعالَيْ نُجَدِّدُ عَهْدَ الصِّبَا ونَنْضَحُ للحُبِّ عمّا مَضَى

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً. وذكر أنه كان مع أبيه قَصَّاراً[٢]، وتعلَّم الغِناء فَبَرَع فيه. ومن طَيِّب ما ثَلَبَهُ[٣] به جَحْظَة وتنادَرَ عليه به ـ وأراها مصنوعةً ـ أنَّه مَرَّ يوماً على أبيه، ومعه غلامٌ يحمل قاطرميز[٤] نبيذ، وجوامرجة[٥] مذبوحة مسموطة، فقال: الحمد لله الذي أراني ابني قبلَ موتي يأكُلُ لحمَ الجواميرات، ويَشْرَبُ نبيذ القاطرميزات.

وحدِّث عن بعض جيرانه أنّ ابن القَصّار غَنَّى له يوماً بحبلٍ ودَلْوٍ، وأنّ

(١) تله: رماه بالسوء.
(٢) القصار: مبيض الثياب.
(٣) ثلبه: عابه.
(٤) القاطرمزجة: وعاء من زجاج.
(٥) الجوامرجة: الدجاجة (فارسية).

إسماعيل بن المتوكِّل وَهَبَ له مائتي أُتْرُجَّة[1] كانت بين يديه، فباعها بثلاثة دنانير، وأنه يَحْمل بلبكيذه[2] إلى دار السلطان، وله فيه خُبْزٌ وجبنٌ فيأكله، ويحمل في البلبكيذ ما يُوضَعُ بين يديه في دار السلطان، فيدعو إخوانه عليه. وأَكْثَرَ من ثَلْبِ الرجل مما لا فائدة فيه. ولو أراد قائلٌ أنْ يقول فيه ما لا يَبْعُد من هذه الأخلاق لَوَجَدَ مقالاً واسعاً، ولكنه مما يَقْبُحُ ذكره، سِيَّما وقد لَقِيناه وعاشرناه. عفا الله عنا وعنه.

أخبرنا ذُكَاء وجه الرُّزَّة قال: كنا نجتمع مع جماعةٍ في الطُّنْبُوريِّين، ونشاهدهم في دُور الملوك وبحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضلَ من المسرور وعمر المَيْدَاني وابنِ القَصَّار.

وحدّثتني قُمْرِيَّة البَكْتَمُرِيَّة قالت: كنت لرجلٍ من الكُتَّاب يُعْرَفُ بالبَلُّوري، وكان شيخاً، وكانت سِتِّي[3] التي ربَّتني مولاته، وكانت مُغَنِّيَةً شَجِيَّةَ الصَّوْتِ حَسَنَة الغناء، وكانت تَعْشق ابن القَصَّار، وكانت علامةُ مصيره إليها أن يجتاز في دِجْلَة وهو يُغَنِّي، فإنْ قَدَرتْ على لِقائه أوصلتهُ إليها، وإلاَّ مضى. فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مُقْمِرَةٍ وهو يُغَنِّي خفيفَ رَمَلٍ قال: [مجزوء الرمل]

أنا في يُمْنَى يَدَيْها وهي في يُسْرَى يَدَيَّهْ
إنَّ هٰذا لقَضَاءٌ فِيهِ جَوْرٌ يا أُخَيَّهْ

ويُغَنِّي في آخرِه رَدَه:

وَيْلِ وَيْلِي يا أُبَيَّهْ

وكانت سِتِّي واقفةً بين يَدَيْ مولاها، فما ملكتْ نفسها أن صاحتْ: أحسنت والله يا رجُل! فتَفَضَّلْ وأَعِد، ففعل وشَرِبَ رطلاً وانصرف، وعَلِمَ أنه لا يَقْدِر على الوصول إليها. وكان مولاها يعرف الخبر، فتغافلَ عنها لِمَوْضِعها من قلبه، فلا أَذكُرُ أنّي سمعت قَطُّ أحسنَ من غنائه.

---

(١) أترجة: ضرب من النقود. (فارسية).

(٢) البلبكيذ: الحقيبة. (فارسية).

(٣) سِتِّي: سيدتي.

صوت [الخفيف]

بـاحَ بِـالـوَجْـدِ قَـلْـبُـكَ الـمُـسْـتَـهـامُ وَجَـرَتْ فـي عِـظـامِـكَ الأَسْـقـامُ
يَـوْمَ لا يَـمْـلِـكُ الـبُـكـاءَ أَخُـو الـشَّـوْ قِ فـيُـشْـفَـى ولا يُـرَدُّ سَـلامُ

لم يقع إليّ قائلُ هذا الشعر. والغناء لمعبد اليَقْطِينيّ ثاني ثقيل بالبِنْصَرِ عن أحمد بن المَكّيّ.

أخبار معبد

[اسمه ونسبه وولاؤه]

كان معْبَدٌ اليقْطينيُّ غلاماً مُوَلَّداً خِلاَسياً[١] من مُوَلَّدِي المدينة، اشتراه بعضُ وَلَدِ عليِّ بن يَقْطِين. وقد شَدَا[٢] بالمدينة، وأخذ الغِناء عن جماعةٍ من أهلها، وعن جماعة أخرى من عِلْيَةِ المُغَنِّين بالعراق في ذلك الوقت، مثل إسحاق وابن جامع وطَبَقَتهما، ولم يكن فيما ذُكِرَ بطيِّب المسموع، ولا خَدَمَ أحداً من الخُلفاء إلا الرَّشيد، ومات في أيامه، وكان أكثرُ انقطاعه إلى البرامكة.

[قصته مع غلام من غلمان المدينة]

أخبرني عَمِّي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعِيّ قال: حدّثني مَعْبَدٌ الصغير المُغَنِّي مولى عليِّ بن يقطين قال:

كنت منقطعاً إلى البرامكة، آخذ منهم وألازمهم. فبينا أنا ذاتَ يوم في منزلي إذا بابي يُدَقُّ، فخرج غلامي ثم رجع إليَّ فقال: على البابِ فتًى ظاهرُ المُروءة يستأذن عليك؛ فأذِنْتُ له. فدخل عليَّ شاب ما رأيتُ أحسنَ وجهاً منه، ولا أنظف ثوباً، ولا أجملَ زيّاً منه، من رجلٍ دَنِفٍ[٣] عليه آثارُ السَّقَمِ ظاهرة، فقال لي: إنِّي أرجو لُقاكَ منذ مُدَّة فلا أجِدُ إليه سبيلاً، وإنَّ لي حاجة. قلت: ما هي؟ فأخرجَ ثلاثمائة دينار فَوَضَعها بين يَدَيَّ، ثم قال: أسألك أن تَقْبَلَها وتَصْنَع في بيتين قلتُهما

---

(١) الخلاسي: الولد من أبوين أبيض وأسود.
(٢) شدا: غنّى.
(٣) الدنف: المريض المشرف على الموت.

لحناً تُغَنِّيني به. فقلت: هاتهما، فأنشدهما، وقال:

صوت

[البسيط]

واللهِ يا طَرْفِيَ الجانِي على بَدَنِي ... لَتُطْفِئَنَّ بِدَمْعِي لَوْعَةَ الحَزَنِ
أَوْ لأبوحَنَّ حَتَّى يَحْجُبُوا سَكَنِي ... فَلا أراهُ وَلَوْ أُدْرِجْتُ في كَفَنِي[1]

والغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى الوُسْطى ـ قال: فصنعت فيهما لحناً ثم غَنَّيته إيّاه؛ فأُغْمِي عليه حتى ظننته قد مات. ثم أفاق فقال: أعِدْ فديتك! فناشدته الله في نفسه وقلت: أخشى أن تموت. فقال: هيهات! أنا أشقَى من ذاك. وما زال يخضع لي ويتضرَّع حتى أعدتُهُ، فصعَق صعقةً أشدَّ من الأولى، حتى ظننت أنَّ نفسَه قد فاظت[2]. فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتُها بين يديه، وقلت: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عنّي؛ فقد قضيتَ حاجتك، وبلغتَ وطراً[3] مما أردته، ولستُ أُحِبُّ أن أَشْرَكَ في دَمِكَ. فقال: يا هذا! لا حاجةَ لي في الدنانير. فقلت: لا والله ولا بعشرَة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: وما هُنَّ؟ قلت: أولها أن تُقيم عندي وتتحرّم بطعامِي، والثانية أن تَشْرَبَ أقداحاً من النَّبيذ تَشُدُّ قلبكَ وتُسَكِّنُ ما بك، والثالثة أن تُحَدِّثني بقصَّتك. فقال: أفعل ما تريد. فأخذتُ الدنانير، ودعوتُ بطعامٍ فأصاب منه إصابةَ مُعذِر[4]، ثم دعوتُ بالنبيذ فشرب أقداحاً، وغنَّيته بشعرٍ غيرهِ في معناه، وهو يشرب ويبكي. ثم قال: الشرط أعزّك الله، فغنَّيته، فجعل يبكي أحرَّ بكاء ويَنْشِجُ[5] أشدّ نَشِيج وينتحب. فلما رأيت ما به قد خفّ عما كان يَلْحَقه، ورأيتُ النّبيذ قد شدّ من قلبه، كررت عليه صوتَه مِراراً، ثم قلتُ: حدِّثني حديثَكَ. فقال: أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجتُ مُتَنَزِّهاً في ظاهرها وقد سال العقيق[6]، في فتية من أقراني وأخداني[7]، فبصُرْنَا بقَيْنَاتٍ قد

(١) السكن: من يسكن الإنسان إليه، وهنا المحبوبة.
(٢) فاظت نفسه: مات.
(٣) الوطر: الحاجة.
(٤) المعذر: الذي يبدي عذره.
(٥) ينشج: يبكي مردّداً صوته في صدره دون أن يظهر.
(٦) العقيق موضع بالمدينة. (معجم البلدان ٤/١٣٨).
(٧) أخداني: أصدقائي.

خرجن لمثل ما خرجنا له، فجلسنَ حَجْرَةً منّا، وبَصُرْتُ فيهنّ بفتاةٍ كأنها قضيبٌ قد طَلَّه الندى، تنظر بعينين ما ارتدّ طرْفُهما إلا بنَفْسٍ من يُلاحِظهما. فأطلنا وأَطَلْن، حتى تفرَّق الناس، وانصرفن وانصرفنا، وقد أبقتْ بقلبي جُرْحاً بطيئاً اندِمالُه[1]. فعُدْتُ إلى منزلي وأنا وقيذ[2]. وخرجتُ من الغد إلى العقيق، وليس به أحدٌ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً. ثم جعلتُ أتتبَّعها في طُرُق المدينة وأسواقها، فكأنَّ الأرض أضمرتْها، فلم أُحسّ لها بعين ولا أثر، وسَقِمْتُ حتى أَيِسَ مِنّي أهلي. ودخلتْ ظِئري[3] فاستعلمتْني حالي، وضَمِنَتْ لي حالَها والسعي فيما أُحِبُّه منها؛ فأخبرتُها بقصَّتي، فقالت: لا بأسَ عليك! هذه أيام الربيع، وهي سَنَة خِصْب وأنواء[4]، وليس يَبْعُدُ عنك المَطَر، وهذا العقيق، فتخرُج حينئذٍ وأخرج معك، فإنَّ النسوة سيجئن. فإذا فعلن ورأيتُها تَبعْتُها حتى أعرف موضعها، ثم أصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها. فكأنّ نفسي اطمأنّت إلى ذلك، ووثِقتْ به وسَكَنَتْ إليه؛ فَقَوِيتُ وطَمِعْتُ وتراجعتْ نفسي، وجاء مطر بعَقِب ذلك، فأسالَ الوادِيَ، وخرج الناسُ وخرجتُ مع إخواني إليه، فجلسنا مجلسَنا الأوّل بعَيْنِه، فما كنّا والنسوة إلا كَفَرَسيْ رِهانٍ. وأومأتُ إلى ظئري فجلستْ حَجْرَةً منّا ومنهنّ، وأقبلتُ على إخواني فقلت: لقد أحسن القائلُ حيث قال: [الطويل]

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَقْصَدَ القَلْبَ وانْثَنَتْ ... وَقَدْ غَادَرَتْ جُرْحاً بِهِ ونُدُوبَا[5]

فأقبلَتْ على صواحباتِها فقالت: أحسنَ والله القائل، وأحسنَ من أجابه حيث يقول: [الطويل]

بِنَا مِثْلُ ما تَشْكُو، فَصَبْراً لَعَلَّنا ... نَرى فَرَجاً يَشْفي السَّقامَ قَرِيبَا

فَأمسكتُ عن الجواب خوفاً من أن يظهر مِنّي ما يَفْضَحُني وإيّاها، وعرفتُ ما أرادتْ. ثم تفرَّق الناس وانصرفنا، وتَبِعَتْهَا ظِئْري حتّى عرفتْ منزلَها، وصارت إليَّ فأخذتْ بيدي ومَضَيْنَا إليها. فلم تَزَلْ تَتَلَطَّف حتَّى وصلتُ إليها. فَتَلاقَيْنَا وتَدَاوَرْنَا

(١) اندمل الجرح: برىء.
(٢) الوقيذ: الصريع.
(٣) الظئر: المرضعة للولد.
(٤) الأنواء: جمع نوء، وهو المطر.
(٥) أقصد القلب: طعنه فأصابه.

على حالٍ مُخالَسَةٍ ومُراقبة. وشاع حديثي وحديثُها، وظهر ما بيني وبينها، فحجبها أهلُها، وتشدَّد عليها أبوها. فما زِلْتُ أجتهد في لقائِها فلا أقدِر عليه. وشكوتُ إلى أبي - لشدَّةِ ما نالني - حالي، وسألته خِطْبتَهَا لي. فمضى أبي ومَشْيَخةُ أهلي إلى أبيها فخطبوها. فقال: لو كان بَدَأ بهذا قبل أن يَفْضَحَهَا ويَشْهَرَهَا لأسعَفْتُهُ بما التمس، ولكنّه قد فَضَحَهَا، فلم أكُنْ لأُحَقِّقَ قولَ الناس فيها بتزويجه إياها، فانصرفتُ على يأسٍ منها ومن نَفْسِي. قال معبد: فسألته أن ينزلَ، فحبرَني[1] وصارت بيننا عِشْرَةٌ. ثم جلس جعفر بن يحيى للشُّرْبِ فأتيتُهُ، فكانَ أوَّلَ صوتٍ غنَّيته صوتي في شعر الفتى، فطَرِبَ عليه طَرَباً شديداً، وقال: ويحك! إنَّ لهذا الصوت حديثاً، فما هو؟ فحدثته، فأمر بإحضار الفتى، فأُحضر من وقته، واستعاده الحديثَ، فأعاده عليه. فقال: هي في ذِمَّتي حتى أُزَوِّجَكَ إيَّاها، فطابت نفسه، وأقام معنا ليلَتنا حتى أصبح. وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدَّثه الحديث، فعجب منه، وأمر بإحضارنا جميعاً، فأحضرنا، وأمر بأن أُغَنِّيه الصوتَ فَغَنَّيْته، وشرب عليه، وسَمِعَ حديثَ الفَتَى، فَأمرَ مِنْ وَقته بالكِتَاب إلى عامل الحِجازِ بإشخاص الرَّجُل وابنته وجميع أهله إلى حَضْرَتِهِ، فلم يمضِ إلا مسافة الطريق حتَّى أُحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فَأُوصِلَ، وخطب إليه الجاريةَ للفتى، وأقسم عليه ألا يُخالفَ أمرَهُ، فأجابه وزوّجه إيَّاها، وحَمَلَ إليه الرَّشيد ألفَ دينار لِجهازها، وألفَ دينارٍ لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألفِ دينارٍ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألف دينار. وكان المدنيّ بعد ذلك في جملة نُدَمَاء جعفر بن يحيى.

صوت

[المنسرح]

هَلْ نَفْسُكَ المُسْتَهامَةُ السَّدِمَهْ ... سالِيةٌ مَرَّةً ومُعْتَزِمَهْ[2]

عن ذِكْرِ خَوْدٍ قَضَى لَها المَلِكُ الْـ ... ـخالِقُ ألاَّ تُكِنَّها ظُلَمَهْ

الشعر لابن أبي الزوائد، والغناء لحَكَم رملٌ بالوُسْطى عن الهشاميّ.

---

(١) حبرني: سرّني: والحبور: السرور.

(٢) السَّدِمة: المهمومة.

أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

[اسمه ونسبه وعمله]

اسمه سُلَيْمَان بن يحيى بن زَيْدِ بن مَعْبد بن أَيُّوب بن هِلاَل بن عَوْفِ بن نضلَة بن عُصَيَّةَ بن نَصْر بن سَعْدِ بن بَكْر بن هوازِن بن مَنْصُور. ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً. شاعرٌ مُقِلٌّ، من مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتَيْنِ، وكان يَؤُمُّ الناسَ في مسجد رسول الله ﷺ.

[عشقه جارية وشعره فيها]

أخبرني بذلك محمد بن خَلَف وكيعٌ قال: حدّثنا ابن أبي خَيْثَمَة عن بعض رجاله عن الأصمعيّ، وأخبرني وكيعٌ قال: حدّثني طَلْحَة بن عبد الله الطَّلْحِيّ قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال:

كان ابن أبي الزوائد يَتَعَشَّق جاريةً سوداء مولاةَ الصُّهَيْبِيِّين[1]، وكان يَخْتَلِفُ إليها وهي في النَّخْلِ بحاجزة. فلما حان الجَدَادُ[2] قال: [المنسرح]

حُجَيْجُ أَمْسَى جَدَادُ حاجِزةٍ ... فَلَيْتَ أنَّ الجَدَادَ لَمْ يَحِنِ[3]

وشَتَّ بَيْنٌ وكُنْتِ لي سَكَناً ... فيما مَضى كان لَيْسَ بالسَّكَنِ[4]

قَدْ كانَ لي مِنْكِ ما أُسَرُّ بِهِ ... ولَيْتَ ما كانَ مِنْكِ لَمْ يَكُنِ

نَعِفُّ في لَهْونا ويَجْمَعُنَا الـ ... ـمَجْلِسُ بَيْنَ العَرِيشِ والجرُنِ[5]

---

(١) الصهيبيون: نسبة إلى صهيب الرومي صاحب رسول الله ﷺ.

(٢) الجداد: صرم النخل.

(٣) حجيج: منادى. وهو اسم علم على محبوبته.

(٤) شتّ: فرق. والبين: البعد.

(٥) الجُرُن: جمع جرين: موضع تجفيف التمر.

يُعْجِبُنَا اللَّهْوُ والحديثُ ولا نَخْلِط في لَهْوِنَا هَناً بِهِنِ
لَوْ قَدْ رَحَلْتُ الحِمارَ مُنْكَشِفاً لَمْ أرَها بَعْدَها ولَمْ تَرَني

فقال له أبو محمد الجُمَحِيُّ: إنَّ الشعراء يذكرون في شِعْرِهِمْ أنَّهم رَحَلُوا الإبل والنَّجائب، وأنتَ تذكر أنَّك رَحَلْتَ حماراً. فقال: ما قلتُ إلاَّ حقّاً، والله ما كان لي شيء أرْحَلُهُ غيره. قال: وقال فيها أيضاً: [السريع]

يا لَيْتَ أنَّ العَرَبَ اسْتَلْحَقُوا رِيمَ الصُّهَيْبِيِّينَ ذاكَ الأجَمّ[1]
وَكانَ مِنْهُمْ فَتَزَوَّجْتُهُ أوْ كُنْتُ مِنْ بَعْضِ رِجالِ العَجَمْ

أخبرني وكيع قال: حدّثني طلحة بن عبد الله بن الزُّبير بن بَكَّار عن عَمِّه، قال: كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عُبيدة عنه، فهجره من أجله، فهجاه؛ فقال: [مجزوء الكامل]

قَطَعَ الصَّفاءَ ـ وَلَمْ أكُنْ أهْلاً لِذاك ـ أبُو عُبَيْدَهْ
لا تَحْسَبَنَّكَ عاقِلاً فَلأنْتَ أحْمَقُ مِنْ حُمَيْدَهْ

حميدة: امرأة كانت بالمدينة رعناء يُضْرَب بها المَثَلُ في الحمق.

[بعض أخباره وشعره]

حدّثني عمِّي ووكيع قالا: حدّثنا الكُرَانيّ عن أبي غسَّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال: دخل ابن أبي الزوائد إلى حَمَّاد بن عِمْرَان الطّليحي، وكان يُلَقَّبُ بعُطْعُط، وكان له قِيانٌ يسمعهنَّ الناسُ عنده، فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فيهنّ: [المتقارب]

أقُولُ وَقَدْ صُفَّتِ البُظْرُ لي: أَلِلْبُظْرِ أدْخَلَنِي عُطْعُطُ؟
فَإنِّي امْرُؤٌ لا أُحِبُّ الزِّنَى ولا يَسْتَفِزُّنِي البَرْبَطُ[2]
وَلَوْ بَعْضُهُنَّ ابْتَغَى صَبْوَتِي لَخالَطَ هامَتَها المِخْبَطُ[3]
لَبِئْسَ فِعالُ امْرِىءٍ قَدْ قَرَا وهَمَّتْ عَوَارِضُهُ تَشْمَطُ[4]

---

(١) الأجم: المقطوع القرنين.
(٢) البربط: العود.
(٣) المخبط: ما يخبط به الورق.
(٤) قرا: قرأ، خففت همزته. وأراد: قرأ القرآن. وشمطت عوارضه: شابت. والعوارض: جمع عارضة وهي صفحة الخدّ.

وما كُنْتُ مُفْتَرِشاً جارَتي وسَيِّدُها نائِمٌ يَضْرِطُ
أُفْرِغُ في جارَتي نُطْفَةً حَراماً كَما يُفْرَغُ المُسْعُطُ[1]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثني أبو هفّان قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: حدّثني المُسَيَّبي: أنَّ ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصاريَّة، فطال لُبْثُها عنده حتى مَلَّها وأبغضها، فقال يهجوها: [الكامل]

يا رَمْلُ أَنْتِ الغُولُ بَيْنَ رِمَالِ لَمْ تَظْفَري بِتُقًى ولا بِجَمَالِ
يا رَمْل لَوْ حُدِّثْتُ أَنَّكِ سَلْفَعٌ شَوْهَاءُ كالسِّعْلاةِ بيبن سَعَالي[2]
ما جاءَ يَطْلُبُكِ الرَّسُولُ بِخِطْبَةٍ مِنّي ولا ضُمَّت عَلَيْكِ حِبالي
وَلَقَدْ نَهَى عَنْكِ النَّصيحُ وقالَ لي: لا تَقْرِنَنَّ بَذِيَّةً بِعِيالِ
لَمَّا هَزَزْتُ مُهَنَّدي وقَذَفْتُهُ فِيها وَقَدْ أَرْهَفْتُهُ بِصِقَالِ
رَجَعَ المُهَنَّدُ ما لَهُ مِنْ حِيلَةٍ وَهُناكَ تَضْعُبُ حِيلَةُ المُحْتالِ
وَكَأنَّما أَوْلَجْتُهُ في قُلَّةٍ قَدْ بُرِّدَتْ لِلصَّوْمِ أو بوقالِ[3]
وَرَأَيْتُ وَجْهاً كاسِفاً مُتَغَيِّراً وحِراً أَشَقَّ كَمِرْكَنِ الغَسَّالِ[4]
ما كانَ أَيْرُ الفِيلِ بالِغَ قَعْرِهِ بِتَحامُلٍ عَنْهُ ولا إِدْخالِ
وَلَقَدْ طَعَنَت مَبالَها بِسُلاحِها فَوَجَدْتُ أَخْبَثَ مَسْلَحٍ وَمَبَالِ

قال: وقال لها وقد فخرَتْ: [الكامل]

هلاَّ سَأَلْتِ مَنازِلاً بِغُرارِ عَمَّنْ عَهِدْتُ مِنَ الأَحْرَارِ[5]
أَيْنَ انْتَأَوْا ونحاهُمُ صَرْفُ النَّوَى عَنَّا وصَرْفُ مُقَحِّمٍ مِغْيَارِ[6]
كَرِهَ المُقَامَ وظَنَّ بي وَبِأَهْلِها ظَنَّاً فَكانَ بِنا عَلى إِضْرارِ
عُدِّي رِجالَكِ واسْمَعِي يا هَذِهِ عَنّي مَقالَةَ عالِمٍ مِفْخَارِ
سأَعُدُّ ساداتٍ لنا ومَكارِماً وأُبُوَّةً لَيْسَتْ عَلَيَّ بِعَارِ
قَيْسٌ وخِنْدِفُ والدايَ كِلاهُما والعَمُّ بَعْدُ رَبِيعَةُ بْنُ نِزارِ

(١) المسعط: ما يوضع فيه السعوط، ويصب منه في الأنف.
(٢) السلفع: الصخابة البذيئة السيئة الخلق.
(٣) القلة: جرة من الفخار. والوقال: كوز بلا عروة.
(٤) المركن: وعاء تغسل فيه الثياب.
(٥) الغُرار: جبل بتهامة. (معجم البلدان ٤/ ١٩٠).
(٦) قحم نفسه في الشيء: أدخلها فيه.

مَنْ مِثْلُ فارِسِنا دُرَيْدٍ فارِساً ... في كُلِّ يَوْمِ تَعانُقٍ وكِرارِ[١]
وَبَنُو زِيادٍ مَنْ لِقَوْمِكَ مِثْلُهُمْ ... أو مِثْلُ عَنْتَرَةَ الهِزَبْرِ الضّاري[٢]
والحَيُّ مِنْ سَعْدٍ ذُؤابَةُ قَوْمِهِمْ ... والفَخْرُ مِنْهُمْ والسَّنامُ الواري
والمانِعُونَ مِنَ العَدُوِّ ذِمارَهُمْ ... والمُدْرِكُونَ عَدُوَّهم بالثّارِ
والنّاكِحونَ بَناتِ كُلِّ مُتَوَّجٍ ... يَوْمَ الوَغَى غَصْباً بلا إمْهارِ[٣]
وَبَنُو سُلَيْمٍ نُكْلُ مَنْ عاداهُمُ ... وحَيا العُفاةِ ومَعْقِلُ الفُرّارِ[٤]
لَيْسوا بِأَنْكاسٍ إذا حاسَتْهُمُ الـ ... ـمَوْتَ العُداةُ وصَمَّموا لِمُغارِ[٥]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه قال:

كان ابن أبي الزوائد وَفَد إلى بغداد في أيّام المهديّ، فاستوخمها، فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غسّان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً: [الخفيف]

يابْنَ يَحْيَى ماذا بَدا لَكَ ماذا ... أمُقامٌ أمْ قَدْ عَزَمْتَ الخِياذا[٦]
فالبَراغِيثُ قَدْ تَثَوَّرَ مِنْها ... سامِرٌ ما نَلُوذُ مِنْها مَلاذَا[٧]
فَتَحُكُّ الجُلُودَ طَوْراً فَتَدْمَى ... وَنَحُكُّ الصُّدورَ والأفخاذَا
فَسَقَى اللهُ طَيْبَةَ الوَبْلَ سَحّاً ... وَسَقَى الكَرْخَ والصَّراةَ الرَّذاذَا[٨]
بَلْدَةٌ لا تَرَى بِها العَيْنُ يَوْماً ... شارِباً لِلنَّبِيذِ أو نَبّاذَا
أوْ فَتًى ماجِناً يَرَى اللَّهْوَ والبا ... طِلَ مَجْداً أو صاحِباً لَوّاذا[٩]
هٰذِهِ الذّالُ فاسْمَعُوها وهاتُوا ... شاعِراً قالَ في الرَّوِيِّ على ذَا
قالَها شاعِرٌ لَوَ انَّ القَوافي ... كُنَّ صَخْراً أطارَهُنَّ جُذاذَا[١٠]

(١) دريد: هو دريد بن الصمة شاعر شجاع من المعمرين كان سيد بني جشم.
(٢) الهزبر: الأسد.
(٣) الإمهار: دفع صداق المرأة.
(٤) النكل: الهلاك، والموت. والحيا: الخصب والمطر. والعافي: طالب المعروف.
(٥) الأنكاس: جمع نكس، وهو الذليل الضعيف. وحاس: أذاق. والمغار: الإغارة.
(٦) الخياذ: الفراق، البعد.
(٧) تثوّر: هاج، ثار.
(٨) طيبة: المدينة المنورة. والوبل: المطر الشديد. والكرخ: محلة بالبصرة. والصراة: نهر ببغداد. والرذاذ: المطر الخفيف.
(٩) اللوّاذ: من يلاذ به.
(١٠) جذاذا: قطعاً، واحدتها: جذاذة.

قال الزبير: وأنشدني له أبو غَسَّان محمد بن يحيى، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجَوَّاب، والآخر أبو أيُّوب، فسقياه نبيذاً على أنه طَرِيٌّ لا يُسْكِر، فأسكره، فقال: [الوافر]

سَقَانِي شرْبةً فَسَكِرْتُ مِنْها ... أبُو الجَوَّابِ صاحِبيَ الخَبِيثُ
وعاوَنَهُ أبُو أيُّوبَ فِيها ... ومِنْ عاداتِهِ الخُلُقُ الخَبِيثُ
فلمَّا أنْ تَمَشَّتْ في عِظامِي ... وهَمَّتْ وثْبَتِي مِنْها تَرِيثُ[1]
عَلِمْتُ بِأنَّني قَدْ جِئْتُ أمْراً ... تَسُوءُ بِهِ المَقالَةُ والحَدِيثُ
فَدَعْهُم - لا أبا لك - واجْتَنِبْهُمْ ... فإنَّ خَلِيطَهُمْ لَهُوَ اللَّوِيثُ[2]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين: [المنسرح]

كالشَّمْسِ في شَرْقِها إذا سَفَرَتْ ... عَنْها ومِثْلُ المَهَاةِ مُلْتَثِمَهْ
ما صَوَّرَ الله حِينَ صَوَّرها ... في سائِرِ النَّاسِ مثلَها نَسَمَهْ
كُلَّ بِلادِ الإلهِ جِئْتُ فَما ... أبْصَرْتُ شِبْهاً لَها - وَقَدْ عَلِمَهْ -
أُنْثَى من العالمين تُشْبِهُهَا ... عابِسةً هَكَذا ومُبْتَسِمَهْ
فَتَّانَةُ المُقْلَتَيْنِ مُخْطَفَةُ الـ ... أحْشاءِ مِنْها البَنَانُ كالعَنَمَهْ[3]
إذا تَعاطَتْ شَيْئاً لِتَأخُذَهُ ... قُلْتَ غَزَالٌ يَعْطُو إلى بَرَمَهْ[4]
يا طِيبَ فِيها وطِيبَ قُبْلَتِها ... والقُرْبِ مِنْها في اللَّيلة الشَّبِمَهْ[5]
إنَّ مِنَ اللَّذَّةِ الَّتِي بَقِيَتْ ... غِشيانَكَ الخَوْدَ مِنْ بَنِي سَلَمَهْ
لا تَهْجُرِ الخَوْد إنْ تُغالِ بِها ... بَعْدَ سُلُوٍّ، وَقَبْلَ ذاكَ فَمَهْ[6]
آتِي مُعِدّاً لَها الكَلامَ فَما ... أنْطِقُ مِنْ هَيبةٍ ولا كَلِمَهْ
أُحِبُّ والله أنْ أزورَكُمُ ... وَحْدِي كذا أوْ أزُورَكم بِلُمَهْ[7]
هذا الجَمالُ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ ... سُبْحانَ ذي الكِبْرِياءِ والعَظَمَهْ
مَنْ أبْصَرَتْ عَيْنُهُ لَها شَبَهاً ... حَلَّ عَلَيْهِ العَذابُ والنَّقِمَهْ

---

(١) تريث: تبطيء.
(٢) اللويث: الأحمق.
(٣) مخطفة: ضامرة. والعنم: نبات ثمره قرمزي يتخذ خضاباً.
(٤) يعطو: يتناول. والبرمة: ثمرة الطلح أو الأراك.
(٥) الليلة الشبمة: الليلة الباردة.
(٦) مه: اسكت (اسم فعل أمر).
(٧) اللمة: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة والعشرة.

صوت

يا هِنْدُ يا هِنْدُ نَوِّلي رَجُلاً وَكَيْفَ تَنْويلُ مَنْ سَفَكْتِ دَمَهْ
أَوْ تُدْرِكي نَفْسَهُ فَقَدْ هَلَكَتْ أو تَرْحَمِيهِ فمِثْلُكُم رَحِمَهْ

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن جعفر بن قادمٍ مولى بني هاشم قال: حدّثني عمّي أحمدُ بن جعفر عن ابن دَأْب قال:

خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السّعْلاء ومعنا مُصْعَبُ بن عبد الله النَّوْفَليُّ وثابتٌ والزُّبَير ابنا خُبَيْبِ بن ثابت بن عبدالله بن الزُّبَيْر وابنُ أبي الزوائد السعدي وابنُ أبي ذئب مُتَنَزِّهين إلى العَقِيق، وقد سال يومئذ، إذ أتانا آتٍ ونحن جُلوس، فسألناه عن الخبر بالمدينة؟ فقال: وَرَد كتابُ أمير المؤمنين المنصور أن لا تتزوَّج مَنافيّةٌ[1] إلا مَنافِيّاً. قال ابن أبي ذِئْب: إذن والله لا يَخْطُب قرشيٌّ إلاَّ منْ لا يُحبُّها، ولا يَرْغَب فيمن لا يرغب فيها ممن لا فضلَ له عليها، وكان غيرَ حسن الرأي في بني هاشم. وتكلم ابنا خُبَيْبٍ بمثل ذلك، وقال أحدُهما: إنَّ نَسَبَنا من بني عبد مناف قد طال، فأدالنا[2] الله منهم. قال: فغَضِبَ مُصْعَبٌ النَّوْفَلِيُّ وكان أحْوَلَ فازدادَت عيناه انقلاباً، فقال: أمّا أنت يابن أبي ذِئْب فوالله ما شرَّفَتْك جاهليَّة ولا رَفَعَك إسلام، فيقَع في بال أحد أنَّك عُنيتَ بما جَرَى. وأما أنتما يَاْبَنَيْ خُبَيْب فبغضُكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث، ولا يزال يتجدَّد كلَّما ذكرتم قَتْلَ الزُّبَيْر[3]، وإنَّكم لمن طينتين مختلفتين: أما إحداهما فمِنْ صَفِيَّة[4]، وهي الطِّينة الأَبْطَحِيَّة السَّنِيَّة، تَنْزِعانِ إليها إذا نافرتما[5]، وتَفْخَران بها إذا افتخرتما، والأُخرى الطِّينة العَوَّامِيَّة التي تَعْرِفانها، ولو شِئْتُ أن أقول لقلتُ، ولكنَّ صفِيَّةَ تَحْجُزُني، فأَحْسِنَا الشُّكْرَ لِمَنْ رَفَعكما، ولاَ تَمِيلاَ عليه بمن وضعكما. فقالا له: مَهْلاً، فوالله لَقديمُنا في الإسلام أفضلُ من قَدِيمك، ولَحَظُّنا فيه بالزُّبَيْر أفضلُ من حَظِّكَ. فقال مُصْعَبٌ:

---

(١) منافيّة: من بني عبد مناف.
(٢) أدالنا منهم: نصرنا عليهم.
(٣) الزبير: هو الزبير بن العوام.
(٤) صفية: صفية بنت عبد المطلب زوج الزبير وعمة رسول الله ﷺ.
(٥) المنافرة: المفاخرة.

والله ما تَفْخَرانِ في نَسَبِكما إلاَّ بعَمَّتي، ولا تَفْضُلان في دِينكما إلاَّ بابن عمِّي صلَّى الله عليه وسلم؛ فَمَفاخِرهُ لي دونكما. ثم تفرقوا؛ فقال ابن أبي الزوائد: [الطويل]

لَعَمْرُكُما يا ابْنَيْ خُبَيْبِ بْنِ ثابِتٍ ... تَجاوَزْتُما في الفَخْرِ جَهْلاً مَداكما
وَأَنْكَرْتُما فَضْلَ الَّذِينَ بِفَضْلِهِمْ ... سَمَتْ بَيْنَ أَيْدي الأكْرَمِينَ يَداكُمَا
فإنَّكما لَمْ تَعْرِفَا إذْ سَمَوْتُمَا ... إلى العِزِّ مِنْ آل النَّبِيِّ أباكُما
وَلَمْ تَعْرِفا الفَضْلَ الَّذِي قَدْ فَخَرْتُما ... فَلَيْسَ مِنَ العَوَّام حَقّاً أتاكُما
فَلَوْلا الكِرامُ الغُرُّ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... - لَمْ تَجْهَلا - لَمْ تدفَعا مَنْ رَماكُما

صوت

[مجزوء الوافر]

مُحِبٌّ صَدَّ آلِفُهُ ... فَلَيْسَ لِلَيْلِهِ صُبْحُ
يُقَلِّبُهُ على مَضَضٍ ... مَواعِدُ ما لَها نُجْحُ
لَهُ في عَيْنِهِ غَرْبٌ ... وفي أحْشائِهِ جُرْحُ[1]
صَحَا عَنْهُ الَّذي يَرْجُو ... زِيَارَتَهُ وما يَصْحُو

الشعر لأبي الأسدِ، والغناء لعَلُّويه، هَزَجٌ بالوُسطى وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى.

(١) الغرب: الدمع.

أخبار أبي الأسد ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٢٠هـ /نحو سنة ٨٣٥م]

[اسمه ونسبه وبعض سماته]

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تِينَةَ عن القَحْذَميّ، نُبَاتةُ بن عبد الله الحِمَّانيّ. وذكر أبو هَفَّانَ المِهْزَميُّ أنَّه من بني شَيْبَان. وهو شاعر مطبوع متوسِّط الشِّعْر، من شعراء الدولة العبَّاسية من أهل الدِّينَوَر[١]. وكان طَبّاً[٢] مليحَ النَّوادِر مَزَّاحاً خبيثَ الهجاء، وكان صديقاً لعَلُّويهْ المُغَنِّي الأعسر، يُنادمه ويُواصل عِشْرَته ويَصِلُه عَلُّويه بالأكابر، ويُعَرِّضُه للمنافع، وله صنعةٌ في كثير من شعره.

[بعض أخباره وشعره]

فأخبرني عمّي قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدَّثني محمد بن محمد الأبزاري[٣] قال: كان أبو الأسَد الشاعر صديقاً لعلويه، وكان كثيراً ما يغنّي في شعره. فدعانا عَلُّويه ليلةً، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعَاذ وكانت تأخذ عنه الغناء ـ أن تزورَه تلك الليلَة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغِناءً، وكان عَلُّويه يَهِيمُ بها، فانتظرناها حتى أَيِسْنا منها احتباساً. فقال علويه لأبي الأسَد: قُلْ في هذا شعراً؛ فقال: [مجزوء الوافر]

مُـحِـبٌّ صَـدَّ إِلْـفُـهُ فَـلَـيْـسَ لِـلَـيْـلِـهِ صُـبْـحُ

(١) الدينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين بفارس. (معجم البلدان ٢/ ٥٤٥).
(٢) الطبّ: الحاذق، الماهر.
(٣) الأبزاري: نسبة إلى أبزار وهي قرية بالقرب من نيسابور. (معجم البلدان ١/ ٧٢).

صحا عنه الَّذي يرجو زيارته وما يصحو

قال: فصَنَع علويه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيدي الناس، وغنَّانا فيه؛ فلم نَزَلْ نشرب عليه حتى أصبحنا. وصنع في تلك الليلة بحَضْرتنا فيه الرَّمَلَ في شعر أبي وَجْزَة السَّعْدِيِّ: [الخفيف]

قَتَلَتْنِي بِغَيْرِ ذَنْبٍ قَتُولُ وحَلاَلٌ لَها دَمِي المطلُولُ
ما على قاتِلٍ أصابَ قَتِيلاً بِدَلاَلٍ ومُقْلَتَيْنِ سَبِيلُ

أخبرني الحسن بن عليٍّ الخَفَّاف قال: حدَّثنا ابن مهرويه قال: حدَّثني أبو هَفَّان قال: كتب أبو الأسَد وهو من بني حِمَّان إلى موسى بن الضَّحَّاك: [الوافر]

لِموسَى أعْبُدٌ وأنا أخُوهُ وصاحِبه، وما لي غَيْرُ عَبْدِ
فَلَوْ شاءَ الإِلٰهُ وَشاءَ مُوسَى لآنَسَ جانِبِي فَرَجٌ بِسَعْدِ

قال: و«فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبي الأسَد، و«سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد، وقاسمه بعدَه بقيَّة غِلْمانه، فأخذ شَطْرَهم وأعطاه شَطْرَهم.

[هجاؤه ابن أبي دواد وسببه]

أخبرني محمد الخُزاعِيّ قال: حدَّثني العَبَّاس بن ميمون طائع قال:

هجا أبو الأسد أحمد بن أبي دوادٍ فقال: [الكامل]

أنْتَ امْرُؤٌ غَثُّ الصَّنِيعَةِ رَثُّها لا تُحْسِنُ النُّعْمَى إلى أمْثالي
نُعْمَاك لا تَعْدُوكَ إلاَّ في امْرِىءٍ في مَسْكِ مِثْلِك مِنْ ذَوي الأشْكَالِ[1]
وإذا نَظَرْتَ إلى صَنِيعِك لَمْ تَجِدْ أحَداً سَمَوْتَ بِهِ إلى الإفْضالِ
فاسْلَمْ بِغَيْرِ سَلاَمَةٍ تُرْجَى لَها إلاَّ لِسَدِّكَ خَلَّةَ الأنْذَالِ[2]

قال: فأدَّى إليه سَلاَمةُ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشةَ هذه الأبيات عن أبي الأسَد، فبعث إليه ببُرْد واسْتَكَفَّه[3]، وبعث بابن عائشة إلى مَظَالِمِ مَا

(١) المسك: الجلد.
(٢) الخلّة: الحاجة، الفقر.
(٣) استكفّه: طلب منه أن يكفّ.

سَبَذَانَ[١]، وقال له: قد شَرِكْتَه في التَّوبيخ لنا فشَرِكْنَاكَ في الصَّفْقَةِ، فإنْ كنتما صادِقَيْنِ في دَعْوَاكما كنتما من الأنذال، وإن كنتُما كاذبين فقد جُزِيتُما بالقبيح حَسَناً.

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدَّثنا محمد بن الحسن بن الحَرُون قال: كان سَبَبُ هجاء أبي الأسَدِ أحمدَ بن أبي دُوَادٍ أنَّه مَدَحه فلم يُثِبْه، ووَعَده بالثواب ومَطَلَه؛ فكتب إليه: [المنسرح]

لَـيْـتَـكَ إذْ تُـبْـتَـنِـي بِـواحِـدَةٍ ... تُـقْـنِـعُـنِـي مِـنْـكَ آخِـرَ الأَبَـدِ
تَـحْـلِـفُ ألاَّ تَـبَـرَّنِـي أبَـداً ... فـإنَّ فِـيـهـا بَـرْداً عـلـى كَـبِـدي
اشْـفِ فُـؤادي مِـنِّـي فـإنَّ بِـهِ ... مِـنِّـيَ جُـرْحـاً تَـكَـأْتُـهُ بِـيَـدِي
إنْ كـانَ رِزْقـي إلَـيْـكَ فـارْمِ بِـهِ ... فـي نـاظِـرَيْ حَـيَّـةٍ عـلـى رَصَـدِ[٢]
قَـدْ عِـشْـتُ دَهْـراً ومـا أُقَـدِّرُ أنْ ... أرْضَـى بِـمـا قَـدْ رَضِـيـتُ مِـنْ أحَـدِ
فَـكَـيْـفَ أخْـطَـأْتُ! لا أصَـبْـتُ ولا ... نَـهَـضْـتُ مِـنْ عَـثْـرَةٍ إلـى سَـدَدِ
لَـوْ كُـنْـتُ حُـرّاً كَـمـا زَعَـمْـتُ وَقَـدْ ... كَـدَدْتَـنِـي بـالـمِـطـالِ لَـمْ أعُـدِ[٣]
صَـبَـرْتُ لـمَّـا أسَـأْتَ بـي، فـإذا ... عُـدْتُ إلـى مِـثْـلِـهـا فـعُـدْ وعُـدِ
فـإنَّـنِـي أهْـلُ ذاكَ فـي طَـمَـعِـي ... وفـي خَـطَـائـي سَـبِـيـلَ مُـعْـتَـمِـدِ
أبْـعَـدَنِـي اللهُ حِـيـنَ يَـحْـمِـلُـنـي ... حِـرْصِـي عـلـى مِـثْـلِ ذَا مِـنَ الأوَدِ[٤]
الآنَ أيْـقَـنْـتُ بَـعْـدَ فِـعْـلِـكَ بـي ... أنِّـيَ عَـبْـدٌ لأعْـبُـدٍ قُـفُـدِ[٥]
فـصِـرْتُ مِـنْ سُـوءِ مـا رُمِـيـتُ بِـهِ ... أُكْـنَـى أبـا الـكَـلْـبِ لا أبـا الأسَـدِ

أخبرني عليّ بن الحسين بن عبد السميع المَرْوَزِيّ الوَرَّاق قال: حدَّثني عيسى بن إسماعيل تينةُ عن القَحْذَميّ قال: كان أبو الأسد الشاعر ـ واسمه نُبَاتة بن عبد الله الحِمَّاني ـ منقطعاً إلى الفَيْض بن صالح وزير المَهْدِيِّ، وفيه يقول: [الطويل]

وَلائِمَةٍ لامَتْكَ يا فَيْضُ في النَّدَى ... فَقُلْتُ لَها لَنْ يَقْدَحَ اللَّوْمُ في البَحْرِ
أرادتْ لِتَنْهَى الفَيْضَ عَنْ عادَةِ النَّدَى ... ومَنْ ذا الَّذِي يَثْني السَّحابَ عَنِ القَطْرِ؟

(١) ماسبذان: كورة بفارس. (معجم البلدان ٥/ ٤١).
(٢) الرصد والمرصد: مكان الرصد، ومرصد الحية: مكمنها.
(٣) كددتني: أنهكتني. والمطال: المماطلة.
(٤) الأود: الاعوجاج.
(٥) القُفُد: جمع أقفد، وهو المسترخي العنق، أو الغليظه.

مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ في كُلِّ بَلْدَةٍ مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ في البَلَدِ القَفْرِ
كَأَنَّ وُفودَ الفَيْضِ لما تَحَمَّلُوا إلى الفَيْضِ لاقَوْا عِنْدَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ

وكان أبو الأسد قَبْلَه منقطعاً إلى أبي دُلَف مُدَّة، فلمَّا قَدِم عليه عليُّ بن جَبَلة العَكَوَّكُ غَلَب عليه وسقطتْ منزلةُ أبي الأسَدِ عنده، فانقطع إلى الفيض بعد عَزْله عن الوزارة ولزومِه منزلَه، وذلك في أيام الرشيد. وفيه يقول: [الوافر]

أَتَيْتُ الفَيْضَ مُشْتَكِياً زَمَاني فأَعْدَانِي عَلَيْهِ جُودُ فَيْضِ[1]
وفاضَتْ كَفُّه بالبَذْلِ مِنْهُ كما كَفُّ ابْنِ عِيسَى ذاتُ غَيْضِ[2]

[مدح وهجاء وعتاب ورثاء]

أخبرني عيسى بن الحسَين قال: حدّثني ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليُّ بن الحسن بن الأعرابي قال: سأل أبو الأسَد بعضَ الكُتَّاب، وهو عليُّ بن يحيى المنجِّم، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء، فلم يفعل. وبلغ حَمْدُونَ بن إسماعيل الخبرُ، فسأل له فيها مبتدئاً ونَجَزها وأنفذها إليه. فقال أبو الأسد يهجو الرجلَ الذي كان سأله الحاجةَ، ويمدَح حمدونَ بن إسماعيل: [البسيط]

صُنْعٌ مِنَ اللهِ! أنّي كُنْتُ أعْرِفُكُم قَبْلَ اليَسَارِ وَأَنْتُمْ في التَّبَابِينِ[3]
فَما مَضَتْ سَنَةٌ حَتى رَأَيْتُكُمُ تَمْشُونَ في القَزِّ والقُوهِيِّ واللِّينِ[4]
وفي المَشَارِيقِ ما زالتْ نِساؤكُم يَصِحْنَ تَحْتَ الدَّوالي بالوَرَاشِينِ[5]
فَصِرْنَ يَرْفُلْنَ في وَشْيِ العِرَاقِ وفي طَرائِفِ الخَزِّ مِنْ دُكْنٍ وطَارُونِي[6]
أُنْسِينَ قَطْعَ الحُلاَوَى مِنْ مَعَادِنِها وَحَمْلَهُنَّ كَشُوثاً في الشَّقابِينِ[7]

---

(١) أعداني: نصرني، أعانني.
(٢) غاض الماء غيضاً: قلّ، نقص.
(٣) التبابين: جمع تبّان، وهو سروال قصير.
(٤) القزّ: الحرير. والقوهي: ثياب منسوبة إلى قوهستان.
(٥) المشاريق: جمع مشراق أو مشريق، وهو موضع القعود في الشمس بالشتاء. والوراشين: جمع ورشان، وهي طائر يشبه الحمامة.
(٦) رفل: جرّ ذيله. ودكن: جمع أدكن، وهو الأسود. والطاروني: ضرب من الخز.
(٧) الحلاوي: نبتة شائكة زهرتها صفراء. والكشوث: نبت أصفر. والشقابين: جمع شقبان وهو مخلاة يجمع فيها الزارع الحشائش.

حَتَّى إذا أيْسَرُوا قالُوا ـ وَقَدْ كَذَبُوا ـ   نَحْنُ الشَّهاريجُ أَوْلادُ الدَّهاقِينِ(١)
في آسْتِ أمِّ ساسانَ أَيْرِي إنْ أقرّ بكم   وأيْرُ بَغْلٍ مُشِظٌّ في آسْتِ شِيرينِ(٢)
لَوْ سِيلَ أوْضَعُهُم قَدْراً وأنْذَلُهم   لَقال مِنْ فَخْرِهِ إنِّي ابْنُ شُوبِينِ(٣)
وَقالَ أقْطَعَنِي كِسْرَى وَوَرَّثَنِي   فَمَنْ يُفَاخِرُنِي أَمْ مَنْ يُنَاوِينِي(٤)
مَنْ ذا يُخَبِّر كِسْرَى وهو في سَقَر   دَعْوَى النَّبِيطِ وَهُمْ بَيْضُ الشَّياطِينِ
وَأنَّهُمْ زَعَمُوا أنْ قَدْ وَلَدْتَهُمُ   كما ادَّعى الضَّبُّ إني نُطْفةُ النُّونِ(٥)
فَكانَ يَنْحَزُ جَوْفَ النّارِ واحِدَةً   تَفْرِي وتَصْدَعُ خَوْفاً قَلْبَ قارونِ(٦)
أما تَراهُمْ وَقَدْ حَطُّوا بَرادِعَهُمْ   عَنْ أُتْنِهِمْ وآسْتَبَدُّوا بالبَرَاذِينِ
وَأفْرَجُوا عَنْ مَشاراتِ البُقولِ إلى   دُورِ المُلوكِ وَأبْوابِ السَّلاطِينِ
تَغْلي على العُرْب مِنْ غَيْظٍ مَراجِلُهُمْ   عَداوَةً لِرسول الله في الدِّينِ
فَقُلْ لَهُمْ وهُمْ أَهْلٌ لِتَزْنِيَةٍ   شَرَّ الخَلِيقةِ يا بُخْرَ العَثَانِينِ(٧)
ما النّاسُ إلا نِزارٌ في أرُومَتِها   وهاشِمٌ سُرْجُها الشُّمُّ العَرانِينِ(٨)
والحَيُّ مِنْ سَلَفَيْ قَحْطانَ إنَّهُمُ   يُزْرُونَ بالنَّبَطِ اللُّكْنِ المَلاعِينِ
فَما على ظَهْرِها خَلْقٌ لَهُ حَسَبٌ   مِمّا يُناسِبُ كِسْرَى غَيْرُ حَمْدونِ
قَرْمٌ عَلَيْهِ شَهَنْشاهِيَّةٌ وَنَباً   يُنْبيكَ عَنْ كِسْرويِّ الجَدِّ مَيْمُونِ(٩)
وإنْ شَكَكْتَ فَفي الإيوانِ صُورتُهُ   فانْظُرْ إلى حَسَبٍ بادٍ وَمَخْزونِ

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر أنّ أبا الأسَد زار أبا دُلَف في الكَرَج(١٠)، فحُجِب عنه أياماً، فقال يعاتبه وكتب بها إليه: [الخفيف]

لَيْتَ شِعْري أضاقَتِ الأرْضُ عَنّي   أمْ بِفَجٍّ أنا الغَداةَ طَرِيدُ؟
أمْ أنا قانِعٌ بأدْنى مَعاشٍ   هِمَّتي القُوتُ والقَليلُ الزَّهِيدُ

(١) الشهاريج: جمع شهرج، وهو سيد القوم.
(٢) المشظّ: المنعظ، المغتلم.
(٣) سيل: سئل. وشوبين: هو بهرام جوبين قائد الجيش لدى هرمز بن أنوشروان.
(٤) يناويني: يخاصمني.
(٥) النون: الحوت.
(٦) ينحز: يضرب بجمع كفه.
(٧) البُخر: جمع أبخر وهو الذي تصدر من فمه رائحة نتنة. والعثانين: هنا الأفواه.
(٨) العرانين: الأنوف. وشم العرانين: كناية عن المكانة العالية والعز.
(٩) شهنشاهية: نسبة إلى شهنشاه، وهو ملك الملوك.
(١٠) الكرج: مدينة بين همذان وأصفهان. معجم البلدان (٤/٤٤٦).

مِقْوَلِي قاطِعٌ وَسَيْفِي حُسَامٌ ... ويَدِي حُرَّةٌ وَقَلْبِي شَدِيدُ
رُبَّ بابٍ أعزَّ مِنْ بابِكَ اليَوْ ... مَ عَلَيْهِ عَسَاكِرٌ وجُنودُ
قَدْ ولَجْناهُ داخِلِينَ غُدُوّاً ... ورَوَاحاً وأَنْتَ عَنْهُ مذُودُ[1]
فاكْفُف اليَوْمَ مِنْ حِجَابِكَ إذْ لَسْـ ... ـتَ أمِيراً ولا خَمِيساً تَقُودُ[2]
واغْتَرِبْ في فَدافِدِ الصّدِّ إذْ لَسْـ ... ـتُ أسِيراً ولا عَلَيّ قُيُودُ[3]
لا يُقِيمُ العَزِيزُ في بَلَدِ الهُو ... نِ ولا يُكْبَتُ الأرِيبُ الجَلِيدُ[4]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هَفَّانَ لأبي الأسَد في صديق له يقال له بِسْطام كان بَرّاً به ـ قال: وهذا من جَيِّد شعره، وقد سرق البُحْتُرِيُّ معناه منه في شعر مدح به عليَّ بن يحيى المنجِّمَ ـ: [البسيط]

أغْدُو على مالِ بِسْطام فأنْهَبُهُ ... كما أشاءُ فلا تُثْنَى إلَيَّ يَدِي
حَتَّى كأنِّيَ بِسْطامٌ بِما أحْتَكَمْتُ ... فِيهِ يَداي وبِسْطامٌ أبو الأسَدِ

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدّثني أبو هَفَّان، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني أبو أيوب المَدِيني قال: حدّثنا أبو هَفّان قال: حدّثني أبو دِعامةَ قال: لمَّا مات إبراهيم المَوْصِليُّ قِيل لأبي الأسَدِ ـ وكان صديقَه ـ ألا تَرْثيه؟ فقال يرثيه: [الوافر]

تَوَلَّى المَوْصِلِيُّ فَقَدْ تَوَلَّتْ ... بَشَاشاتُ المَزَاهِرِ والقِيَانِ
وأيُّ مَلاَحةٍ بَقِيَتْ فتَبْقَى ... حَياةُ المَوْصِلِيّ على الزَّمانِ!
ستَبْكِيهِ المَزَاهِرُ والمَلاَهي ... ويُسْعِدُهُنَّ عاتِقَةُ الدِّنانِ
وتَبْكِيهِ الغَوِيَّةُ إذْ تَوَلَّى ... ولا تَبْكِيهِ تالِيَةُ القُرَانِ[5]

فقيل له: وَيْحك فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يَعقل، أما من يَعقل فلا. وبأيِّ شيء كنت أذكره وأرثِيه به؟ أبِالْفِقْه أم بِالزُّهْد أم بالقِراءة؟ وهل يُرْثَى إلاَّ بهذا وشبْهِه!

---

(١) مَذُود: مُدافَع.
(٢) الخميس: الجيش العظيم المؤلف من خمس فرق.
(٣) الفدافد: الفلوات. واحده: فدفد.
(٤) يُكْبَت: يُذَلّ.
(٥) الغوية: الفاجرة. والقُران: القرآن. سهلت الهمزة.

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن عليّ بن يحيى أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطُّوسيّ قال: كنت مقيماً بالجبل[١] فمرّ بي أبو الأسَد الشاعر الشَّيْبانيّ، فأنزلته عندي أياماً، وسألته عن خبره فقال: صادفتُ شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دُلف، فما احتبسني ولا برّني ولا عرَض عليَّ المُقَام عنده، وقد حضرني فيه أبيات فاكتُبْها، ثم أنشدني: [البسيط]

إنِّي مَرَرْتُ بِشاهِينٍ وَقَدْ نَفَحَتْ ... رِيحُ العَشِيِّ وبَرْدُ الثَّلجِ يُؤذِينِي[٢]
فما وَقَى عِرْضَهُ مِنِّي بِكُسْوَتِهِ ... لا بَلْ ولا حَسَبٍ دانٍ ولا دِينِ
إنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنُ الدَّايَاتِ غَيَّرَهُ ... عَنْ طَبْعِ آبائِهِ الشُّمِّ العَرَانِينِ
فرُبَّما غابَ بَعْلٌ عَنْ حَلِيلَتِهِ ... فَناكَها بَعْضُ سُوَّاسِ البَرَاذِينِ
وما تحرَّك أيرٌ فامْتَلا شَبَقاً ... إلاَّ تَحَرَّك عِرْقٌ في آسْت شاهين

ثم قال: لأُمَزِّقَنَّه كلَّ مُمَزَّقٍ، ولأَصِيرَنَّ إلى أبي دُلَفَ فَلأُنْشِدَنَّه. ومضى من فَوْره يريد أبا دُلَفَ، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ، فشَقَّ عليه وغمَّه. وأتاه أبو الأسَد فدخل عليه، فسأله عن قِصَّته مع شاهين، فأخبره بها؛ فقال: هَبْه لي. قال: قد فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه.

قال أبو الفرج: هذا البيت الأخير لبَشَّار كان عَرَض له فقال:

وَما تَحَرَّكَ أَيرٌ فامْتَلا شَبَقاً ... إلاَّ تَحَرَّكَ عِرْقٌ في آسْتِ...

ثم قال: في آست من؟ ومرَّ به تسنيم بن الحواري فسلَّم عليه، فقال: في آست تسنيم والله. فقال له: أيُّ شيء ويلك؟ فقال: لا تَسَلْ. فقال: قد سمعتُ ما أكره، فاذكر لي سَبَبَه. فأنشده البيت، فقال: ويلك! أيُّ شيء حَمَلك على هذا؟ قال: سَلاَمُك عليّ. [قال][٣] لا سَلَّم الله عليك ولا عليَّ إن سلَّمت عليك بعدها، وبَشَّار يضحك. وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشار.

صوت

وقد جُمع معه كل ما يُغَنَّى في هذه القصيدة:

(١) الجبل: بأرض فارس.
(٢) نفحت: هبت باردة.
(٣) زيادة يقتضيها السياق.

أَجِـدَّكَ إنْ نُـعْـمٌ نَـأَتْ أَنْـتَ جـازِعُ ... قـدِ اقْـتَـرَبَـتْ لَـوْ أنَّ ذلـك نـافِـعُ
وحَـسْـبُـكَ مِـنْ نَـأْيٍ ثـلاثـةُ أَشْـهُـرٍ ... وَمِـنْ حَـزَنٍ أنْ شـاقَ قَـلْـبَـكَ رابِـعُ
بَكَتْ عَيْنُ مَنْ أبكاكَ لَيْسَ لَكَ البكا ... ولا تَـتَـخـالَـجْكَ الأُمورُ النَّـوازِعُ[1]
فـلا يَـسْـمَـعَـنْ سِـرِّي وسِـرَّك ثـالِـثٌ ... أَلا كُـلُّ سِـرٍّ جـاوَزَ اثْـنَـيْـن شـائِـعُ
وَكَـيْـفَ يَـشَـيـعُ الـسِّـرُّ مِـنِّـي ودُونَـهُ ... حِجابٌ وَمِنْ فَوْقِ الحِجَابِ الأضالِعُ
كَـأنَّ فُـؤادي بَـيْـنَ شِـقَّـيـنِ مِـنْ عَـصـاً ... حِـذَارَ وُقـوعِ الـبَـيْـنِ والـبَـيْـنُ واقِـعُ
وَقَـالَـتْ وَعَـيْـنـاهـا تَـفِـيـضـانِ عَـبْـرةً ... بِأَهْلِيَ، بَيِّنْ لي مَتَى أَنْتَ راجِعُ؟
فَـقُـلْـتُ لَـهـا بـالله يَـدْرِي مُـسـافِـرٌ ... إذا أَضْـمَـرَتْـهُ الأَرْضُ مـا الله صـانِـعُ؟
فشَدَّتْ على فِيها اللِّثَامَ وأَعْرَضَتْ ... وَأَقْبَلْنَ بالكُحْلِ السَّحِيقِ المدامِعُ[2]

عَرُوضه من الطويل. الشعر لقَيْس بن الحُدَادِية، والغناء لإسحاق في الأوّل والثاني من الأبيات خفيفُ رملٍ بالوسْطَى، وفي الثالث وما بعده أربعة.

---

(١) تخالجه الهموم: تنازعته وتجاذبته. والنوازع: التي تنزع النفوس من الصدور.

(٢) الكحل السحيق: الكحل المسحوق.

أخبار قيس بن الحُداديّة ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو قيس بن مُنقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حَبَشِية بن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيقِياء بن عامر وهو ماءُ السماء بن حارثة الغِطريف بن آمْرِىءِ القيس البِطْريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وهو «رداء، ويقال: رديني»، وقد مضى نسبه متقدّماً؛ والحُدادية أمّه، وهي امرأة من مُحارب بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو جِداد. شاعر من شعراء الجاهلية، وكان فاتكاً شجاعاً صُعْلوكاً خليعاً، خلعتْه خُزاعةُ بسوق عكاظ، وأشهدتْ على أنفُسها بخَلْعها إيّاهُ، فلا تَحتَمِل جريرةً له[1]، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه.

[إغارته على بني قمير وشعره في ذلك]

قال أبو الفرج: نسختُ خبرَه من كتاب أبي عمرو الشَّيْباني: لمّا خَلَعتْ خُزاعةُ بن عمرو ـ وهو مُزَيْقِياء بن عامر، وهو ماء السماء بن الحارث ـ قيسَ بن الحِداديَّة، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعياً قوم منهم يقال لهم: بنو قُمَيْر بن حبشيَّة بن سَلُول، فَجَمَعَ لهم قيسٌ شُذّاذاً من العَرَبِ وفُتّاكاً من قومِهِ، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عُش، واستاق أموالَهم، فلحقه رجل من قومه كان سيِّداً، وكان ضَلْعه[2] مع قيس فيما جَرَى عليه من الخلع، يقال له آبن محرِّق، فأقسم عليه أن يردّ ما آستاقه، فقال: أمّا ما كان لي ولقومي فقد أبرزتُ قَسَمَكَ فيه،

(١) الجريرة: الذنب، الجناية.
(٢) ضَلْعه: ميله، هواه.

وأمَّا ما اعتَوَرته[١] أيدي هذه الصعاليك فلا حيلةَ لي فيه، فردَّ سهمَهُ وسهمَ عشيرته، وقال في ذلك: [الطويل]

فـأُقْـسِـمُ لَـوْلا أَسْـهَـمَ ابْـنُ مُـحَـرِّقٍ مَـعَ الله مـا أَكْـثَـرْتُ عَـدَّ الأقـارِبِ
تَـرَكْـتُ ابْـنَ عُـشٍّ يَـرْفَـعونَ بِـرَأسِهِ يَـنُـوءُ بِـسـاقٍ كَـعبُـهـا غَـيْـرُ راتِـبِ[٢]
وَأَنْـهـاهُـمُ خَـلْـعِـي عـلى غَـيْـرِ مِـيـرَةٍ مِنَ اللَّـحْمِ حَتَّى غُيِّبُوا في الغَوائِبِ

وقال أبو عمرو: أغار أبو بردة بن هلال بن عُوَيْمر، أخو بني مالك بن أفصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن أمرىء القيس على هَوَازِنَ في بلادها، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً، فانهزمتْ بنو عامر وبنو نصر، وقَتَلَ أبو بردة قيسَ بن زهير أخا خِدَاش بن زهير الشاعر، وسَبَى نسوةً من بني عامر: منهن صخرةُ بنتُ أسماءَ بن الضَّريبة النَّصرى، وامرأتين منهم يقال لهما: بَيْقر ورَيًّا، ثم انصرفوا راجعين، فلما انْتَهَوْا إلى هَرْشى[٣] خَنَقَتْ صخرة نفسَها فماتَتْ، وقَسَمَ أبو بُرْدة السبي والنَّعمَ والأموال في كلّ من كان معه، وجعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه وفرَّقه فيهم.

ثم أغارت هوازنُ على بني ليث، فأصابوا حيّاً منهم يقال لهم: بنو الملوح بن يَعْمَر بن عوف، ورعاءً لبني ضاطر بن حبشية، فقتلوا منهم رَجُلاً وسَبَوْا منهم سبياً كثيراً وآستاقُوا أموالَهم، فقال في ذلك مالك بن عوف النَّصْري: [الطويل]

نـحـن جَـلَـبْـنَـا الـخَـيْـلَ مِنْ بَـطْـنِ لِـيَّـةٍ وجِـلْـدانَ جُـرْداً مُـنْـعَـلاتٍ ووُقَّـحـا[٤]
فَـأَصْـبَـحْـنَ قَـدْ جـاوَزْنَ مَـرًّا وجُـحْـفَـةً وجـاوَزْنَ مِـنْ أَكْـنـافِ نَـخْـلَـةَ أَبْـطَـحـا[٥]
تَـلَـقَّـطْـنَ ضَـيـطـاري خُـزاعَـةَ بَـعْـدَمـا أَبَـرْنَ بِـصَـحْـراءِ الـغَـمِـيـمِ الـمُـلَـوَّحـا[٦]

(١) اعتورته: تداولته.
(٢) غير راتب: غير منتصب.
(٣) هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة(معجم البلدان ٥/٣٩٧).
(٤) ليّة وجلدان موضعان قرب الطائف. والمنعلات: الخيول ذات الحوافر الشديدة. والوقّح: ذات الحوافر الصلبة.
(٥) مرّ، وجحفة، ونخلة مواضع. والأبطح: مسيل ماء فيه حصى دقاق.
(٦) الضيطار: الضخم اللئيم. وأبار: أهلك. والغميم: موضع بين مكة والمدينة.

قَتلْناهُمْ حَتَّى تَرَكْنا شَرِيدَهُمْ نِساءً وَأَيْتاماً ورَجْلاً مُسَدَّحا[١]
فَإِنَّكَ لَوْ طالَعْتَهُمْ لَحَسِبْتَهُم بِمُنْعَرَجِ الصَّفراءِ عِتْراً مُذَبَّحا[٢]

[إغارته على هوازن وشعره في ذلك]

فلما صنعتْ هوازنُ ببني ضاطر ما صنعتْ، جمع قيس بن الجِداديَّة قومَه، فأغار على جُموع هوازنَ، فأصاب سَبْياً ومالاً، وقتل يومئذٍ من بني قشير: أبا زيد وعُروة وعامراً ومُروّحاً، وأصاب أبياتاً من كلاب خُلوفاً[٣]، واستاق أموالَهم وسَبْياً، ثم انصرف وهو يقول: [الطويل]

نَحْنُ جَلَبْنَا الخَيْلَ قُبّاً بُطُونُها تراها إلى الدَّاعي المُثَوِّب جُنَّحا[٤]
بِكُلِّ خُزاعِيٍّ إذا الحَرْبُ شَمَّرَتْ تَسَرْبَلَ فِيها بُرْدَهُ وَتَوَشَّحا
فَرَعْنا قُشَيْراً في المَحلِّ عشِيَّةً فَلَمْ يَجِدوا في واسِعِ الأَرْضِ مَسْرَحا
قَتَلْنَا أبا زَيْدٍ وَزَيْداً وعامِراً وَعُرْوَةَ أَقْصَدْنَا بِها ومُرَوّحا
وأُبْنَا بِإِبْلِ القَوْمِ تُحْدَى، وَنِسْوَةٍ يُبَكِّينَ شِلْواً أَوْ أَسِيراً مُجرَّحا[٥]
غَداةَ سَقَيْنا أرْضَهُمْ مِنْ دِمائِهِمْ وأُبْنا بأُدْمٍ كُنَّ بالأَمْسِ وُضَّحا[٦]
ورُعْنا كِلاباً قَبْلَ ذاكَ بِغارَةٍ فَسُقْنَا جِلاداً في المَبَارِكِ قُرَّحا[٧]
لَقَدْ عَلِمَتْ أَفْناءُ بَكْرِ بن عامِرٍ بأَنَّا نَذودُ الكاشِحَ المُتَزَحْزِحا[٨]
وَأَنَّا بِلا مَهْرٍ سِوَى البِيضِ والقَنَا نُصِيبُ بِأَفْناءِ القَبائِلِ مَنْكَحا

[إغارته على خزاعة وشعره في ذلك]

وقال أبو عمرو: وزعموا أن قيسَ بن عيلان رغِبَتْ في البيت، وخُزاعة يومئذٍ تليه، وطمِعوا أن ينزِعوه منهم، فساروا ومعهم قبائلُ من العَرَب ورأسوا عليهم

---

(١) مُسَدَّحاً: صريعاً.

(٢) الصفراء: وادٍ في طريق الحاج من ناحية المدينة. والعتر: ذبيحة كانوا في الجاهلية يذبحونها لآلهتهم.

(٣) الخلوف: الحي إذا خرج رجاله للحرب وتخلفت النساء في الحيّ.

(٤) قب البطون: ضامرة البطون. وثوّب: دعا ثانية. وجنّح: مائلة.

(٥) أبنا: رجعنا. والشلو: البقية من كل شيء. وأراد بقية من قتيل.

(٦) الأدم: جمع أدماء، وهي المرأة السمراء. ووضّح: جمع وَوَضّح، وهي المرأة البيضاء.

(٧) رعنا: أفزعنا. والجلاد من الإبل: الغزيرة اللبن. والقرّح: جمع قارح، وهي الناقة أول ما تحمل.

(٨) الكاشح: المبغض، المضمر العداء. والمتزحزح: المتباعد.

عامر بن الظَّرِب العَدْواني، فساروا إلى مكّة في جمعٍ لُهَام[١]، فخرجتْ إليهم خُزاعة فاقتتلوا، فَهُزِمَتْ قيس، ونجا عامرٌ على فرسٍ له جواد. فقال قيس بن الحُداديَّة في ذلك: [المتقارب]

لَقَدْ سُمْتَ نَفْسَكَ يابْنَ الظَّرِبْ ... وَجَشَّمْتَهُمْ مَنْزِلاً قَدْ صَعُبْ[٢]

وَحَمَّلْتَهُمْ مَرْكَباً باهِظاً ... مِنَ العِبءِ إذْ سُقْتَهُمْ لِلشَّغَبْ[٣]

بِحَرْبِ خُزاعَةَ أَهْلِ العُلا ... وَأَهْلِ الثَّناءِ وَأَهْلِ الحَسَبْ

هُمُ المانِعُو البَيْتَ والذّائِدونَ ... عَنِ الحُرُماتِ جَمِيعَ العَرَبْ

نَفَوْا جُرْهُماً ونَفَوْا بَعْدَهُم ... كِنَانَةَ غَصْباً بِبِيضِ القُضُبْ

وسُمْرِ الرِّماحِ وجُرْدِ الجِيادِ ... عَلَيْها فَوارِسُ صِدْقٍ نُجُبْ

وَهُمْ أَلْحَقُوا أَسَداً عَنْوَةً ... بِأَحْياءِ طيٍّ وحازُوا السَّلَبْ[٤]

خُزاعَةُ قَوْمِي فَإنْ أَفْتَخِرْ ... بِهِمْ يَزْكُ مُعْتَصَري والنَّسَبْ[٥]

هُمُ الرَّأسُ وَالنّاسُ مِنْ بَعْدِهِمْ ... ذُنابَى، وما الرَّأسُ مِثْلُ الذَّنَبْ[٦]

يُواسَى لَدَى المَحْلِ مَوْلاهُمُ ... وتُكْشَفُ عَنْهُ غُمومُ الكُرَبْ[٧]

فَجارُهُمُ آمِنٌ دَهْرَهُ ... بِهِمْ أنْ يُضامَ وَأنْ يُغْتَصَبْ

يُلبُّونَ في الحَرْبِ خَوْفَ الهِجاءِ ... ويَبْرُونَ أعْداءَهُمْ بِالحَرَبْ

وَلَوْ لَمْ يُنَجِّكَ مِنْ كَيْدِهِمْ ... أَمِينُ الفُصوصِ شَدِيدُ العَصَبْ[٨]

لَزُرْتَ المَنايا، فَلا تَكْفُرَنْ ... جَوادَكَ نُعْماهُ يابنَ الظَّرِبْ

فَإنْ يَلْتَقُوكَ يَزُرْكَ الحِما ... مُ أوْ تَنْجُ ثانِيَةً بِالهَرَبْ

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بيِّن التوليد.

وقال أبو عمرو: أغارت هوازنُ على خزاعة وهم بالمحصَّب من مِنى، فأوقعوا ببطن مِنهم يقال لهم بنو العَنْقاء، وبقوم من بني ضاطر، فَقَتلوا منهم عَبْداً

(١) جمع لهام: جمع كثير.
(٢) جشمتهم: كلفتهم.
(٣) الباهظ: الشاقّ. يقال: بهظه الأمر: غلبه وثقل عليه.
(٤) عنوة: قهراً، رغماً.
(٥) كريم المعتصر: جواد عند المسألة.
(٦) الذنابي: الذنب.
(٧) المحل: الجدب. والمولى: الحليف، والجار.
(٨) أمين الفصوص: قويها. والفصوص جمع فص، وهو ملتقى العظمين.

وعوفاً وأقرم وغبشان، فقال ابن الأحبّ العَدْواني يفخر بذلك: [الطويل]

غَدَاةَ الْتَقَيْنا بِالمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى فَلاقَتْ بَنُو العَنْقَاءِ إِحْدَى العَظائِمِ
تَرَكْنَا بِهَا عَوْفاً وعَبْداً وأَقرَماً وَغَبْشانَ سُؤراً لِلنُّسورِ القَشاعِمِ[1]

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيّره أن فخر بيوم ليس لقومه: [الطويل]

فَخَرْتَ بِيَوْمٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ فَخْرُهُ أحادِيثُ طَسْمٍ إنّما أَنْتَ حالِمُ[2]
تُفاخِرُ قَوْماً أطْرَدَتْكَ رِماحُهُمْ أَكَعْبُ بنَ عَمْرٍو: هَلْ يُجابُ البهائِمُ[3]
فَلَوْ شَهِدَتْ أُمُّ الصَّبِيَّينِ حَمْلَنا وَرَكْضَهُم لابْيَضَّ مِنْها المَقادِمُ
غَداةَ تَوَلَّيْتُمْ وَأَدْبَرَ جَمْعُكُمْ وأُبْنا بأَسْراكُمْ كَأَنَّا ضَراغِمُ

قال أبو عمرو: وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا في فِراس بن غَنْم، ثم لم يلبَثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً، فهربوا فنزلوا في بَجيلَة على أسَد بن كُرز، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمّل عنهم ما أصابوا في خُزاعة وفي فِراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز:

لا تَعْذِلِينِيَ سَلْمَى اليَوْمَ وانْتَظِري أنْ يجْمَعَ اللهُ شَمْلاً طالَما افْتَرَقا
إنْ شَتَّتَ الدَّهْرُ شَمْلاً بَيْنَ جيرتِكُمْ فَطالَ في نِعْمَةٍ يا سَلْم ما اتَّفَقا
وَقَدْ حَلَلْنا بِقَسْرِيٍّ أخي ثِقَةٍ كَالبَدْرِ يَجْلُو دُجى الظَّلْماءِ وَالأُفُقا
لا يَجْبرُ النَّاسُ شَيْئاً هاضَهُ أَسَدٌ يَوْماً ولا يَرتُقونَ الدَّهْرَ ما فَتَقا[4]
كَمْ مِنْ ثَناءٍ عَظِيمٍ قَدْ تَدارَكَهُ وَقَدْ تَفاقَمَ فِيهِ الأَمْرُ وانْخَرَقا

قال أبو عمرو: وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيّين، وغيرُهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حمّاد الراوية لخالد القَسريّ في أيام ولايته، وأنشده إيّاها فوصَلَهُ، والتوليد بيِّن فيها جداً.

---

(١) القشاعم: الضخام.
(٢) طسم: قبيلة من العرب البائدة.
(٣) أطردتك: صيرتك طريداً.
(٤) هاضه: كسره.

[إغارة الضريس على بني ضاطر وشعر قيس في ذلك]

وقال أبو عمرو: غزا الضَّريس القشيريّ بني ضاطر في جماعة من قومه، فثبتوا له وقاتَلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم، فقال قيس بن الحُدادية في ذلك: [الطويل]

فِدًى لِبَنِي قَيْسٍ وَأَفْنَاءِ مالِكٍ لَدَى الشِّسْعِ مِنْ رِجْلي إلى الفَرْقِ صاعِدا[1]
غَداةَ أَتَى قَوْمُ الضَّرِيسِ كَأَنَّهُمْ قَطا الكُدْرِ مِنْ ودّان أَصْبَحَ وارِدا[2]
فَلَمْ أَرَ جَمْعاً كانَ أَكْرَمَ غالِباً وأَحْمَى غُلاماً يَوْمَ ذلِكَ أَطْرَدا
رَمَيْناهُم بالحُوِّ والكُمْتِ والقَنا وبِيضٍ خِفافٍ يَخْتَلِينَ السَّواعِدا[3]

[نزوله على بني عدي بن عمرو ومدحه لهم]

قال أبو عمرو: ولما خلعتْ خُزاعةُ قيساً، تحوَّلَ عن قومه، ونزل عند بطنٍ من خزاعة، يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد، فآووه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم: [الطويل]

جَزَى الله خَيْراً عَنْ خَلِيعٍ مُطَرَّدٍ رِجالاً حَمَوْهُ آلَ عَمْرِو بْنِ خالِدِ
فَلَيْسَ كَمَنْ يَغْزُو الصَّدِيقَ بِنَوْكِهِ وَهِمَّتُهُ في الغَزْوِ كَسْبُ المَزاوِدِ[4]
عَلَيْكُمْ بِعَرْصاتِ الدِّيارِ فَإِنَّني سِواكُمْ عَدِيدٌ حِينَ تُبْلَى مَشاهِدي[5]
أَلاوَذْتُمُ حَتَّى إذا ما أَمِنْتُمُ تَعاوَرْتُمُ سَجْعاً كَسَجْعِ الهَداهِدِ[6]
تَجَنَّى عَلَيَّ المازِنانِ كِلاهُما فَلا أنا بِالمُغْضِي ولا بِالمُساعِدِ
وَقَدْ حَدِبَتْ عَمْرٌو عَلَيَّ بِعِزِّها وَأَبْنائِها مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ ماجِدِ[7]

(١) الشِّسع: أحد سيور النعل. والفَرْق: وسط الرأس حيث يُفرق الشَّعر.
(٢) الكدر: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٤/٤٤١). وودّان: موضع بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ٥/٣٦٥).
(٣) الحوّ: جمع أحوى وحواء، وصف من الحُوَّة، وهي حمرة إلى سواد. والكُمْت: جمع كميت وهو الحصان بين السواد والحمرة. ويختلين السواعد: يقطعنها.
(٤) النوك: الحمق، الغباء. والمزاود: جمع مزود، وهو وعاء الزاد.
(٥) تُبلى: تمتحن. والمشاهد: مشاهد القتال.
(٦) لاوذ: استتر. وتعاوروه: تداولوه. والهداهد: جمع هدهد، وهو جنس من الطير.
(٧) حدبت: عطفت. والأروع: الشجاع.

مَصالِيتُ يَوْمَ الرَّوعِ كَسْبُهم العُلا عِظامُ مَقِيلِ الهامِ شُعْرُ السَّواعِدِ[١]
أولَـئِكَ إخْوانـي وجُلُّ عَشِيـرَتـي وَثَرْوَتُهُـمْ وَالنَّصْرُ غَيْرُ المُحارِدِ[٢]

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي، والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني عمّي أنّ خزاعةَ أغارت على اليمامة، فلم يَظفَرُوا منها بشيء، فهزموا وأسر منهم أسرى، فلما كان أوان الحج، أخرجَهم من أسرهم إلى مكة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم، فغَدوا جميعاً إلى الخَلْصاء[٣]، وفيهم قيس بن الحُداديّة، فأخرَجوهم وحملوهم، وجعلوهم في حَظيرة ليحرقوهم، فمرَّ بهم عديّ بن نوفل، فاستجاروا به فابتاعهم وأعتَقَهم، فقال قيس يمدحه: [الطويل]

دَعَـوْتُ عَـدِيّـاً والـكُـبـولُ تَـكُـبُّـنـي ألا يـا عَـدِيُّ يـا عَـدِيُّ بْـنُ نَـوْفَـلِ[٤]
دَعَـوْتُ عَـدِيّـاً والـمـنـايـا شَـوارِعٌ ألا يـا عـديّ لـلأسيـر الـمُـكَـبَّـلِ[٥]
فما البَحْرُ يَجْرِي بِالسَّفِينِ إذَا غَدا بِأجْوَدَ سَيْباً مِنْهُ في كُلِّ مَحْفِلِ
تَدارَكْتَ أصْحابَ الحَظِيرَةِ بَعْدَما أصَابَهُـم مِنّـا حَـرِيقُ الـمُـحَـلِّـلِ
وَأتْبَعْـت بَيْنَ الـمَشْعَرينِ سِقـايَـةً لِـحُـجّـاجِ بَـيْـتِ الله أكْرَمَ مَـنْـهِـلِ

[شعره في نعم]

قال أبو عمرو: وكان قيس بنُ الحُدادية يَهْوَى أمَّ مالك بنت ذؤيب الخزاعيّ، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجدَبُوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفَهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرةَ الغيث والمطر وغزارته، فرجع عمرو بن عبد مَناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدَّم قَبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نُعم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور: [الطويل]

أجِـدَّكَ إنْ نُـعْـمٌ نَـأتْ أنْـتَ جـازِعُ قَـدِ اقْـتَـرَبَـتْ لَـوْ أنَّ ذٰلِـكَ نـافِـعُ
قَـدِ اقْـتَـرَبـت لَـوْ أنَّ فـي قُـرْبِ دارِهـا نَـوالاً، ولٰـكِـن كُـلُّ مَـنْ ضَـنَّ مـانِـعُ

---

(١) المصاليت: جمع مصلات وهو الماضي في الأمور. والهام: الرؤوس.
(٢) المحارد: المنقطع.
(٣) الخلصاء: بلد بنجد.
(٤) الكبول: القيود. وتكبني: تصرعني وتقلبني.
(٥) شوارع: مسدّدة.

وَقَدْ جاوَرَتْنا في شهورٍ كَثِيرَةٍ ... فَما نَوَّلَتْ، والله راءٍ وسامِعُ
فَإِنْ تَلْقَيَنْ نُعْمَى هُدِيتَ فَحَيِّها ... وَسَلْ كَيْفَ تُرْعَى بِالمَغِيبِ الودائِعُ
وَظَنِّي بِها حِفْظٌ لِغَيْبِي، وَرِعْيَةٌ ... لِما اسْتُرْعِيَتْ، وَالظَّنُّ بِالغَيْبِ واسِعُ[1]
وَقُلْتُ لَهَا في السِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَها ... على عَجَلٍ: أَيَّانَ مَنْ سارَ راجِعُ؟
فَقالَتْ: لِقاءٌ بَعْدَ حَوْلٍ وحِجَّةٍ ... وشَحْطُ النَّوى إلا لِذِي العَهْدِ قاطِعُ[2]
وَقَدْ يَلْتَقِي بَعْدَ الشَّتاتِ أولُو النَّوَى ... وَيَسْتَرْجِعُ الحَيَّ السَّحابُ اللَّوامِعُ
وما إنْ خَذولٌ نازَعَتْ حَبْلَ حابِلٍ ... لِتَنْجُوَ إلاَّ اسْتَسْلَمَتْ وهي ظالِعُ[3]
بِأَحْسَنَ مِنْها ذاتَ يَوْمِ لَقِيتُها ... لَها نَظَرٌ نَحْوِي كَذِي البَثِّ خاشِعُ[4]
رَأَيْتُ لَها ناراً تُشَبُّ، وَدُونَها ... طَويلُ القَرَا مِنْ رَأْسِ ذَرْوَةَ فارِعُ[5]
فَقُلْتُ لأصْحابِي: اصْطَلُوا النَّارَ إنَّها ... قَرِيبٌ، فَقالُوا: بَلْ مَكانُكَ نافِعُ
فَيا لَكَ مِنْ حادٍ حَبَوْتَ مُقَيَّداً ... وَأَنْحَى عَلَى عِرْنِينِ أَنْفِكَ جادِعُ
أَغَيْظاً أرادَتْ أَنْ تُخَبَّ جِمالُها ... لِتَفْجَعَ بِالإِظْعانِ مَنْ أَنْتَ فاجِعُ[6]
فَما نُطْفَةٌ بِالطَّودِ أَوْ بِضَرِيَّةٍ ... بَقِيَّةُ سَيْلٍ أَحْرَزَتْها الوَقائِعُ[7]
يَطِيفُ بِها حَرَّانُ صادٍ ولا يَرَى ... إِلَيْها سَبِيلاً غَيْرَ أَنْ سَيُطالِعُ
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيها إذا جِئْتَ طارِقاً ... مِنَ اللَّيْلِ واخْضَلَّتْ عَلَيْكَ المَضاجِعُ[8]
وَحَسْبُكَ مِنْ نَأْيٍ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ... وَمِنْ حَزَنٍ أَنْ زادَ شَوْقَكَ رابِعُ
سَعَى بَيْنَهُمْ واشٍ بِأَفْلاقِ بِرْمَةٍ ... لِيَفْجَعَ بِالإِظْعانِ مَنْ هُوَ جازِعُ[9]
بَكَتْ مِنْ حَدِيثٍ بَثَّهُ وأَشاعَهُ ... وَرَصَّفَهُ واشٍ مِنَ القَوْمِ راصِعُ[10]
بَكَتْ عَيْنُ مَنْ أَبْكاكِ لا يَعْرِفُ البُكا ... ولا تَتَخالَجْكِ الأُمُورُ النَّوازِعُ

---

(١) الرِّعية: الرعاية والعناية.
(٢) حِجّة: سنة.
(٣) الظالع: العرجاء.
(٤) البث: الحزن الشديد.
(٥) القرا: الظهر. وذروة: اسم جبل. والفارع: العالي.
(٦) تخب: تسرع.
(٧) النطفة: الماء الصافي. والطود: الجبل. والضرية: البئر. والوقائع: جمع وقيعة، وهي نقرة في الجبل يتجمع فيها الماء.
(٨) اخضلّ: ندي.
(٩) برمة: عرض من أعراض المدينة. (معجم البلدان ١/٤٠٣). والأفلاق جمع فلق، وهو المطمئن من الأرض.
(١٠) رصع الشيء: عقده عقداً مثلثاً متداخلاً.

فَلا يَسْمَعَنْ سِرِّي وَسِرَّكَ ثالِثٌ ... ألاَ كُلُّ سِرٍّ جاوَزَ ٱثْنَيْنِ شائِعُ
وَكَيْفَ يَشِيعُ السِّرُّ مِنِّي وَدُونَهُ ... حِجابٌ ومِنْ دُونِ الحِجابِ الأضالِعُ!
وحِبٌّ لِهذا الرَّبْعِ يَمْضِي أمامَهُ ... قَلِيلُ القِلَى مِنْهُ جَلِيلٌ ورادِعُ
لَهَوْتُ بِهِ حَتَّى إذا خِفْتُ أهْلَهُ ... وَبَيَّنَ مِنْهُ لِلْحَبِيبِ المَخادِعُ
نَزَعْتُ فَما سِرِّي لأوَّلِ سائِلٍ ... وَذُو السِّرِّ ما لَمْ يَحْفَظِ السِّرَّ ماذِعُ[(١)]
وَقَدْ يَحْمَدُ اللهُ العزاءَ مِنَ الفَتَى ... وَقَدْ يَجْمَعُ الأمْرَ الشَّتِيتَ الجوامِعُ
ألا قَدْ يُسلِّي ذُو الهَوَى عَنْ حَبِيبِهِ ... فَيَسْلَى، وَقَدْ تُرْدِي المَطِيَّ المطامِعُ
وما راعَنِي إلاَّ المُنادِي ألاَ اظْعَنُوا ... وَإلاَّ الرَّواغِي غُدْوَةً والقَعاقِعُ[(٢)]
فَجِئْتُ كَأنِّي مُسْتَضِيفٌ وَسائِلٌ ... لأُخْبِرَها كُلَّ الَّذِي أنا صانِعُ
فَقالَتْ: تَزَحْزَحْ ما بنا كُبْرُ حاجَةٍ ... إلَيْكَ ولا مِنَّا لِفَقْرِكَ راقِعُ
فَما زِلْتُ تَحْتَ السِّتْرِ حَتَّى كَأنَّنِي ... مِنَ الحَرِّ ذُو طِمْرَيْنِ في البَحْرِ كارِعُ[(٣)]
فَهَزَّتْ إلَيَّ الرَّأسَ مِنِّي تَعَجُّباً ... وعَضَّضَ مِمَّا قَدْ فَعَلْتُ الأصابِعُ
فَأيُّهُما مَا أتْبَعَنَّ فَإنَّنِي ... حَزِينٌ عَلَى إثْرِ الَّذي أنا وادِعُ[(٤)]
بَكَى مِنْ فِراقِ الحَيِّ قَيْسُ بْنُ مُنقِذٍ ... وَإذْراءُ عَيْنَيِ مِثْلَهُ الدَّمْعَ شائِعُ[(٥)]
بِأرْبَعَةٍ تَنْهَلُّ لَمَّا تَقَدَّمَتْ ... بِهِمْ طُرُقٌ شَتَّى وَهُنَّ جَوامِعُ
وما خِلْتُ بَيْنَ الحَيِّ حَتَّى رَأيْتُهُمْ ... بِبَيْنُونَةَ السُّفْلَى وَهَبَّتْ سَوافِعُ[(٦)]
كَأنَّ فُؤادِي بَيْنَ شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً ... حِذارَ وُقُوعِ البَيْنِ والبَيْنُ واقِعُ
يَحُثُّ بِهِمْ حادٍ سَرِيعٌ نَجاؤُهُ ... ومُعْرًى عَنِ السَّاقَيْنِ والثَّوْبُ واسِعُ[(٧)]
فَقُلْتُ لَها يا نُعْمُ حُلِّي مَحَلَّنا ... فَإنَّ الهَوَى يا نُعْمُ والعَيْشُ جامِعُ
فَقالَتْ وَعَيْناها تَفِيضانِ عَبْرَةً ... بِأهْلِيَ بَيِّنْ لِي مَتَى أنْتَ راجِعُ؟
فَقُلْتُ لَها تَاللهِ يَدْرِي مُسافِرٌ ... إذا أضْمَرَتْهُ الأرْضُ ما اللهُ صانِعُ
فَشَدَّتْ على فِيها اللِّثامَ وَأعْرَضَتْ ... وَأمْعَنَ بِالكُحْلِ السَّحِيقِ المَدامِعُ

---

(١) الماذع: الخائن.

(٢) الرواغي جمع راغية، وهي الناقة المصوّتة. والقعاقع: جمع قعقعة، وهي حكاية صوت السلاح، والمراد هنا ضجيج الرحيل.

(٣) الطمر: الثوب الخلق. وكرع: تناول الماء بفيه وشرب من غير استعمال يديه أو إناء.

(٤) وادع: تارك.

(٥) أذرت العين الدمع: ذرفته.

(٦) بينونة: موضع بين عمان والبحرين. (معجم البلدان ١/ ٥٣٦). والسوافع: لوافح السموم.

(٧) النجاء: السرعة في السير.

وَإِنِّـي لِـعَـهْـدِ الـودِّ راعٍ، وَإِنَّـنـي بِوَصْلِكِ ما لَمْ يَطْوِني المَوْتُ طامِعُ

قال أبو عمرو: فأنشدتُ عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويَدخل في معناها فله حُلَّتي هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضاً يذكر بين الحيِّ وتفرقهم وينسبُ بنعم:

[الطويل]

سَقَى اللهُ أطْلالاً بِنُعْمٍ تَرادَفَتْ بِهِنَّ النَّوَى حَتَّى حَلَلْنَ المَطالِيا[1]
فَإِنْ كانَتِ الأَيَّامُ يا أُمَّ مالِكٍ تُسَلِّيكُمْ عَنِّي وتُرْضِي الأعادِيا
فَلا يَأْمَنَنْ بَعْدِي امْرُؤٌ فَجْعَ لَذَّةٍ مِنَ العَيْشِ أو فَجْعَ الخُطوبِ العَوافِيا[2]
وبُدِّلْتُ مِن جَدواكِ يا أُمَّ مالِكٍ طَوارِقَ هَمٍّ يَحْتَضِرْنَ وِسادِيا
وَأَصْبَحْتُ بَعْدَ الأُنْسِ لابِسَ جُبَّةٍ أُساقِي الكُماةَ الدَّارِعِينَ العَوالِيا
فَيَوْمايَ يَوْمٌ في الحَدِيدِ مُسَرْبَلاً وَيَوْمٌ مَعَ البِيضِ الأوانِسِ لاهِيا
فَلا مُدْرِكاً حَظّاً لَدَى أُمِّ مالِكٍ ولا مُسْتَرِيحاً في الحَياةِ فَقاضِيا[3]
خَلِيلَيَّ إنْ دارَتْ على أُمِّ مالِكٍ صُروفُ اللَّيالِي فابْعَثا لِيَ ناعِيا
ولا تَتْرُكانِي لا لِخَيْرٍ مُعَجَّلٍ ولا لِبَقاءٍ تَنْظُرانِ بَقائِيا
وَإِنَّ الَّذِي أَمَّلْتُ مِنْ أُمِّ مالِكٍ أَشابَ قَذالي واسْتَهامَ فُؤادِيا[4]
فَلَيْتَ المَنايا صَبَّحَتْنِي غُدَيَّةً بِذَبْحٍ وَلَمْ أَسْمَعْ لِبَيْنٍ مُنادِيا
نَظَرْتُ وَدُونِي يَذْبُلٌ وعَمايَةٌ إلى آلِ نُعْمٍ مَنْظَراً مُتَنائِيا[5]
شَكَوْتُ إلى الرَّحْمٰنِ بُعْدَ مَزارِها وما حَمَّلَتْنِي وانْقِطاعَ رَجائِيا
وَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ أَعَمْرو بن عامِرٍ لِحَتْفٍ بِذاتِ الرُّقْمَتَيْنِ يَرَى لِيا[6]
وَقَدْ أَيْقَنَتْ نَفْسِي عَشِيَّةَ فارَقُوا بِأَسْفَلِ وادِي الدَّوْحِ أَنْ لا تَلاقِيا
إذا ما طَواكِ الدَّهْرُ يا أُمَّ مالِكٍ فَشَأْنُ المَنايا القاضِياتِ وشانِيا

---

(١) ترادفت: تتابعت. والمطالي: جمع مطلاء، وهي الأرض السهلة الليّنة.
(٢) العوافي: المندثرة.
(٣) قضى: مات. وقاضياً: ميتاً.
(٤) القذال: جماع مؤخر الرأس. واستهام فؤادي: تركه هائماً.
(٥) يذبل: جبل بنجد. وعماية جبل بنجد أيضاً. (انظر معجم البلدان).
(٦) الرقمتان: روضتان إحداهما بنجد والأخرى بالبصرة. (معجم البلدان ٣/ .

قال أبو عمرو: وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون.

[مقتله]

قال أبو عمرو: وكان من خبر مقتل قيس بن الحُداديَّة أنه لقي جَمْعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرَّة[1]، فقالوا له: استأسِر، فقال: وما ينفعكم منِّي إذا استأسرتُ وأنا خليع؟ والله لو أسرتموني ثم طَلَبْتُمْ بي من قومي عنزاً جَرْباء جَدماء ما أُعطِيتموها، فقالوا له: استأسر لا أُمَّ لك! فقال: نفسي عليَّ أكرم من ذاك، وقاتَلَهم حتى قُتل. وهو يرتجز ويقول: [الرجز]

أَنـا الَّـذِي تـخـلَـعُـهُ مَـوالِـيَـهْ وَكُـلُّـهُـمْ بَـعْـدَ الـصَّـفـاءِ قـالِـيَـهْ
وَكُـلُّـهُـمْ يُـقْـسِـمُ لا يُـبـالِـيَـهْ أَنـا إذا الـمَـوْتُ يَـنُـوبُ غـالِـيَـهْ
مُـخْـتَـلِـطٌ أَسْـفَـلُـهُ بِـعـالِـيَـهْ قَـدْ يَـعْـلَـمُ الـفِـتْـيانُ أَنِّـي صـالِـيَـهْ
إذا الـحـديـد رفـعـتْ عَـوالـيَـهْ

وقيل: إنه كان يتحدَّث إلى امرأة من بني سُليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجُها، فأفلت فنام في ظلّ وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتِلَ.

صوت

[البسيط]

صَـرَمْـتِـنـي ثُـمَّ لاَ كـلَّـمْـتِـنـي أَبَـداً إنْ كُنْتُ خُنْتُكِ في حالٍ مِنَ الحالِ
وَلا اجْـتَـرَمْـتُ الَّذِي فِيهِ خِيانَتُكُمْ ولا جَـرَتْ خَـطْـرَةٌ مِـنْـهُ عـلـى بـالـي
فَسَوِّغِيني المُنى كَيْما أَعِيشَ بِها وَأَمسِكي البَـذْلَ مـا أَطْـلَـعْـتِ آمالي
أَوْ عـجِّـلي تَـلَـفـى إنْ كُـنْـتِ قـاتِـلَـتـي أَوْ نـوِّلِـيـنـي بِـإِحْـسـانٍ وَإِجْـمـالِ

الشعر لابن قُنْبُر، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته.

---

(١) غرّة: غفلة.

أخبار ابن قُنبُر ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو الحكم بن محمد بن قُنْبُر المازني مازن بني عمرو بن تميم، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشميّة، وكان يهاجي مسلمَ بن الوليد الأنصاريّ مدَّة، ثم غلبه مسلم.

[التهاجي بينه وبين مسلم بن الوليد]

قال أبو الفرج: نسختُ من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه: حدّثني الحسن بن سعيد قال: حدّثني منصور بن جَهْوَر قال: لمّا تَهَاجَى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أَمْسَكَ عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانَه، فجاء مسلماً ابن عم له فقال: أيها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر، وقد بعثتَ عليه لسانَك ثم أمسكتَ عنه، فإما أن قاذعته[1]، وإما أن سالَمته؛ فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد[2] فيه، وله دعوات يدعوها، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه، فأطرق الرجلُ ساعةً ثم قال: [الكامل]

غَلَبَ ٱبْنُ قُنْبُرَ واللَّئِيمُ مُغَلَّبُ ... لَمَّا ٱتَّقَيْتُ هِجاءَهُ بِدُعاءِ[3]

ما زالَ يَقْذِفُ بِالهِجاءِ وَلَذْعِهِ ... حَتَّى ٱتَّقَوْهُ بِدَعْوَةِ الآباءِ

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر لِيبلغ منّي هذا، فأمسك عني لسانك وتعرّف خبره بعد، قال: فبعث الرجل والله عليه من لسانِ مسلمٍ ما أسكتَهُ.

---

(١) قاذعته: شاتمته بكلام مقذع.

(٢) التهجُّد: صلاة الليل.

(٣) المغلَّب: المحكوم له بالغلبة.

أخبرني الحسنُ بن علي قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثني محمد بن عبد الله العبدي القَسْري قال: رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرُّصافة[1] في يوم جمعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجيان، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدته: [الطويل]

أنا النَّارُ في أحجارِها مُسْتَكِنَّةٌ فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَقْدَحُ النَّارَ فَاقْدَحِ

وتلاه ابن قنبر فأنشد قوله: [البسيط]

قَدْ كِدْتَ تَهْوِي وما قَوْسِي بِمُوتَرةٍ فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِي والقَوْسُ في الوَتَرِ[2]

فوثب مسلم وتواخزا[3] وتَوَاثَبَا حتى حجز الناسُ بينهما فتفرقا، فقال رجل لمسلم ـ وكان يتعصب له ـ: وَيْحَك! أَعَجزْتَ عن الرجل حتى واثبتَه؟ قال: أنا وإيَّاهُ لكما قال الشاعر:

هَنِيئاً مَرِيئاً أَنْتَ بِالفُحْشِ أَبْصَرُ

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدَّة، ثم غلبه مسلم بعد ذلك، فمن مُناقَضتهما قولُ ابن قنبر: [الطويل]

وَمِنْ عَجَبِ الأشْياءِ أنَّ لِمُسْلِم إليَّ نِزاعاً في الهِجاءِ وما يَدْرِي[4]
وَوَالله ما قِيسَتْ عَلَيَّ جُدُودُهُ لَدَى مَفْخَرٍ في النَّاسِ قَوْساً ولا شِعْرِي

ولابن قُنْبُر قولُه: [الخفيف]

كَيْفَ أهْجُوكَ يا لَئِيمُ بِشِعْرِي أَنْتَ عِنْدِي فَاعْلَمْ هِجاءَ هِجائِي
يا دَعِيَّ الأنْصارِ بَلْ عَبْدَها النَّذْ لَ تَعَرَّضْتَ لِي لِدَرْكِ الشَّقاءِ

[شعره ورأي النقاد فيه]

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو توبة، عن محمد بن جُبَيْر عن الحسين بن محرز المغنِّي المَديني قال:

(١) أراد رصافة بغداد.
(٢) أوتر القوس: جعل لها وتراً.
(٣) تواخزا: تطاعنا طعناً غير نافذ.
(٤) نزع إليه: اشتاق.

دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد:

صوت

[الطويل]

فَما أَقْصَرَ اسْمَ الحُبِّ يا وَيْحَ ذِي الحُبِّ وَأَعْظَم بَلْواهُ عَلَى العاشِقِ الصَّبِّ
يَمُرُّ بِهِ لَفْظُ اللِّسانِ مُشَمِّراً وَيَغْرَقُ مَنْ ساقاهُ في لُجَجِ الكَرْبِ[١]

فلما بصُر بي قال: تعال يا حسين، فجئت، فأنشدني البيتين، ثم أعادهما عليَّ حتى حفِظتُهما، ثم قال: اصنَعْ فيهما لحناً، فإن أجدتَ سررتُك، فخلوت وصنعتُ فيهما لحني المشهور، وعُدتُ فغنّيته إيَّاه، فقال: أحسنت، وشرب عليه بقيّةَ يومه، وأمر لي بألف دينار، والشعر لحكم بن قنبر.

أخبرني محمد بن الأزهر قال: حدّثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلاّم قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه: [البسيط]

ويْلِي عَلَى مَنْ أطارَ النَّوْمَ وامْتَنَعَا وَزادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجاعِهِ وَجَعَا
ظَبْيٌ أغَرُّ تَرَى في وَجْهِهِ سُرُجاً تُعْشِي العُيونَ إذا ما نُورُهُ سَطَعَا[٢]
كَأنَّما الشَّمْسُ في أثْوابِهِ بَزَغَتْ حُسْناً، أوِ البَدْرُ في أَرْدانِه طَلَعَا[٣]
فَقَدْ نَسِيتُ الكَرَى مِنْ طُولِ ما عَطِلَتْ مِنْهُ الجُفونُ وَطارَتْ مُهْجَتِي قِطَعَا

قال ابن سلاَّم: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جورٍ من جواري سليمانَ بن عليّ في الطريق الذي بين المِرْبَدِ وقَصْر أوس، فقلن لي: أنت الذي تقول:

وَيْلِي عَلَى مَنْ أطارَ النَّوْمَ وامْتَنَعَا

فقلتُ: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السَّمِجِ تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبنني ويَلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي، فرجعتُ عارياً إلى منزلي. قال: وكان حسنَ اللّباس.

أخبرني محمد بن الحسين الكِنديّ مؤدّبي قال: حدّثني علي بن محمد النّوفلي قال: حدّثني عمي قال: دخل الحكم بن قنبر على عمّي ـ وكان صديقاً له ـ

(١) الكرب: الحزن، الغمّ.
(٢) عشي عشاً: أصيب بضعف البصر.
(٣) الأردان: جمع ردن، وهو أصل الكمّ.

فَبَشَّ به ورفع مجلسه، وأظهر له الأنس والسرور، ثم قال: أنشدني أبياتَكَ التي أقسمتَ فيها بما في قلبك. فأنشده: [الطويل]

وَحَقِّ الَّذِي فِي القَلْبِ مِنْكَ فَإِنَّهُ ... عَظِيمٌ لَقَدْ حَصَّنْت سِرَّكَ في صَدْرِي
وَلٰكِنَّما أَفْشاهُ دَمْعِي، وَرُبَّما ... أَتَى المَرْءِ ما يَخْشاهُ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي
فَهَبْ لِي ذُنُوبَ الدَّمْعِ، إِنِّي أَظُنُّهُ ... بِما مِنْهُ يَبْدُو إِنَّما يَبْتَغِي ضُرِّي
وَلَوْ يَبْتَغِي نَفْعِي لَخَلَّى ضَمائِرِي ... يَرُدُّ عَلَى أَسْرارِ مَكْنُونِها سِتْرِي

فقال لي: يا بنيّ اكتبها واحفظْها، ففعلتُ وحفظتُها يومئذٍ وأنا غلام.

أخبرني اليزيديّ قال: أخبرني عمّي عن ابن سلاَّم، وأخبرني به أحمد عن ابن عباس العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال: أنشدني ابن قُنْبُر لنفسه قوله: [البسيط]

صَرَمْتِنِي ثُمَّ لا كَلَّمْتِنِي أَبَداً ... إِنْ كُنْتُ خُنْتُكِ في حالٍ مِنَ الحالِ
ولا اجْتَرَمْتُ الَّذِي فِيهِ خِيانَتُكُمْ ... وَلا جَرَتْ خَطْرَةٌ مِنْهُ عَلَى بالِي[1]

قال: فقلت له وأنا أضحك: يا هذا لقد بالغتَ في اليمين. فقال: هي عندي كذاك، وإن لم تكن عندك كما هي عندي.

قال اليزيدي: قال عمّي وهو الذي يقول (وفيه غناء):

صوت

[المديد]

لَيْسَ فِيها ما يُقالُ لَهُ ... كَمَلَتْ لَوْ أَنَّ ذا كَمَلاَ
كُلُّ جُزْءٍ مِنْ مَحاسِنِها ... كائِنٌ في فَضْلِهِ مَثَلاَ
لَوْ تَمَنَّتْ في مَلاحَتِها ... لَمْ تَجِدْ مِنْ نَفْسِها بَدَلاَ

فيه لحنٌ لابن القَصّار رَمَل.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرُوَيْه قال: قال لي إبراهيم بن المدبِّر: أتعرف الذي يقول: [السريع]

إِنْ كُنْتَ لا تَرْهَبُ ذَمِّي لِما ... تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الجاهِلِ

---

(١) اجترم الذنب: ارتكبه.

فَاخْشَ سُكُوتي فَطِناً مُنْصِتاً ... فِيكَ لِتَحْسِينِ خَنا القائِلِ[1]
مَقالَةُ السُّوءِ إلى أهْلِها ... أسْهَلُ مِنْ مُنْحَدَرٍ سائِلِ
وَمَنْ دَعا النَّاسَ إلى ذَمِّهِ ... ذَمُّوهُ بِالحَقِّ وَبِالباطِلِ

فقلت: هذه للعتّابي، فقال: ما أنشدتُها إلاَّ لابن قُنْبُر، فقلت له: من شاء منهما فليقُلْها فإنه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة: [الطويل]

وَإنْ أنا لَمْ آمُرْ وَلَمْ أنْهَ عَنْكُما ... سَكَتُّ لَهُ حَتَّى يَلِجَّ وَيَسْتَشْرِي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال: أطعَمَ رجل من وَلَد عبد الله بن كُرَيز صديقاً له ضيعة، فمكثتْ في يده مدة، ثم مات الكُرَيزي، فطالب ابنُهُ الرجلَ بالضيعة، فمنعه إياها، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن، فقيل له: ألا تستحي! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أن تنقض مكرمةً لأبيك، فقال له ابن الكريزي ـ وكان ساقطاً ـ: الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله، فقال له عبيد الله بن الحسن: هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك، وهذا موضع هذا القول، اللهم اْردُدْ على قريش أخطارها[2]، ثم أقبَلَ علينا فقال: لله دَرّ الحكم بن قُنبُر حيث يقول: [الوافر]

إذا القُرَشيُّ لَمْ يُشْبِهْ قُرَيْشاً ... بِفِعْلِهِم الّذي بَذَّ الفِعالاَ
فَتَجْرِمِيٌّ لَهُ خُلُقٌ جَمِيلٌ ... لَدَى الأقْوامِ أحْسَنُ مِنْهُ حالا

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثنا مسعود بن بشر قال: شكا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرَّقّيّ هجاه فقال له: قد سمعتُ ما كان مدَحَك به، وعرفتُ ثوابَكَ إياه، وما قال في ذمّك بعد ذلك، فما وجدتُهُ ظلمك به، ولله درّ ابن قنبر حيث قال: [السريع]

وَمَنْ دَعا النَّاسَ إلى ذَمِّهِ ... ذَمُّوهُ بِالحَقِّ وبِالباطِلِ

وبعد، فقد اشتريتُ عِرضَك منه، وأمرتُهُ بأن لا يعود لذمّك تعريضاً ولا تصريحاً.

---

(١) الخنا: القول الفاحش.

(٢) أخطارها: أقدارها.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا محمد بن سلاَّم قال: مرض ابن قنبر فأتَوه بخصيب الطبيب يعالجه، فقال فيه:

وَلَقَدْ قُلْتُ لأهْلِي إذْ أتَوْنِي بِخَصِيبِ
لَيْسَ وَالله خَصِيبٌ لِلَّذِي بِي بِطَبِيبِ
إنَّمَا يَعْرِفُ دائِي مَنْ بِهِ مِثْلُ الّذِي بِي

قال: وكان خصيب عالماً بمرضه، فنظر إلى مائه فقال: زعم جالينوس[1] أن صاحب هذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يَعِشْ، فقيل له: إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت إلى خطئه أحوجَ منِّي إليه في هذا الوقت. قال: ومات من علته.

صوت

[الطويل]

خَلِيلَيَّ مِنْ ألْمَا فَسَلِّمَا عَلَى مَرْيَمٍ، لا يُبْعِدِ الله مَرْيَمَا
وَقُولا لَهَا هٰذا الفِراقُ عَزَمْتِهِ فَهَلْ مِنْ نَوالٍ قَبْلَ ذاكَ فَنَعْلَمَا

الشعر للأسود بن عمارة النوفلي، والغناء لدحمان ثاني ثقيل بالوسطى.

(١) جالينوس: طبيب يوناني توفي سنة ٢٠٠م.

أخبار الأسود ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو ـ فيما أخبرني به الحَرَميّ بن أبي العلاء والطُّوسي، عن الزبير بن بكّار، عن عمّه ـ الأسود بن عمارة بن الوليد بن عديّ بن الخِيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان الأسود شاعراً أيضاً.

[بعض أخباره وشعره]

قال الزبير ـ فيما حدّثنا به شيخانا المذكوران[١] عنه ـ: وحدّثني عمّي قال: كان عمارة بن الوليد النوفلي أبو الأسود بن عمارة شاعراً، وهو الذي يقول:

صوت [الخفيف]

تِلْكَ هِنْدٌ تَصُدُّ لِلْبَيْنِ صَدّا ... أدلالاً أمْ هِنْدُ تَهْجُرُ جِدّا
أمْ لِتَنْكَا بِهِ قُرُوحَ فُؤادي ... أمْ أرادَتْ قَتْلِي ضِراراً وَعَمْدا[٢]
قَدْ بَرانِي وَشَفَّنِي الوَجْدُ حَتّى ... صِرْتُ مِمّا ألْقَى عِظاماً وجِلْدا
أيُّها النّاصِحُ الأمِينُ رَسولاً ... قُلْ لِهِنْدٍ عَنّي إذا جِئْتَ هِنْدا

عَلِمَ الله أنْ قَدْ أُوتِيتِ مِنّي ... غَيْرَ مَنٍّ بِذاكِ نُصْحاً وَوِدّا
ما تَقَرَّبْتُ بِالصَّفاءِ لأدْنُو ... مِنْكِ إلاّ نَأيْتِ وَازْدَدْتِ بُعْدا

---

(١) أراد الحرميّ والطوسي.

(٢) تنكا: تنكأ وسهل الهمزة. ونكأ الجرح: قشره قبل أن يبرأ.

الغناء لعَبادل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفي كتاب حَكَم: الغناء له خفيف رمل، وفي كتاب يونس: فيه لحن ليونس غير مجنَّس، وفيه ليحيى المكي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أوّل.

قال الزبير: قال عمّي ومن لا يعلم: يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلي، قال: وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة، وهو القائل: [الطويل]

خَلِيلَيَّ مِنْ سَعْدٍ أَلِمَّا فَسَلِّما عَلَى مَرْيَم، لا يُبْعِدِ اللهُ مَرْيَما
وَقُولا لَها هذا الفراقُ عَزَمْتِهِ فَهَلْ مِنْ نَوالٍ قَبْلَ ذاكَ فَنَعْلَما

قال: وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كُثَير بن الصَّلْت: [الطويل]

ذَكَرْناكَ شُرْطِيّاً فَأَصْبَحْتَ قاضِياً وَصِرْتَ أَمِيراً، أَبْشِري قَحْطانُ
أَرَى نَزَواتٍ بَيْنَهُنَّ تَفاوُتٌ وَلِلدَّهْرِ أَحْداثٌ وَذا حَدَثانُ[1]
أَقِيمِي بَنِي عَمْرو بن عَوْفٍ أَوِ ارْبَعي لِكُلِّ أُناسٍ دَوْلَةٌ وَزَمانُ[2]

قال: وإنما خاطب بني عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيريّ كان تزوج إليهم، وإنما قال: «أبشري قحطان» لأن كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال: كان أبي يتعشّق جارية مولَّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة، ويقال للجارية مريم، فغاب غَيبة إلى الشام، ثم قدِم فنزل في طرف المدينة، وحمل متاعه على حمّالين، وأقبل يريد منزلَه، وليس شيء أحبّ إليه من لقاء مريم، فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها[3]، وعيناها تدمَعان، فساءلها وساءلته، فقال للعجوز: ما هذه المصيبة التي أُصبتِ بها؟ قالت: لم أُصَب بشيء إلاّ مَبيعي مريم، قال: وممّن بعتها؟ قالت: من رجل من أهل العراق، وهو على الخروج، وإنما ذهبتُ بها حتى ودّعتْ أهلَها، فهي تبكي من أجل ذلك، وأنا أبكي من أجل فراقها، قال: الساعةَ تخرج؟ قالت: نعم الساعة

(١) حدثان الدهر: حوادثه.
(٢) ربع: انتظر.
(٣) قارعتها: أراد قارعة المدينة. وقارعة الطريق: أعلاها.

تخرج، فبقي متبلِّداً حائراً، ثم أرسلَ عينيه يبكي، وودَّع مريمَ وانصرف، وقال قصيدته التي أوّلها: [الطويل]

خَلِيلَيَّ مِنْ سَعْدٍ أَلِمَّا فَسَلِّما عَلَى مَرْيَم، لا يُبْعِدِ اللهُ مَرْيَمَا
وقُولا لها هٰذا الفِراقُ عَزَمْتِهِ فَهَلْ مِنْ نَوالٍ قَبْلَ ذاكَ فَنَعْلَمَا

قال: وهي طويلة، وقد غَنَّى بعضُ أهل الحجاز في هذين البيتين غناءً زَيانبياً[1]. هكذا قال ابن عمّار في خبره.

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال: حدثني ابن مهرُويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو العباس أحمد بن مالك اليمامي، عن عبد الله بن محمد البواب قال: سألت الخيزُرانُ[2] موسى الهادي أن يولي خاله الغِطريف اليَمَن، فوعدها بذلك ودافَعَها[3] به، ثم كتبتْ إليه يوماً رُقعةً تتنجَّزه فيها أمره، فوجه إليها برسولها يقول: خيِّرْيه بين اليمن وطلاق ابنته، أو مُقامي عليها ولا أُولِّيه اليمن، فأيُّهما اختار فعلته، فدخل الرسول إليها ـ ولم يكن فهم عنه ما قال ـ فأخبرها بغيره، ثم خرج إليه فقال: تقول لك: ولاية اليمن، فغضب وطلَّق ابنته وولاّه اليمن، ودخل الرسول فأعلمه بذلك، فارتفع الصياح من داره، فقال: ما هذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أو لم تخترْ ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدّى غيرَه، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلَّى وقال له: أقِمْ على رأس كل رجل بحضرتي من النُّدمَاء رجلاً بسيف، فمن لم يطلِّق امرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، ولم يبرح من حضرته أحد إلاَّ وقد طلَّق امرأته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إليَّ فأخبروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفِّع بطَيلسانه يراوح بين رجليه، فخطر ببالي:

خَلِيلَيَّ مِنْ سَعْدٍ أَلِمّا فَسَلِّما على مَرْيَم، لا يُبْعِدِ الله مَرْيَما
وَقُولاَ لها: هٰذا الفِراقُ عَزَمْتِهِ فَهَلْ مِنْ نَوالٍ قَبْلَ ذاكَ فَنَعْلَمَا

(١) زيانبي: نسبة إلى الزيانب وهم اسم لسبعة أصوات ليونس الكاتب: (أنظر أخبار يونس الكاتب في الجزء الرابع من هذه النسخة من الأغاني).

(٢) الخيزران: أم موسى الهادي بن المهدي العباسي.

(٣) دافعها: مطلها.

(٤) راوح بين رجليه: قام على كل رجل مرّة.

فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لي: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعاني تُحسِّن الشعر وتفسده وإنما قال: «فنعلما» ليعلم هو القصة، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرتُ إليه من مراجعتي إياه، ثم عرّفته خبر الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف وهو يقول: «هذا أحقّ منزل بِتَرْكِ».

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصَّلْت على شُرْطَةِ المدينة، ثم ولي القضاء، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن علي، فقال الأسود بن عمارة:

ذَكَرْتُكَ شُرْطياً، فأصْبَحْتَ قاضِياً ... فَصِرْتَ أمِيراً، أبْشِرِي قَحْطَانُ
أرى نَزَوَاتٍ بَيْنَهُنَّ تَفاوُتٌ ... وَلِلدَّهْرِ أحْداثٌ وذا حَدَثَانُ
أرَى حَدَثاً مِيطانُ مُنْقَطِعٌ لَهُ ... ومُنْقَطِعٌ مِنْ بَعْدِهِ وَرِقانُ[1]
أقِيمِي بَنِي عَمْرِو بن عَوْفٍ أو ارْبَعِي ... لِكُلِّ أناسٍ دَوْلَةٌ وَزَمانُ

صوت

[المديد]

هَلْ لِدَهْرٍ قد مَضَى مِنْ مَعادِ ... أوْ لِهَمٍّ داخِلٍ مِنْ نَفادِ
أذْكَرَتْنِي عِيشَةً قَدْ تَوَلَّتْ ... هاتِفاتٌ نُحْنَ في بَطْنِ وادِي
هِجْنَ لي شَوْقاً والْهَبْنَ ناراً ... لِلْهَوَى في مُسْتَقَرِّ الفُؤادِ
بانَ أحْبابِي وَغُودِرْتُ فَرْداً ... نُصْبَ ما سَرَّ عُيونَ الأعادِي

الشعر لعلي بن الخليل، والغناء لمحمد الرف، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة.

---

(١) ميطان: جبل بالمدينة. وورقان: جبل على يمين المصعد من المدينة إلى مكة. انظر: (معجم البلدان ٥/٢٤٣، و ٥/٣٧٢).

أخبار علي بن الخليل

[٢٢٦ ـ ٢٩٦هـ/ ٨١١ ـ ٨٧٩م]

[اسمه وولاؤه]

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيباني، ويكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بن عبد القدّوس لا يكاد يفارقه، فاتُّهم بالزّندقة، وأُخذ مع صالح ثم أُطلق لمّا انكشف أمره.

قال محمد بن داود بن الجراح: حدّثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافقة[1] للمظالم، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكئ على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب، في يده قصة، فلما رآه أمر بأخذ قصته، فقال له: يا أمير المؤمنين أنا أحسن عبارة لها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشده فيها قصيدته:

[الكامل]

يـا خَـيْـرَ مَـنْ وَخَـدَت بـأَرْحُـلِـهِ نُـجُـبُ الـرِّكـابِ بِـمَـهْـمَـهٍ جَـلْـسِ[2]

فاستحسنها الرشيد وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخُص به بعد ذلك وأكثر مدحه.

[مدحه الرشيد]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال:

(١) الرافقة: بلد متصل بالرقة من أعمال الجزيرة على ضفة الفرات. (معجم البلدان ٣/ ١٥).

كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ـ وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر ـ فأنشده علي بن الخليل:

يا خَيْرَ مَنْ وَخَدَتْ بِأَرْحُلِهِ نُجُبٌ تَخُبُّ بِمَهْمَهٍ جَلْسِ[(١)]
تَطْوِي السَّباسِبَ في أزِمَّتِها طَيَّ التِّجارِ عَمائِمَ البُرْسِ[(٢)]
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ إذْ طَلَعَتْ كسفتْ بِوَجْهِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ
خَيْرُ البَرِيَّةِ أنتَ كُلِّهِمُ في يَوْمِكَ الغادِي وفي أمْسِ
وَكَذاكَ لَنْ تَنْفَكَّ خَيْرَهُمُ تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ ما تُمْسِي
لله ما هٰرُونُ مِنْ مَلِكٍ بَرُّ السَّرِيرَةِ طاهِرُ النَّفْسِ
مَلِكٌ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نِعَمٌ تَزْدادُ جِدَّتُها عَلى اللُّبْسِ
تَحْكِي خِلافَتُهُ بِبَهْجَتِها أنَقَ السُّرور صَبِيحَةَ العُرْسِ[(٣)]
مِنْ عِتْرَةٍ طابَتْ أرُومَتُهُمْ أهْلِ العَفافِ وَمُنْتَهَى القُدْسِ[(٤)]
نُطُقٍ إذا احْتُضِرَتْ مَجالِسُهُمْ وَعَنِ السَّفاهَةِ وَالخَنا خُرْسِ
إنِّي إلَيْكَ لَجَأْتُ مِنْ هَرَبٍ قد كانَ شَرَّدَني وَمِنْ لَبْسِ[(٥)]
واخْتَرْتُ حُكْمَكَ لا أُجاوِزُهُ حَتَّى أُوَسَّدَ في ثَرَى رَمْسِي
لَمَّا اسْتَخَرْتُ الله في مَهَلٍ يَمَّمْتُ نَحْوَكَ رِحْلَةَ العَنْسِ
كَمْ قَدْ قَطَعْتُ إلَيكَ مُدَّرِعاً لَيْلاً بَهِيمَ اللَّوْنِ كالنِّقْسِ[(٦)]
إنْ هاجَنِي مِن هاجِسٍ جَزَعٌ كانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي
ما ذاكَ إلا أنَّنِي رَجُلٌ أصْبو إلى بَقَرٍ مِنَ الإنْسِ
بَقَرٍ أوانِسَ لا قُرُونَ لَها نُجْلِ العُيُونِ نَواعِمٍ لُعْسِ[(٧)]

---

(١) وخد البعير: أسرع ووسع خطوه. والأرحل: جمع رحل وهو ما يوضع على ظهر البعير المركوب. والنجب: جمع نجيب، وهو من أفضل الإبل. والمهمه: المفازة البعيدة. والجلس: الغليظ المرتفع من الأرض.

(٢) السباسب: جمع سبسب، وهو الفلاة. والبرس: القطن.

(٣) أنق السرور: فرحه.

(٤) عترة الرجل: نسله ورهطه وعشيرته. والأرومة: الأصل.

(٥) اللَّبْس: الإشكال، الالتباس.

(٦) مدّرعاً الليل: متستراً بظلامه. والنقس: المداد.

(٧) العين النجلاء: الواسعة الحسنة، وجمعها نُجْل. والشفة اللعساء: الشفة التي لونها أسود في حمرة والجمع: لُعْس.

رَدْعُ العَبيرِ على تَرائِبِها يُقْبِلْن بالتَّرْجيب والخَلْسِ[١]
وأشاهِدُ الفِتْيانَ بَيْنَهُمُ صَفْراءُ عِنْدَ المَزْجِ كالوَرْسِ[٢]
لِلْماء في حافاتِها حَبَبٌ نُظُمٌ كَرَقْمِ صَحائِفِ الفُرْسِ[٣]
وَالله يَعْلَمُ في بَقِيَّتِهِ ما إن أضَعْتُ إقامَةَ الخَمْسِ

فأطلقه الرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله: [السريع]

وَالشَّيْخُ لا يَتْرُكُ أخْلاقَهُ حَتَّى يُوارَى في ثَرَى رَمْسِه

وقال: إنما زعمت ألاَّ تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان عافيةُ بن يزيد يَصحب ابن عُلاثة، فأدخله على المهدي، فاستقضاه معه بعسكر المهديّ وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله كذلك، أدخله إلى المهديّ ليعرض عليه، فغلب عليه، فقال علي بن الخليل في ذلك: [مجزوء الكامل]

عَجَباً لِتَصْريفِ الأمُو رِ مَسَرَّةً وَكَراهِيَهْ
رَثَّتْ لِيَعْقُوبَ بْنِ دا ودِ حِبالُ مُعاوِيَهْ[٤]
وَعَدَتْ على ابْنِ عُلاثَةَ الْـ ـقاضي بَوائِقُ عافِيَهْ[٥]
أدْخَلْتَهُ فَعَلا عليـ ـكَ كذاكَ شُؤمُ النّاصِيَهْ
وأخَذْتَ حَتْفَكَ جاهِداً بِيَمينِكَ المُتَراخِيَهْ
يَعْقُوبُ يَنْظُرُ في الأمو رِ وأنْتَ تَنْظُرُ ناحِيَهْ

---

(١) ردع العبير: أثر الطيب. والترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين أو هي موضع القلادة. والخلس: النظر خلسة.

(٢) الورس: نبات يستخرج منه صبغ أصفر.

(٣) الحبب: النفاخات والفقاقيع التي تطفو فوق الخمر.

(٤) معاوية: هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار وزير المهدي العباسي.

(٥) بوائق: جمع بائقة وهي الداهية.

[خبر ابن الجهم مع المأمون]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمرو بن فِراس الذُّهْلي عن أبيه قال: قال لي محمد بن الجَهْم البرمكي: قال لي المأمون يوماً: يا محمد أنشدني بيتاً من المديح جيّداً فاخراً عربياً لمحدَث حتى أولّيكَ كُورةً تختارها. قال: قلت قول علي بن الخليل: [الكامل]

فَمَعَ السَّماءِ فُروعُ نَبْعَتِهِمْ ... ومَعَ الحَضِيضِ مَنابِتُ الغَرْسِ
مُتَهَلِّلينَ على أسِرَّتِهِمْ ... وَلَدَى الهِياجِ مَصاعِبٍ شُمْسِ[1]

فقال: أحسنت، وقد وليتك الدِّينَوَر[2]، فأنشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أولّيك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول: [الكامل]

قَبُحَتْ مَناظِرُهُمْ فَحِينَ خَبَرْتُهُمْ ... حَسُنَتْ مَناظِرُهُمْ لِقُبْحِ المَخْبَرِ

فقال: قد أحسنت، قد ولّيتك هَمذان، فأنشدني مَرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول: [الطويل]

أرادُوا لِيُخفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ ... فَطِيبُ تُرابِ القَبْرِ دلَّ على القَبْرِ

فقال: قد أحسنت، قد ولّيتك نهاوَنْد[3]، فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول: [الطويل]

تَعالَيْ نُجَدِّدْ دارِسَ العِلْمِ بَيْنَنا ... كِلانا على طُولِ الجَفاءِ مَلُومُ

فقال: قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السُّوس من كُوَر الأهواز، فولاني ذلك أجمع، ووجّهت إلى السوس بعض أهلي.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد، عن التَّوَّزيّ قال: نزل أبو دُلامة بدِهقان يُكنَى أبا بِشْر، فسقاه شراباً أعجبه، فقال في ذلك:

سَقاني أبُو بِشْرٍ منَ الرّاحِ شَرْبَةً ... لَها لَذَّةٌ ما ذُقْتُها لِشَرابِ
وَما طَبَخُوها غَيْرَ أنَّ غُلامَهُمْ ... سَعَى في نَواحِي كَرْمِها بِشِهابِ

---

(١) الشُّمْس: جمع شموس، وهو النفور الصعب.

(٢) الدينور: مدينة من أعمال الجبل. (معجم البلدان ٢/٥٤٥).

(٣) نهاوند: بلد بهمذان. (معجم البلدان ٥/٣١٣).

قال: فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال: أحرقه العبد أحرقه الله.

أخبرني الحسن بن علي، وعمي الحسن بن محمد، قالا: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمد بنُ عمران الضبيّ عن عليّ بن يزيد قال، ولد ليزيد بن مَزْيَد ابن، فأتاه عليّ بن الخليل فقال: اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسّم وقال: هات، فأنشده: [السريع]

يَزِيدُ يابْنَ الصَّيدِ مِنْ وائِلٍ ... أهْلِ الرِّياساتِ وأهْلِ المَعالْ
يا خَيْرَ مَنْ أنْجَبَهُ وَالِدٌ ... لِيَهْنِكَ الفارِسُ لَيْثُ النِّزالْ
جاءَتْ بِهِ غَرَّاءُ مَيْمُونَةٌ ... وَالسَّعْدُ يَبْدو في طُلُوعِ الهِلالْ
عَلَيْهِ من مَعْنٍ ومِنْ وائِلٍ ... سِيمَا تباشِيرٍ وَسِيمَا جَلالْ[1]
والله يُبْقِيهِ لنا سَيِّداً ... مُدافِعاً عَنَّا صُروفَ اللَّيالْ
حَتَّى نَراهُ قد عَلا مِنْبَراً ... وفاضَ في سُؤَّالِهِ بالنَّوالْ
وسَدَّ ثَغْراً فكَفَى شَرَّهُ ... وقارَعَ الأبْطالَ تحتَ العَوالْ[2]
كَما كَفانا ذاكَ آباؤهُ ... فَيَحْتَذِي أفْعالَهُمْ عن مِثالْ

فأمر له عن كل بيت بألف دينار.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني ابن الأعرابي المنجّم الشّيباني، عن عليّ بن عمرو الأنصاري، قال: دخل علي بن الخليل على المهديّ فقال له: يا عليّ، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: تبت منها. قال: فأين قولك؟: [المديد]

أولِعَتْ نَفْسِي بِلَذَّتِها ... ما تَرَى عَنْ ذاكَ إقْصارا

وأين قولك؟: [الوافر]

إذا ما كُنْتَ شارِبَها فَسِرّاً ... وَدَعْ قَوْلَ العَواذِلِ واللَّواحِي[3]

قال: هذا شيء قلتُه في شبابي، وأنا القائل بعد ذلك: [الوافر]

علَى اللَّذَّاتِ والرّاحِ السَّلامُ ... تَقَضَّى العَهْدُ وانْقَطَعَ الذِّمامُ

---

(١) السيما: العلامة.

(٢) الثغر: الموضع الذي يخاف هجوم العدوّ منه. والعوالي: الرماح.

(٣) العواذل، واللواحي: اللوّام.

مَضى عَهْدُ الصِّبا وَخَرَجْتُ مِنْهُ كما مِنْ غِمْدِهِ خَرَجَ الحُسامُ
وَقُرْتُ عَلى المَشِيبِ فليسَ مِنّي وِصالُ الغانياتِ ولا المُدامُ[1]
وَوَلّى اللَّهْوُ والقَيْناتُ عَنّي كما وَلّى عن الصُّبْحِ الظَّلامُ
حَلَبْتُ الدَّهرَ أَشْطُرَهُ فَعِنْدي لِصَرْفِ الدَّهرِ مَحْمُودٌ وَذَامُ[2]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثني محمد بن الحسن بن الحَرون، عن عليّ بن عبيدة الشيباني، قال: دخل عليّ بن الخليل ذاتَ يوم إلى معن بن زائدة فحادَثه وناشَده، ثم قال له معن: هل لك في الطعام؟ قال: إذا نشط الأمير، فأُتيا بالطعام، فأكلا، ثم قال: هل لك في الشراب؟ قال: إن سقيتَني ما أريد شربتُ، وإن سقيتَني من شرابك فلا حاجةَ لي فيه، فضحك ثم قال: قد عرفت الذي تريد، وأنا أسقيك منه، فأُتِي بشراب عتيق، فلما شرب منه وطابت نفسُه أنشأ يقول: [السريع]

يا صاحِ قد أنعَمْتَ إصْباحي بِبارِدِ السَّلْسالِ والرَّاحِ[3]
قد دارَتِ الكأسُ بِرَقْراقَةٍ حَياةِ أبْدانٍ وَأرْواحِ
تَجْري على أغْيَدَ ذي رَوْنَقٍ مُهَذَّبِ الأخْلاقِ جَحْجاحِ
لَيْسَ بِفَحّاشٍ على صاحِبٍ ولا عَلى الرَّاحِ بِفَضّاحِ
تَسُرُّهُ الكأسُ إذا أقْبَلَتْ بِريحِ أُتْرُجٍّ وَتُفّاحِ
يَسْعَى بِها أزْهَرُ في قُرْطَقٍ مُقَلَّدِ الجِيدِ بأوْضاحِ[4]
كَأنَّها الزُّهَرَةُ في كَفِّهِ أو شُعْلَةٌ في ضَوْءِ مِصْباحِ

حدّثنا عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: كان لعلي بن الخليل الكوفي صديق من الدَّهاقِين يعاشره ويَبرّه، فغاب عنه مدّةً طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالاً ورفعة، وقويتْ حالُه، فادّعى أنه من بني تميم، فجاءه عليّ بن الخليل فلم يأذن له، ولقيه فلم يسلِّم عليه، فقال

---

(١) وقر: رزن، فهو وقور.

(٢) حلبت الدهر أشطره: جربت حلوه ومرّه. واللذام: اللمّ.

(٣) السلسال: الخمر السهلة اللينة. والراح: الخمر.

(٤) القرطق: من لباس العجم. والأوضاح: جمع وضح وهو حلي من الفضة.

يهجوه: [مجزوء الوافر]

يَـرُوحُ بِـنِـسْـبـةِ الـمَـوْلَـى ... ويُـصْـبِـحُ يَـدَّعِـي الـعَـرَبـا
فـلا هـذا ولا هـذا ... كَ يُـدْرِكُـهُ إذا
أتَـيْـنـاهُ بِـشَـبُّـوطٍ ... تَـرَى فـي ظَـهْـرِهِ حَـدَبـا[1]
فـقـالَ: أمَـا لِـبُـخْـلِـكَ مـن ... طـعـام يُـذْهِـبُ الـسَّـغَـبـا[2]
فَـصِـدْ لأخِـيـكَ يَـرْبُـوعـاً ... وَضَـبّـاً وَاتْـرُكِ الـلَّـعِـبـا
فَـرَشْـتُ لـهُ قَـرِيـحَ الـمِـشْـ ... ـكِ والـنِّـسْـرِيـنَ وَالـغَـرَبـا[3]
فَـأمْـسَـكَ أنْـفَـهُ عَـنْـهـا ... وقـامَ مُـوَلِّـيـاً هَـرَبـا
يَـشَـمُّ الـشِّـيـحَ وَالـقَـيْـصُـو ... مَ كَـيْ يَـسْـتَـوْجِـبَ الـنَّـسَـبـا
وقـامَ إلَـيْـهِ سـاقِـيـنـا ... بـكـأسٍ تَـنْـظِـمُ الـحَـبَـبَـا
مُـعَـتَّـقَـةٍ مُـرَوَّقَـةٍ ... تُـسَـلِّـي هَـمَّ مَـنْ شَـرِبـا
فـآلَـى لا يُـسَـلْـسِـلُـهـا ... وقـالَ اَصْـبُـبْ لـنـا حَـلَـبـا[4]
وَقَـدْ أبْـصَـرْتُـهُ دَهْـراً ... طَـوِيـلاً يَـشْـتَـهِـي الأدَبـا
فـصـارَ تَـشَـبُّـهـاً بـالـقَـوْ ... مِ جِـلْـفـاً جـافِـيـاً جَـشِـبـا[5]
إذا ذُكِـرَ الـبَـرِيـرُ بَـكَـى ... وَأبْـدَى الـشَّـوْقَ وَالـطَّـرَبـا[6]
وَلَـيْـسَ ضَـمِـيـرُهُ فـي الـقَـوْ ... مِ إلاَّ الـتِّـيـنَ والـعِـنَـبـا
جَـحَـدْتَ أبـاكَ نِـسْـبَـتَـهُ ... وَأرْجُـو أنْ تُـفِـيـدَ أبـا

قال عليّ بن سليمان: وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعلي بن الخليل في هذا الذكر، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعليّ، قال: [السريع]

يـا أيُّـهـا الـرَّاغِـبُ عَـنْ أصْـلِـهِ ... مـا كُـنْـتَ فـي مَـوْضِـعِ تَـهْـجِـيـنِ[7]

(١) الشَّبُّوط: ضرب من السمك.
(٢) السَّغب: الجوع.
(٣) القريح: الخالص. والغَرَب: ضرب من الشجر.
(٤) الحلب: اللبن المحلوب.
(٥) الجَشِب: الخشن الغليظ.
(٦) البرير: ثمر الأراك.
(٧) التهجين: التقبيح.

مَتَى تَعَرَّبْتَ وَكُنْتَ أمْرأً ... مِنَ المَوالِي صالِحَ الدِّينِ
لَوْ كُنْتَ إذْ صِرْتَ إلى دَعْوَةٍ ... فُزْتَ مِنَ القَوْمِ بِتَمْكِينِ
لَكُفَّ مِنْ وَجْدِي، ولٰكِنَّنِي ... أراكَ بَيْنَ الضَّبِّ وَالنُّونِ
فَلَوْ تَرَاهُ صارِفاً أنْفَهُ ... مِنْ رِيحِ خِيرِيٍّ ونِسْرِينِ[1]
لَقُلْتَ: جِلْفٌ مِنْ بَنِي دارِمٍ ... حَنَّ إلى الشِّيحِ بِيَبْرِينِ[2]
دُعْمُوصُ رَمْلٍ زَلَّ عن صَخْرَةٍ ... يعافُ أرواحَ البَساتِينِ[3]
تَنْبُو عن النَّاعِمِ أعْطافُهُ ... وَالخَزِّ والسِّنجابِ والِّلينِ

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً، قالا: حدّثنا حمَّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان عليّ بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية لعُتبة مَوْلاة المهدي، فمرَّت به عُتبة في موكِبها والجارية معها، فوقفتْ عليه وسلَّمتْ، وسألت عن خبره، فلم يوفِّها حقَّ الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما أنصرفتْ أقبل عليه عليّ بن الخليل، فقال له: [مجزوء الكامل]

رَاقِبْ بِطَرْفِكَ مَن تخا ... فُ إذا نَظَرْتَ إلى الخَلِيلِ
فإذا أمِنْتَ لِحاظَهُمْ ... فَعلَيكَ بالنَّظَرِ الجَمِيلِ
إن العيونَ تَدُلُّ بالـ ... نَّظَرِ المَلِيحِ على الدَّخِيلِ
إمَّا عَلَى حُبٍّ شَدِيـ ... دٍ أو على بُغْضٍ أصِيلِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تِينة قال: كان عليّ بن الخليل يَصحَب بعضَ ولد جعفر بن المنصور، فكتب إليه والبةُ بنُ الحُباب يدعوه، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومَه ذلك عنه، ويصف له طِيبَ مجلسه وغناءً حصَّله وغلاماً دعاه، فكتب إليه علي بن الخليل: [مجزوء الوافر]

أمَا وَلِحَاظِ جارِيَةٍ ... تُذِيبُ حُشاشَةَ المُهَجِ[4]
وَسِحْرِ جُفُونِها المُضْنِيـ ... ـكَ بينَ الفَتْرِ والدَّعَجِ[5]
مَلِيحَةُ كُلِّ شَيْءٍ ما ... خلا مِنْ خُلْقِها السَّمِجِ

---

(١) الخيريّ: المنثور الأصفر.
(٢) يبرين: رمل لا تدرك أطرافه من أصقاع البحرين. (معجم البلدان ٥/٤٢٧).
(٣) الدعموص: دويبة صحراوية.
(٤) الحشاشة: بقية الروح. والمهج: جمع مهجة: النفس والروح.
(٥) الفَتْر: الفتور. والدَّعج: سواد العين وسعتها.

وَحُرْمَةِ دَنِّكَ المَبْزُو ... لِ وَالصَّهْبَاءُ مِنْهُ تَجِي
كَأَنَّ مَجِيئَهَا فِي الكَأْ ... سِ حِينَ تُصَبُّ مِنْ وَدَجِ[1]
لَوِ انْعَرَجَ الأَنَامُ إِلَى ... بَشَاشَةِ مَجْلِسٍ بَهِجِ
وَكُنْتُ بِجَانِبٍ جَدْبٍ ... لَكَانَ إِلَيْكَ مُنْعَرَجِي

وصار إليه في إثر الرقعة.

(١) الوَدَج: عرق في العنق.

أخبار محمد الزَّفّ

[توفي نحو سنة ١٩٣هـ /نحو سنة ٨٠٩م]

[اسمه ولقبه ونسبه وسكنه]

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم، كوفي الأصل والمولد والمنشأ؛ والزَّفّ لقب غلب عليه، وكان مغنّياً ضارباً طيّب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذاً للغناء، وأصحّهم أداءً له، وأذكاهم، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثاً أدّاه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، فكانا يرفعان منه. ويقدّمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء، وكانت فيه عربدة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه، ومنعه من الوصول إليه، وجفاه وتناساه، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين.

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل.

[قوة حفظه، وغناؤه]

أخبرني ابن جعفر جحظة قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد:

صوت [الطويل]

جَسُورٌ على هَجْرِي، جَبانٌ على وَصْلِي كَذوبٌ غَدا يَسْتَتْبِعُ الوَعْدَ بِالمَطْلِ[1]

(١) المطل: التسويف، والمماطلة.

مُـقَـدَّمُ رِجْـلٍ فـي الـوِصـالِ مُـؤَخِّـرٌ لأُخرَى، يَشُوبُ الجِدَّ في ذاكَ بِالْهزلِ[1]
يَـهُـمّ بِـنـا حَـتّـى إذا قُـلْـتُ قـد دَنـا وجادَ ثَنى عِطْفاً ومالَ إلى البُخْلِ
يَـزيـدُ امـتـنـاعـاً كُـلَّـمـا زِدْتُ صَـبْـوَةً وَازْدادَ حِـرْصـاً كـلَّـمـا ضَـنَّ بِـالـبَـذْلِ

فأحسن فيه ما شاء وأجمل، فغمزت عليه محمداً الزَّفّ، وفطن لما أردت، واستحسنه الرشيد، وشرب عليه، واستعاده مرتين أو ثلاثاً، ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءني، وأومأت إلى مخارِق وعلّويه وعقيد فجاءوني، فأمرته بإعادة الصوت، فأعاده وأدّاه كأنه لم يزل يرويه، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم، ثم عدت إلى المجلس، فلما انتهى الدَّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شيء غنّيته، فنظر إليَّ ابن جامع محدِّداً نظره، وأقبل عليَّ الرشيد فقال: أكنت تروي هذا الصوت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال ابن جامع: كذب والله، ما أخذه إلا مني الساعة. فقلت: هذا صوت أرويه قديماً، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني، وأقبلت عليه، فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت، فأقبل عليّ فقال: بحياتي اصدقني عن القصة، فصدَقتُه، فجعل يضحك ويصفِّق ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامعٍ الزَّفّ.

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوَّل بالبنصر، والصنعة لابن جامع من رواية الهشاميّ وغيره.

قال أبو الفرج: وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية، فقال فيه قال: محمد الزَّفّ أروَى خلق الله للغناء، وأسرعُهم أخذاً لما سمعه منه، ليست عليه في ذلك كلفة، وإنما يسمع الصوت مرَّة واحدة وقد أخذه، وكنَّا معه في بلاء إذا حضر، فكان من غنَّى منا صوتاً فسأله عدوٌّ له أو صديق أن يلقيه عليه، فبخل ومنعه إياه، سأل محمداً الزَّفّ أن يأخذه، فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله؛ فكان أبي يبره ويصله ويُجديه[2] من كل جائزة وفائدة تصل إليه، فكان غناؤه عنده حِمى مصوناً لا يقربه، ولم يكن طيِّب المسموع، ولكنَّه كان أطيب الناس نادرةً، وأملَحهم مجلساً، وكان

---

(١) يشوب: يخلط.

(٢) يجديه: يعطيه.

مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنِّين لبخله، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه، وأصغى سمعه إليه، حتى يحكيه، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورِفد، فغنَّى يوماً بحضرة الرشيد:

صوت

[الخفيف]

أرْسَلتْ تُقْرِىءُ السَّلامَ الرَّبابُ ... في كِتابٍ وقد أتانا الكِتابُ
فيهِ: لَوْ زُرْتَنا لَزُرْناكَ لَيْلاً ... بِمِنًى حَيْثُ تَسْتَقِلّ الرِّكابُ[1]
فأجَبْتُ الرَّبابَ: قد زُرْتُ لكِنْ ... ليَ مِنْكُمْ دونَ الحِجابِ حِجابُ
إنّما دَهْرُكِ العِتابُ وَذَمّي ... لَيْسَ يُبْقِي عَلى المُحِبِّ عِتابُ

ولحنه من الثقيل الأوّل، فأحسن فيه ما شاء، ونظرتُ إلى الزُّفّ فغمزتُه وقمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت له: أي شيء عملت؟ فقال: قد فرغت لك منه، قلت: هاته، فرده عليَّ ثلاثَ مرات، وأخذتُه وعدت إلى مجلسي، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً، فقاما، وتَبِعَهما فألقاه عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه، فعرَّفاني أنهما قد أخذاه، فلما بلغ الدَّور إليَّ كان الصوت أوَّل شيء غنَّيته، فحدَّد الرشيد نظره إليَّ، ومات ابن جامع وسُقِط في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه قديماً، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غنِّياه، فغنَّياه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إليَّ، فغمزْته بعيني أنه صدق، وجدّ الرشيد في العبث به بقيّة يومه، ثم سألني بعد ذلك عن الخبر، فصدقته عنه وعن الزُّفّ، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفه ابن جامع الزُّفّ، قال حماد: وللزفّ صنعة يسيرة جيِّدة منها في الرمل الثاني:

صوت

[الكامل]

لِمَنِ الظَّعائِنُ سَيْرُهُنَّ تَزَحُّفُ ... عَوْمَ السَّفِينِ إذا تَقاذَفَ مِجْذَفُ[2]

(١) تستقل: ترحل، تمضي.

(٢) الترحُّف: السير البطيء. والسفين: جمع سفينة.

مَرَّتْ بِذي حُسُمٍ كأنَّ حُمولَها نَخْلٌ بِيَثْرِبَ طَلْعُها مُتَزَحِّفُ[١]
فَلَئِنْ أصابَتْني الحُروبُ لَرُبَّما أُدعى إذا مُنِعَ الرِّدافُ فأُرْدِفُ[٢]
فأُثيرُ غاراتٍ وأشْهَدُ مَشْهَداً قَلْبُ الجبانِ به يَطِيشُ فَيَرْجُفُ

قال: ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة:

صوت [الطويل]

إذا شِئْتَ غَنَّتْنِي بأجْراعِ بِيشَةٍ أو النخلِ مِنْ تَثْليثَ أوْ مِنْ يَلَمْلَمَا[٣]
مُطَوَّقَةٌ طَوْقاً وليسَ بِحِلْيَةٍ ولا ضَرْبَ صَوّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَما
تُبَكِّي على فَرْخٍ لها ثُمَّ تَغْتَدِي مُدَلَّهةً تَبْغِي لَهُ الدَّهْرَ مَطْعَمَا[٤]
تُؤمِّلُ منهُ مُؤنِساً لانْفِرادِها وتَبْكي عَلَيْهِ إنْ زَقَا أو تَرَنَّما[٥]

ومن صنعته في هذه الطريقة:

صوت [مخلع البسيط]

يا زائرَيْنا مِنَ الخِيامِ حَيَّاكُما الله بالسَّلامِ
يَحْزُنُنِي أنْ أَطَعْتُماني ولَمْ تَنالا سِوَى الكَلامِ
بُورِكَ هارونُ مِنْ إمامِ بِطاعَةِ الله ذي اعْتِصامِ
لَهُ إلى ذي الجَلالِ قُرْبَى لَيْسَتْ لِعَدْلٍ ولا إمامِ

وله في هذه الطريقة:

صوت [البسيط]

بانَ الحبيبُ فَلاحَ الشَّيبُ في راسِي وَبِتُّ مُنْفَرداً وحدِي بِوَسْواسِ

---

(١) ذو حسم: موضع في البادية. (معجم البلدان ٢/٢٥٨). والحُمُول: الهوادج، أو الإبل عليها الهوادج. ويثرب: المدينة المنورة.
(٢) أردفه: أركبه خلفه.
(٣) أجراع بيشة والنخل وتثليث ويلملم: مواضع. (أنظر معجم البلدان).
(٤) المدلّهة: اللاهية العقل.
(٥) زقا الطائر: صاح.

ماذا لَقِيتُ فَدَتْكَ النَّفْسُ بَعْدَكُمُ مِنَ التَّبَرُّمِ بالدُّنْيا وبالنَّاسِ
لو كانَ شَيْءٌ يُسَلِّي النَّفْسَ عَنْ شَجَنٍ سَلَّتْ فؤادِيَ عَنْكُم لَذَّةُ الكاسِ

صوت

بِأَبِي رِيمٌ رَمَى قَلْـ ـبِي بِأَلْحاظٍ مِراضِ
وَحَمَى عَيْنَيَّ أَنْ تَلْـ ـتَذَّ طِيبَ الاغْتِماضِ
كُلَّما رُمْتُ انْبِساطاً كَفَّ بَسْطِي بانْقِباضِ
أو تَعالَى أَمَلِي فيـ ـهِ رَماهُ بانْخِفاضِ
فَمَتَى يَنْتَصِفُ المَظْـ ـلُومُ والظّالِمُ قاضِي

الشعر لأبي الشِّبْل البُرْجُميّ، والغناء لعَثعث الأسودَ، خفيف ثقيل أوَّل بالوسطى، وفيه لكثير رمل، ولِبُنان خفيف رمل.

أخبار أبي الشّبل ونسبه

[اسمه ومولده ونشأته]

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتأدّب بالبصرة.

أخبرني بذلك الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن علي بن الحسن الأعرابي.

[اتصاله بالمتوكّل]

وقدِم إلى سُرَّ مَن رأى في أيّام المتوكّل ومدحه، وكان طَبّاً[1] نادراً، كثير الغزل ماجناً، فنفَقَ[2] عند المتوكّل بإيثاره العَبَث، وخدَمَه، وخُصَّ به، فأثرَى وأفاد، فذكر لي عمّي عن محمد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّه لما مدحه بقوله:

[مجزوء الرمل]

أقْبِلِي فَالخَيْرُ مُقْبِلْ ... واتْرُكِي قَوْلَ المُعَلِّلْ
وَثِقِي بِالنُّجْحِ إذْ أبْـ ... ـصَرْتِ وَجْهَ المُتَوَكِّلْ
مَلِكٌ يُنْصِفُ يا ظا ... لِمَتِي فِيكِ ويَعْدِلْ
فَهُوَ الغايَةُ والمأ ... مولُ يَرْجُوهُ المُؤَمِّلْ

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتاً، فانصرف بثلاثين ألفَ درهم.

(١) طبّاً: حاذقاً.
(٢) نفق: راج.

الغناء في هذه الأبيات لأحمد المَكّي رمل بالبنصر.

أخبرني يحيى بن علي، عن أبي أيوب المديني، عن أحمد بن المكّي قال: غنّيتُ المتوكّل صوتاً شعرُه لأبي الشبل البُرْجُميّ وهو:

أَقْبِلي فَالخَيْرُ مُقْبِلْ وَدَعِي قولَ المُعَلِّلْ

فأمر لي بعشرين ألف درهم، فقلت: يا سيدي أسأل الله أن يبلّغك الهُنَيْدة[1]، فسأل عنها الفتح فقال: يعني مائة سنة، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى.

وحدَّثنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن المكي مثله.

حدَّثني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل عاصم بن وهب الشاعر، وهو القائل: [مجزوء الرمل]

أَقْبِلي فالخَيْرُ مُقْبِلْ وَدَعِي قَوْلَ المُعَلِّلْ

قال: كانت لي جارية اسمها سُكّر، فدخلت يوماً منزلي ولبستُ ثيابي لأمضي إلى دعوة دُعيتُ إليها، فقالت: أقمِ اليومَ في دعوتي أنا، فأقمتُ وقلت:

أنا في دَعْوَةِ سُكَّرْ وَالهَوَى لَيْسَ بِمُنْكَرْ
كَيْفَ صَبْرِي عَنْ غَزالٍ وَجْهُهُ دَلْوٌ مُقَيَّرْ[2]

فلما سَمِعَت الأوّل ضحكتْ وسُرَّت، فلما أنشدتُها البيتَ الثاني قامت إليّ تضربني وتقول لي: هذا البيت الأخير الذي فيه «دلوٌ» لمالِكٍ، لولا الفضول، فما زالت ـ يعلم الله ـ تضربني حتى غُشي عليّ.

[ما جرى بينه وبين مالك بن طوق]

وذكر ابن المعتز أنّ أباالأغر الأسَدِيّ حدَّثه قال: مدح أبو الشبل مالك بن طَوْق بمدح عجيب، وقَدَّر منه ألفَ درهم، فبعث إليه صُرَّةً مختومة فيها مائة دينار، فَظَنَّها دراهم، فردَّها وكتب معها قوله: [الطويل]

فَلَيْتَ الذي جادَتْ بِهِ كَفُّ مالِكٍ ومالك مدسوسانِ في اَسْتِ اَمِّ مالِكِ

(١) الهنيدة: مائة سنة.

(٢) المقيّر: المطليّ بالقار، وهو الزفت.

فكانَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ في آسْتِها ... فَأيسَرُ مَفْقُودٍ وَأيْسَرُ هالِكِ

وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره، فأُحضر فقال له: يا هذا ظلمتَنا واعتديتَ علينا، فقال: قد قدَّرتُ عندكَ ألفَ درهم فوصلتني بمائة درهم، فقال: افتحها، ففتحتُها فإذا فيها مائة دينار، فقال: أقِلْني أيها الأمير. قال: قد أقلتُك، ولك عندي كلّ ما تحب أبداً ما بقيتُ وقصدتني.

حدّثنا الحسن بن علي قال، حدّثنا ابن مهرويه قال: قال لي أبو الشبل البُرْجُميّ: كان في جيراني طبيب أحمقُ، فمات فرثيتُهُ فقلت: [الخفيف]

قد بكاهُ بَوْلُ المَريضِ بِدَمْعٍ ... وَاكِفٍ فَوْقَ مُقْلَتَيْهِ ذَرُوفِ
ثُمَّ شَقَّتْ جُيُوبَهُنَّ القَواريـ ... ـرُ عَلَيْهِ ونَحْنُ نَوْحَ اللَّهِيفِ[1]
يا كَسادَ الخِيارِ شَنْبَرَ والأقـ ... ـراصِ طُرّاً ويا كَسادَ السُّفُوفِ
كُنْتَ تَمْشِي مَعَ القَوِيِّ فإن جا ... ءَ ضَعِيفٌ لم تَكْتَرِثْ بالضَّعِيفِ
لَهْفَ نَفْسِي على صُنوفِ رَقاعا ... تٍ تَوَلَّتْ مِنهُ وَعَقْلٍ سَخِيفِ

[خبره مع خالد بن يزيد وأمه]

حدَّثنا الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثناأبو الشبل قال: إن خالد بن يزيد بن هُبيرة كان يشرب النبيذ، فكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنّية يقال لها لَهَب، فكانت تغشانا معه، فكنت أعبث بهما كثيراً ويشتُماني، فقام مولاها يوماً إلى الخابية يستقي نبيذاً، فإذا قميصه قد انشقَّ، فقلت فيه: [البسيط]

قالَتْ له لَهَبٌ يَوْماً وَجادَلَها ... بِالشِّعْرِ في بابِ فَعْلانٍ وَمَفْعُولِ
أمّا القَمِيصَ فقد أوْدَى الزَّمانُ بِهِ ... فَلَيْتَ شِعْرِيَ ما حالُ السَّراوِيلِ؟

فبلغ الشعرُ أبا الجهم أحمد بن يوسف فقال: [البسيط]

حالُ السَّراوِيلِ حالٌ غَيْرُ صالِحَةٍ ... تَحْكِي طَرائِقُهُ نَسْجَ الغَرابِيلِ
وتَحْتَهُ حُفْرَةٌ قَوْراءُ واسِعَةٌ ... تَسِيلُ فيها مَيازِيبُ الأحالِيلِ[2]

قال أبو الشبل: وكانت أمّ خالد هذا ضرَّاطة، تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع، فقلت فيه: [المنسرح]

---

(١) القوارير: الأواني الزجاجية، وأراد قوارير الدواء. واللهيف: الحزين.
(٢) القوراء: الواسعة. والاحاليل: جمع إحليل، وهو مخرج البول من الإنسان.

في الحَيِّ من لا عَدِمْتُ خُلَّتَهُ فَتىً إذا ما قَطَعْتُهُ وَصَلاَ[(١)]
لَهُ عَجُوزٌ بِالحَبْقِ أبْصَرُ مَنْ أبْصَرْتَهُ ضارِباً وَمُرْتَجِلا[(٢)]
نادَمْتُها مَرَّةً وكُنْتُ فَتى ما زِلْتُ أهْوَى وأشْتَهِي الغَزَلا
حَتَّى إذا ما أمالَها سَكَرٌ يَبْعَثُ في قَلْبِها لَهَا مَثَلاَ
إتَّكَأتْ يَسْرَةً وَقَدْ حَرَقَتْ أشْراجَها كي تُقَوِّمَ الرَّمَلا
فَلَمْ تَزَلْ بِأسْتِها تُطارِحُني إسْمَعْ إلى مَنْ يَسُومُني العِلَلاَ

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل قال: لما عَرَضَ لي الشعرُ أتيتُ جاراً لي نحوياً، وأنا يومئذ حديث السنّ ـ أظنه قال إنه المازنيّ ـ فقلت له: إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاشَ صدرُه بشيء من الشعر، فكره أن يُظهِرَه حتى تسمَعه. قال: هاتِهِ، وكنتُ قد قلت شعراً ليس بجيد إنما هو قول مبتدىء، فأنشدته إيّاه، فقال: مَن العاضُّ بَظْرَ أمِّه القائلُ لهذا؟ فقمت خجِلاً، فقلت لأبي الشبل: فأي شيء قلت له أنت؟ قال: قلت في نفسي: أعضَّك الله بَظْر أمّك وبَهَضَكَ[(٣)].

[بعض نوادره]

أخبرني عمّي عن محمد بن المَرزُبان بن الفيرزان قال: كنت أرى أبا الشبل كثيراً عند أبي، وكان إذا حضر أضحك الثَّكْلَى بنوادره، فقال له أبي يوماً: حدِّثنا ببعضِ نوادِرِكَ وطرائفك، قال: نعم، من طرائف أموري أنّ ابني زَنَى بجارية سِنْدِية لبعض جيراني، فحبِلَتْ وولَدَتْ، وكانت قيمةُ الجارية عشرين ديناراً، فقال: يا أبت، الصبيُّ والله ابني، فساومتُ به، فقيل لي: خمسون ديناراً، فقلت له: ويلَكَ! كنت تخبرني الخبر وهي حُبلى فأشتريها بعشرين ديناراً، ونربح الفضل بين الثَّمَنَين، وأمسكتُ عن المساومة بالصبيّ حتى اشتريتُه من القوم بما أرادوا. ثم أحبلها ثانياً فولدتْ له ابناً آخر، فجاءني يسألني أن أبتاعه، فقلت له: عليك لعنة الله، ما يحملك أن تُحبِل هذه؟ فقال: يا أبت لا أستحبّ العَزْل[(٤)]، وأقبل على جماعة

(١) الخلة: الصداقة.
(٢) الحبق: الضراط.
(٣) بهضه الأمر وأبهضه: فدحه.
(٤) العزل: الإمناء خارج فرج المرأة لئلا تحمل.

عندي يعجِّبهم منّي، ويقول: شيخ كبير يأمرني بالعَزْل ويستحلّه، فقلت له: يابن الزانية، تستحلّ الزنا وتتحرّج من العَزْل! فضحكنا منه.

وقلت له: وأيّ شيء أيضاً؟ قال: دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهوديّ خمّار، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً، فظننّاه خمراً بنتَ عشر، قد أنضجها الهَجير[1]، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا، فقلت له: اشرب معنا، قال: لا أستحلّ شُربَ الخمر، فقال لي محمود: وَيْحك! رأيت أعجب ممّا نحن فيه. يهوديّ يتحرّج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أَجَلْ، والله لا نُفْلِح أبداً، ولا يعبأ الله بنا، ثم شربْنا حتى سَكِرْنَا، وقمنا في الليل فنكنا بنتَه وامرأتَه وأختَه، وسرقْنا ثيابَه، وخَرِينا في نقِيرات[2] نبيذٍ له وانصرفْنا.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: أخبرنا عون بن محمد الكِنْدِي، قال: وقعتْ لأبي الشبل البُرْجُمي إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حاجة فلم يقضِها فهجاه، فقال: [الرمل]

صَلَفٌ تَنْدَقُّ مِنْهُ الرَّقَبَةْ ... ومَسَاوٍ لَمْ تُطِقْهَا الكَتَبَةْ
كُلَّمَا بَادَرَهُ رَكْبٌ بِمَا ... يَشْتَهِيهِ مِنْهُ نَادَى يَا أَبَهْ
لَيْتَهُ كَانَ الْتَوَى الفَرْجُ بِهِ ... لَمْ يَزِدْ فِي هَاشِمٍ هٰذي هِبَةْ

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمّى بدراً، وكان غالباً على أمره.

حدّثني الصُّولي قال: حدّثني القاسم بن إسماعيل قال: قال رأى أبو الشبل إبراهيم بنَ العبّاس يكتب، فأنشأ يقول: [البسيط]

يُنَظِّمُ اللؤلُؤَ المَنْثُورَ مَنْطِقُهُ ... وَيَنْظِمُ الدُّرَّ بالأقْلامِ في الكُتُبِ

حدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل البرجمي قال: حضرتُ مجلسَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إليّ محسناً، وعليّ مُفْضِلاً، فجرى ذكرُ البرامكة، فوصَفَهم الناس بالجود، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثَروا، فقمتُ في وسط المجلس، فقلت لعبيد الله: أيها الوزير، إني قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتيْ شعرٍ لا يقدر أحد أن

---

(١) الهجير: نصف النهار عند اشتداد الحرّ.

(٢) نقيرات: لعله إناء من خشب ينقر ويجوف فيصير إناء، وهو كالباطية.

يردّه عليّ، وإنما جعلته شعراً ليدور ويَبقَى، فيأذن الوزير في إنشادهما قال: قل، فرُبَّ صوابٍ قد قلتَه، فقلت: [الطويل]

رَأيْتُ عُبَيْدَ الله أفْضَلَ سُودَداً وَأكْرَمَ مِنْ فَضْلٍ وَيَحْيَى بن خالِدِ
أولئكَ جادُوا وَالزَّمانُ مُساعِدٌ وَقَدْ جادَ ذا والدَّهرُ غَيْرُ مُساعِدِ

فتهلَّل وجهُ عبيد الله وظهر السرور فيه، وقال: أفرطتَ أبا الشِّبْل، ولا كلّ هذا، فقلت: والله ما حابَيْتُك أيها الوزير، ولا قلت إلاّ حقّاً، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعليّ الخلع، وتحتي دابة بسرْجِه ولجامه، وبين يديّ خمسَةُ آلافِ درهم.

[بعض أخباره وشعره]

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدّثني أبو الشِّبْل الشاعر قال: كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخاسين كانتا تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليها، ثم أنشدتُها بيتاً لأبي المستهِلّ شاعرِ منصور بن المهديّ في المعتصم: [المتقارب]

أقامَ الإمامُ مَنَارَ الهُدَى وَأخْرَسَ ناقُوسَ عَمُّورِيَّهْ[1]

ثم قلت لها: أجيزي؛ فقالت: [المتقارب]

كَسانِي المَلِيكُ جلابِيبَهُ ثِيابٌ عَلاها بِسَمُّورِيَهْ[2]

ثم دَعَتْ بطعام فأكلْنا، وخرجتُ من عندها، فمضيت إلى الأُخرى، فقالت: من أين يا أبا الشبل؟ فقلت: مِن عندِ فلانة، قالت: قد علمتُ أنّك تبدأ بها ـ وصدقتْ، كانت أجملَهما فكنتُ أبدأ بها ـ ثم قالت: أما الطعام فأعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله، لعلمي بأن تلك لا تَدَعُكَ تنصرف أو تأكل. فقلت: أجل. قالت: فهل لك في الشراب؟ قلت: نعم، فأحضرتْه وأخذْنا في الحديث، ثم قالت: فأخبِرني ما دار بينكما؟ فأخبرتُها، فقالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، وبيتُها

(١) عمورية: بلد في بلاد الروم. (معجم البلدان ٤/١٥٨).

(٢) سمورية: نسبة إلى السمُّور، وهو حيوان تتخذ من جلده فراء ثمينة.

أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمّورية، أفلا قالت: [المتقارب]

فَأضْحَى بِهِ الدِّينُ مُسْتَبْشِراً وأضْحَتْ زِنَادُهُما وارِيَهْ[1]

فقلت: أنت والله أشعَرُ منها في شِعْرِها، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك. والله أعلم.

أخبرنا الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: أنشدني أبو الشبل لنفسه: [الهزج]

عَذِيرِي مِنْ جَوَارِي الحَـ ـيِّ إذْ يَرْغَبْنَ عن وَصْلِي[2]
رأيْنَ الشَّيبَ قَدْ ألْبَـ ـسَنِي أُبَّهَةَ الكَهْلِ
فَأعْرَضْنَ وَقَدْ كُنَّ إذا قِيلَ أبُو الشِّبْلِ
تَسَاعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الـ ـكُوَى بالأعْيُنِ النُّجْلِ

قال: وهذا سرقه من قول العُتْبيّ: [الطويل]

رَأيْنَ الغَواني الشَّيْبَ لاحَ بِمَفْرِقِي فَأعْرَضْنَ عنِّي بالخُدُودِ النَّواضِرِ
وَكُنَّ إذا أبْصَرْنَنِي أوْ سَمِعْنَنِي سَعَيْنَ فَرَقَّعْنَ الكُوَى بالمَحَاجِرِ

حدّثني الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشِّبل قال: كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني، وكان أهتم[3]، قال أبو الشبل: وأنا أهتم، وهكذا كان أبي وأهل بيتي، لا تكاد تبقى في أفواههم حاكّة[4]، فقال أبو عمرو أحمد بن المنجّم: [السريع]

لِحاتِمٍ في بُخْلِهِ فِطْنَةٌ أدَقُّ حِسّاً من خُطَا النَّمْلِ
قد جَعَلَ الهُتْمانَ ضَيْفاً لَهُ فَصارَ في أمْنٍ من الأكْلِ
لَيْسَ على خُبْزِ امْرِئٍ ضَيْعَةٌ أكِيلُهُ عُضْمُ أبُو الشِّبْلِ
ما قَدْرُ ما يَحْمِلُهُ كَفُّهُ إلى فَمٍ مِنْ سِنِّهِ عُطْلِ
فَحاتِمُ الجُودِ أخُو طَيِّئٍ مَضَى وَهٰذا حاتِمُ البُخْلِ

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أبو العَيْناء قال: كانت

---

(١) ورى الزند: خرجت ناره.
(٢) رغب عن الشيء: تركه وزهد فيه.
(٣) الأهتم: المكسور الثنايا.
(٤) الحاكّة: السن.

لأبي الشبل البُرجُمي جارية سوداء، وكان يحبّها حبّاً شديداً، فعوتب فيها، فقال:

غَـدَتْ بِـطُـولِ الـمَـلام عـاذِلَـةٌ تَـلُـومُـنـي فـي الـسَّـوادِ والـدَّعَـجِ
وَيْـحَـكِ كَـيْـفَ الـسُـلُـوُّ عَـنْ غُـرَرٍ مُـفْـتَـرِقـاتِ الأرجاءِ، كـالـسَّـبَـجِ[١]
يَـحْـمِـلْـنَ بـيـنَ الأفـخـاذِ أسْـنِـمَـةً تـحـرق أوبـارهـا مـنَ الـوَهَـجِ[٢]
لا عَـذَّب الله مُـسْـلِـمـاً بِـهِـمُ غَـيْـرِي ولا حـانَ مِـنْـهُـمُ فَـرَجِـي[٣]
فـإنَّـنِـي بـالـسَّـوادِ مُـبْـتَـهِـجٌ وَكُـنْـتُ بِـالـبِـيـضِ غَـيْـرَ مُـبْـتَـهِـجِ

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن الطّيب قال: حدّثني أبو هريرة البصري النحويّ الضرير قال: كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يعابث قَينة لهاشم النحوي يقال لها خَنْساء، وكانت تقول الشعر، فعبث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها، فقالت له: ليت شعري، بأيّ شيء تُدِلّ؟ أنا والله أشعَرُ منك، لئن شئت لأهجونّك حتى أفضحَكَ، فأقبل عليها وقال: [مخلع البسيط]

خَـنْـسـاءُ قـد أفْـرَطـتْ عَـلَـيْـنـا فَـلَـيْـسَ مـنـهـا لـنـا مُـجِـيـرُ
تـاهَـتْ بـأشـعـارِهـا عَـلَـيْـنـا كـأنَّـمـا نـاكَـهـا جَـرِيـرُ

قال: فخجلتْ حتى بان ذلك عليها وأمسكتْ عن جوابه.

قال عمي: قال أحمد بن الطيّب: حدّثني أبو هريرة هذا قال: حدّثني أبو الشبل أنها وعدتْه أن تزورَهُ في يوم بعينه كان مولاها غائباً فيه، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منَعها من الوفاء بالموعد، قال: فقلتُ أذمّ المطر: [البسيط]

دع الـمَـواعِـيـدَ لا تَـعْـرِضْ لِـوِجْـهَـتِـهـا إنَّ الـمَـواعِـيـدَ مَـقْـرُونٌ بـهـا الـمَـطَـرُ
إنَّ الـمَـواعِـيـدَ والأعْـيـادَ قَـدْ مُـنِـيَـتْ مـنـهُ بـأنْـكَـدِ مـا يُـمْـنَـى بِـهِ بَـشَـرُ[٤]
أمّـا الـثـيـابُ فـلا يَـغْـرُرْكَ إنْ غُـسِـلَـتْ صَـحْـوٌ شَـدِيـدٌ ولا شَـمْـسٌ ولا قَـمَـرُ
وفـي الـشُّـخُـوصِ لـه نَـوْءٌ وبـارِقَـةٌ وإنْ تَـبَـيَّـت فـذاك الـفـالِـجُ الـذَّكَـرُ[٥]
وإن هَـمَـمْـتَ بـأنْ تَـدْعُـو مُـغَـنِّـيَـةً فـالـغَـيْـثُ لا شَـكَّ مَـقْـرونٌ بـهِ الـسَّـحَـرُ

(١) السبج: خرز أسود.
(٢) الوهج: اتقاد النار، وشدة الحرّ.
(٣) استعمل ضمير جمع الذكور بدلاً من استعمال ضمير جمع الإناث. فقال بهم ومنهم، والصواب: بهنّ ومنهنّ.
(٤) منيت: ابتليت.
(٥) الشُّخوص: الخروج. والفالج الذكر: الشلل الشديد القويّ.

حدَّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقانَ غلام يقال له نسيم، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البُرْجُميّ سأله إياها، فأخّرها نسيم، فشكاه إلى عبيد الله، فأمر عبيد الله غلاماً له آخرَ فقضاها بين يديه، فقال أبو الشِّبل يهجو نسيماً:

قُـلْ لِـنَـسِـيـم أنـتَ فـي صُـورَة خُـلِـقْـتَ مـن كَـلْـبٍ وخِـنْـزِيـرَة
رَعَـيْـتَ دَهْـراً بَـعْـدَ أعْـفـاجِـهـا فـي سَـلْـحِ مَـخْـمُـورٍ وَمَـخْـمُـورَة[1]
حَـتَّـى بـدا رأسُـكَ مِـنْ صَـدْعِـهـا زانِـيَـة بـالـفـسـقِ مَـشْـهُـورَة[2]
لا تَـقْـرَبُ الـمـاءَ إذا أجْـنَـبَـتْ ولا تَـرَى أنْ تَـقْـرَبَ الـنُّـورَة[3]
تَـرَى نَـبـاتَ الـشَّـعْـرِ حَـوْلَ اسْـتِـهـا دَرَابِـزِيـنـاً حَـوْلَ مَـقْـصُـورَة[4]

حدَّثني عيسى بن الحسين الورَّاق قال: حدَّثني ابن مهرويه قال: كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دلقيث، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه، فقال أبو الشبل فيه: [مجزوء الرمل]

لابْـنِ حَـمَّـادٍ أيـادٍ عِـنْـدَنـا لَـيْـسَـتْ بِـدُونِ
عِـنْـدَهُ جـارِيَـةٌ تَـشْـ ـفِـي مِـنَ الـدَّاءِ الـدَّفِـيـنِ
ولَـهـا فـي رأسِ مـولا هـا أكـالِـيـلُ قُـرونِ
ذاتُ صَـدْعٍ حـاتِـمِـيّ الـ ـفِـعْـلِ فـي كِـنٍّ مَـكِـيـنِ
لا يَـرَى مَـنْـعَ الَّـذي يَـحْـ ـوِي وَلَـوْ أمَّ الـبَـنِـيـنِ

حدّثني عمي قال: حدثني أحمد بن الطيب قال: حدّثني أبو هريرة النحويّ قال: كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشاً للأضحى، فجعل يعلفه ويسمّنه، فأفلت يوماً على قنديل له كان يسرجه بين يديه، وسراجٍ وقارورةٍ للزيت، فنطحه فكسره، وانصبَّ الزيت على ثيابه وكتبِهِ وفِراشه، فلما عاين ذلك ذبح الكبشَ قبل الأضحى، وقال يرثي سراجَه: [المنسرح]

يـا عَـيْـنُ بَـكِّـي لِـفَـقْـدِ مَـسْـرَجَـةٍ كـانَـتْ عَـمُـودَ الـضِّـيـاء والـنُّـورِ

---

(١) الأعفاج: الأمعاء.

(٢) صدعها: شقها، وأراد: فرجها.

(٣) النورة: أخلاط تستعمل لإزالة الشعر.

(٤) الدرابزين: قوائم مصفوفة من خشب أو معدن تحاط بها السلالم وغيرها (فارسي معرب).

كـانَـتْ إذا مـا الـظَّـلامُ أَلْـبَـسَـنِـي مـن حِـنْـدِسِ الـلَّـيْـلِ ثَـوْبَ دَيْـجُـورِ[(١)]
شَـقَّـتْ بِـنِـيـرانِـهـا غَـيـاطِـلَـهُ شَـقّـاً دَعَـا الـلَّـيْـلَ بـالـدَّيـاجِـيـرِ[(٢)]
صِـيـنِـيَّـةُ الـصِّـيـنِ حِـيـنَ أَبْـدَعَـهـا مُـصَـوِّرُ الـحُـسْـنِ بـالـتَّـصـاويـرِ
وقَـبْـلَ ذا بِـدْعَـةٌ أُتِـيـحَ لـهـا مِـنْ قِـبَـلِ الـدَّهْـرِ قَـرْنُ يَـعْـفُـورِ[(٣)]
وَصَـكَّـهـا صَـكَّـةً فـمـا لَـبِـثَـتْ أَنْ وَرَدَتْ عَـسْـكَـرَ الـمـكـاسِـيـرِ[(٤)]
وإنْ تَـوَلَّـتْ فَـقَـدْ لـهـا تَـرَكَـتْ ذِكْـراً سَـيَـبْـقَـى عـلـى الأعـاصِـيـرِ
مَـن ذا رأيْـتَ الـزَّمـانَ يـأْسِـرُهُ فَـلَـمْ يَـشُـبْ يُـسْـرَهُ بِـتَـعْـسِـيـرِ
وَمَـنْ أبـاحَ الـزَّمـانُ صَـفْـوَتَـهُ فَـلَـمْ يـشـب صَـفْـوَهُ بِـتَـكْـدِيـرِ
مـسْـرجَـتِي لَـوْ فَـدَيْـتُ ما بَـخِـلَـتْ عَـنْـكِ يـدُ الـجُـودِ بـالـدَّنـانـيـرِ
لَـيْـسَ لـنـا فِـيـكِ مـا نُـقَـدِّرُهُ لـكِـنَّـمـا الأمْـرُ بـالـمَـقـادِيـرِ
مِـسْـرَجَـتِـي كـم كَـشَـفْـتِ مِـنْ ظُـلَـمٍ جَـلَّـيْـتِ ظَـلْـمـاءَهـا بِـتَـنْـويـرِ
وَكَـمْ غَـزالٍ عـلـى يَـدَيْـكِ نـجـا مِـن دَقِّ خُـصْـيَـيْـهِ بـالـطَّـوامِـيـرِ[(٥)]
مَـن لـي إذا مـا الـنَّـدِيـمُ دَبَّ إلـى الـ نَّـدمـانِ فـي ظُـلْـمَـةِ الـدَّيـاجِـيـرِ
وقـامَ هـذا يَـبُـوسُ ذاكَ، وذا يَـعْـنِـق هٰـذا بِـغَـيْـرِ تَـقْـدِيـرِ
وَأَرْدَوَجَ الـقَـوْمُ فـي الـظَّـلامِ فـمـا تَـسْـمَـعُ إلاّ الـرِّشـاءَ فـي الـبِـيـرِ
فـمـا يُـصَـلُّـونَ عـنـدَ خَـلْـوَتِـهِـمْ إلاّ صَـلاةً بِـغَـيْـرِ تَـطْـهِـيـرِ
أَوْحَـشَـتِ الـدّارُ مـن ضِـيـائـكِ والـ ـبـيـتُ إلـى مَـطْـبَـخٍ وتَـنُّـورِ
إلـى الـرَّواقَـيْـنِ فـالـمَـجـالـسُ فـالـ ـجـرِيـدُ مُـذْ غِـبْـتِ غـيـرُ مَـعْـمُـورِ
قَـلْـبِـي حَـزِيـنٌ عـلـيـكِ إذْ بَـخِـلَـتْ عـلـيـكِ بـالـدَّمْـعِ عَـيْـنُ تَـنْـمِـيـرِ
إن كـانَ أودى بـكِ الـزَّمـانُ فـقـد أَبْـقَـيْـتِ مـنـكِ الـحَـدِيـثَ فـي الـدُّورِ
دَعْ ذِكْـرَهـا واهْـجُ قَـرْنَ نـاطِـحِـهـا وَاسْـرُدْ أحـادِيـثَـهُ بِـتَـفْـسِـيـرِ

---

(١) الحندس، والديجور: الظلمة.
(٢) غياطله: شدة سواده.
(٣) اليعفور: الظبي الذي بلون التراب.
(٤) صكها: ضربها بشدّة.
(٥) الطوامير: جمع طامور، وهو الصحيفة.

كانَ حديثي أنّي اشتَرَيْتُ فمااشْـ ـتَرَيْتُ كَبْشاً سَليلَ خِنزيرِ

فَلَمْ أزَلْ بالنَّوى أسَمِّنُهُ وَالتِّبْنِ وَالقَتِّ والأثاجيرِ[1]

أبَرِّدُ الماءَ في القِلالِ لَهُ وَأتَّقي فيهِ كُلَّ مَحْذورِ[2]

تَخدِمُهُ طُولَ كُلِّ لَيْلَتِها خِدْمَةَ عَبْدٍ بالذُّلِّ مَأسُورِ

وهيَ منَ التِّيهِ ما تُكَلِّمُني الـ ـفَصِيحَ إلا مِنْ بَعْدِ تَفْكِيرِ

شَمْسٌ كأنَّ الظلامَ ألْبَسَها ثَوْباً منَ الزِّفتِ أو منَ القِيرِ

من جِلْدِها خُفُّها وَبُرْقُعُها حَوراءُ في غَيْرِ خِلْقَةِ الحُورِ

فَلَمْ يَزَلْ يَغْتَذِي السُّرورَ، وما الـ ـمَحْزُونُ في عِيشَةٍ كَمَسرورِ

حَتّى عدا طَوْرَهُ، وَحُقَّ لِمَنْ يَكْفُرُ نُعْمَى بِقُرْبِ تَغْيِيرِ

فَسَمَّدَ قَرْنَيْهِ نَحْوَ مُسْرَجَةٍ تُعَدُّ في صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورِ

شَدَّ عليها بِقَرْنٍ ذي خَنَقٍ مُعَوَّدٍ للنِّطاحِ مَشْهُورِ

وليسَ يَقْوَى بِرَوْقِهِ جَبَلٌ صَلْدٌ من الشُّمَّخِ المَداكيرِ[3]

فكيفَ تَقْوَى عليهِ مُسْرَجَةٌ أرَقُّ من جَوْهَرِ القَوارِيرِ

تَكَسَّرَتْ كَسْرةً لها ألَمٌ وما صَحِيحُ الهَوى كَمَكْسُورِ

فأدْرَكَتْهُ شَعُوبُ فانْشَعَبَتْ بالرُّوعِ والشِّلْوُ غَيْرُ مَقْتُورِ[4]

أُدِيلَ مِنْهُ فَأدْرَكَتْهُ يَدٌ منَ المَنايا بِحَدِّ مَطْرورِ[5]

يَلْتَهِبُ المَوْتُ في ظُباهُ كَما تَلْتَهِبُ النّارُ في المَساعِيرِ[6]

وَمَزَّقَتْهُ المُدَى فَما تَرَكَتْ كَفُّ القِرا منهُ غَيْرَ تَعْسِيرِ[7]

واغتالَهُ بعدَ كَسْرِها قَدَرٌ صَيَّرَهُ نُهْزَةَ السَّنانيرِ[8]

فَمَزَّقَتْ لَحْمَهُ بَراثِنُها وَبَذَّرَتْهُ أشَدَّ تَبْذيرِ

---

(١) القت: الفصفصة اليابسة. والأثاجير: الثفل، وهنا العلف للحيوان.

(٢) القلال: جمع قلّة، وهي الجرّة من الفخار.

(٣) الروق: القرن.

(٤) شعوب: المنيّة وقتر الشيء: ضمّ بعضه إلى بعض.

(٥) المطرور هنا: السكين الحادّة.

(٦) الظبا: جمع ظبة، وهي حد السيف. والمساعير: جمع مسعار وهو ما تحرك به النار.

(٧) المدى: جمع مدية وهي السكين.. والقرى ما يقدم للضيف. والتعسير: التضييق والمراد: لم يبق منه إلا اليسير.

(٨) نهزة: فرصة. والسنانير: جمع سنّور، وهو حيوان من اللواحم منه أهليّ ومنه بريّ.

وَاخْتَلَسَتْهُ الجِداءُ خَلْساً مع الـ غِرْبَانِ لم تَزْدَجِرْ لِتَكْبِيرِ[1]
وَصارَ حَظُّ الكِلابِ أعْظُمُهُ تهشمُ أنحاءها بِتَكْسِيرِ
كَمْ كاسِرٍ نَحْوَهُ وكاسِرَةٍ سلاحُها في شَفَا المَناقيرِ[2]
وخامِعٍ نحوَهُ وخامِعَةٍ سلاحُها في شَبَا الأظافِيرِ[3]
قد جَعَلَتْ حولَ شِلْوِهِ عُرُساً بلا افْتِقارٍ إلى مَزامِيرِ
ولا مُغَنٍّ سِوى هَماهِمِها إذا تَمَطَّتْ لِواردِ العِيرِ
يا كَبْشُ ذُقْ إذْ كَسَرْتَ مِسْرَجَتِي لِمدْيَةِ المَوْتِ كأسَ تَنْحِيرِ
بَغَيْتَ ظُلماً وَالبَغْيُ مَصْرَعُ مَنْ بَغَى على أهْلِهِ بِتَغْيِيرِ
أضْحِيَّةٌ ما أظُنُّ صاحِبَها في قَسْمِهِ لَحْمَها بِمَأجُورِ

أخبرني الحسن بن عليّ الشيباني قال: دخلتُ على أبي الشبل يوماً فوجدتُ تحت مخدَّته ثُلثَ قرطاس، فسرقتُه منه ولم يَعلم بي، فلما كان بعد أيام جاءني فأنشدني لنفسه يَرثِي ذلك الثلثَ القرطاس: [الخفيف]

فِكَرٌ تَعْتَرِي وَحُزْنٌ طَوِيلُ وَسَقِيمٌ أنْحَى عليهِ النُّحُولُ
ليسَ يَبْكِي رَسْماً ولا طَلَلاً مَحَّ كما تُنْدَبُ الرُّبا والطُّلولُ[4]
إنَّما حُزْنُهُ على ثُلُثٍ كا نَ لحاجاتِهِ فَغَالَتْهُ غُولُ
كانَ لِلسِّرِّ والأمانَةِ والكِتْـ ـمانِ إن باحَ بالحَدِيثِ الرَّسُولُ
كانَ مِثلَ الوَكِيلِ في كُلِّ سُوقٍ إنْ تَلَكَّا أو مَلَّ يَوْماً وَكِيلُ
كانَ لِلْهَمِّ إن تراكَمَ في الصَّدْ رِ فلم يُشْفَ مِنْ عَلِيلٍ غَلِيلُ
لم يكنْ يبتغي الحِجَابَ من الحُـ ـجّابِ إنْ قِيلَ ليسَ فيها دخولُ
إنْ شكا حاجباً تَشَدَّدُ في الإذْ نِ فللحاجبِ الشَّقِيُّ العَوِيلُ
يُرْفَعُ الخَيْرُ عنهُ والرزقُ والكِسْـ ـوةُ فهو المطرودُ وهو الذليلُ
كانَ يُثْنَى في جَيْبِ كُلِّ فَتاةٍ دونَها خَنْدَقٌ وسُورٌ طويلُ
يَقِفُ النّاسُ وهو أوَّلُ مَن يُدْ خِلُهُ القَصْرَ غادَةٌ عُطْبُولُ[5]

---

(١) الخلس: الاختلاس.
(٢) شفا المناقير: حافاتها، وحروفها.
(٣) الخامع: الأعرج. والشبا: جمع شباة، وهي حدّ كل شيء.
(٤) محّ الطلل: عفا، وامحى، وزال.
(٥) العطبول: الفتاة الجميلة الممتلئة، والطويلة العنق.

فـإذا أبْـرَزَتْـهُ بـاحَ بـهِ فـي الـ ... ـقصرِ مِسْكٌ وعنبرٌ مَعْلولُ[١]
ولـه الـحُبُّ والـكرامَـةُ مِـمَّنْ ... بـاتَ صَبّاً وَالشَّمُّ والتقبيلُ
لـيس كـالكاتبِ الـذي بـأبِي الخـ ... ـطّاب يُكْنَى قد شابَهُ التَّطْفِيلُ
ذا كَريمٌ يُدْعَى، وهـذا طُفَيْلِيٌّ ... وهْـذا وذا جَـمِيـعـاً دليلُ
ذاكَ بـالبِشرِ والجـماعةِ يُلقَى ... ولهـذا الحجابُ والتنكيلُ[٢]
لـم يَـفِدْ وَفْدُهُ الزّمـانَ على الأَلْـ ... ـسُنِ منهُ عَطْفٌ ولا تنويلُ[٣]
كـانَ مَعَ ذا عَدْلَ الشَّهادة مَقْبُو ... لاً إذا عَزَّ شاهداً تعديلُ
وإذا ما الْتَوَى الهَوى بالأليفَيـ ... ـنِ فلم يَرْعَ واصِلاً مَوْصُولُ
فَهُوَ الحاكِمُ الَّذي قولُه بيـ ... ـنَ الأليفَيـنِ جائزٌ مقبولُ
فلئِنْ شَتَّتَ الزمـانُ به شَمْـ ... ـلَ دَواتـي وحـانَ منـه رحيلُ
لقَدِيماً ما شَتَّت البَيْنُ والأُلْـ ... ـفَةُ من صاحِبٍ، فَصَبْرٌ جَميلُ
لا تَـلُمْنِي على البكاءِ عليهِ ... إنَّ فَقْدَ الخَلِيلِ خَطْبٌ جَلِيلُ

قال: فرددتُه عليه، وكان اتَّهم به أبا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة، فقال لي: ويلك، نُجِّيتَ ووقع أبو الخطَّاب بلا ذنب، ولو عرفتُ أنَّك صاحبها لكان هذا لك، ولكنَّك قد سلمتَ.

---

(١) المعلول: المضاعف.
(٢) التنكيل: العقاب.
(٣) التنويل: العطاء.

أخبار عثعث

[اسمه وغناؤه]

كان عَثْعَث أسودَ مملوكاً لمحمد بن يحيى بن مُعاذ، ظهر له منه طبع وحُسْنُ أخذٍ وأداء، فعلّمه الغناء، وخرَّجه وأدَّبه، فبرع في صناعته، ويكنى أبا دُلَيْجة وكان مأبوناً؛ والله أعلم.

أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ عن ميمونَ بن هارون قال: حدّثني عثعث الأسود، قال: مُخارق كنّاني بأبي دُلَيْجة، وكان السبب في ذلك أن أوّل صوت سمعني أغنّيه: [البسيط]

أبـا دُلَـيْـجَـةَ مَـنْ تُـوصِـي بـأرْمَـلَـةٍ أمْ مَنْ لأشْعَثَ ذي طِمْرَينِ مِمْحالِ[1]

فقال لي: أحسنت يا أبا دُلَيجة، فقبلتُها وقبَّلتُ يده، وقلتُ: أنا يا سيدي أبا المُهنّا؛ أتشرَّف بهذه الكنية إذا كانت نِحلة[2] منك. قال ميمون: وكان مخارق يشتهي غناءه ويَحزُنه إذا سمعه.

[عثعث في مجالس الغناء]

قال أبو الفرج: نسختُ من كتاب عليّ بن محمد بن نصر بخطّه، حدّثني يعني ابن حمدون قال: كنا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكل، وقد عزمْنا على الصَّبوح ومعنا جعفر بن المأمون، وسليمان بن وهب، وإبراهيم بن

(١) الطمر: الثوب الخلق البالي.
(٢) النحلة: العطية.

المدبِّر، وحضرتْ عَريب وشارية وجواريهما، ونحن في أتم سرور، فغنَّت بدعة جارية عريب: [الطويل]

أعاذِلَتي أكْثَرْتِ جَهْلاً من العَذْلِ ... على غيرِ شيءٍ من مَلامِي وفي عَذْلي

والصنعة لِعَريب؛ وغنّت عِرفان: [الطويل]

إذا رامَ قلبي هَجْرَها حالَ دُونَهُ ... شَفيعانِ مِنْ قلبي لها جَدِلان

والغناء لشارية، وكان أهل الظَّرْف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين: عريبيّة وشاريّة، فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح، وعريب وشارية ساكتتان لا تَنطقان، وكل واحدة من جواريهما تغنّي صنعةَ سِتِّها لا تتجاوزها، حتى غنَّت عرفان: [المديد]

بأبِي مَن زارَني في مَنامي ... فَدَنا منِّي وفيهِ نِفارُ

فأحسنتْ ما شاءت، وشربْنا جميعاً، فلما أمسكتْ قالت عريب لشارية: يا أختي لمن هذا اللّحن؟ قالت: لي، كنت صنعتُه في حياة سيِّدي، تعني إبراهيم بن المهديّ، وغنَّيتُه إياه فاستحسنه، وعَرضَه على إسحاق وغيرِهِ فاستحسنوه، فأسكتتْ عَريب، ثم قالت لأبي عيسى: أحب يا بنيّ ـ فديتك ـ أن تَبعث إلى عَثعَث فتجيئني به، فوجَّه إليه، فحضر وجلس، فلما اطمأن وشرِب وغنَّى، قالت له: يا أبا دليجة أوَتذكر صوتَ زبير بن دَحْمانَ عندي وأنت حاضر، فسألته أن يَطرَحه عليك؟ قال: وهل تَنسَى العَذْراء أبا عُذْرِها[1]، نعم، والله إني لذاكرهُ حتَّى كأننا أمسِ افترقنا عنه. قالت: فغَنِّه، فاندفع فغنَّى الصوتَ الَّذي ادَّعته شارية حتى استوفاه وتضاحكتْ عَريب، ثم قالت لجواريها: خذوا في الحقّ، ودَعونا من الباطل، وغنُّوا الغناء القديم. فغنَّت بدعة وسائر جواري عَريب، وخجلتْ شارية وأطرقتْ وظهر الانكسار فيها، ولم تنتفع هي يومئذ بنفسها، ولا أحدٌ من جواريها ولا متعصِّبيها أيضاً بأنفسهم.

[غناؤه في مجلس المتوكل]

قال: وحدّثني يحيى بنُ حَمدون قال: قال لي عَثعَث الأسود: دخلتُ يوماً

(١) أبو عذرها: الذي افتضها.

على المتوكّل وهو مصطبح وابن المارقيّ يغنّيه قوله: [الطويل]

أقاتلتي بالجيد والقدّ والخدّ ... وباللون في وجهٍ أرقّ من الوردِ

وهو على البِركة جالس، وقد طرِب واستعاده الصوتَ مراراً وأقبل عليه، فجلست ساعةً ثم قمت لأبوّلَ، فصنعت هزَجاً في شعر البحتريّ الّذي يصف فيه البِركة:

الصوت [البسيط]

إذا النُّجومُ تَراءَتْ في جَوانبِها ... ليلاً حَسِبْتَ سماءً رُكِّبَتْ فيها
وإنْ عَلتْها الصَّبا أبْدَتْ لها حُبُكاً ... مِثْلَ الجَواشِنِ مَصْقُولاً حَواشِيها[1]
وزادَها زِينَةً مِنْ بَعْدِ زِينتِها ... أنَّ اسْمَهُ يَوْمَ يُدْعَى من أسامِيها

فما سكت ابنُ المارقي سكوتاً مستوجباً حتى أندفعتُ أغنّي هذا الصوت، فأقبل عليّ وقال لي: أحسنتَ وحياتي، أعِدْ، فأعدتُ، فشرب قدحاً، ولم يزل يستعيدُنيه ويشرب حتى اتكأ، ثم قال للفتح: بحياتي أدفع إليه الساعة ألف دينار وخِلْعة تامّة وأحمله على شِهْرِيّ فارِهٍ[2] بسَرْجه ولجامه، فانصرفتُ بذلك أجمَعَ.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أعاذِلتي أكْثَرْتِ جَهْلاً مِنَ العَذْلِ ... على غيرِ شيءٍ من ملامي ولا عذلي
نأيتِ فلم يُحْدِث ليَ النَّاسُ سَلْوَةً ... ولمْ أَلْفَ طولَ النأيِ عن خُلَّةٍ يُسْلِي

عَروضُه من الطويل، الشعر لجَميل، والغناء لعَريب، ثقيل أوّل بالبنصر.

ومنها: **صوت**

إذا رَامَ قَلْبِي هَجْرِها حالَ دُونَهُ ... شفيعانِ من قلبي لها جَدِلانِ
إذا قلتُ لا، قالا بلى، ثم أصبَحا ... جَميعاً على الرأيِ الّذي يَرَيان

---

(١) الحُبُك: ما تخلفه الريح من تكسر على سطح الماء. والجواشن: الدروع. مفرده: جوشن.
(٢) الشهريّ: البرذون. والفاره: الخفيف النشيط.

عَروضه من الطويل، والناس يَنسُبون هذا الشعر إلى عُروة بن حِزام، وليس له.

الشعر لعليّ بن عمرو الأنصاري، رجل من أهل الأدب والرواية، كان بسرَّ من رأى كالمنقطع إلى إبراهيمَ بن المهدي، والغناء لشارية، ثقيل أول بالوسطى، وقيل إنه من صنعة إبراهيم، ونَحَلها إيّاه[1] وفيه لعَريبَ خفيفُ رملٍ بالبنصر.

ومنها: **صوت** [المديد]

بِـأبِـي مَـنْ زارَنِـي فـي مـنـامـي ... فـدنـا مـنِّـي وفـيـه نِـفـارُ
لَـيْـلَـةً بَـعْـدَ طُـلـوعِ الـثُّـرَيَّـا ... وَلـيـالِـي الـصَّـيْـفِ بُـتْـرٌ قِـصـارُ
قُلْتُ هُلْكِي أمْ صَلاحِي فَعَطْفاً ... دونَ هـذا مـنـكِ فـيـهِ الـدَّمـارُ
فَـدَنـا مِـنِّـي وأعْـطَـى وأرْضَـى ... وَشَـفَـى سُـقْـمِـي وَلَـذَّ الـمَـزارُ

لَم يقعْ إلينا لِمن الشعرُ، والغناء لزبير بن دَحْمان، ثقيل أوَّل بالوسطى، وهو من جيّد صنعتِهِ وصدور أغانيه.

أخبرني ابن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا أحمد بن طَيْفور قال: كتب صديق لأحمدَ بن يوسف الكاتب في يومِ دَجْن: «يومُنا يومٌ ظريفُ النَّواة، رقيقُ الحواشي، قد رَعَدتْ سماؤه وبَرَقَتْ، وحنَّت وأرجحنَّت[2]، وأنت قطبُ السرور، ونِظامُ الأمور، فلا تُفردنا منك فنَقِلّ، ولا تنفردْ عنَّا فنَذِلّ، فإنَّ المرءَ بأخيه كثير، وبمساعَدته جدير». قال: فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل، وحضرهم عَثْعَث بن الأسود، فقال أحمد:

صوت [الوافر]

أرَى غَـيْـمـاً يُـؤَلِّـفُـهُ جَـنُـوبُ ... وأحْـسِـبُـهُ سـيـأتِـيـنـا بِـهَـطْـلِ
فَـعَـيْـنُ الـرَّأيِ أنْ تَـأتِـي بِـرِطْـلٍ ... فَـتَـشْـرَبَـهُ وتـدعـو لـي بـرِطْـلِ
وَتَـسْـقِـيـهِ نَـدامـانـا جَـمِـيـعـاً ... فـيـنـصـرفـونَ عـنـهُ بِـغَـيْـرِ عَـقْـلِ
فَـيَـومُ الـغَـيْـمِ يَـوْمُ الـغَـمِّ إنْ لَـمْ ... تُـبـادِرْ بـالـمُـدامَـةِ كُـلَّ شُـغْـلِ

(١) نحلها إياه: نسبها إليه.
(٢) ارجحنت: مالت.

ولا تُكْرِهْ مُحَرِّمَها عليها ... فإنّي لا أراهُ لَها بأهْلِ

قال: وغَنَّى فيه عَثعَث اللَّحنَ المشهور الذي يغنَّى به اليوم.

صوت

[الطويل]

تَرَى الجُندَ والأعرابَ يَغْشَوْنَ بابَهُ ... كما وَرَدَتْ ماءَ الكُلابِ هَوامِلُهْ[1]
إذا ما أتَوا أبْوابَهُ قالَ: مَرْحَباً ... لِجُوا الدّارَ حتى يَقْتُلَ الجُوعَ قاتلُهْ

عَروضُه من الطويل. الهوامل: الَّتي لا رِعاء لها، ولِجوا: أدخلوا، يقال: ولج يَلِج وَلْجاً. وقوله: «حتى يقتل الجوع قاتله»: أي يطعمكم فيذهب جوعكم، جعل الشِّبَع قاتلاً للجوع.

الشعر لعبد الله بن الزَّبير الأسدي، والغناء لابن سُرَيج، رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

(١) الهوامل: الإبل المسيبة المتروكة لا راعي لها.

أخبار عبد الله بن الزُّبير ونسبه

[توفي نحو سنة ٧٥هـ /نحو سنة ٦٩٥م]

[اسمه ونسبه وبعض أخباره]

عبد الله بن الزّبير بن الأَشْيَم بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن مُنقِد بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد بن خزيمة.

أخبرني بذلك أحمد عن الخرّاز عن ابن الأعرابي؛ وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأمويّة، وكان من شِيعة بني أميّة وذوي الهَوَى فيهم والتعصّب والنُّصْرة على عدوّهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أُتِيَ به أسيراً فمنّ عليه ووصله وأحسَنَ إليه، فمدحه وأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب، ثم عَمِيَ عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان، ويُكنَى عبد الله أبا كثير، وهو القائل يعني نفسَه: [الوافر]

فَقالَتْ: ما فَعَلْتَ أبا كَثِيرٍ أَصَحَّ الودُّ أَمْ أَخْلَفْتَ بَعْدِي؟

وهو أحد الهَجَّائين للناس، المرهوبِ شرّهم.

[خبره مع والي الكوفة]

قال ابن الأعرابي: كان عبد الرحمن بنُ أم الحَكَم على الكوفة من قِبَل خاله معاوية بن أبي سُفْيان، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأَشْيَم، من رَهْط عبد الله بن الزَّبير دِنْيةً[1]، فخرج عبد الرحمن بنُ أمّ الحَكَم وافداً إلى معاوية، ومعه ابنُ الزبير

(١) دنيةً: لحّاً.

ورفيقان له من بني أَسَد، يقال لأحدهما أكل بن ربيعة من بني جِذِيمة بن مالك بن نصر بن قُعَين، وعديّ بن الحرث أحد بني العِدَان من بني نصر، فقال عبد الرحمن بن أم الحَكَم لابن الزبير: خذْ من بني عمِّك دِيَتَين لقتيلك، فأبى ابن الزبير، وكان ابن أم الحكم يميل إلى أهل القاتل، فغضب عليه عبد الرحمن وردَّه عن الوفد من منزل يقال له فَيَّاض، فخالف ابنُ الزبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية، فعاذ به، فأعاذه وقام بأمره، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أمِّ الحكم، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويَعيبه، فقال فيه ابن الزبير قصيدةً أوّلها قولُه: [الطويل]

أَبَى اللَّيْلُ بالمَرَّانِ أنّ يَتَصَرَّما ... كأنّي أَسُومُ العَيْنَ نوماً مُحرَّما[1]
ورُدَّ بِشِنْيَيهِ كأن نجُومَهُ ... صِوارٌ تناهَى من إرانٍ فقَوَّما[2]
إلى الله أشكو لا إلى النّاسِ أنني ... أمُصُّ بناتِ الدّرِّ ثَدْياً مُصَرَّما
وَسَوقَ نساءٍ يَسْلُبُون ثيابَها ... يُهادُونَها هَمْدانَ رِقّاً وخَثْعَما
على أيِّ شيءٍ يا لؤيُّ بن غالبٍ ... تُجيبونَ مَنْ أجْرَى عَلَيَّ وَألْجَما[3]
وهاتوا فقُصُّوا آيةً تقرأونَها ... أحلّتْ بلادِي أن تباحَ وتُظْلَمَا
وإلاَّ فأقْضَى الله بَيْني وَبَيْنَكُمْ ... وَوَلَّى كَثِيرَ اللوْمِ مَن كانَ ألأما
وقد شَهِدَتْنا من ثقيفٍ رَضاعَةٌ ... وَغَيَّبَ عنها الحَوْمَ قُوَّامُ زَمْزَما[4]
بنو هاشِمٍ لَوْ صادَفُوكَ تَجِدُّها ... مَجَجْتَ ولم تَمْلِكْ حَيازِيمَك الدّما[5]
سَتَعلَمُ إنْ زلّتْ بكَ النَّعْلُ زَلّةً ... وكلُّ امرىءٍ لاقي الَّذي كان قَدَّما
بأنكَ قد ماطَلْتَ أنيابَ حَيَّةٍ ... تُزَجِّي بعينيها شُجاعاً وأرْقَما[6]
وكم من عدوٍّ قد أرادَ مَساءَتِي ... بِغَيْبٍ وَلَوْ لاقَيْتُهُ لَتَنَدَّما
وأنتمْ بني حامِ بن نُوحٍ أرَى لَكُمْ ... شِفاهاً كأذنابِ المَشاجِرِ وُرَّما
فإنْ قلتَ خالي مِن قُرَيْش فلمْ أجِدْ ... من النّاسِ شَرّاً مِنْ أبِيكَ وألأما

(١) المران: على أربع مراحل من البصرة، وقيل غير ذلك. (معجم البلدان ٥/ ٩٥). وتصرّم الليل: تقضّى. وأسوم العين نوماً: أكلفها.
(٢) الصوار: القطيع من البقر. وتناهى الشيء: بلغ نهايته. والإران: النشاط. وقوّم: ثبت في مكانه لم يبرحه.
(٣) أجرى عليّ: أي أجرى الخيل للإغارة عليّ.
(٤) قوّام زمزم: القائمون عليها والمتولون سقاية الحجيج.
(٥) تجدّها: تقطعها. والحيازيم: جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه.
(٦) تزجي: تسوق. والشجاع: الحية. والأرقم: ذكر الحيات وأخبثها.

صَغِيراً ضغا في خِرْقَةٍ فأمضَّهُ مُرَبِّيهِ حتى إذ أهَمَّ وأفْطَما[1]
رأى جِلْدَةً من آل حامٍ مَتِينَةً وراساً كأمثالِ الجَرِيبِ مُؤَوَّما[2]
وكنتم سَقِيطاً في ثقيفٍ، مكانكم بَنِي العَبْدِ، لا تُوفي دماؤكمو دما[3]

قال ابن الأعرابي: ثم عُزل ابنُ أم الحكم عن الكوفة، ووليها عبيد الله بن زياد، فقال ابن الزبير: [الطويل]

أبلِغ عبيدالله عَنِّي فإنَّني رميتُ ابنَ عَوذ إذْ بَدَتْ لي مَقاتِلُهْ[4]
على قَفْرَةٍ إذ هابَهُ الوَفْدُ كُلُّهم ولم أكُ أشْوِي القِرْنَ حينَ أناضِلُهْ
وكانَ يُماري مِنْ يَزيدَ بِوَقْعَةٍ فما زالَ حَتى اسْتَدْرَجَتْه حَبائلُهْ[5]
فتُقصِيهِ من ميراثِ حَرْبٍ ورَهْطِهِ وآلَ إلى ما وَرَّثَتهُ أوائِلُهْ[6]
وأصْبَحَ لمَّا أسْلَمَتْهُ حِبالُهُمْ ككلبِ القِطارِ حَلَّ عنهُ جَلاجِلُهْ

ونسخت من كتاب جدّي لأمّي يحيى بن محمد بن ثوابة، قال يحيى بن حازم وحدّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلَّى عن القاسم بن مَعْدان: أن عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم غضب على عبد الله بن الزبير الأسدِيّ لما بلغه أنّه هجاه، فهَدَم داره، فأتى معاويةَ فشكاه إليه، فقال له: كم كانت قيمةُ دارك؟ فاستشهد أسماءَ بن خارجة، وقال له: سَلْه عنها؛ فسأله؛ فقال: ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها، ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلافِ درهم للساج[7]، فأمر له معاويةُ بألفِ درهم، قال: وإنما شهد له أسماء كذلك ليُرفده[8] عند معاوية، ولم تكن داره إلاّ خِصاص[9] قَصَب.

وكان عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم لمّا وَلِيَ الكوفةَ أساءَ بها السيرة، فقدم قادمٌ

---

(١) ضغا: صاح. وأفطم: حان وقت فطامه.
(٢) الجريب: مكيال. والمؤوّم: المشوّه.
(٣) السقيط: لئيم الحسب، والذي لا فضيلة له.
(٤) ابن عوذ: عبد الرحمن بن أم الحكم.
(٥) يماري: يجادل ويناظر. ويزيد هو ابن معاوية وحبائل الموت: أسبابه.
(٦) تقصيه: تبعده.
(٧) الساج: خشب اسود اللون يشبه الآبنوس.
(٨) الإرفاد: المعونة.
(٩) الخصاص: جمع خص، وهو بيت من شجر أو قصب.

من الكوفة إلى المدينة، فسألته امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركتُه يَسأل إلحافاً، وينفِق إسرافاً، وكان محمَّقاً، ولاه معاويةُ خالُه عدَّة أعمال، فذمَّه أهلُها وتظلَّموا منه، فعزله واطرحه، وقال له: يا بُنيّ، قد جَهَدتُ أن أُنفِّقك[1] وأنت تزداد كساداً.

وقالت له أخته أمُّ الحكم بنت أبي سُفْيان بن حرب: يا أخي، زَوّج ابني بعضَ بناتِك؛ فقال: ليس لهنّ بكفء؛ فقالت له: زوّجني أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك، وأنا خير من بناتك، فقال لها: يا أُخيَّة: إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهي الزَّبيب، وقد كثر الآن الزبيب عندنا، فلن نزوّج إلاّ كُفئاً.

[خبره مع عمرو بن عثمان بن عفّان]

حدّثنا الحسن بنُ الطيّب البَلْخي قال: حدّثني أبو غسّان قال: بلغني أن أوّل من أخَذ بعينةٍ[2] في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان، أتاه عبد الله بن الزبير الأسدي، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثّاً، فدعا وكيلَه وقال: اقترِض لنا مالاً؛ فقال: هيهات! ما يعطينا التجار شيئاً. قال: فأَربِحْهم ما شاءوا، فاقترض له ثمانيةَ آلافِ درهم، وثانياً عشرة آلاف، فوجَّه بها إليه مع تخت ثياب[3]، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك: [الطويل]

سَأشْكُرُ عَمْراً إن تَرَاخَتْ مَنِيَّتي ... أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإنْ هِيَ جَلَّتِ[4]

فَتًى غير مَحْجُوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... ولا مُظْهِرِ الشَّكْوَى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ

رَأى خَلَّتي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مكانُها ... فكانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حتَّى تَجَلَّتِ[5]

أخبرني الحسينُ بن القاسم الكوكبيّ إجازةً قال: حدّثني أحمد بنُ عرفة المؤدِّب قال: أخبرني أبو المصبِّح عادية بن المصبِّح السَّلُولي قال: أخبرني أبي

---

(١) نفقه: روَّجه.
(٢) العينة: الربا.
(٣) تخت الثياب: وعاء تحفظ فيه الثياب.
(٤) الأيادي: النعم.
(٥) الخلّة: الفقر، الحاجة.

قال: كان عبد الله بن الزّبير الأسديّ قد مدح أسماء بنَ خَارجة الفَزَارِيّ فقال:

صوت

[الطويل]

تـراه إذا مـا جِـئـتَـهُ مُـتَـهَـلِّـلاً كـأنَّـكَ تُـعْـطِـيـهِ الّـذِي أنـتَ نـائـلُـهْ
وَلَـوْ لـمْ يَـكُـنْ فـي كَـفِّـهِ غَـيْـرُ رُوحِـهِ لَـجـادَ بـهـا فَـلْـيـتَّـقِ الله سـائِـلُـهْ

فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه، فغضب وقال يهجوه: [الطويل]

بَـنَـت لَـكُـمْ هِـنْـدٌ بِـتَـلْـذِيـعِ بَـظْـرِهـا دكاكينَ منْ جِصٍّ عليها المَجالسُ
فـوالله لـولا رَهْـزُ هِـنْـدٍ بِـبَـظْـرِهـا لَـعُـدَّ أبُـوهـا في اللـئامِ العَـوابِسِ[1]

فبلغ ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذرَ من فعله بِضيقةٍ شكاها، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفةً[2] في كل سنة، واقتطعه جَنَّتَيْهِ، فكان بعد ذلك يمدحُهُ ويفضّله. وكان أسماء يقول لبنيه: والله ما رأيت قط جصاً في بناءٍ ولا غيره إلاّ ذكرتُ بَظْر أمّكم هند فخجلتُ.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني عمّي عن ابن مهرُويه، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابيّ قال: حبس ابنُ أمّ الحَكَم عبد الله بنَ الزّبير وهو أمير في جناية وضَعَهَا عليه، وضربه ضرباً مبرِّحاً لهجائه إيَّاه، فأستغاث بأسماء بن خارجة، فلم يزل يَلطُف في أمره، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أم الحَكَم في أمره حتى يخلِّصَه، فأطلق شفاعته، وكساه أسماءُ ووصله وجعل له ولعيالِهِ جِرايةً[3] دائمةً من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التي أوّلها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزّبير، يقول فيها: [الطويل]

ألـم تَـرَ أنَّ الـجُـودَ أرْسَـلَ فَـأنْـتَـقَـى حَـلِـيـفَ صَـفـاءٍ وَأتْـلَـى لا يُـزايِـلُـهْ[4]
تَـخَـيَّـرَ أسْـمـاءَ بـن حِـصْـنٍ فـبُـطِّـنَـتْ بـفـعـلِ الـعُـلا أيْـمـانُـهُ وشـمـائِـلُـهْ
ولا مَـجْـدَ إلا مَـجْـدُ أسـمـاءَ فَـوْقَـهُ ولا جَـرْيَ إلا جَـرْيِ أسْـمـاءَ فـاضِـلُـهْ

---

(١) في البيت إقواء.
(٢) الوظيفة: قدر من الرزق يدفعه كل شهر أو كل سنة.
(٣) جراية: راتب جارٍ غير منقطع.
(٤) ائتلى: أقسم. ويزايله: يفارقه.

وَمُحْتَمِلٍ ضغناً لأسماءَ لَوْ جَرَى ... بِسَجْلَيْنِ من أسماءَ فارَتْ أباجِلُهْ[١]
عَوَى يَسْتَجِيشُ النَّابِحاتِ وَإنَّما ... بِأنيابِهِ صُمُّ الصَّفا وجنادِلُهْ[٢]
وَأقْصَرَ عَنْ مَجْراةِ أسْماءَ سَعْيُهُ ... حَسِيراً كما يَلْقَى من التُّربِ ناخِلُهْ[٣]
وَفَضَّلَ أسْماءَ بنَ حِصْنٍ عَلَيْهِمُ ... سَمَاحَةُ أسْماءَ بْنِ حِصْنٍ وَنائِلُهْ[٤]
فَمَن مِثْلُ أسْماءَ بْنِ حِصْنٍ إذا غَدَتْ ... شآبِيبُهُ أمْ أيُّ شَيْءٍ يُعادِلُهْ[٥]
وَكُنْتُ إذا لاقيتُ مِنهُمْ حَطِيطَةً ... لَقِيتُ أبا حَسّانَ تَنْدَى أصائِلُهْ[٦]
تَضَيَّفُهُ غسّانُ يَرْجُونَ سَيْبَهُ ... وذو يَمَنٍ أحْبُوشُهُ ومَقاوِلُهْ[٧]
فتًى لا يزالُ الدَّهْرَ ما عاشَ مُخْصِباً ... ولوْ كانَ بالمَوْماةِ تَخْدِي رَواحِلُهْ[٨]
فأصْبَحَ: ما في الأرضِ خَلْقٌ عَلِمْتُهُ ... من النّاسِ إلا باعُ أسْماءَ طائِلُهْ
تَراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كأنَّكَ تُعْطِيهِ الّذِي أنْتَ نائِلُهْ
ولَوْ لمْ يكُنْ في كفِّه غَيْرُ رُوحِهِ ... لَجادَ بِها فَلْيَتَّقِ اللهَ سائِلُهْ
تَرَى الجُنْدَ والأعرابَ يَغْشَوْنَ بابَهُ ... كما وَرَدَتْ ماءَ الكُلابِ نَواهِلُهْ
إذا ما أتَوْا أبوابَهُ قالَ: مَرْحَباً ... لِجُوا البابَ حتى يَقْتُلَ الجُوعَ قاتِلُهْ
تَرَى البازِلَ البُخْتِيَّ فَوْقَ خِوانِهِ ... مُقَطَّعَةً أعضاؤهُ ومفاصِلُهْ[٩]
إذا ما أتوا أسماءَ كانَ هُوَ الذي ... تَحَلَّبُ كفّاهُ النَّدَى وأنامِلُهْ
تَراهُمْ كَثِيراً حينَ يَغْشَوْنَ بابَهُ ... فَتَسْتُرُهُمْ جُدْرانُهُ ومنازِلُهْ

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال: حدّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش، وقال ابن الأعرابي أيضاً: دخل عبد الله بن الزبير على عُبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدم

---

(١) الضغن: الحقد. والأباجل: جمع أبجل وهو عرق في باطن الذراع.
(٢) يستجيش النابحات: يستمد الكلاب. والصفا: جمع صفاة، وهي الحجر الصلد.
(٣) حسيراً: كليلاً.
(٤) النائل: العطاء.
(٥) الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر.
(٦) الحطيطة: النقيصة.
(٧) السيب: العطاء. والأحبوش: جماعة الحبش. والمقاول: جمع مقول، وهو ملك حمير. أو هو دون الملك الأعلى.
(٨) الموماة: المفازة. وتخدي رواحله: تسرع إبله.
(٩) البازل: البعير الذي يبلغ الثامنة والتاسعة. والبختي: البقر الخراساني. والخوان: ما يؤكل عليه.

ابن الزبير من الشام، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول: [البسيط]

حَنَّتْ قَلوصِيَ وهْناً بعد هَدْأتها فَهَيَّجَتْ مُغْرَماً صَبّاً على الطَّرَبِ[1]
حَنَّتْ إلى خَيْرِ مَنْ حُثَّ المَطِيُّ لَهُ كالبَدْرِ بينَ أبي سفيانَ والعُتَبِ
تَذَكَّرَتْ بِقُرَى البَلْقاءِ نائلَهُ لقد تذكرتُهُ مِن نازحٍ عَزَبِ[2]
والله ما كانَ بي لولا زيارتُهُ وأنْ أُلاقِي أبا حَسَّانَ مِنْ أَرَبِ
حَنَّتْ لِتَرْجِعَنِي خَلْفِي فقلتُ لها هٰذا أمامَكِ فالْقَيْهِ فَتَى العَرَبِ
لا يَحْسَبُ الشَّرَّ جاراً لا يفارِقُهُ ولا يعاقِبُ عندَ الحِلْمِ بالغَضَبِ
مِن خَيْرِ بَيْتٍ عَلِمناهُ وأكْرَمِهِ كانَتْ دماؤهُمُ تَشْفِي مِنَ الكَلَبِ[3]

قال ابن الأعرابيّ: كانت العربُ تقول: من أصابه الكَلَب والجنونُ لا يبرأ منه إلى أن يُسْقَى من دمِ مَلِك، فيقول: إنه من أولاد الملوك.

أخبرني أحمد بن عيسى العجلي بالكوفة قال: حدثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال: حدّثنا مُضَرُ بن مُزاحم، عن عمرو بن سعد، عن أبي مِخنَف، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكَنُود، وأخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا الحارث بن محمد قال: حدّثنا ابن سعد عن الواقدي، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابي في روايته عن المفضَّل، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين، أن المختار بن أبي عبيد خطب الناسَ يوماً على المنبر فقال: «لَتَنزلنَّ نار من السماء، تسوقها ريح حالكة دَهْماء[4]، حتى تحرق دار أسماء وآلَ أسماء» وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة، يعدّونه في قَتَلَة الحسين عليه السلام، لِمَا كان من معاونته عبيدَ الله بن زياد على هانئ بن عُرْوة المُراديّ حتى قتل، وحركتِه في نُصْرتِهِ على مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد ذكر ذلك شاعرُهم فقال: [الطويل]

أيَرْكَبُ أسماءُ الهَمالِيجَ آمِناً وَقَدْ طَلَبَتْهُ مَذْحِجٌ بِقَتِيلِ![5]

(١) القلوص: الناقة الفتية المجتمعة الخلق. ووهناً: منتصف الليل. والهدأة: السكون.
(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق. (معجم البلدان ١/٤٨٩). والعزب: البعيد.
(٣) الكلب: مرض ينتقل إلى الإنسان من عضة كلب.
(٤) الدهماء: السوداء.
(٥) الهماليج: جمع هملاج، وهو البرذون الحسن السير.

يعني بالقتيل هانئ بن عروة المُراديّ، وكان المختار يحتال ويدبّر في قتله من غير أن يُغضب قيساً فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أو قد سجع بي أبو إسحاق! لا قَرَارَ على زَأْرٍ من الأسد، وهرب إلى الشام، فأمر المختار بطلبه ففاتَه، فأمر بهدم داره، فما تقدَّم عليها مضريّ بتَّةً لموضع أسماء وجلالة قدرهِ في قيس، فتولّت ربيعةُ واليمنُ هدمَها، وكانت بنو تَيْم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار، فقال في ذلك عبد الله بن الزبير: [الطويل]

تَأَوَّبَ عَيْنَ ابْنِ الزَّبِيرِ سُهُودُها ... وَوَلَّى على ما قَدْ عَراها هُجُودُها[1]
كَأَنَّ سَوادَ العَيْنِ أَبْطَنَ نَخْلَةً ... وعَاوِدَهَا مِمّا تَذَكَّرُ عِيدُها[2]
مُخَصَّرَةً مِنْ نَخْلِ جَيْحَانَ صَعْبَةً ... لَوَى بِجَناحَيْها وَلِيدٌ يَصِيدُها[3]
مِنَ اللَّيْلِ وهْناً، أو شَظِيَّةَ سُنْبُلٍ ... أذاعَتْ بِهِ الأرواحُ يُذْرَى حَصِيدُها[4]
إذا طُرِفَتْ أذرَتْ دُموعاً كأنَّها ... نَثِيرُ جُمانٍ بانَ عَنْها فَرِيدُها
وَبِتُّ كأنَّ الصَّدْرَ فيهِ ذُبَالَةٌ ... شَبَا حَرُّها القِنديل، ذاكٍ وَقُودُها[5]
فَقُلْتُ أناجِي النَّفْسَ بيني وبينها ... كذاكَ الليالي نَحْسُها وَسُعُودُها
فَلا تَجْزعي مِمّا ألَمَّ فإنَّني ... أرى سَنَةً لم يَبْقَ إلا شَرِيدُها[6]
أتانِي وعُرْضُ الشّامِ بيني وبينها ... أحاديثُ والأنباءُ يَنمِي بَعِيدُها[7]
بأنَّ أبا حَسَّانَ تُهْدَمُ دارُهُ ... لُكَيْزٌ سَعَتْ فُسَّاقُها وعَبِيدُها[8]
جَزَتْ مُضَراً عَنِّي الجَوازِي بِفِعْلِها ... ولا أصْبَحَتْ إلاّ بِشَرٍّ جُدودُها[9]
فما خَيْرُكُمْ؟ لا سيِّداً تَنْصُرُونَهُ ... ولا خائِفاً إن جاءَ يوماً طَرِيدُها
أخذلانَهُ في كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... ومسألةٍ ما إنْ ينادَى وَلِيدُها

(١) تأوّب: عاد. والهجود: النوم.
(٢) العيد: ما يعود من هم أو مرض أو شوق.
(٣) مخصّرة: ضامرة الخصر. وجيحان نهر بالمصيصة. (معجم البلدان ٢/١٩٦). والوليد: الصبيّ.
(٤) الأرواح الرياح. ويذرى: يتطاير.
(٥) الذبالة: الفتيلة. وشبا النار: أشعلها. وذكت النار: تأججت.
(٦) السنة هنا: القحط، الجدب.
(٧) ينمي: ينتشر.
(٨) لكيز: قبيلة.
(٩) جدودها: حظوظها.

لأمِّكُمُ الوَيْلاتُ أنَّى أُتِيتُمُ ... جماعاتُ أقوامٍ كَثِيرٍ عَدِيدُها
فَيَا لَيتَكُم مِنْ خذلانِكُمْ لهُ ... جوارٍ على الأعناقِ منها عُقودُها
ألَمْ تَغْضَبُوا تَبّاً لَكُمْ إذ سَطَتْ بِكُمْ ... مَجُوسُ القُرَى في دارِكُمْ ويَهُودُها!
تَرَكْتُمْ أبا حَسَّان تُهْدَمُ دارُهُ ... شَيَّدَةً أبْوابُها وَحَدِيدُها
يُهَدِّمُها العِجْلِيُّ فيكُمْ بشُرْطَةٍ ... كما نَبَّ في شِبْلِ التُّيوسِ عَتُودُها[1]
لَعَمْرِي لَقَدْ لَفَّ اليَهُودِيُّ ثَوْبَهُ ... على غَدْرَةٍ شَنْعاءَ باقٍ نَشِيدُها[2]
فلو كانَ مِنْ قَحْطانَ أسماءُ شَمَّرَتْ ... كتائِبُ مِنْ قَحْطانَ صُعْرٌ خُدُودُها
ففي رَجَبٍ أو غُرَّةِ الشَّهْرِ بَعْدَهُ ... تَزُورُكُمْ حُمْرُ المَنايَا وسُودُها[3]
ثمانُونَ ألفاً دِينُ عثمانَ دِينُهُمْ ... كَتائِبُ فيها جَبْرَئيلُ يَقُودُها
فَمَنْ عاشَ منكم عاشَ عبداً وَمَنْ يَمُتْ ... فَفِي النَّارِ سُقياهُ هُناكَ صَدِيدُها

وقال ابن مهرويه: أخبرني به الحسن بن علي عنه، حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي: أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، وبها يومئذٍ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة، وقتل عمرو بن سعيد، وكان أسماء أَمَويّ الهوى، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

تأوَّبَ عَيْنَ ابنِ الزُّبَيْرِ سُهُودُها

وذكر القصيدة بأسرها، وهذا الخبر أصح عندي من الأول، لأن الحسن بن علي حدّثني قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمي مصعب قال: لما ولي مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزّبير الأسدي، فقال له: إيه يابن الزبير، أنت القائل: [الطويل]

إلى رَجَبِ السَّبْعِينَ أو ذاكَ قَبْلَهُ ... تُصَبِّحُكُمْ حُمْرُ المَنايا وَسُودُها
ثمانونَ ألفاً نَصْرُ مَرْوانَ دِينُهُمْ ... كتَائِبُ فيها جَبْرَئيلُ يَقُودُها

---

(١) نبّ التيس: صاح. والعتود: من أولاد المعزى ما قوي وأتى عليه حول.
(٢) نشيدها: صوتها العالي.
(٣) غرة الشهر: أوله.

فقال: أنا القائل لذلك، وإن الحقِين لِأبى العِذْرَة[١]، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع؛ فقال: أمَا إني ما أصنع بك إلاَّ خيراً، أحسن إليك قوم فأحببتَهم وواليتَهم ومدحتَهم، ثم أمر له بجائزة وكسوة، وردَّه إلى منزله مكرّماً، فكان ابنُ الزّبير بعد ذلك يمدحه ويَشِيد بذكره، فلما قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظَبيانَ في مجلس، فعرف ابنُ الزبير خبره ـ وكان عبيدالله هو الذي قتل مصعب بن الزبير ـ فاستقبَلَه بوجهه وقال له: [الطويل]

أبـا مـطـر شَـلَّـت يَـمِـيـنٌ تَـفـرَّعَـتْ ... بِسَيْفِكَ رأسَ ابنِ الحَواريِّ مُصْعَبِ[٢]

فقال له ابنُ ظَبْيان: فكيف النجاة من ذلك؟ قال: لا نجاة، هيهات! «سَبَقَ السيفُ العَذَل»، قال: فكان ابنُ ظبيانَ بعد قتلِهِ مصعباً لا يَنتفع بنفسِهِ في نوم ولا يقظة، كان يهوَّل عليه[٣] في منامه فلا ينام، حتى كَلَّ جسمُهُ ونُهِكَ، فلم يزل كذلك حتى مات.

وقال ابن الأعرابي: لما قدم ابنُ الزّبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه، فأوصله إليه، ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي أوّلها:

صوت

[الطويل]

أَصَـرْمٌ بِـلَـيْـلَـى حـادِثٌ أم تَـجَـنُّـبُ ... أم الـحَـبْـلُ مـنـهـا واهِـنٌ مُـتَـقَـضِّـبُ[٤]
أم الـوُدُّ مِـنْ لَـيْـلَـى كَـعَـهْـدِي مـكـانَـهُ ... وَلَٰـكِـنَّ لَـيْـلَـى تَـسْـتَـزِيـدُ وتَـعْـتِـبُ

غَنَّى في هذين البيتين حُنين ثاني ثقيل عن الهشامي:

أَلَـمْ تَـعْـلَـمِـي يـا لَـيْـلَ أَنِّـيَ لَـيِّـنٌ ... هَضُومٌ وأَنِّي عَنْبَسٌ حين أغْضَبُ[٥]
وأنِّي مَتَى أُنْـفِـقْ مـن الـمـالِ طـارِفـاً ... فـإنِّـيَ أَرْجُـو أنْ يَـثُـوبَ الـمُـثَـوِّبُ[٦]

---

(١) مثل يضرب لمن يعتذر ولا عذر له.
(٢) تفرعت: علت. والحواريّ هو الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ.
(٣) يهوَّل عليه: يُفَزَّع.
(٤) الصرم: القطيعة. والواهن الضعيف، والمتقضب: المتقطع.
(٥) الهضوم: المنفق ماله. والعنبس: الأسد.
(٦) يثوب: يرجع.

أأنْ تـلِـفَ الـمـالُ الـتِّـلادُ بِـحَـقِّـهِ تَشَمَّسُ ليلَى عن كلامِي وتَقْطِبُ[١]
عَـشِـيَّـةَ قـالَـتْ والـرِّكـابُ مُـنـاخَـةٌ بأكوارِها مَشْدُودةٌ: أيْنَ تَذْهَبُ؟[٢]
أفـي كُـلِّ مِـصْـرٍ نـازحٍ لَـكَ حـاجَـةٌ كذلكَ ما أمْرُ الفَتَى المُتَشَعِّبُ[٣]
فَـوالله مـا زالَـتْ تُـلَـبِّـثُ نـاقَـتِـي وَتُقْسِمُ حَتَّى كادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
دَعِـيـنِـيَ مـا لِـلْـمَـوْتِ عَـنِّـيَ دافِـعٌ ولا لِلَّذِي ولَّى منَ العَيْشِ مَطْلَبُ
إلـيـكَ عُـبَـيْـدَ الله تَـهْـوِي رِكـابُـنـا تَعَسَّفُ مَجْهُولَ الفَلاةِ وَتَدْأَبُ[٤]
وَقَـدْ ضَـمـرتْ حـتَّـى كـأنَّ عُـيـونَـهـا نِـطـافُ فَـلاةٍ مـاؤهـا مُـتَـصَـبِّـبُ[٥]
فـقـلـتُ لـهـا: لا تَـشْـتَـكِـي الأيـنَ إنَّـهُ أمـامَـكِ قَـرْمٌ مـن أمَـيَّـةَ مُـصْـعَـبُ[٦]
إذا ذَكَـرُوا فَـضْـلَ امْـرِئٍ كـانَ قَـبْـلَـهُ فَـفَـضْـلُ عُـبَـيْـدِ الله أثْـرَى وأطْـيَـبُ
وَأنَّـكَ لَـوْ يُـشفى بِـكَ الـقَـرْحُ لَـمْ يَـعُـدْ وأنـتَ عـلـى الأعْـداءِ نـابٌ وَمِـخْـلَـبُ
تَـصـافَى عبيدُ الله وَالـمَـجْـدُ صَـفْـوَةَ الـ حـلـيـفَـيْـنِ مـا أرْسَـى ثَـبِـيـرٌ وَيَـثْـرِبُ
وأنْـتَ إلـى الـخَـيْـراتِ أوَّلُ سـابِـقٍ فأبْشِرْ، فَقَدْ أدرَكْتَ ما كُنْتَ تَطْلُبُ
أعِـنِّـي بِـسَـجْـلٍ مِـنْ سِـجـالِـك نـافِـعٍ فَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَدْ سَرَى لكَ مِخْلَبُ[٧]
فـإنَّـكَ لَـوْ إيَّـايَ تَـطْـلُـبُ حـاجَـةً جَرَى لكَ أهْلٌ في المقالِ ومَرْحَبُ

قال: فقال له عُبيد الله ـ وقد ضحك من هذا البيت الأخير ـ: فإني لا أطلب إليك حاجة، كم السَّجل الذي يُرويك؟ قال: نوالُك أيها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال ابن الأعرابي: كان نُعَيم بنُ دُجانة بنِ شدَّاد بن حُذَيفة بن بكر بن قيس بن مُنقِذ بن طَريف صديقاً لعَبدِالله بن الزّبير، ثم تغيَّر عليه، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك: [الوافر]

ألا طَـرَقَـتْ رُوَيْـمَـةُ بَـعْـدَ هَـدْءٍ تَـخَـطَّـى هَـوْلَ أنـمـارٍ وأسْـدِ[٨]

(١) تشمس: تنفر، تعرض. وتقطب: تعبس.
(٢) الأكوار: جمع كور وهو الرحل.
(٣) النازح: البعيد. والمتشعب: المنتشر، المتفرق.
(٤) تهوي: تسرع. وتعسف: تسير على غير هدى. وتدأب: تجدّ.
(٥) النطاف: جمع نطفة، وهي الماء الصافي.
(٦) الأين: التعب، الإعياء. والقرم: السيّد الكريم.
(٧) السَّجل: الدلو العظيمة.
(٨) الهدء: الهزيع من الليل، أو من أول الليل إلى ثلثه. وتخطى: تتخطى، حذف حرف المضارعة. =

تَجُوسُ رحالنا حَتّى أتَتْنا طُرُوقاً بينَ أعْراب وجُنْدِ[1]
فَقالَتْ: ما فَعَلْتَ أبا كَثِيرٍ أصَحَّ الوُدُّ أمْ أخْلَفْتَ عَهْدِي؟
كأنَّ المِسْكَ ضُمَّ على الخُزَامَى إلى أحْشائِها وَقَضِيبَ رَنْدِ
ألا مَنْ مُبْلِغ عَنّي نُعَيْماً فَسَوْفَ يُجَرِّبُ الإخْوانَ بَعْدِي
رأيْتُكَ كالشُّمُوسِ تُرَى قَرِيباً وَتَمْنَعُ مَسْحَ ناصِيَةٍ وخَدِّ
فإنّي إنْ أقَعْ بِكَ لا أهَلِّلْ كَوَقْعِ السَّيْفِ ذِي الأثْرِ الفِرِنْدِ[2]
فَأوْلَى ثُمَّ أوْلَى ثُمَّ أوْلَى فَهَلْ لِلدَّرِّ يُحْلَبُ من مَرَدِّ[3]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعي قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تِينة، وأخبرني عمي قال: حدّثنا الكُراني قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل عن المدائني عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: كان عبد الله بن الزّبير صديقاً لعمرو بن الزّبير بن العوّام، فلما أقامَهُ أخوه ليُقتصَّ منه بالغ كل ذي حِقدٍ عليه في ذلك، وتدسَّس فيه من يتقرَّب إلى أخيه، وكان أخوه لا يسأل من ادَّعى عليه شيئاً بيِّنة، ولا يطالبه بحجَّة، وإنما يقبل قوله ثم يُدخله إليه السجنَ ليقتص منه، فكانوا يضربونه والقَيْحُ ينتضِحُ من ظهره وأكتافِهِ على الأرض لشدَّة ما يمرّ به، ثم يُضرَبُ وهو على تلك الحال، ثم أمر بأن يُرسَل عليه الجِعْلان[4]، فكانت تَدِبّ عليه فتثقُب لحمه، ـ وهو مقيد مغلول ـ يستغيث فلا يغاث، حتى مات على تلك الحال، فدخل الموكَّل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدحُ لبن يريد أن يتسحَّر به وهو يبكي فقال له: ما لك؟ أمات عمرو؟ قال: نعم، قال: أبْعده الله، وشرب اللبن، ثم قال: لا تُغَسِّلوه ولا تكفِّنوه، وادفنوه في مقابر المشركين، فدفن فيها، فقال ابن الزّبير الأسدي يرثيه ويؤنّب أخاه بفعله، وكان له صديقاً وخلّاً ونديماً: [الطويل]

أيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ كَبِيرَ بَنِي العَوّام إنْ قِيلَ مَنْ تَعْنِي[5]
سَتَعْلَمُ ـ إن جالَتْ بكَ الحربُ جَوْلَةً إذا فَوَّق الرامُونَ ـ أسْهُم مَن تُغْنِي

ـــــــــــ

= وأنمار وأسد: أي رجال شجعان كالنمور والأسود.

(١) طروقاً: ليلاً.

(٢) هلل عن المرء: جبن ونكص. والفرند: جوهر السيف وماؤه.

(٣) الدرّ: اللبن.

(٤) الجعلان: جمع جُعَل وهو دويبة سوداء كالخنفساء.

(٥) عرضت: أتيت العروض وهو مكة والمدينة. وتعني: تقصد.

فأصبحتِ الأرحامُ حينَ وليتَها بِكَفَّيْكَ أكراشاً تُجَرُّ على دِمْنِ[1]
عقدتُمْ لِعَمْرو عُقْدَةً وغدرتُمُ بأبيَضَ كالمِصْباحِ في لَيْلَةِ الدَّجْنِ[2]
وكبَّلتَه حَوْلاً يَجُودُ بِنَفْسِهِ تَنُوءُ بِهِ ساقِهِ حَلَقُ اللَّبْنِ[3]
فَما قالَ عَمْرٌو إذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ لِضارِبِهِ - حتى قَضى نَحْبَه -: دَعْنِي
تُحدِّثُ مَنْ لاقيْتَ أنَّكَ عائِذٌ وَصَرَّعتَ قَتْلَى بَيْنَ زَمْزَمَ والرُّكْنِ
جَعَلْتُمْ لِضَرْبِ الظَّهْرِ منهُ عِصِيَّكُمْ تُراوِحُهُ، وَالأَصْبحيَّةُ لِلْبَطْنِ[4]
تُعَذِّرُ منهُ الآنَ لَمَّا قَتَلْتَهُ تَفاوُتَ أرْجاءِ القَلِيبِ مِنَ الشَّطْنِ[5]
فَلَمْ أرَ وَفْداً كانَ لِلْغَدْرِ عاقِداً كَوَفْدِكَ شدُّوا غيرَ مُوفٍ ولا مُسْنِي[6]
وكنتَ كذاتِ الفِسْقِ لم تَدْرِ ما حَوَتْ تَخَيَّرُ حالَيْهَا أتَسْرِقُ أمْ تَزْنِي
جَزَى الله عَنِّي خالِداً شَرَّ ما جَزَى وَعُرْوَةَ شرّاً، من خَلِيلٍ، ومن خِدْنِ[7]
قتلتمْ أخاكُمْ بِالسِّياطِ سَفاهَةً فيا لَكَ لِلرَّأْيِ المُضَلَّلِ والأفْنِ[8]
فَلَوْ أنَّكُمْ أجْهَزْتُمُ إذْ قَتَلْتُمُ وَلٰكِنْ قَتَلْتُمْ بِالسِّياطِ وبِالسِّجْنِ
وإنِّي لأرْجُو أنْ أرى فِيكَ ما تَرَى بِهِ مِن عِقابِ الله ما دُونَهُ يُغْنِي
قَطَعْتَ مِنَ الأرحامِ ما كانَ واشِجاً على الشَّيْبِ، وأتْبَعْتَ المَخافَةَ بالأمْنِ[9]
وأصبحتَ تَسْعَى قاسِطاً بِكَتِيبَةٍ تُهَدِّمُ ما حَوْلَ الحَطِيمِ ولا تَبْنِي[10]
فلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ قَدْ سَنَنْتَهَا فما لِلدِّماءِ الدَّهْرَ تُهْرَقُ مِنْ حَقْنِ

أخبرني عمّي قال: حدَّثني الخزّاز عن المدائني قال: قتل يعقوب بن طلحة يوم الحَرَّة[11]، وكان يعقوب ابن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد: يا عجباً قاتلني

---

(١) الأكراش: جمع كرش، وهو عند الحيوان كالمعدة للإنسان. والدمن: السماد المتلبد.
(٢) يوم الدجن: يوم الغيم.
(٣) تنوء به: تثقله. والحلق: جمع حلقة. واللّبن: الضرب الشديد.
(٤) تراوحه: تتعاقب عليه. والأصبحي: السوط المنسوب إلى ذي أصبح ملك من ملوك حمير.
(٥) تُعَذِّر: تتكلف العذر. والقليب: البئر. والشَّطن: الحبل الطويل ليستقى به من البئر.
(٦) المسني: الرافع.
(٧) الخدن: الصديق.
(٨) الأفن: ضعف العقل وفساد الرأي.
(٩) واشجاً: متشابكاً.
(١٠) قسط: جار. والحطيم: حجر الكعبة.
(١١) الحرة: موضع بظاهر المدينة، ويوم الحَرّة: المعركة التي كانت زمن يزيد بن معاوية بين جيشه وأهل المدينة.

كل أحد حتى ابن خالتي! قال: وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكَرَوَّس، فقال ابن الزّبير الأَسَدِيّ يرثيه:

لَعَمْرُكَ ما هٰذا بِعَيْشٍ فَيُبْتَغَى هَنِيءٍ ولا مَوْتٍ يُرِيحُ سَرِيعِ
لَعَمْرِي لقد جاءَ الكَرَوَّسُ كاظِماً على أَمْرِ سَوْءٍ حِينَ شاعَ فَظِيعِ
نَعَى أُسْرَةً يَعْقُوبُ مِنْهُمْ فأَقْفَرَتْ مَنازِلُهُمْ من رُومَةٍ فَبَقِيعِ[1]
وَكُلُّهُمُ غَيْثٌ إذا قُحِطَ الوَرَى وَيَعْقُوبُ مِنْهُمْ لِلأَنامِ رَبِيعُ[2]

وقال ابن الأعرابي: كانَ على ابن الزبير دين لجماعة، فلازموه ومنعوه التصرّف في حوائجه، وألحّ عليه غريم له من بني نَهْشَل يقال له: ذئب، فقال ابن الزّبير: [الطويل]

أحابِسَ كَيْدِ الفِيل عَنْ بَطْنِ مَكَّةٍ وَأَنْتَ على ما شِئْتَ جَمُّ الفَواضِلِ
أَرِحْنِي من اللائي إذا حَلَّ دَيْنُهُمْ يُمَشُّونَ في الدّاراتِ مَشْيَ الأرامِلِ[3]
إذا دَخَلُوا قالُوا: السَّلامُ عَلَيْكُمُ وغيرُ السَّلامِ بالسَّلامِ يُحاوَلُ
أَلِينُ إذا اشْتَدَّ الغَرِيمُ والْتَوِي إذا اشْتَدَّ حَتَّى يُدرِكَ الدَّيْنَ قابِلُ[4]
عَرَضْتُ على زَيْدٍ لِيأخذَ بَعْضَ ما يحاوِلُهُ قَبْلَ اشْتغالِ الشَّواغِلِ
تَشاءَبَ حَتَّى قُلْتُ: داسِعُ نَفْسِهِ وأَخْرَجَ أنياباً لَهُ كالمَعاوِلِ[5]

وقال ابن الأعرابي: استجار ابن الزّبير بمروانَ بن الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم، فأجاراه وقاما بأمره، ودخل مع مروانَ إلى المدينة، وقال في ذلك: [الطويل]

أَجِدِّي إلى مَرْوَانَ عَدْواً فَقَلِّصِي وإلاّ فَرُوحِي واغْتَدِي لابْنِ عامِرِ[6]
إلى نَفَرٍ حَوْلَ النَّبِيِّ بُيُوتُهُمْ مكارِيمُ لِلعافِي رِقاقُ المآزِرِ[7]

(١) رومة: أرض بالمدينة فيها بئر تسمى باسمها (معجم البلدان ٣/ ١٠٤).
(٢) في البيت إقواء.
(٣) الدارات: جمع دارة، وهي ساحة الدار.
(٤) في البيتين الثالث والرابع من هذه الأبيات إقواء.
(٥) دسع نفسه: دفعها.
(٦) أجدّي: أسرعي.
(٧) العافي: طالب المعروف. ورقاق المآزر: كناية عن النعيم والترف.

لَهُمْ سورةٌ في المَجْدِ قد عُلِمَتْ لَهُمْ تُذَبْذِبُ باعَ المُتْعَبِ المُتَقاصِرِ
لَهُمْ عامِرُ البَطْحاءِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةٍ وَرُومَةُ تُسْقَى بِالجِمالِ القَياسِرِ[١]

وقال ابن الأعرابي: عرض قوم من أهل المَدْرَاء[٢] لابن الزّبير الأسديّ في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقَرْقِيسياء[٣]، فاستعدوا عليه زُفَرَ بن الحارث الكِلابِيّ وقالوا: إنه أموي الهوى، وكانت قيس يومئذٍ زُبَيْرِيَّة، وقَرقيسياء وما والاها في يد ابن الزبير، فحبسه زفر أياماً وقيّده، وكان معه رفيق من بني أميّة يقال له: أبو الحَذْرَاء، فرحل وتركه في حبسه أياماً، ثم تكلّمتْ فيه جماعة من مُضَر فأُطلق، فقال في ذلك: [الطويل]

أغادٍ أبو الحَذْراءِ أمْ مُتَرَوِّحُ؟ كذاكَ النَّوَى مما تُجِدُّ وتَمْزَحُ
لَعَمْرِي لَقَدْ كانَتْ بلادٌ عَرِيضَةٌ لي الرَّوْحُ فيها عَنْكَ وَالمُتَسَرَّحُ[٤]
وَلٰكِنَّهُ يَدْنُو البَغِيضُ وَيَبْعُدُ الـ حبيبُ وَيَنْأَى في المَزارِ وَيَنْزَحُ
ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَى أُمَّ واصِلٍ كُبُولٌ أَعَضُّوهَا بساقَيَّ تَجْرَحُ
إذا ما صَرَفْتُ الكَعْبَ صاحَتْ كَأَنَّها صَرِيفُ خَطاطِيفٍ بِدَلْوَيْنِ تَمتَحُ[٥]
تُبَغِّي أباها في الرِّفاقِ وَتَنْثَنِي وأَلْوَى بِهِ في لُجَّةِ البَحْرِ تِمْسَحُ[٦]
أَمُرْتَحِلٌ وَفْدُ العِراقِ وغُودِرتْ تَحِنُّ بِأَبْوابِ المَدِينَةِ صَيْدَحُ[٧]
فَإِنَّكِ لا تَدْرِينَ فِيما أَصابَني أَرَيْثُكِ أَمْ تَعْجِيلُ سَيْرِكِ أَنْجَحُ[٨]
أَظَنَّ أبو الحَذْراءِ سَجْني تِجارةً تُرَجَّى وما كُلُّ التِّجارةِ تُرْبِحُ!

أخبرني محمد بنُ عمرانَ الصَّيرفيُّ قال: حدَّثنا الحسن بن عُلَيل قال: حدَّثني محمد بن معاوية الأسديّ قال: لما قدم الحجّاج الكوفة والياً عليها صعِد المنبَر،

(١) القياسر: الجمال القوية.
(٢) أهل المدراء: أهل الحضر.
(٣) قرقيسياء: بلد على نهر الخابور. (معجم البلدان ٤/٣٢٨).
(٤) الروْح: الراحة. والمتسرّح: خروج الهم والضيق من الصدر.
(٥) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو الحديدة المعوجة. وتمتح الدلو: تجذب رشاءها.
(٦) ألوى به: ذهب به. وتمسح: تمساح.
(٧) صيدح: اسم ناقة ذي الرمة.
(٨) الريث: الإبطاء.

فخطَبَهُم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، إن الشيطان قد باض وفرَّخ في صدوركم، ودبَّ ودرَجَ في حجُوركم، فأنتم له دِين، وهو لكم قرين، ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾[1] ثم حثَّهم على اللَّحاق بالمهلَّب بن أبي صُفرة، وأقسم ألاَّ يجدَ منهم أحداً اسمُهُ في جريدة المهلَّب بعد ثالثة بالكوفة إلا قتله، فجاء عُمَير بن ضابىء البُرْجُمي فقال: أيها الأمير، إني شيخ لا فضل فيَّ، ولي ابنٌ شابٌّ جَلْد، فاقبله بدلاً منِّي؛ فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول، فرفَسَهُ وكسرَ ضِلْعين من أضلاعه، وهو يقول:

أَيْـنَ تَـرَكْـتَ ضـابِـئـاً يـا نَـعْـثَـلُ[2]

فقال له الحجَّاج: فهلاً يومئذٍ بعثتَ بديلاً، يا حرسيّ! اضربْ عنقه، وسمع الحجّاج ضَوْضَاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكَرَت، فقال: أتحفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولُّوا هاربين، فازدحم الناسُ على الجِسر للعُبور إلى المهلّب حتى غرق بعضُهم، فقال عبد الله بن الزّبير الأسديّ:

[الطويل]

أَقُـولُ لإِبْـراهِـيـمَ لـمّـا لـقـيـتُـهُ ... أَرَى الأَمْـرَ أَمْـسَـى واهِـيـاً مُـتَـشَـعِّـبَـا
تَـخَـيَّـرْ فَـإِمـا أَنْ تَـزورَ ابـنَ ضـابِـئٍ ... عُـمَـيْـراً وإمَّـا أَنْ تَـزورَ الـمُـهَـلَّـبَـا
هـمـا خُـطَّـتـا خَـسْـفٍ نَـجاؤك منـهـمـا ... رُكُـوبُـكَ حَـوْلِـيّـاً مِـنَ الـثَّـلْـجِ أَشْـهـبـا
فَـأَضْـحَـى وَلَـوْ كـانَـتْ خُـراسـانُ دونَـهُ ... رآهـا مَـكـانَ الـسُّـوقِ أَوْ هـيَ أَقْـرَبـا

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورَّاق قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني علي بن عَثّام الكلابيّ قال: دخل عبدُ الله بنُ الزّبير الأسديُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لمّا وَلِيَها وقد مدحه، فاستأذَنه الإنشاد، فلمْ يأذن له، وقال له: ألم تُسقِط السماء علينا وتمنعْنا قَطْرها في مديحك لأسماء بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنْشِدها، فأنشَدَهُ:

[الوافر]

إذا مـاتَ ابـنُ خـارِجَـةَ بـنِ حِـصْـنٍ ... فـلا مَـطَـرَتْ عـلـى الأَرْضِ الـسَّـمـاءُ

---

(١) سورة النساء، الآية ٣٨.

(٢) ضابىء: هو ضابىء بن الحارث البرجمي. مات في سجن عثمان بن عفان رضي الله عنه. ونعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، وكان من أراد ذم عثمان أو هجاءه قال عنه: نعثل.

ولا رَجَعَ الوُفودُ بِغُنْمِ جَيْشٍ ولا حَمَلَتْ على الطُّهْرِ النِّساءُ
لَيَوْمٌ مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ أُناسٍ كَثيرٍ حَوْلَهم نَعَمٌ وشَاءُ
فَبُورِكَ في بَنِيكَ وفي أبيهمْ إذا ذُكِروا وَنَحْنُ لكَ الفِداءُ

فالتفت إليه مصعب وقال له: اذهب إلى أسماء، فما لك عندنا شيء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوَّضه حتى أرضاه، ثم عوَّضه مصعب بعد ذلك، وخُصَّ به، وسمع مَدِيحَهُ، وأحسن عليه ثوابَهُ.

قال ابن الأعرابي: لما ولي بشر بن مروانَ الكوفةَ أدنى عبدَ الله بن الزّبير الأسديّ وبرَّه وخصَّه بأنسه، لعلمه بهواه في بني أميّة، فقال يمدحه: [الطويل]

ألَمْ تَرَنِي والحَمْدُ للَّهِ أنَّنِي بَرِئْتُ وَداواني بِمَعْرُوفِهِ بِشْرُ
رَعَى ما رَعَى مَرْوانُ مِنِّي قَبْلَهُ فَصَحَّتْ لَهُ مِنِّي النَّصيحَةُ والشُّكْرُ
ففي كُلِّ عامٍ عاشَهُ الدَّهْرَ صالِحاً عَلَيَّ لِرَبِّ العالَمِينَ لَهُ نَذْرُ
إذا ما أبو مَرْوانَ خَلَّى مَكانَهُ فلا تَهْنَأُ الدُّنْيا ولا يُرْسَلُ القَطْرُ
ولا يَهْنِيءُ النَّاسَ الوِلادةُ بَيْنَهُم ولا يَبْقَ فَوْقَ الأرْضِ مِنْ أهْلِها شَفْرُ[(١)]
فَلَيْسَ البُحورُ بِالَّتي تُخْبِرُونَني ولكنْ أبُو مَرْوانَ بِشْرٌ هُوَ البَحْرُ

وقال فيه أيضاً فذكر أُمّه قُطْبة بنت بشر بن مالكٍ مُلاعب الأسنّة: [الكامل]

جاءتْ بِهِ عُجُزٌ مُقابِلَةٌ ما هُنَّ مِنْ جَرْمٍ ومِنْ عُكُلِ[(٢)]
يا بِشْرُ يابنَ الجَعْفَرِيَّةِ ما خَلَقَ الإلٰهُ يدَيْك للبُخْلِ
أنْتَ ابنُ ساداتٍ لأجْمَعِهِم في بَطْنِ مَكَّةَ عِزَّةُ الأصْلِ
بَحْرٌ مِنَ الأعْياصِ جُذْنَ بِهِ في مَغْرِسٍ للجُودِ والفَضْلِ[(٣)]
مُتَهَلِّلٌ تَنْدَى يَداهُ إذا ضَنَّ السَّحابُ بوابِلٍ سَجْلِ

[خبره مع الحجاج بن يوسف وهجاؤه ابن الزبير]

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثنا العمري، عن الهيثم بن عديّ عن عبدالله بن عيّاش قال: أخبرني مشيخةٌ من بني أسد أنَ ابن الزّبير الأسديَّ لمَّا

(١) شفر: أحد.
(٢) العُجُز: جمع عجوز. والمقابل من الرجال: الكريم النسب. وجرم وعكل: قبيلتان.
(٣) الأعياص: من قريش أبناء أمية بن عبد شمس الأكبر وهم أربعة: العاص، وأبو العاص، والعيص، وأبو العيص.

قفل من قتال الأزارقة[١] صُوِّب[٢] بعثٌ إلى الرَّي[٣]، قال: فكنتُ فيه، وخرج الحجَّاج إلى القنطرة يعني قنطرةَ الكوفة التي بزُبارة[٤] ليَعرِضَ الجيشَ، فعرضهم، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو؟ فمر به ابنُ الزبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذي تقول: [الطويل]

تَخَيَّرْ فإما أنْ تَزورَ ابنَ ضابئ ... عُمَيْراً، وإمَّا أنْ تزورَ المُهَلَّبا

قال: بلى، أنا الذي أقول: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنِّي قَدْ أَخَذْتُ جَعِيلَةً ... وَكُنْتُ كَمَنْ قادَ الجَنيبَ فَأَسْمَحا[٥]

فقال له الحجّاج: ذلك خير لك، فقال:

وَأَوقَدَتِ الأعْداءُ يا مَيُّ فاعلَمِي ... بِكُلِّ شَرًى ناراً فَلَمْ أرَ مَجْمَحا[٦]

فقال له الحجّاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يَعدَم الدَّاعي إلى الخَيْرِ تابِعاً ... ولا يَعْدَم الدَّاعِي إلى الشَّرِّ مَجْدَحا[٧]

فقال له الحجّاج: إن ذلك كذلك، فامض إلى بَعْثِكَ، فمضى إلى بعثه فمات بالري.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمي قال: لمّا وليَ عبدُ الرحمنِ بن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزّبير، فلم يُثِبه، وكان قدم في هيئة رثّة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبّر، فقال ابن الزّبير فيه: [الطويل]

تَبَقَّلْتَ لَمَّا أنْ أَتَيْتَ بلادَكُمْ ... وفي مِصْرِنا أنْتَ الهُمامُ القَلَمَّسُ[٨]
أَلَسْتَ بِبَغْلٍ أُمُّهُ عَرَبِيَّةٌ ... أبوكَ حِمار أَدْبَرُ الظَّهْرِ يُنْخَسُ[٩]

---

(١) الأزارقة: فرقة من الخوارج، وهم أتباع نافع بن الأزرق.
(٢) صُوِّب: وُجِّه، أرسل.
(٣) الري: مدينة بفارس. (معجم البلدان ٣/ ١١٦).
(٤) زبارة: موضع بالكوفة. (معجم البلدان ٣/ ١٢٩).
(٥) الجعيلة: ما يجعل على العمل من أجر أو رشوة. وأسمح: ذلّ وأطاع.
(٦) الشرى: الناحية. والمجمح: المهرب.
(٧) المجدح: آلة الجدح. والجدح: تحريك السويق وغيره.
(٨) تبقّل: طلب البقل. والقلمّس: البحر، والرجل الكريم.
(٩) أدبر الظهر: مجروح الظهر.

قال: وكان بنو أمية إذا رأوا عبدَ الرحمن يلقّبونه البغلَ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً، يظنّه يعرّض به.

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيُّ عن العُمَري عن العُتْبي قال: لمّا قُتِلَ عبدُ الله بن الزُّبير صلب الحَجّاج جسدَه، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وَأَذِنَ للناس فدخلوا عليه، فقام عبدُ الله بن الزّبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلَّم ولا تقل إلاَّ خيراً، وتوخَّ الحقَّ فيما تقولُه، فأنشأ يقول:

[الطويل]

مَشَى ابن الزبير القَهْقَرَى فَتَقَدَّمَتْ ... أُمَيَّـةُ حتَّـى أَحْـرَزوا الـقَـصَبَـاتِ

وَجِئْتَ الـمجَلِّي يابنَ مَرْوانَ سابقاً ... أمـامَ قُـرَيْـشٍ تَـنْـفُـضُ الـعُـذُرَاتِ[1]

فـلا زِلْـتَ سبَّـاقـاً إلـى كُـلِّ غـايَـةٍ ... مِنَ الـمَـجْدِ نَـجَّاءً مِنَ الـغَـمَرَاتِ[2]

قال: فقال له: أحسنت فسل حاجتك. فقال له: أنت أعلى عيناً بها وأرحَبُ صَدْراً يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألفَ درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب يعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المُحِلّ[3] فيّ وفي الحجّاج التي قلتَها: فأنشده: [الطويل]

كَـأَنِّـي بِـعَـبْـدِ الله يَـرْكَـبُ رَدْعَـهُ ... وَفِـيـهِ سِـنـانٌ زاعـبِـيٌّ مُـحَـرَّبُ[4]

وَقَـدْ فـرَّ عَـنْـهُ الـمُـلْـحِدُونَ وَحَـلَّـقَـتْ ... بِـهِ وَبِـمَـنْ آسـاهُ عَـنْـقَـاءُ مُـغْـرِبُ

تَـوَلَّـوْا فَـخَـلَّـوْهُ فَـشَـالَ بِـشِـلْـوِهِ ... طَـوِيـلٌ مِـنَ الأَجْـذاعِ عـارٍ مشذَّبُ[5]

بِـكَـفَّـيْ غُـلامٍ مِـنْ ثَـقِـيـفٍ نَـمَـتْ بِـهِ ... قُـرَيْـشٌ وذو الـمَـجْدِ الـتَّـلِـيـدِ مُـعَـتِّـبُ

فقال له عبدُ الملك: لا تقل غلام، ولكن هُمَام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛ والله أعلم.

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن

---

(١) المجلّي: السابق. والعذرات: الشعرات في ناصية الفرس.

(٢) الغمرات: الشدائد.

(٣) المُحِلّ: أراد الذي يحلل القتال في الحرم، ويقصد عبد الله بن الزبير.

(٤) يركب ردعه: يُقتل. والزاعبيّ: الرمح المنسوب إلى زاعب، وهو رجل مشهور بتقويم الرماح، أو بلد.

(٥) شال: رفع. والشلو: الجسد. وشذب الجذع: أصلحه.

الهيثم بن عديّ، عن مجالد قال: قَتَلَ ابنُ الزّبير من شيعة بني أميّة قوماً بلغه أنهم يتجسّسون لعبد الملك، فقال فيه عبد الله بن الزّبير في ذلك يهجوه ويعيِّره بفعله:

[الرمل]

أَيُّهـا الـعـائِـذُ فـي مَـكَّـةَ كَـمْ مِـنْ دَمٍ أَهْـرَقْـتَـهُ فـي غَـيْـرِ دَمْ
أَيِّـدٌ عـائِـذَةٌ مُـغْـتَـصَـمـةٌ وَيَـدٌ تَـقْـتُـلُ مَـنْ حَـلَّ الـحَـرَمْ!

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه، والكتاب بخط النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره، قال: دخل عبد الله بن الزبير على بشرٍ بن مروانَ وعليه ثياب كان بشرُ خَلَعَها عليه، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه، فجفاه، فلما وصل إليه وقف بين يديه وجعل يتأمل مَنْ حواليه من بني أمية، ويجيل بصرَه فيهم كالمتعجّب من جمالهم وهيئتهم، فقال له بشر: إن نظرك يابن الزّبير ليدلّ أن وراءه قولاً؛ فقال: نعم؛ قال: قل؛ فقال:

[الوافر]

كَـأَنَّ بَـنِـي أُمَـيَّـةَ حَـوْلَ بِـشْـرٍ نُـجـومٌ وَسْـطَـهـا قَـمَـرٌ مُـنِـيـرُ
هُـوَ الـفَـرْعُ الـمُـقَـدَّمُ مِـنْ قُـرَيْـشٍ إذا أَخَـذَتْ مـآخِـذَهـا الأُمُـورُ
لَـقَـدْ عَـمَّـتْ نَـوافِـلُـهُ فَـأَضْـحَـى غَـنِـيّـاً مِـنْ نَـوافِـلِـهِ الـفَـقِـيـرُ[(١)]
جَـبَـرْتَ مَـهِـيـضَـنـا وعَـدَلْـتَ فِـيـنـا فَـعـاشَ الـبـائِـسُ الـكَـلُّ الـكَـسِـيرُ[(٢)]
فَـأَنْـتَ الـغَـيْـثُ قَـدْ عَـلِـمَـتْ قُـرَيْـشٌ لـنـا، والـواكِـفُ الـجَـوْنُ الـمَـطِـيـرُ[(٣)]

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضيَ عنه، فقال ابن الزّبير: [الطويل]

لِـبِـشْـرِ بن مروانٍ على النَّاسِ نِـعْـمَـةٌ تَـروحُ وَتَـغْـدُو لا يُـطـاقُ ثَـوابُـهـا
بِـهِ أَمَّـنَ اللهُ الـنُّـفـوسَ مِـنَ الـرَّدَى وكـانَـتْ بِـحـالٍ لا يَـقَـرُّ ذُبـابُـهـا[(٤)]
دَمَـغْـتَ ذوي الأَضْـغـانِ يا بِـشْـرُ عَـنْـوَةً بِـسَـيْـفِـكَ حَـتَّـى ذَلَّ مِـنْـهـا صِـعـابُـهـا[(٥)]
وَكُـنْـتَ لَـنـا كَـهْـفـاً وحِـصْـنـاً ومَـعْـقِـلاً إذا الـفِـتْـنَـةُ الـصَّـمّـاء طـارَتْ عُـقـابُـهـا

(١) النوافل: جمع نافلة، وهي العطاء.
(٢) المهيض: المكسور. والكل: الذي يكون عالة على غيره.
(٣) الواكف: الجاري، السائل. والجون: الأسود.
(٤) الذّباب: الشر.
(٥) دمغت: غلبت وعلوت. وذوو الأضغان: الحاقدون.

وَكَمْ لَكَ يا بِشْرُ بن مَرْوانَ مِنْ يَدٍ ... مُهَذَّبةٍ بَيْضاءَ راسٍ ظِرابُها[(١)]
وَطَدْتَ لنا دِينَ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ... بِحِلْمِكَ إذْ هَرَّتْ سِفاهاً كِلابُها
وسُدْتَ ابنَ مَرْوانٍ قُرَيْشاً وَغَيْرَها ... إذا السَّنَةُ الشَّهْباءُ قَلَّ سَحابُها[(٢)]
رَأَبْتَ ثَأْنا واصْطَنَعْتَ أيادِياً ... إلَيْنا ونارُ الحَرْبِ ذاكٍ شِهابُها[(٣)]

قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بن الزّبير إلى بشر بن مروان متعرِّضاً له ويُسْمِعُهُ بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك شيئاً؟ لقد نزحتَ فيه بحرّك يابنَ الزّبير، فقال: أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة، وكنت لمعروفه شاكراً، وأيادي الأمير عندي أجلّ، وأمَلي فيه أعظم، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبِل به ميسورَهم، وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أوفَّق للصواب. فقال: هات، فقال: [الطويل]

تَدارَكَني بِشْرُ بن مَرْوانَ بَعْدَما ... تعاوَتْ إلى شِلْوِي الذِّئابُ العَواسِلُ[(٤)]
غِياثُ الضِّعافِ المُرمِلِينَ وَعِصمَةُ الـ ... يَتامى ومَنْ تأوِي إليْهِ العَباهِلُ[(٥)]
قَرِيعُ قُرَيشٍ والهُمام الذي لَهُ ... أقرَّت بَنُو قَحطانَ طُرّاً وَوائِلُ[(٦)]
وَقَيْسُ بن عَيْلانَ وخِنْدِفُ كلُّها ... أقَرَّتْ وجِنُّ الأرْضِ طُرّاً وخابِلُ[(٧)]
يَداكَ ابنَ مَرْوانَ يَدٌ تَقْتُلُ العِدَا ... وفي يَدِكَ الأُخرَى غِياثٌ ونائِلُ
إذا أمْطَرَتْنا مِنْكَ يَوماً سَحابَةٌ ... رَوِينا بِما جادَتْ عَلَيْنَا الأنامِلُ
فلا زِلْت يا بِشْرُ بن مَرْوانَ سيِّداً ... يَهُلُّ عَلَيْنا مِنْكَ طَلٌّ ووابِلُ[(٨)]
فَأَنْتَ المُصَفَّى يابنَ مَرْوانَ والَّذي ... تَوافَتْ إلَيْهِ بالعَطاءِ القَبائِلُ
يُرَجُّونَ فَضْلَ الله عِنْدَ دُعائِكُمْ ... إذا جَمَعَتْكُمْ والحَجيجَ المَنازِلُ

(١) الظراب: جمع ظرب، وهو الجبل المنبسط.
(٢) السنة الشهباء: المجدبة، القاحلة.
(٣) الثأى: الإفساد. وذكت النار: اشتد لهبها. والشهاب: شعلة من نار ساطعة.
(٤) عسل الذئب: عدا وهو يهتز كأنه أعرج.
(٥) العباهل: جمع عبهل وهم الثابتون على ملكهم لا يزالون عنه.
(٦) القريع: السيد.
(٧) خابل: الجنّ.
(٨) الطلّ: المطر الخفيف. والوابل: المطر الشديد الضخم القطر.

وَلَوْلا بَنُو مَرْوانَ طاشَتْ حُلُومُنا ... وكُنَّا فراشاً أَحْرَقَتْها الشَّعائِلُ[١]

فأمر له بجائزة وكساه خِلعة، وقال له: إني أريد أن أُوفِدَكَ على أمير المؤمنين، فَتَهَيَّأْ لذلك يابنَ الزَّبير، قال: أنا فاعل أيّها الأمير، قال: فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيته إن شاء الله. فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال: [الطويل]

أَقُولُ: أَمِيرَ المُؤْمِنينَ عَصَمْتَنَا ... بِبِشْرٍ مِنَ الدَّهْرِ الكَثِيرِ الزَّلازِلِ
وَأَطْفَأْتَ عَنَّا نارَ كُلِّ مُنافِقٍ ... بِأَبْيَضَ بُهْلُولٍ طَوِيلِ الحَمائِلِ[٢]
نَمَتْهُ قُرومٌ مِنْ أُمَيَّةَ لِلعُلا ... إذا افتخَرَ الأَقْوامُ وَسْطَ المَحافِلِ
هُوَ القَائِدُ المَيْمُونُ والعِصْمَةُ الَّتي ... أَتَى حَقُّها فِينا عَلَى كُلِّ باطِلِ
أقامَ لَنا الدِّينَ القَوِيمَ بِحِلْمِهِ ... وَرَأْيٍ لَهُ فَضْلٌ عَلَى كُلِّ قائِلِ
أَخُوكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِهِ ... نُجادُ ونُسقَى صَوْبَ أسحَمَ هاطِلِ[٣]
إذا ما سَأَلْنا رِفْدَهُ هَطَلَتْ لَنا ... سَحابَةُ كَفَّيْهِ بِجَوْدٍ ووابِلِ[٤]
حَلِيمٌ عَلَى الجُهَّالِ مِنَّا ورَحْمَةٌ ... على كُلِّ حافٍ مِنْ مَعَدٍّ وناعِلِ

فقال بشر لجلسائه: كيف تسمعون؟ هذا والله الشعر، وهذه القدرة عليه! فقال له حَجّار بن أبجر العجلي، وكان من أشراف أهل الكوفة، وكان عظيم المنزلة عند بشر: هذا أصلحَ الله الأميرَ أشعرُ الناس وأحضَرُهم قولاً إذا أراد، فقال محمد بن عمير بن عطارد ـ وكان عدوّاً لحجّار ـ: أيُّها الأمير، إنه لشاعر، وأشعَرُ منه الذي يقول: [الطويل]

لِبِشْرِ بنِ مَرْوانٍ عَلَى كُلِّ حالَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ فَضْلٌ في الرَّخاءِ وفي الجهدِ
قَرِيعِ قُرَيْشٍ وَالَّذِي باعَ مالَهُ ... لِيَكسِبَ حَمْداً حِينَ لا أَحَدٌ يُجْدِي[٥]
يُنافِسُ بِشْرٌ في السَّماحةِ والنَّدَى ... لِيُحْرِزَ غاياتِ المَكارِمِ بِالحَمْدِ
فَكَمْ جَبَرتْ كفَّاكَ يا بِشْرُ مِنْ فَتًى ... ضَريكٍ، وَكَمْ عَيَّلْتَ قَوْماً عَلَى عَمْدِ[٦]

---

(١) طاشت حلومنا: قلت عقولنا.
(٢) الأبيض: الرجل الكريم الذي لا عيب فيه. والبهلول: السيد الجامع لكل خير. والحمائل: جمع حمالة، وهي علاقة السيف. وطويل الحمائل: كناية عن طوله.
(٣) الصَّوْب: المطر. والأسحم: الذي يرافقه سحاب أسود.
(٤) الجود: المطر الغزير.
(٥) يجدي: يمنح، يعطي.
(٦) الضريك: الفقير البائس.

وَصَيَّرْتَ ذا فَقْرٍ غَنِيّاً، وَمُثْرِياً فَقِيراً، وَكُلاًّ قَدْ حَذَوْتَ بِلا وعْدِ[١]

[أخبار وشعر]

فقال بشر: من يقول هذا؟ قال: الفرزدق، وكان بشر مُغضباً عليه، فقال: ابْعَثْ إليه فَأَحْضِرْهُ، فقال له: هو غائب بالبصرة، وإنَّما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشِدَكَهَا ولتَرضَى عنه، فقال بشر: هيهات! لست راضياً عنه حتى يأتيَني، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق، فَتَهَيَّأَ للقدوم على بشر، ثم بلغه أن البَصْرَةَ قد جُمِعَتْ له مع الكوفة، فأقام وانتظر قدومَهُ، فقال عبد الله بن الزّبير لمحمد بن عُمَير في مجلسه ذلك بحضرة بِشر:

بَنِي دارِمٍ هَلْ تَعْرِفُونَ مُحَمَّداً بدعوَتِهِ فِيكُمْ إذا الأَمْرُ حُقِّقَا
وَسامَيْتُمُ قَوْماً كِراماً بِمَجْدِكُمْ وجاءَ سُكَيْتاً آخِرَ القَوْمِ مُخْفِقَا[٢]
فَأَصْلُكَ دُهْمانُ بن نَصْرٍ فردَّهم ولا تَكُ وَغْداً في تَمِيمٍ مُعَلَّقَا
فَإِنَّ تَمِيماً لَسْتَ مِنْهُم وَلا لَهُم أخاً يابن دُهْمانٍ فلا تَكُ أَحْمَقَا
وَلَوْلا أبو مَرْوانَ لاقَيْتَ وابِلاً مِنَ السَّوْطِ يُنْسِيكَ الرَّحيقَ المُعَتَّقَا
أَحِينَ عَلاكَ الشَّيْبُ أَصْبَحْتَ عاهِراً وَقُلْتَ اسْقِني الصَّهباءَ صِرْفاً مروَّقا
تَرَكْتَ شَرابَ المُسْلِمينَ وَدِينَهم وصاحَبْتَ وغْداً مِنْ فَزارةَ أَزْرَقَا
تَبِيتانِ مِنْ شُرْبِ المُدامَةِ كالَّذي أُتيحَ لَهُ حَبْلٌ فَأَضْحَى مُخَنَّقَا

فقال بشر: أقسمتُ عليك إلاَّ كففتَ، فقال: أفعلُ أصلحك الله، والله لولا مكانك لأنفذتُ حِضْنَيْه بالحق، وكف ابن الزّبير وأحسن بشر جائزته وكسوته، وشمِت حجّار بن أبجر بمحمد بن عمير ـ وكان عدوَّه ـ وأقبلت بنو أسد على ابن الزّبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمتَّ حجّاراً بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجوَه هجاءً يَرضى به محمد بن عمير عنك، أولست تعلم أن الفرزدق أشعَرُ العرب؟ قال: بلى، ولكن محمداً ظلمني وتعرَّض لي، ولم أكن لأحلُمَ عنه إذ فعل، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجّاراً، فقال: [الطويل]

سَلِيلَ النَّصارَى سُدْتَ عِجْلاً وَلَمْ تَكُنْ لِذلكَ أَهْلاً أَنْ تَسُودَ بَنِي عِجْلِ

---

(١) حذوت: أعطيت، قدّرت.

(٢) السكيت: الذي يأتي آخر الحلبة في سباق الخيل. والمجلّي: السابق. والمصلّي: الثاني في السبق.

ولكِنَّهم كانُوا لِئاماً فَسُدْتَهمْ وَمِثْلُكَ مَنْ سادَ اللِّئامَ بلا عَقْلِ
وَكَيْفَ بِعِجْلٍ إن دَنا الفِصْحُ واغْتَدَتْ عَلَيْكَ بَنُو عِجْلٍ ومِرْجَلُكُمْ يَغْلي[١]
وَعِنْدَكَ قِسّيسُ النَّصارَى وصُلْبُها وعانِيَّةٌ صَهْباءُ مِثْلُ جَنَى النَّحْلِ

قال: فلما بلغ حجَّاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان، فقال له بشر: هجوت حجَّاراً؟ فقال: لا والله أعزّ الله الأمير، ما هجوتُه، لكنَّه كذب عليّ، فأتاه ناس من بني عجل وتهدَّدوه بالقتل، فقال فيهم: [الطويل]

تُهَدِّدُني عِجْلٌ، وما خِلتُ أنَّني خَلاةٌ لِعِجْلٍ والصَّلِيبُ لَها بَعْلُ[٢]
وما خِلتُني والدَّهْرُ فِيهِ عجائِبٌ أُعَمَّرُ حتَّى قَدْ تَهدّدني عِجْلُ
وتُوعِدُني بِالقَتْلِ مِنْهُم عِصابَةٌ وَلَيْسَ لَهُم في العِزِّ فَرْعٌ ولا أَصْلُ
وَعِجْلٌ أُسودٌ في الرَّخاءِ ثَعالِبٌ إذا الْتَقَتِ الأبْطالُ واخْتَلَفَ النَّبْلُ
فَإنْ تَلْقَنا عِجْلٌ هناكَ فَما لَنا ولا لَهُمُ مِ المَوْتِ مَنْجًى ولا وَعْلُ[٣]

وقال النضر في كتابه: لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزّبير الخروجَ إلى الشام، وأراد حبسه، لجأ إلى سُوَيد بن مَنْجوف، واستجار به، فأخرجه مع بني شيبانَ في بلادهم، وأجازه[٤] عَمل ابن أمّ الحكم، فقال يمدحه:

[الطويل]

أَلَيْسَ وَرَائِي إنْ بِلادٌ تَجَهَّمَتْ سُوَيْدُ بنُ مَنْجُوفٍ وَبَكْرُ بْنُ وائِلِ[٥]
حُصُونٌ بَراها الله لَمْ يُرَ مِثْلُها طِوالٌ أعالِيها شِدادُ الأسافِلِ
هُم أصْبَحوا كَنْزي الَّذِي لَسْتُ تارِكاً وَنَبْلِي الَّتِي أعْدَدْتُها لِلمُناضِلِ

وقال أيضاً في هذا الكتاب: جاء عبد الله بن الزّبير يوماً إلى بشر بن مروان، فحجبه حاجبُه، وجاء حجَّار بن أبجَر فأذن له، وانصرف ابن الزبير يومئذ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوساً، فدخل إليه، فلمَّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

(١) الفصح: عيد عند المسيحيين.
(٢) الخلاة: البقلة إذا قلعتها. والبعل من النخل: ما شرب بعروقه من غير سقي.
(٣) الوعل: الملجأ.
(٤) أجازه المكان: ساعده على اجتيازه.
(٥) تجهمت: عبست وكلح وجهها.

[الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الله أَعْـطَـى فَـخَـصَّـنـا بِـأَبْـيَـضَ قَـرْمٍ مِـنْ أُمَـيَّـةَ أَزْهَـرَا
طُـلوعِ ثـنـايـا الـمَـجْـدِ، سـامٍ بـطَـرْفِـهِ إذا سُئِـلَ الـمَـعْـرُوفَ لَـيْـسَ بِـأَوْعَـرا(١)
فَـلَـوْلا أبـو مَـرْوانَ بِـشْـرٌ لَـقَـدْ غَـدَتْ رِكـابِيَ فـي فَـيْـفٍ مِـنَ الأَرْضِ أَغْـبَـرَا(٢)
سِـراعـاً إلـى عَـبْـدِ الـعَـزِيـزِ دَوائِـبـاً تَـخَـلَّـلُ زَيـتـونـاً بِـمِـصْـرٍ وعَـرْعَـرا(٣)
وحـارَبْـتُ فـي الإِسْـلامِ بَـكْـرَ بـن وائِـلٍ كَـحَـرْبِ كُـلَـيْـبٍ أَوْ أَمَـرَّ وأَمْـقَـرا(٤)
إذا قـادَتِ الإِسْـلامَ بَـكْـرُ بْـنُ وائِـلٍ فَـهَـبْ ذاك دِيـنـاً قَـدْ تَـغَـيَّـرَ مُـهـتَـرا(٥)
بِـأَيِّ بَـلاءٍ أَمْ بِـأَيِّ نَـصِـيـحَـةٍ تُـقَـدِّمُ حَـجّـاراً أَمـامـي ابـنَ أَبْـجَـرَا
ومـا زِلْـتُ مُـذْ فـارَقْـتُ عُـثْـمـانَ صَـادِيـاً وَمَـرْوانَ مُـلْـتـاحـاً عَـنِ الـمـاءِ أَزْوَرَا(٦)
أَلا لَـيْـتَـنِـي قُـدِّمْـتُ والله قَـبْـلَـهُـمْ وأَنّ أَخِـي مَـرْوانَ كـانَ الـمُـؤَخَّـرا
بِـهِـمْ جُـمِـعَ الـشَّـمْـلُ الـشَّـتِـيـتُ، وأَصْـلَـحَ الـ ـإِلـهُ، وداوَى الـصَّـدْعَ حـتَّـى تَـجَـبَّـرا
قَـضَـى الله: لا يَـنْـفَـكُّ مِـنْـهُـمْ خَـلِـيـفَـةٌ كَـرِيـمٌ يَـسُـوسُ الـنَّـاسَ يَـرْكَـبُ مِـنْـبَـرا

فاعتذر إليه بشرٌ ووصلَه وحمله، وأنكر على حاجبه ما تشكّاه، وأمر أن يأذن له عند إذنه لأخصّ أهله وأوليائه.

وقال النضر في كتابه هذا: كان الزبير بن الأشيَم - أبو عبد الله بن الزّبير - شاعراً، وكان لعبد الله بن الزّبير ابن يقال له الزّبير شاعر، فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الّذي يقول: [الطويل]

أَلا يـا لَـقَـوْمِـي لِـلـرّقـادِ الـمُـؤَرِّقِ وَلِـلـرَّبْـعِ - بَـعْـدَ الـغِـبْـطَـةِ - الـمُـتَـفَـرِّقِ
وَهَـمِّ الـفَـتَـى بِـالأَمْـرِ مِـنْ دُونه نَـيْـلِـهِ مَـراتِـبُ صـعـبـاتٌ عـلـى كُـلِّ مُـرْتَـقـي
وَيَـوْمٍ بِـصَـحْـراءِ الـبَـدِيـدَيْـنِ قِـلـتـه بِـمَـنْـزِلَـةِ الـنُّـعْـمـانِ وابـنِ مُـحَـرِّقِ

(١) الثنايا: جمع ثنية وهي الطريق في الجبل.
(٢) الفيف: المفازة.
(٣) عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك بن مروان ووالد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز. والعرعر: جنس من الشجر من فصيلة الصنوبريات.
(٤) أمقر: أمرّ.
(٥) مهتراً: أي فاسداً.
(٦) الصادي: العطشان. والملتاح: المتغير. والأزور: المائل، المعرض.

وَذٰلِكَ عَيْشٌ قَدْ مَضَى كانَ بَعْدَه أُمُورٌ أَشابَتْ كُلَّ شَأْنٍ ومَفْرَقِ
وَغَيَّرَ ما اسْتَنْكَرْتِ يا أُمَّ واصِلٍ حَوادِثُ إلاَّ تَكْسِرِ العَظْمَ تَعْرِقِ[1]
فراقُ حَبِيبٍ أو تَغَيُّرُ حالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ أَوْ رامٍ لِشَخْصِي مُفَوِّقِ
على أَنَّنِي جَلْدٌ صَبُورٌ مُرَزَّأٌ وَهَلْ تَتْرُكُ الأَيامُ شَيْئاً لِمُشْفِقِ؟

وأما ابنه الزّبير بن عبد الله بن الزّبير، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن أسماء بن خارجةَ الفزَاريّ: [مجزوء الكامل]

قَالَتْ عُبَيْدَةُ مَوْهِناً أَيْنَ اعْتَرَاكَ الهَمُّ أَيْنَهْ
هَلْ تَبْلُغَنَّ بِكَ المُنَى ما كُنْتَ تَأْمُلُ في عُيَيْنَهْ
بَدْرٌ لَهُ الشِّيَمُ الكِرا مُ كامِلاتٌ فاعْتَلَيْنَهْ
والجُوعُ يَقْتُلُهُ النَّدَى مِنْهُ إذا قَحْطٌ تَرَيْنَهْ
فَهُناكَ يَحْمَدُهُ الوَرَى أَخْلاقُ غَيْرِكُمُ اشْتَكَيْنَهْ

قال: وهو القائل في بعض بني عمّه: [الطويل]

وَمَوْلَى كَدَاءِ البَطْنِ أَوْ فَوْقَ دَائِهِ يَزِيدُ موالي الصِّدْقِ خَيْراً وَيَنْقُصُ[2]
تَلَوَّمْتُ أَرْجُو أَنْ يَثُوبَ فَيَرْعَوِي بِهِ الحِلْمُ حَتَّى اسْتَيْأَس المُتَرَبِّصُ[3]

وقال النضر في كتابه هذا: لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية، أحرق عبدُ الرحمن دَاره، فتظلَّم منه وقال: أحرق لي داراً قد قامت عليّ بمائة ألف درهم، فقال معاوية: ما أعلم بالكوفة داراً أُنفق عليها هذا القدر، فمن يعرف صحة ما ادعيت؟ قال: هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك، فقال معاوية للمنذر: ما عندك في هذا؟ قال: إني لم آبَهْ لنفقته على داره ومبلغها، ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً[4] من البصرة، ففعلت، فقال معاوية: إن داراً اشتري لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! وأمر له بها، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه، ثم قال لهم: أيّ الشيخين عندكم أكذب؟ والله إني

(١) تعرق العظم: تأكل ما عليه من لحم.
(٢) المولى: الحليف، وابن العم.
(٣) تلوَّم في الأمر: تمكّث فيه وانتظر. ويثوب: يرجع. واستيأس: يئس.
(٤) الساج: ضرب من الشجر يعظم جداً.

لأعرف داره، وما هي إلاّ خِصاص قصب، ولكنهم يقولون فنسمع، ويخادعوننا فننخدع، فجعلوا يعجبون منه.

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا: حدّثنا محمد بن زكريا الغِلابيّ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ قال: أتى عبدُ الله بن الزّبير إبراهيم بن الأشتر النَّخَعي فقال له: إني قد مدحتك بأبيات فأسمعهنَّ، فقال: إني لست أعطي الشعراء، فقال: اسمعْها منّي وترى رأيك، فقال: هات إذاً، فأنشده قوله: [الكامل]

اللهُ أعْطاكَ المَهابَةَ والتُّقَى ... وَأَحَلَّ بَيْتَكَ في العَدِيدِ الأكْثَرِ
وَأَقَرَّ عَيْنَكَ يَوْمَ وقْعَةِ خازِرٍ ... وَالخَيْلُ تَعْثُرُ بالقَنا المُتَكَسِّرِ[1]
إنِّي مَدَحْتُكَ إذ نَبا بيَ مَنْزِلي ... وَذَمَمْتُ إخوانَ الغِنَى مِنْ مَعْشَرِ
وَعَرَفْتُ أنَّكَ لا تُخَيِّبُ مِدْحَتي ... وَمَتَى أكُنْ بِسَبِيلِ خَيْرٍ أشْكُرِ
فَهَلُمَّ نَحْوِي مِنْ يَمِينِكَ نَفْحَةً ... إنَّ الزَّمانَ ألَحَّ يابْنَ الأشْتَرِ

فقال: كم ترجو أن أعطيكَ؟ فقال: ألف درهم أُصلِح بها أمرَ نفسي وعيالي، فأمر له بعشرين ألف درهم.

صوت

[الكامل]

ما هاجَ شَوْقَكَ مِنْ بُكاءِ حَمَامَةٍ ... تَدْعُو إلى فَنَنِ الأراكِ حَماما[2]
تَدْعُو أخا فَرْخَيْنِ صَادَفَ ضَارِياً ... ذَا مِخْلَبَيْنِ مِنَ الصُّقُورِ قَطاما[3]
إلا تَذَكُّرُكَ الأوانِس بَعْدَما ... قَطَعَ المَطِيُّ سَباسِباً وهُياما[4]

الشعر لثابت قُطْنَة؛ وقيل إنه لكعب الأشقريّ، والصحيح أنه لثابت، والغناء ليحيى المكّيّ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، من رواية ابنه والهشاميّ أيضاً.

(١) خازر: نهر بين إربل والموصل وموضع. (معجم البلدان ٢/ ٣٣٧).
(٢) الفنن: الغصن.
(٣) الصقر القطام: اللّحِم.
(٤) السباسب: جمع سبسب، وهو المفازة.

أخبار ثابت قطنة

[توفي نحو سنة ١١٠هـ/ نحو سنة ٧٢٨م]

[اسمه ونسبه وكنيته وولاؤه ولقبه]

هو ثابت بن كعب، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، ويكنى أبا العَلاء، أخو بني أسد بن الحارث بن العَتِيك، وقيل: بل هو مولى لهم، ولقّب قطنةَ لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب التّرك، فكان يجعل عليها قطنة، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأمويّة، وكان في صحابة يزيد بن المهلّب، وكان يولّيه أعمالاً من أعمال الثغور، فيُحمد فيها مَكانُه لكفايته وشجاعته.

فأخبرني إبراهيم بن أيوب قال: حدّثنا عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيبة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: كان ثابت قطنة قد ولي عملاً من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذّر عليه وحَصِر[1]، فقال: ﴿سَيَجعَلُ الله بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾[2]، وبعد عِيٍّ بياناً[3] وأنتم إلى أمير فعَّال، أحوَج منكم إلى أميرٍ قوّال: [الطويل]

وإلاّ أكُنْ فِيكمْ خَطِيباً فَإنّني ... بِسَيْفي إذا جَدَّ الوَغَى لَخَطِيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بن صَفْوان ـ ويقال الأحنفَ بن قيس ـ فقال: والله ما علا ذلك المنبرَ أخطبُ منه في كلماته هذه، ولو أنَّ كلاماً استخفّني، فأخرجني من

(١) حصر: عجز عن الكلام.
(٢) سورة الطلاق، الآية ٧.
(٣) العيّ: عدم المقدرة على الكلام.

بلادي إلى قائله استحساناً له، لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبهُ منه بالأحنف.

[بينه وبين حاجب الفيل]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال: حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، عن دعبل بن علي، قال: كان يزيد بن المهلب تقدّم إلى ثابت قطنة في أن يصلّي بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر ولم يُطِق الكلام، قال حاجبُ الفيل[1] يهجوه: [البسيط]

أبا العَلاءِ لَقَدْ لُقِّيتَ مُعْضِلَةً ... يَوْمَ العَروبَةِ مِنْ كَرْبٍ وَتَخْنِيقِ[2]

أمّا القُرانُ فَلَمْ تُخْلَقْ لِمُحْكَمِهِ ... وَلَمْ تُسَدَّدْ مِنَ الدّنْيا لِتَوْفِيقِ[3]

لمّا رَمَتْكَ عُيونُ النّاسِ هِبتَهمُ ... فَكِدْتَ تَشرَقُ لمّا قُمْتَ بالرِّيقِ

تَلْوِي اللِّسانَ وَقَدْ رُمْتَ الكلامَ بِهِ ... كما هَوَى زَلِقٌ مِنْ شَاهِقِ النِّيقِ[4]

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني ـ وهو حاجب الفيل، والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقري ـ أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده: [الطويل]

إلَيْكَ امْتَطَيْتُ العِيسَ تِسْعِينَ لَيْلَةً ... أُرَجِّي نَدَى كَفَّيْكَ يابن المُهَلَّبِ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ جادَتْ سَماءُ يَمِينِهِ ... على كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ شَرْقٍ ومَغْرِبِ

فَجُدْ لي بِطِرْفٍ أعْوَجِيٍّ مُشَهَّرٍ ... سَلِيمِ الشَّظا عَبْلِ القَوائِمِ سَلْهَبِ[5]

سبوحٍ طَموحِ الطَّرْفِ يَسْتَنُّ مِرجَمٍ ... أُمِرَّ كَإمْرارِ الرِّشاءِ المُشَذَّبِ[6]

---

(١) حاجب الفيل: هو حاجب بن ذبيان المازني.

(٢) يوم العروبة: يوم الجمعة في الجاهلية.

(٣) القران: القرآن. سهلت الهمزة.

(٤) النيق: أعلى قمة في الجبل.

(٥) الطّرف: الكريم من الخيل. والأعوجي: نسبة إلى أعوج، وهو فرس كريم سابق كان لبني هلال. والشظى. عظم لاصق بالركبة. والعبل: الضخم. والسلهب: الطويل.

(٦) السبوح: السريع. ويستن: يسير على سننه ويعدو بنشاط. والفرس المرجم: الشديد الوطء، كأنه يرجم الأرض بحوافره. والرشاء: الحبل.

طَوَى الضُّمرُ مِنْهُ البَطْنَ حَتَّى كَأَنَّهُ عُقابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمارِيخِ كَبكَبِ[١]
تُبادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فَرْخَيْنِ أَقْوَيا مِنَ الزَّادِ في قَفْرٍ مِنَ الأَرْضِ مُجْدِبِ[٢]
فَلَمَّا رَأَتْ صَيْداً تَدَلَّتْ كَأَنَّها دَلاةٌ تَهاوَى مَرْقَباً بَعْدَ مَرْقَبِ[٣]
فَشَكَّتْ سَوادَ القَلْبِ مِنْ ذِئْبِ قَفْرَةٍ طَويلِ القَرا عارِي العِظامِ مُعَصَّبِ[٤]
وسابِغَةٍ قَدْ أَتْقَنَ القَيْنُ صُنْعَها وَأَسْمَرَ خَطِّيٍّ طَويلٍ مُحَرَّبِ[٥]
وَأَبْيَضَ مِنْ ماءِ الحَديدِ كَأَنَّهُ شِهابٌ مَتَى يَلْقَ الضَّرِيبَةَ يَقْضِبِ[٦]
وَقُلْ لي إذا ما شِئْتَ في حَوْمَةِ الوَغَى تَقَدَّمْ أَوِ ارْكَبْ حَوْمَةَ المَوْتِ أَرْكَبِ
فَإِنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ مازِنِيَّةٍ نَماني أَبٌ ضَخْمٌ كَرِيمُ المُرَكَّبِ

قال: فأمر له يزيد بدرع وسيف ورُمح وفرس، وقال له: قد عرفتَ ما شرطْتَ لنا على نفسك؟ فقال: أصلح الله الأمير، حجَّتي بيِّنة، وهي قول الله عزّ وجل: ﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾[٧] فقال له ثابت قطنة: ما أعجبَ ما وَفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة! مدحت الأمير ببيتين، وسألته حوائجك في عشرة أبيات، وختمتَ شِعرَك ببيت تفخر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردتَ حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فأكذَبْتَها كأنّك كنت تخدعه، فقال له يزيد: مَهْ[٨] يا ثابت، فإنّا لا نُخدَع، ولكنا نتخادع، وسوَّغه ما أعطاه[٩]، وأمر له بألفي درهم. ولجّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه: [البسيط]

لا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قُطْنَتِهِ وما سِواها مِنَ الأَنْسابِ مَجْهُولُ

قال: ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلّب، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقريّ ـ وكانا لا يفارقان مجلسَه ـ فوقف بين يديه فقال له: تكلَّم يا حاجب، فقال: يأذن لي الأمير أن أُنشِده أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك، قال:

---

(١) الشمراخ: رأس الجبل وجمعه شماريخ. وكبكب: جبل خلف عرفات (معجم البلدان ٤/ ٤٣٤).
(٢) أقوى من الزاد: افتقر إليه. لم يبق عنده طعام.
(٣) الدلاة: الدلو. والمرقب: مكان المراقبة.
(٤) القَرا: الظهر. والمعصب: الجائع.
(٥) السابغة: الدرع. والمحرَّب: المحدَّد.
(٦) يقضب: يقطع.
(٧) سورة الشعراء، الآية ٢٢٤.
(٨) مه: اسم فعل أمر بمعنى اكفف.
(٩) سوّغه ما أعطاه: تركه له خالصاً.

أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفِك موفِّيك حقك، ولكنَّ المجتهد محسن، فلا تهجني بمنعي الإنشادَ، وتأذن لي فيه، فإذا سمعتَ فجودُك أوسعُ من مسألتي. فقال له يزيد: هات، فما زلتَ مُجيداً محسناً مجمِلاً. فأنشده: [الكامل]

كَمْ مِنْ كَمِيٍّ في الهِياجِ تَرَكْتَهُ ... يَهوِي لِفِيهِ مُجدَّلاً مَقتُولا[1]

جَلَّلْتَ مَفْرِقَ رَأْسِهِ ذا رَوْنَقٍ ... عَضْبَ المهزَّةِ صارِماً مَصْقُولا[2]

قُدْتَ الجِيادَ وَأَنْتَ غِرٌّ يافِعٌ ... حَتّى اكْتَهَلْتَ وَلَمْ تَزَلْ مَأْمُولا

كَمْ قَدْ حَرَبْتَ وَقَدْ جَبَرْتَ مَعاشِراً ... وَكَمِ امْتَنَنْتَ وَكَمْ شَفَيْتَ غَلِيلا[3]

فقال له يزيد: سل حاجتَك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أساله الأميرَ أعزَّه الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقل يُفعَل، فلستَ بما تصير إليه أغبَطَ منا، قال: تحمِلني وتُخدِمني[4] وتجزِل جائزتي، فأمر له بخمسة تخوتِ ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَوْن وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب: [الطويل]

شِمِ الْغَيْثَ وانْظُرْ وَيْك أَيْنَ تَبَعَّجَتْ ... كُلاهُ تَجِدْها في يَدِ ابن المُهَلَّبِ[5]

يَدَاهُ يدٌ يُخزِي بِها الله مَن عَصَى ... وفي يَدِهِ الأُخرَى حَياةُ المُعَصَّبِ[6]

قال: فحسده ثابتُ قُطْنة وقال: والله لو على قدر شِعرك أعطاك لما خرجتَ بملء كفِّك نوًى، ولكنه أعطاك على قدره، وقام مغضَباً، وقال لحاجبِ يزيدَ بن المهلَّب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منَّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا، وإلاَّ فلو أنّا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذ: [الطويل]

أَحاجِبُ لَوْلا أَنَّ أَصْلَكَ زَيِّفٌ ... وأَنَّكَ مَطْبوعٌ على اللُّؤْمِ والكُفْرِ

وأَنِّيَ لَوْ أَكْثَرْتُ فِيكَ مُقَصِّرٌ ... رَمَيْتُكَ رَمْياً لا يَبِيدُ يَدَ الدَّهْرِ

فَقُلْ لي ولا تَكْذِبْ فَإِنِّيَ عالِمٌ ... بِمِثْلِكَ هَلْ في مازِنٍ لَكَ مِنْ ظَهْرِ؟

فَإِنَّكَ مِنْهُمْ غَيْرَ شَكٍّ وَلَمْ يَكُنْ ... أَبوكَ مِنَ الغُرِّ الجَحاجِحةِ الزُّهْرِ

---

(١) الكميّ: البطل الشجاع المتكمي بسلاحه.

(٢) جللت: علوت. والعضب: السيف القاطع.

(٣) حربته: أخلفت ماله ولم تترك له شيئاً.

(٤) تخدمني: تعطيني خادماً.

(٥) شام الغيث: نظر أن يسقط.

(٦) المعصب: الجائع.

أبـوكَ دِيـافـيٌّ وأمُّـكَ حُـرَّةٌ ولـكنَّـهـا لا شَكَّ وافِيَةُ البَظْرِ[1]
فَـلَسْتُ بِـهـاجٍ إبـن ذُبْـيـانَ إنَّـنِـي سَأُكْرِمُ نَفْسِي عَنْ سِبابِ ذوي الهُجْرِ[2]

فقال حاجب: والله لا أرضى بهجاء ثابتٍ وحدَه، ولا بهجاء الأزدِ كلِّها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طُرّاً؛ فقال يهجوهم: [الطويل]

دعُوني وَقَحطاناً وَقُولُوا لِثَابِتٍ تَنَحَّ ولا تَقْرَبْ مُصاوَلَةَ البُزْلِ[3]
فَلَلزِّنْجُ خَيْرٌ حِينَ تُنْسَبُ والداً مِنَ أبْنَاءِ قَحْطان العَفاشِلَةِ الغُرْلِ[4]
أناسٌ إذا الهَيْجاءُ شَبَّتْ رَأيْتَهمْ أذَلَّ على وَطْءِ الهَوَانِ مِنَ النَّعْلِ
نِساؤهُم فَوْضَى لِمَنْ كانَ عاهِراً وجِيرانُهُمْ نَهبُ الفَوارِسِ والرَّجْلِ

أخبرني وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: وحدّثني دِعبِل قال: بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال: [البسيط]

لاَ يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قطنته وما سِوَاها مِنَ الأنْسابِ مَجْهُولُ

وقال: هذا بيت سوف أُهجَى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال: اشهدوا أنّي قائله، فقالوا: ويحك ما أردت [إلا][5] أن تهجو نفسك به، ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هذا. فقال: لا بدّ من أن يقع على خاطر غيري، فأكون قد سبقتُه إليه، فقالوا له: أما هذا فشرّ قد تعجّلته، ولعلّه لا يقع لغيرك، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيل استشهدَهم على أنه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يردّ على حاجب: [البسيط]

هَيْهاتَ ذٰلِكَ بَيْتٌ قَدْ سُبِقْتَ بِهِ فاطْلُبْ لَهُ ثَانِياً يا حاجِبَ الفِيلِ

[ميله إلى الإرجاء]

أخبرني أحمد بن عثمان العسكريّ المؤدّب قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهليّ عن أبي عبيدة قال: كان ثابت قطنة

(١) ديافي: نسبة إلى دياف، وهي من قرى الشام. (معجم البلدان ٢/ ٤٩٤).
(٢) الهجر: القبيح من الكلام.
(٣) البزل: جمع بازل وهو الرجل المجرّب.
(٤) العفاشلة: جمع عفشل، وهو الثقيل الوخم. والغرل: جمع أغرل، وهو الذي لم يختن.
(٥) ليست في الأصل ويقتضيها سياق الكلام.

قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المرجئة[١] كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبّه، فلمَّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدةً قالها في الإرجاء: [البسيط]

يا هِنْدُ إنِّي أَظُنُّ العَيْشَ قَدْ نَفِدا ... ولا أَرَى الأَمْرَ إلاَّ مُدْبِراً نَكِدا
إنِي رَهِينَةُ يَوْمٍ لَسْتُ سابِقَهُ ... إلاّ يكُنْ يَوْمُنا هذا فَقَدْ أفِدا[٢]
بايَعْتُ رَبِّيَ بَيْعاً إنْ وَفَيْتُ بِهِ ... جاوَرْتُ قَتْلَى كِراماً جاوَروا أُحُدا
يا هِنْدُ فاسْتَمِعي لي إنَّ سِيرَتَنا ... أنْ نَعْبُدَ الله لَمْ نُشْرِكْ بِهِ أحَدَا
نُرجِي الأُمُورَ إذا كانَتْ مُشَبَّهَةً ... ونَصْدُقُ القَوْلَ فِيمَنْ جارَ أو عَنَدا[٣]
المُسْلِمُونَ على الإسْلام كُلُّهُم ... والمُشْرِكُونَ أَشَتُّوا دِينهمْ قِدَدا[٤]
ولا أرَى أنَّ ذَنْباً بالِغٌ أحَداً ... مِ النَّاسِ شِركاً إذا ما وحَّدوا الصَّمَدا
لا نَسفِكُ الدَّمَ إلا أنْ يُرادَ بنا ... سَفْكُ الدِّماءِ طَرِيقاً واحِداً جَدَدَا[٥]
مَنْ يَتَّقِ الله في الدُّنيا فإنَّ لَهُ ... أجْرَ التَّقِيِّ إذا وَفَّى الحِسابَ غَدا
وما قَضَى الله مِنْ أمْرٍ فَلَيْسَ لَهُ ... رَدٌّ، وما يَقْضِ مِنْ شَيْءٍ يَكُنْ رَشَدا
كُلُّ الخَوارِجِ مُخْطٍ في مَقالَتِهِ ... وَلَوْ تَعبَّدَ فِيما قالَ واجْتَهَدا
أما عَلِيٌّ وعُثْمانٌ فإنهما ... عَبْدانِ لَمْ يُشرِكا باللهِ مُذْ عَبَدا
وكانَ بَيْنَهما شَغْبٌ وَقَدْ شَهِدا ... شَقَّ العَصا، وبِعَيْنِ الله ما شَهِدا[٦]
يُجزَى عَلِيٌّ وعُثْمانٌ بِسَعْيِهِما ... وَلَسْتُ أدْرِي بِحَقٍّ أيَّةً وَرَدا
الله يَعْلَمُ ماذا يَحْضُرانِ بِهِ ... وَكُلُّ عَبْدٍ سَيَلْقَى الله مُنْفَرِدا

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب بخط المُرهبيّ الكوفي في شعر ثابت قطنة، قال: لما ولي سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نُعيم، جلس يَعرِض الناسَ وعنده حميد الرُّؤاسي وعُبادة المحاربي، فلما دُعِيَ بثابت قطنة تقدَّم، وكان تامَّ السلاح، جَوادَ الفرس، فارساً من الفرسان، فسأل عنه، فقيل: هذا ثابتُ قطنة،

(١) المرجئة: فرقة اسلامية يتركون الحكم على الناس إلى يوم القيامة، يحكم به الله سبحانه.
(٢) أفد: اقترب.
(٣) عند عن الطريق: مال وابتعد.
(٤) قدداً: فرقاً.
(٥) الجَدد: الأرض المستوية.
(٦) الشغب: تهييج الشرّ. وشق العصا: الوقوف في وجه الخلافة وتفريق المسلمين.

وهو أحد فُرْسان الثغور، فأمضاه وأجاز على اسمه، فلما انصرف قال له حميد وعبادة: هذا أصلحك الله الذي يقول:

إنَّـا لَـضـرَّابـونَ فـي حَـمَـسِ الـوَغَـى ... رَأْسَ الـخَـلِـيـفَـةِ إنْ أرادَ صُـدُودا[1]

فقال سعيد: عليّ به، فردّوه وهو يريد قتله، فلما أتاه قال له: أنت القائل:

إنـا لـضـرّابـون فـي حَـمَـس الـوغـى

قال: نعم، أنا القائل: [الكامل]

إنَّـا لَـضـرّابـونَ فـي حَـمَـسِ الـوَغَـى ... رَأْسَ الـمُـتَـوِّجِ إنْ أرادَ صُـدُودا

عَـنْ طَـاعـةِ الـرَّحْـمٰـنِ أوْ خُـلَـفَـائِـهِ ... إنْ رامَ إفْـسـاداً وَكَـرَّ عُـنُـودا

فقال له سعيد: أولى لك، لولا أنَّك خرجتَ منها لضربتُ عنقكَ، قال: وبلغ ثابتاً ما قاله حُميد وعُبادة، فأتاه عبادة معتذراً، فقال [له]: قد قبلت عذرك، ولم يأته حميد، فقال ثابت يهجوه: [الوافر]

ومـا كـانَ الـجُـنَـيْـدُ ولا أخـوهُ ... حـمـيـدٌ مِـنْ رُؤوسٍ فـي الـمَـعـالـي

فـإنْ يَـكُ دغْـفَـلٌ أمْـسَـى رَهِـيـنـاً ... وَزَيْـدٌ والـمُـقِـيـمُ إلـى زَوالِ[2]

فَـعِـنْـدَكُـمُ ابـنُ بِـشْـرٍ فـاسْـألـوهُ ... بِـمَـرْوِ الـرُّوذِ يَـصْـدُقُ فـي الـمَـقـالِ[3]

وَيُـخْـبِـرُ أنَّـهُ عَـبْـدٌ زَنِـيـمٌ ... لَـئِـيـمُ الـجَـدِّ مِـنْ عَـمٍّ وخـالِ[4]

[هجاؤه محمد بن مالك وقتيبة بن مسلم]

قال: واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينةٍ كان أميرُها محمد بنُ مالك بن بدر الهَمْداني ثم الخيواني، وكان يُغمَز في نسبه، وخطب إلى قوم من كِنْدَةَ فردّوه، فعرف خبر ثابت في نزوله، فلم يُكرمه، ولا أَمَر له بقِرًى، ولا تفقَّده بنُزلٍ ولا غيره، فلما رحل عنه قال يهجوه ويعيِّره بردّ من خطب إليه: [المتقارب]

لَـوَ أنَّ بَـكـيـلاً هُـمُ قَـوْمُـهُ ... وَكـانَ أبـوهُ أبـا الـعـاقِـبِ[5]

---

(١) حمس الوغى: اشتداد الحرب.

(٢) دغفل: هو دغفل بن حنظلة الشيباني، أعلم اهل زمانه بالأنساب. وزيد بن الكيس النمري عالم بالأنساب أيضاً.

(٣) مرو الروذ: بلد قرب مرو الشاهجان. (معجم البلدان ٥/ ١١٢).

(٤) زنيم: دعيّ.

(٥) بكيل: حي من همدان.

لأكْرَمَنَا إذْ مَرَرْنَا بِهِ كَرامَةَ ذي الحَسَبِ الثَّاقِبِ
وَلٰكِنَّ خيوانَ هُمْ قومُهُ فَبِئْسَ هُم القَوْمُ لِلصَّاحِبِ
وَأَنْتَ سَنِيدٌ بِهِمْ مُلصَقٌ كما أُلصِقَتْ رُقعَةُ الشَّاعِبِ(١)
وحَسْبُكَ حَسْبُكَ عِنْدَ النَّثا بِأَفعالِ كِندَةَ مِنْ عائِبِ(٢)
خَطَبْتَ فَجازَوْكَ لِما خَطَبْتَ جِزاءَ يَسارٍ مِنَ الكاعِبِ(٣)
كَذَبْتَ فَزَيَّفْتَ عَقْدَ النِّكاحِ لِمتِّكَ بالنَّسَبِ الكاذِبِ(٤)
فَلا تَخْطِبَنْ بَعْدَها حُرَّةً فَتُثْنَى بِوَسْمٍ على الشَّارِبِ(٥)

[هجاؤه لقتيبة بن مسلم]

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان لثابت قطنة راوية يقال له النضر، فهجا ثابتُ قطنةُ قتيبةَ بن مسلم وقومَه، وعيّرهم بهزيمةٍ انهزموها عن التُّرْكِ، فقال: [الطويل]

تَوافَتْ تَميمٌ في الطِّعانِ وَعَرَّدَتْ بُهَيْلَةُ لَمّا عايَنَتْ مَعْشراً غُلْبا(٦)
كُماةٌ كُفاةٌ يَرْهَبُ النَّاسُ حَدَّهم إذا ما مَشَوْا في الحَرْبِ تَحْسَبُهُمْ نُكْبَا(٧)
تُسَامُونَ كَعْباً في العُلا وكِلابَها وَهَيْهاتَ أنْ تَلْقَوْا كِلاباً ولا كَعْبا

قال: فأفشى عليه راويتُه ما قاله، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات: [البسيط]

يا لَيْتَ لي بِأخي نَضْرٍ أخا ثِقَةٍ لا أرْهَبُ الشَّرَّ مِنْهُ غابَ أمْ شَهِدَا
أَصْبَحْتُ مِنْكَ على أسْبابِ مَهْلكةٍ وزَلَّةٍ خائِفاً مِنْكَ الرَّدَى أبَدا
ما كُنْتَ إلاَّ كَذِئْبِ السُّوءِ عارَضَهُ أخُوهُ يَدْمى فَفَرَّى جِلْدَه قِدَدَا

---

(١) السنيد: الدعيّ. وشعب الصدع: أصلحه ولمّه.
(٢) النثا: الحديث عن الرجل سواء كان حسناً أو سيئاً.
(٣) يسار: عبد أسود راود سيدته عن نفسها فقطعت مذاكيره فضرب به المثل. والكاعب: الفتاة التي كعب ثدياها.
(٤) متّ: توسل بقرابة ونسب.
(٥) الدوسم: العلامة.
(٦) عردت: هربت. وبهيلة: تصغير باهلة. وغُلْب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة.
(٧) النكب: جمع نكباء، وهي الريح التي انحرفت ووقعت بين ريحين.

أو كابنِ آدَمَ خَلَّى عَنْ أخِيهِ وَقَدْ أدْمَى حَشَاهُ وَلَمْ يَبْسِطْ إِلَيْهِ يَدَا[١]
أَهُمُّ بِالصَّرْفِ أحْياناً فَيَمْنَعُنِي حيًّا رَبِيعةَ والعَقْدُ الَّذِي عَقَدَا

[رثاؤه المفضل بن المهلب]

ونسخت منه أيضاً قال: لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب، والناس حولها جلوس يعزُّونها، فأنشدها: [البسيط]

يا هِنْدُ كَيْفَ بِنُصْبٍ باتَ يَبْكِينِي وعائِرٍ في سَوادِ اللَّيْلِ يُؤْذِينِي[٢]
كأنَّ لَيْلِيَ والأصْداءُ هاجِدَةٌ لَيْلُ السَّليمِ، وأعْيا مَنْ يُداوِيني[٣]
لمّا حَنَى الدَّهْرُ مِنْ قَوْسِي وعذَّرني شَيْبِي وقاسَيْتُ أمْرَ الغِلْظِ واللِّينِ[٤]
إذا ذَكَرْتُ أبا غَسَّانَ أرَّقَنِي هَمٌّ إذا عَرَّسَ السَّارُونَ يُشْجِينِي[٥]
كانَ المُفَضَّلُ عِزّاً في ذوي يَمَنٍ وعِصْمَةً وثِمالاً لِلْمَساكِينِ[٦]
ما زِلْتُ بَعْدَكَ في هَمٍّ تَجِيشُ بِهِ نَفْسِي وفي نَصَبٍ قَدْ كادَ يُبْلِينِي[٧]
إنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلَى لَوْ شَهِدْتُهُم في حَوْمَةِ المَوْتِ لَمْ يَصْلَوْا بها دُونِي
لا خَيْرَ في العَيْشِ إنْ لَمْ أجْنِ بَعْدَهُم حَرْباً تُبِيءُ بِهِمْ قَتْلى فَيَشْفُونِي[٨]

فقالت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيتَ الحقّ، وما من المرثية بُدٌّ، وكم مِن مِيتةِ ميِّتٍ أشرفُ من حياةِ حَيّ، وليست المصيبةُ في قتل من استشهد ذابّاً عن دينه، مطيعاً لربه، وإنما المصيبة فيمن قلَّت بصيرتُهُ، وخَمَل ذكرُهُ بعد موتِهِ، وأرجو ألاّ يكون المفضَّل عند الله خاملاً، يقال: إنه ما عُزِّي يومئذٍ بأحسنَ من كلامها.

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: كان ابن الكَوَّاء اليشكريّ مع الشُّراة والمهلب يحاربهم، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلبَ وعمَّ الأزد

(١) إشارة إلى قابيل الذي قتل أخاه هابيل.
(٢) النصب: البلاء، الشر. والعائر: العوّار.
(٣) هاجدة: نائمة. والسليم: الملدوغ. وأعيا: أعجز.
(٤) حنى الدهر قوسي: آذاني وآلمني وأمضني، وقسا عليّ.
(٥) يشجيني: يحزنني.
(٦) ثمالاً: ملجأ.
(٧) جاشت نفسه: اضطربت. والنَّصَب: التعب، والإعياء.
(٨) أباء القاتل بالقتيل: قتله به.

بالهجاء، فقال لثابت: أجبه فقال له ثابت: [البسيط]

كُلُّ القَبائِلِ مِنْ بَكْرٍ نَعُدُّهُم والْيَشْكُرِيُّونَ مِنْهُمْ أَلأَمُ العَرَبِ
أثْرى لجيم وَأثْرى الحِصْنُ إذْ قَعَدَتْ بِيَشْكُرٍ أُمُّهُ المَغْرُورَةُ النَّسَبِ
نَحّاكُمُ عَنْ حِياضِ المَجْدِ والدُكُمْ فما لَكُم في بَنِي البَرْشَاءِ مِنْ نَسَبِ[1]
أنْتُم تَحُلُّونَ مِنْ بَكْرٍ إذا نُسِبُوا مِثْلَ القُرادِ حَوالَيْ عُكْوَةِ الذَّنَبِ[2]
نُبِّئت أنَّ بَنِي الكَوّاءِ قَدْ نَبَحُوا فِعْلَ الكِلابِ تَتَلَّى اللَّيْثُ في الأشبِ[3]
يَكْوِي الأُبَيْجِر عَبْد الله شَيْخُكُمُ وَنَحْنُ نُبْرِي الَّذِي يَكوِي مِنَ الكَلَبِ[4]

ونسختُ من كتابه أيضاً قال: كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرِّضه:

[الكامل]

إنَّ امْرَأً حَدَبَتْ رَبِيعَةُ حَوْلَهُ والحَيُّ مِنْ يَمَنٍ وهابَ كَؤودا[5]
لَضَعِيفُ ما ضَمَّتْ جَوانِحُ صَدْرِهِ إنْ لَمْ يَلُفَّ إلى الجُنودِ جُنُودا
أيزيدكُنْ في الحَرْبِ إذْ هَيَّجْتَها كَأَبِيكَ لا رَعِشاً ولا رِعْدِيدا[6]
شاوَرْت أكْرَمَ مَنْ تَناوَلَ ماجِد فَرَأيْتُ هَمَّكَ في الهُمُومِ بَعِيدا
ما كانَ في أبَوَيْكَ قادِحُ هُجْنةٍ فَيَكون زَنْدُكَ في الزِّنادِ صَلودا[7]
إنّا لَضَرّابونَ في حَمَسِ الوَغَى رَأسَ المُتَوَّجِ إنْ أرادَ صُدُودا
وقُرٌ إذا كَفَرَ العَجاج تَرى لَنا في كُلِّ مَعْرَكَةٍ فَوارسَ صِيدا
يا لَيْتَ أُسْرَتَكَ الَّذِينَ تَغَيَّبوا كانُوا لِيَوْمِكَ بالعِراقِ شُهُودا
وَتَرى مَواطِنَهُم إذا اخْتَلَفَ القَنا والمَشْرِفِيَّةُ يَلْتَظِينَ وَقُودا[8]

فقال يزيد لما قرأ كتابه: إن ثابتاً لغافل عمّا نحن فيه، ولعمري لأُطيعنّه، وسيرى ما يكون، فاكتبوا إليه بذلك.

---

(١) البرشاء: أم ذهل وشيبان وقيس. لقبت بالبرشاء لبرص أصابها.
(٢) العكوة: أصل الذنب.
(٣) الأشب: شدة التفاف الشجر وكثرته حتى لا مجاز فيه.
(٤) الأبيجر: تصغير أبجر، وهو العظيم البطن.
(٥) حدبت حوله: تجمعت. والكؤود: المرتقى الصعب.
(٦) الرعديد: الجبان، والرعش مثله.
(٧) الهجنة: أن يكون أحد الزندين وارياً والآخر صالداً. وصلد الزند: صوّت ولم يورِ.
(٨) يلتظين: يلتهبن.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ عن العمري عن الهيثم بن عديّ قال: أَنشدَ مسلمةُ بنُ عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب قولَ ثابت قطنة: [الكامل]

يـا لَيْـتَ أُسْـرَتَـكَ الَّـذِيـنَ تَـغَـيَّـبُـوا كـانُـوا لِـيَـوْمِـكَ يـا يَـزِيـدُ شُـهـودا

فقال مسلمة: وأنا والله لودِدت أنهم كانوا شهوداً يومئذٍ، فسقيتُهم بكأسه، قال: فكان مسلمةُ أحد من أجاب شعراً بكلام منثورٍ فغلَبَهُ.

[خطب امرأة فتزوجها صديقه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال: حدّثني محمد القحذمي عن سليمان بن ناصح الأسدي قال: خطب ثابت قطنة امرأةً كان يميل إليها، فجعل السفير بينه وبينها جُوَيْبِرَ بن سعيد المحدِّث، فاندسَّ فخطبها لنفسه، فتزوجها ودفع عنها ثابتاً، فقال ثابت حين بان له الأمر: [الكامل]

أفْـشَـى عَـلَـيَّ مَـقـالَـةً مـا قُـلْـتُـهـا وَسَـعَـى بِـأمْـرٍ كـانَ غَـيْـرَ سَـدِيـدِ
إنِّـي دَعَـوْتُ الله حِـيـنَ ظَـلَـمْـتَـنِـي رَبِّـي وَلَـيْـسَ لِـمَـنْ دَعـا بِـبَـعِـيـدِ
أنْ لا تَـزالَ مُـتَـيَّـمـاً بِـخَـرِيـدَةٍ تَـسْـبِـي الـرِّجـالَ بِـمُـقْـلَـتَـيْـنِ وَجِـيـدِ
حَـتَّـى إذا وَجَـبَ الـصَّـداقُ تَـلَـبَّـسَـتْ لَـكَ جِـلْـدَ أَغْـضَـفَ بـارِزٍ بِـصَـعِـيـدِ[1]
تَـدْعُـو عَـلَـيْـكَ الـحـارِيـاتِ مُـبِـرَّةً فَـتَـرَى الـطَّـلاقَ وَأَنْـتَ غَـيْـرُ حَـمِـيـدِ[2]

قال: فلقي جُوَيبرٌ كلَّ ما دعا عليه ثابت به، ولحقه من المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلّقها بعد أن قبضتْ صداقَها منه.

[رثاؤه يزيد بنُ المهلب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلّب في يوم العُقْر[3]، فلمّا خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل، قال ثابتُ قطنةَ يرثيه: [الكامل]

كُلُّ الـقَـبـائِـلِ بـايَـعُـوكَ عَـلَـى الَّـذِي تَـدْعُـو إِلَـيْـهِ وَتَـابَـعُـوكَ وَسـارُوا

---

(١) الأغضف: الكلب.
(٢) مبرّة: غالبة، قاهرة.
(٣) العقر: موضع ببابل قرب كربلاء. (معجم البلدان ٤/١٣٦).

حَتَّى إذا حَمِسَ الوَغَى وَجَعَلْتَهُمْ نَصْبَ الأسنَّةِ أسْلَمُوكَ وَطارُوا
إنْ يَقْتُلُوكَ فَإنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ عاراً عَلَيْكَ، وَبَعْضُ قَتْلٍ عارُ

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب المرهبي قال: كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر، فشغبت عليه حتى أرضاها فيه، فقال ثابت قطنة يهجوهم: [الطويل]

عَصافِيرُ تَنْزُو في الفَسادِ، وفي الوَغَى إذا رَاعَهـا رَوْعٌ جَماميحُ بَرْوَق[1]

الجماميح: ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً، وواحده جماح، فإذا دُقَّ تطاير. وبَرْوَق: نبت ضعيف.

أأحلُمُ عَنْ ذِبَّانِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ وَيَعْلَقُ مِنْ نَفْسي الأذَى كُلَّ مَعْلَقِ[2]
ألَمْ أكُ قَدْ قَلَّدْتُكُمْ طَوْقَ خِزْيَةٍ وَأنْكَلْتُ عَنْكُمْ فِيكُمُ كُلَّ مُلْصَقِ[3]
لَعَمْرُكَ ما اسْتَخْلَفْتُ بَكْراً لِيَشْغَبوا عَلَيَّ، وما في حِلْفِكُمْ مِنْ مُعَلَّقِ[4]
ضَمَمْتُكُمُ ضَمّاً إلَيَّ وَأنْتُمُ شَتاتٌ كَفَقْعِ القاعَةِ المُتَفَرِّقِ
فَأنْتُمْ عَلَى الأدْنَى أُسودُ خَفِيَّةٍ وَأنْتُمْ عَلَى الأعْداءِ خِزَّانُ سَمْلَقِ[5]

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرزبان قال: حدّثني أبو بكر العامريّ قال: قال القَحْذَميّ: دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان - أظنّه قتيبة بن مسلم - فمدحه وسأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني عنه، وأنشأ يقول: [الطويل]

أبا خالِدٍ لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ سُوقَةٌ ولا مَلِكٌ مِمَّنْ يُعينُ على الرِّفْدِ
ولا فاعِلٌ يَرْجو المُقِلُّونَ فَضْلَهُ ولا قائِلٌ يَنْكا العَدُوَّ عَلَى حِقْدِ[6]
لَوَ أنَّ المَنايا سامَحَتْ ذا حَفِيظَةٍ لأكْرَمْنَهُ أو عُجْنَ عَنْهُ على عَمْدِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

---

(١) تنزو: تثب. والروع: الخوف.
(٢) الذبّان: الذباب.
(٣) أنكل: دفع. والمعنى: ودفعت عنكم كل ملصق من العيب فيكم.
(٤) المُعَلَّق: ما يتعلق به ويعتمد عليه.
(٥) خفية: أجمة بالكوفة والخِزّان: جمع خزن، وهو الأرنب الذكر. والسملق: القفر.
(٦) ينكا العدو: يهزمه.

عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استنصرَ عليها بعضهم فلم ينصره فقال في ذلك: [الطويل]

تَعَفَّفْتُ عَنْ شَتْمِ العَشِيرةِ إنَّني وَجَدْتُ أبي قَدْ عَفَّ عَنْ شَتْمِهَا قَبْلِي
حَلِيماً إذا ما الحِلْمُ كانَ مُرُوءَةً وَأجْهَلُ أحْياناً إذا ٱلْتَمَسُوا جَهْلِي

أخبرني عمي قال: حدّثني العَنَزِيّ عن مسعود بن بشر قال: كان ثابت قطنة بخراسان، فوليها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان، فأقام بها مدّة، ثم كتب إلى عبد الملك: «إن خَراج خُراسان لا يفي بمطبخي»، وكان أميَّة يحمَّق، فرفع ثابتُ قُطنة إلى البريد رقعة وقال: أوصل هذه معك، فلما أتى عبد الملك أوصل إليه كتابَ أمية، ثم نَثَلَ[1] كِنَانَته بين يديه فقرأ ما فيها، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة، فقرأها ثم عزله عن خُراسان.

صوت

[الوافر]

طَرِبْتُ وهاجَ لي ذاك ٱدّكارا بِكَشٍّ وَقَدْ أطَلْتُ بِهِ الحِصارا[2]
وَكُنْتُ ألَذُّ بَعْضَ العَيْشِ حَتَّى كَبِرْتُ وصارَ لي هَمِّي شِعارا
رَأيْتُ الغانِياتِ كَرِهْنَ وَصْلي وَأبْدَيْنَ الصَّرِيمَةَ لي جِهارا[3]

الشعر لكعب الأشقريّ، ويقال إنه لثابت قطنة، والصحيح أنه لكعب، والغناء للهُذَلي، ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمرو بن بانة، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لَقَفا النَّجار.

(١) نثل كنانته: استخرج ما فيها من نبال. وهنا استخرج الرسائل.
(٢) كش: قرية بأصبهان. وقيل قرية على مسافة من جرجان. (معجم البلدان ٤/ ٤٦٢).
(٣) الصريمة: القطيعة.

أخبارُ كعب الأشقريّ ونسبُهُ

[توفي نحو سنة ٨٠هـ /نحو سنة ٧٠٠م]

[اسمه ونسبه ومكانة شعره]

هو كعب بنُ مَعْدان الأشقريّ، والأشاقر: قبيلة من الأزْد، وأمّه من عبد القيس، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلّب والمذكورين في حروبه للأزارقة، وأوفده المهلّب إلى الحجّاج وأوفده الحجاج إلى عبد الملك.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي عن قتادة قال: سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، والأخطل، وكعب الأشقريّ.

أخبرني وكيع قال: حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي عن المتلمِّس قال: قلت للفرزدق: يا أبا فراس، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له كعب؟ فقال الفرزدق: إي والذي خَلَق الشِّعر.

[رسول المهلب إلى الحجاج]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد، وأخبرني عمِّي قال: حدثنا الكُراني قال: حدّثنا العُمَري عن العُتْبِيّ ـ واللفظ له وخبره أتمّ ـ قال: أوفد المهلَّب بنُ أبي صُفرة كعباً الأشقريَّ ومعه مُرَّة بنُ التليد الأزدي إلى الحجّاج بخبر وقعةٍ كانت له مع الأزارقة، فلما قدما عليه ودخلا دَارَهُ بَدَرَ كعب بنُ معدانَ

فأنشد الحجاج قولَه: [البسيط]

يا حَفْصَ إنّي عَداني عَنْكُمُ السَّفَرُ وَقَدْ سَهِرْتُ فآذَى عَيْنيَ السَّهَرُ[١]
عُلِّقتَ يا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غانِيَةً والشَّيْبُ فِيهِ عَنِ الأَهْواءِ مُزْدَجَرُ
أَمُمْسِكٌ أَنْتَ مِنْها بِالّذي عَهِدَتْ أَمْ حَبْلُها إِذْ نَأَتْكَ اليَوْمَ مُنْبَتِرُ[٢]
ذَكَرْتُ خَوْداً بِأَعْلَى الطَّفِّ مَنْزِلُها في غُرْفَةٍ دُونَها الأَبْوابُ والحُجَرُ[٣]
وَقَدْ تَرَكْتُ بِشَطِّ الزَّابِيَيْنِ لَها داراً بِها يَسْعَدُ البادُونَ والحَضَرُ[٤]
وَاخْتَرْتُ داراً بِها قَوْمٌ أُسَرُّ بِهِمْ ما زالَ فِيهم لِمَنْ تَخْتارُهُمْ خِيَرُ
أَبا سَعِيدٍ فَإِنّي سِرْتُ مُنْتَجِعاً وطالِبُ الخَيْرِ مُرْتادٌ وَمُنْتَظِرُ[٥]
لَوْلا المُهَلَّبُ ما زُرْنا بِلادَهُم ما دامَتِ الأَرْضُ فيها الماءُ والشَّجَرُ
وما مِنَ النّاسِ مِنْ حَيٍّ عَلِمْتُهُمُ إِلاَّ يُرَى فِيهِمُ مِنْ سَيْبِكُم أَثَرُ[٦]

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرُّواة في الخبر، فتركتُ ذكرَهَا لطولها، يقول فيها:

فَما يُجاوِزُ بابَ الجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ قَدْ عَضَّتِ الحَرْبُ أَهْلَ المِصْرِ فانْجَحَرُوا
كُنّا نُهَوِّنُ قَبْلَ اليَوْمِ شَأْنَهُم حَتَّى تَفاقَمَ أَمْرٌ كانَ يُحْتَقَرُ
لَمّا وَهَنّا وَقَدْ حَلُّوا بِساحَتِنا واسْتَنْفَرَ النّاسُ تاراتٍ فَما نَفَرُوا[٧]
نادَى امْرُؤٌ لا خِلافٌ في عَشِيرَتِهِ عَنْهُ وَلَيْسَ بِهِ عَنْ مِثْلِها قِصَرُ

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلّب في بلدٍ بلد، فقال:

خَبُّوا كَمِينَهُم بالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا بِكازَرُونَ فَما عَزُّوا وما نَصَرُوا[٨]
باتَتْ كَتائِبُنا تَرْدِي مُسَوَّمَةً حَوْلَ المُهَلَّبِ حَتَّى نَوَّرَ القَمَرُ[٩]
هُناكَ وَلَّوْا خَزايا بَعْدَ ما هُزِمُوا وحالَ دُونَهُمُ الأَنْهارُ والجُدُرُ

---

(١) عداني: صرفني وشغلني.
(٢) انبتر الحبل: انقطع.
(٣) الطف: أرض من ضاحية الكوفة. (معجم البلدان ٤/٣٦).
(٤) الزابيان: نهران أسفل الفرات بين الموصل وتكريت.
(٥) أبو سعيد: المهلب بن أبي صفرة.
(٦) السيب: العطاء.
(٧) وهن: ضعف.
(٨) كازرون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز. (معجم البلدان ٤/٤٢٩).
(٩) الكتائب: جمع كتيبة، وهي الفرقة العظيمة من الجيش. وتردي: تعدو. والمسوّمة: المعلّمة.

تَأبى عَلَيْنا حَزازاتُ النُّفوسِ فَما نُبْقِي عَلَيْهِمْ ولا يُبْقُونَ إنْ قَدِرُوا

فضحك الحجاج وقال له: إنك لمنصف يا كعب، ثم قال الحجّاج: أخطيب أنت أم شاعر؟ فقال: شاعر وخطيب. فقال له: كيف كانت حالُكم مع عدوّكم؟ قال: كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم، فعفوُهم تأنيسٌ منهم، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدِهم طمِعنا فيهم، قال: فكيف كان بنو المهلب؟ قال: حماة للحريم نهاراً، وفرسانٌ بالليل أيقاظاً، قال: فأين السماع من العيان؟ قال: السماع دون العيان، قال: صفهم رجلاً رجلاً، قال: المغيرة فارسُهم وسيِّدهم، نار ذاكية[1]، وصَعْدَة[2] عالية، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، ليثُ غاب، وبحرٌ جمُّ العُباب، وجَوادهُم قَبيصة، ليث المَغار، وحامي الذِّمار[3]، ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مُدرِك، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر، والأسد الخادر[4]، وعبد الملك سمٌّ ناقع، وسيف قاطع، وحبيب الموتُ الذُّعاف، إنما هو طَوْد شامخ، وفخر باذخ، وأبو عيينة البطل الهمام، والسيف الحسام، وكفاك بالمفضَّل نجدة، ليثُ هدَّار، وبَحْرٌ مَوّار[5]، ومحمد ليث غاب، وحسامُ ضِراب، قال: فأيّهم أفضل؟ قال: هم كالحلقة المفرَغة لا يُعرف طرفاها، قال: فكيف جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال، أدركُوا ما رجَوْا، وأمِنوا مما خافوا، وأرضاهم العدل، وأغناهم النَّفْل[6]، قال: فكيف رضاهم عن المهلَّب؟ قال: أحسن رضا، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد، ولا يعدم منهم برَّ الولد؟ قال: فكيف فاتكم قَطَرِيّ[7] قال: كدناه فتحوَّل عن منزله وظن أنه قد كادنا، قال: فهلاّ تبعتموه! قال: حالَ الليلُ بيننا وبينه، فكان التَّحرّز[8] - إلى أن يقع العيان[9]، ويعلم امرؤٌ ما يصنع - أحزم، وكان الحدّ عندنا آثَرَ من الفَلّ، فقال له المهلّب: كان أعلمَ بك حيث بعثك

(١) ناراً ذاكية: ملتهبة.
(٢) الصعدة: القناة.
(٣) الذمار: ما ينبغي حمايته من عرض وأهل.
(٤) الأسد الخادر: الأسد في عرينه.
(٥) البحر الموّار: البحر المتلاطم المائج.
(٦) النفل: العطاء، الغنيمة.
(٧) هو قطري بن الفجاءة قائد الخوارج وشاعرهم.
(٨) التحرّز: التوقّي والحيطة.
(٩) العيان: المشاهدة.

وأمرَ له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى.

[إعجاب عبد الملك بشعره في المهلب]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدثني أبو عمرو بُنْدار الكرجيّ قال: حدّثنا أبو غسَّان التميمي عن أبي عبيدة قال: كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تشبِّهوني مرَّة بالأسد، ومرة بالبازي، ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقريّ في المهلب وولد: [الوافر]

بَـراكَ الله حِـيـنَ بَـراكَ بَـحْـراً ... وفَـجَّـر مِـنْـكَ أنْـهـاراً غِـزارا
بَنُوكَ السَّابِقُونَ إلى المَعالي ... إذا ما أعْظَمَ النَّاسُ الخِطارا[1]
كَأنَّهُم نُجومٌ حَوْلَ بَدْرٍ ... دَرارِيٌّ تَكَمَّل فاسْتَدَارا[2]
مُلُوكٌ يَنْزِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرٍ ... إذا ما الهامُ يَوْمَ الرَّوْعِ طارا
رِزانٌ في الأمورِ تَرى عَلَيْهِمْ ... مِنَ الشَّيْخِ الشَّمائِلَ والنِّجارا
نُجُومٌ يُهْتَدَى بِهِمُ إذا ما ... أخُو الظُّلْمَاءِ في الغَمَراتِ جارا[3]

وهذه الأبيات من القصيدة التي أوّلها:

طَرِبْتَ وهاجَ لي ذاكَ ادِّكارا

التي فيها الغناء.

[اتصال الهجاء بينه وبين زياد الأعجم]

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدّثنا غسَّان بنُ ذكْوانَ الأهوازي قال: ذكر العُتْبِيّ أن زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقريّ، واتصل الهجاء بينهما، ثم غلبه زياد، وكان سبب ذلك أنّ شرّاً وقع بين الأزد وبين عبد القيس، وحرْباً سكّنها المهلّب وأصلَحَ بينهم، وتحمَّل ما أحدثه كلٌّ فريق على الآخر، وأدّى دِياته، فقال

(١) الخطار: المراهنة.
(٢) البدر الدراريّ: المضيء.
(٣) الغمرات: جمع غمرة، وهي الشدة.

كعب يهجو عبد القيس: [البسيط]

إنّي وَإنْ كُنْتُ فَرْعَ الأزْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أخزَى إذا قِيلَ عَبْدُ القَيْسِ أخوالي[١]

فَهُمْ أبو مالِكٍ بِالمَجْدِ شَرَّفَني ... وَدَنَّسَ العَبْدُ عَبْدُ القَيْسِ سِرْبَالِي

قال: فبلغ قوله زياداً الأعجم فغضب وقال: يا عجباً للعبد ابن العبد ابنِ الحِيتان والسَّرَطانِ[٢]، يقول هذا في عبد القيس، وهو يعلم موضعي فيهم! والله لأدعنّه وقومَه غَرَضاً لكل لسان، ثم قال يهجوه: [البسيط]

نُبِّئتُ أشقَرَ تَهجُونا فَقُلْتُ لَهُمْ ... ما كُنْتُ أحْسَبُهُمْ كانُوا ولا خُلِقُوا

لا يَكْثُرونَ وإن طالَتْ حَياتُهُم ... وَلَوْ يَبُولُ عَلَيْهِمْ ثَعْلَبٌ غَرِقُوا

قَوْمٌ مِنَ الحَسَبِ الأدْنَى بِمَنْزِلَةٍ ... كَالفَقْعِ بالقاعِ لا أصْلٌ ولا وَرَقُ

إنَّ الأشاقِرَ قَدْ أضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ ... لَوْ يُرْهَنُونَ بِنَعْلَيْ عَبْدِنا غَلِقوا[٣]

قال: وقال فيه أيضاً: [المنسرح]

هَلْ تَسْمَعُ الأزْدُ ما يُقالُ لَها ... في ساحَةِ الدَّارِ أمْ بِها صَمَمُ؟

اخْتَتَنَ القَوْمُ بَعْدَ ما هَرِمُوا ... واسْتَعْرَبُوا ضَلَّةً وَهُمْ عَجَمُ

قال: فشكاه كعبٌ إلى المهلَّب وأنشده هذين البيتين، وقال: والله ما عَنَى بهما غيرَكَ، ولقد عَمَّ بالهجاء قومَكَ، فقال المهلَّب: أنت أسمعتَنا هذا وأطلقتَ لسانه فينا به، وقد كنتَ غنيّاً عن هجاء عبد القيس وفيهم مِثْلُ زياد، فاكفف عن ذكره، فإنك أنت بدأته، ثم دعا بزياد فعاتبه، فقال: أيها الأمير، اسمع ما قال فِيَّ وفي قومي فإن كنْتُ ظلمتُهُ فانتصِر، وإلاَّ فالحجة عليه، ولا حُجَّة على امرىءٍ انتصَرَ لنفسه وحسَبِهِ وعشيرتِهِ، وأنشده قولَ كعب فيهم: [الطويل]

لَعَلَّ عُبَيْدَ القَيْسِ تَحْسَبُ أنَّها ... كَتَغْلِبَ في يَوْمِ الحَفِيظَةِ أوْ بَكْرِ[٤]

يُضَعْضِعُ عَبْدَ القَيْسِ في النَّاسِ مَنصِبٌ ... دَنِيءٌ وَأحْسابٌ جُبِرْنَ على كَسْرِ

إذا شاعَ أمْرُ النَّاسِ وَانْشَقَّتِ العَصا ... فَإنَّ لُكَيْزاً لا تَرِيشُ ولا تَبْرِي

فقال المهلَّب: قد قلتَ له أيضاً، قال: لا والله ما انتصرتُ، ولولاك ما

---

(١) أخزى: أحسّ بالخزي.

(٢) السرطان: حيوان بحريّ.

(٣) غلق الرهن: استحقه المرتهن.

(٤) يوم الحفيظة: يوم الحمية والغضب والدفاع، أي يوم الحرب والقتال.

قصّرت وأيّ انتصار في قولي له: [البسيط]

يا أيُّها الجاهِلُ الجارِي ليُدْرِكَنِي أقْصِرْ فإنَّكَ إنْ أدْرَكْتَ مَصْرُوعُ
يا كَعْبُ لا تَكُ كالعَنْزِ الّتي بَحَثتْ عَنْ حَتْفِهَا وجَنابُ الأرْضِ مَرْبُوعُ

وقولي: [البسيط]

لَئِنْ نَصَبْتَ لي الرَّوْقين مُعْتَرِضاً لأرْمِيَنَّكَ رَمْياً غَيْرَ تَرْفِيعِ
إنَّ المآثِرَ والأحْسابَ أوْرَثَنِي مِنْها المَجاجِيعُ ذِكْراً غَيْرَ مَوْضُوعِ

يعني مجاعَة بن مرَّة الحنفي، ومجاعة بن عمرو بن عبد القيس، فأقسم عليهما المهلَّب أن يصطلحا، فاصطلحا وتكافًا. ومما هجا كعبٌ الأشقريُّ عبدَ القيس به قوله: [الوافر]

ثَوَى عامَيْنِ في الجِيَفِ اللَّواتي مُطَرَّحَة على بابِ الفَصِيل[1]
أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ ظِلٍّ وَكِنٍّ لِعَبْدِ القَيْسِ في أصْلِ الفَسِيلِ[2]
إذا ثارَ الفُساءُ بِهِمْ تَغَنَّوْا ألَمْ تَرْبَعْ على الدِّمَنِ المُثولِ
تَظَلُّ لَها ضَباباتٌ عَلَيْنا مَوانِعُ مِنْ مَبِيتٍ أوْ مَقِيلِ

[هجاؤه هناء وهداد]

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب للنضر بن حديد: كانت ربيعةُ واليمنُ متحالِفَةً فكان المهلَّب وابنه يزيدُ يُنْزِلانِ هاتين القبيلتين في محلتهما، فقال كعبٌ الأشقريُّ ليزيد: [البسيط]

لا تَرْجُوَنَّ هِناثِيّاً لِصالِحةٍ وَاجْعلهُمُ وهَداداً أُسْوَةَ الحُمُرِ
حَيَّانِ ما لَهُما في الأزْدِ مأثُرَةٌ غَيْرُ النَّواكَةِ والإفراطِ في الهَذَرِ[3]
واجْعَلْ لُكَيْزاً وَرَاءَ النَّاسِ كُلِّهِمُ أهْلَ الفُساءِ وَأهْلَ النَّتْنِ والقَذَرِ
قَوْمٌ عَلَيْنا ضَبابٌ مِنْ فُسائِهِمُ حَتَّى تَرانا لَهُ مِيداً مِنَ السُّكُرِ[4]
أَبْلِغْ يَزيدَ بأنَّا لَيْسَ يَنْفَعُنا عَيْشٌ رَغِيدٌ ولا شَيْءٌ مِنَ العِطْرِ

(١) ثوى: أقام. والمطرَّحة: المطروحة.
(٢) الفسيل: جمع فسيلة، وهي النخلة الصغيرة، تقطع عن أمها وتغرس.
(٣) النواكة: الحمق.
(٤) ميداً: مائلين.

حَتَّى تُحِلَّ لُكَيْزاً فَوْقَ مَدْرَجَةٍ ... مِنَ الرِّياحِ على الأحْياءِ مِنْ مُضَرِ
لِيَأْخُذُوا لِنِزارٍ حَظَّ سُبَّتِها ... كما أخَذْنَا بِحَظِّ الحِلْفِ والصِّهرِ

[شعره في المهلب]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدّثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلّب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويضعّفه، ويعجّزه في تأخيره أمرَهم ومطاولَتهم، فقال المهلَّب لرسوله: قل له: إنّما البلاء أنَّ الأمر إلى من يَمْلِكهُ لا إلى من يعرفه، فإن كنتَ نصبتَني[1] لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أرى، فإن أمكنتْني الفرصة انتهزتُها، وإن لم تُمْكِنِّي توقفت فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه، وإن أردتَ مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان خطأ فعليَّ، فابعث من رأيتَ مكاني، وكتب من فَوْره بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تُعارض المهلَّب فيما يراه ولا تُعجِلْهُ، ودَعْهُ يدبِّر أمره، وقام الأشقريُّ إلى المهلَّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج: [الكامل]

إنَّ ابنَ يُوسُفَ غَرَّهُ مِنْ غَزْوِكُمْ ... خَفْضُ المُقامِ بِجانِبِ الأمْصارِ
لَوْ شاهَدَ الصَّفَّينِ حِينَ تَلاقَيا ... ضاقَتْ عَلَيْهِ رَحِيبَةُ الأقْطارِ
مِنْ أرْضِ سابُورِ الجُنودِ، وخَيْلُنَا ... مِثْلُ القِداحِ بَرَيْتَها بِشِفارِ[2]
مِنْ كُلِّ خِنْذِيذٍ يُرَى بِلَبانِهِ ... وَقْعُ الظُّباةِ مَعَ القنا الخَطّارِ[3]
وَرَأى مُعاوَدَةَ الرِّباعِ غَنِيمَةً ... أزْمانَ كانَ مُحالِفَ الإقْتارِ
فَدَعِ الحُرُوبَ لِشيبِها وشَبابِها ... وعَلَيْكَ كُلَّ خَرِيدَةٍ مِعْطارِ[4]

فبلغت أبياتُهُ الحجاج، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقريّ إليه، فأعلَمَ المهلَّبُ كعباً بذلك، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهبه منه، فقدم كعب على عبد الملك، واستنشَدَهُ فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجّاج، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفو عنه ويُعرض عمّا بلغه من شعره، فلما

(١) نصبتني: وليتني.
(٢) سابور: كورة بفارس. (معجم البلدان ٣/١٦٧).
(٣) اللبان: الصدر. والظباة: جمع ظبة وهي حدّ السيف. والقنا الخطار: الرماح الشديدة الاهتزاز.
(٤) المعطار: الكثيرة العطر.

وصل إليه ودخل عليه قال: إيه يا كعب:

وَرَأَى مُعاوَدَةَ الرِّباعِ غَنِيمَةً

فقال له: أيها الأمير، والله لقد وددْتُ في بعض ما شاهدتُهُ في تلك الحروب وأزماتِها، وما يُورِدُناه المهلَّب من خطرها، أن أنجوَ منها وأكونَ حجّاماً أو حائكاً، فقال له الحجّاج: أَوْلَى لك، لولا قسمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحقْ بصاحبك، ورَدَّه من وقته.

[من أخباره وشعره]

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب النضر بن حديد: لمّا عُزل يزيد بن المهلَّب عن خراسان ووَلِيها قتيبةُ بن مسلم، مدحه كعب الأشقري، ونال من يزيد وثَلَبه[1]، ثم بلغتْه ولايةُ يزيدَ على خراسان، فهربَ إلى عُمَانَ على طريق الطَّبَسَيْن[2] وقال: [الوافر]

وَإِنّي تارِكٌ مَرْواً وَرَائِي ... إلى الطَّبَسَيْنِ مُعْتامٌ عُمانَا[3]

لأوِي مَعْقِلاً فِيها وحِرْزاً ... فَكُنّا أَهْلَ ثَرْوَتِها زَمانا

فأقام بعُمان مدّة ثم اجتواها[4]، وساءت حالُه بها، فكتب إلى المهلَّب معتذراً: [البسيط]

بِئْسَ التَّبَدُّلُ مِنْ مَرْوٍ وساكِنِها ... أرْضُ عُمانَ وسُكنَى تَحْتَ أطْوادِ[5]

يُضحِي السَّحابُ مَطِيراً دُونَ مُنصِفِها ... كَأَنَّ أَجْبالَها غُلَّتْ بِفِرصادِ[6]

يا لَهْفَ نَفْسي عَلَى أَمْرٍ خَطِلْتُ بِهِ ... وما شَفَيْتُ بِهِ غِمْري وأحْقادي[7]

أَفْنَيْتُ خَمْسِينَ عاماً في مَدِيحِكُم ... ثُمَّ اغْتَرَرْتُ بِقَوْلِ الظّالِمِ العادِي

---

(١) ثلبه: عابه وانتقصه.

(٢) الطبسان: قصبة ناحية بين نيسابور وأصبهان. (معجم البلدان ٤/ ٢٠).

(٣) معتام: مختار.

(٤) اجتوى: كره.

(٥) الأطواد: الجبال.

(٦) الفرصاد: صبغ أحمر.

(٧) الخطل: الخطأ. والغمر: الحقد.

أَبْلِغْ يَزِيدَ قَرِينَ الجُودِ مَأْلُكَةً ... بِأَنَّ كَعْباً أَسِيرٌ بَيْنَ أَصْفَادِ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَبَيْتُ الجُودِ بَيْتُكُم ... والدَّهْرُ طَوْرانِ مِنْ غَيٍّ وإرْشادِ

وَإِنْ مَنَنْتَ بِصَفْحٍ أَوْ سَمَحْتَ بِهِ ... نَزَعْتُ نَحْوَكَ أَطْنابي وَأَوْتادي[1]

وذكر المدائني أن يزيد بن المهلّب حبسه ودسَّ إليه ابن أخ له فقتله.

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب النَّضر أيضاً أن الحجّاج كتب إلى يزيد بن المهلَّب يأمره بقتل بني الأهتم، فكتب إليه يزيد: إن بني الأهتم أصحابُ مقال وليسوا بأصحاب فَعال، فلا تُقدِّرْ أن نُحدِث فيهم ضرراً، وفي قتلهم عار وسُبَّة؛ واستوهَبَهم منه، فتغافَلَ عنهم، ثم انضمُّوا إلى المفضل بن المهلَّب، فكتب إليه الحجّاج يأمره بقتلهم، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه، فأعفاهم، ثم ولي قتيبةُ بن مسلم، فخرجوا إليه والتقوا معه، وذكروا بني المهلَّب فعابوهم، فقبلهم قتيبةُ واحتوى عليهم، فكانوا يُغرون الجندَ عليه ويَحمِلونهم على سُوء الطاعة، فكتب يشكوهم إلى الحجاج، فكتب إليه يأمره بقتلهم، فقتلهم جميعاً، فقال كعب الأشقري في ذلك: [الكامل]

قُلْ لِلأَهاتِمِ مَنْ يَعُودُ بِفَضْلِهِ ... بَعْدَ المُفَضَّلِ وَالأَغَرِّ يَزِيدِ

رَدَّا صَحائِفَ حَتْفِكم بِمَعاذِرٍ ... رَجَعَتْ أَشائِمَ طَيْرِكُم بِسُعودِ[2]

رَدَّا على الحَجَّاجِ فِيكُمْ أَمْرَهُ ... فَجَزَيْتُم إِحْسانَهُ بِجُحُودِ

فَاليَوْمَ فاعْتَبِروا فَعالَ أَخِيكُم ... إِنَّ القِياسَ لِجاهِلٍ وَرَشِيدِ

قال أبو الفرج: ونسختُ منَ كتابه أيضاً قال: وَلّى يزيدُ بنُ المهلَّب رجلاً من اليَحْمَد يقال له عمرو بنُ عُمَيرِ الزَّمِّ فلقيه كعب الأشقريّ فقال له: أنت شيخ من الأزد يولِّيك الزَّمَّ[3]. ويولّي ربيعةَ الأعمالَ السنيَّة، وأنشده: [الوافر]

لَقَدْ فَازَتْ رَبِيعَةُ بِالمَعالي ... وفازَ اليَحْمَدِيُّ بِعَهْدِ زَمِّ

فَإِنْ تَكُ راضِياً مِنْهُمْ بِهٰذا ... فَزادكَ رَبُّنا غَمّاً بِغَمِّ

(١) الأطناب: جمع طنب، وهو حبل يشدّ به الخباء.

(٢) المعاذر: جمع معذرة، وهي الحجة.

(٣) الزمّ: بليدة على طريق جيحون من ترمز وآمل. (معجم البلدان ٣/ ١٥١).

إذا الأزديُّ وضَّحَ عارِضَاهُ | وكانَتْ أُمُّهُ مِنْ حَيِّ جَرْمِ[١]
فَثَمَّ حماقَةٌ لا شَكَّ فِيها | مُقابلةٌ فَمِنْ خالٍ وعَمِّ[٢]

فردَّ اليَحْمَدِيّ عهدَ يزيدَ عليه، فحلف لا يستعمله سنة، فلما أجحفتْ به المؤونة[٣] قال لكعب: [البسيط]

لَوْ كُنْتَ خَلَّيْتَنِي يا كَعْبُ مُتَّكِناً | في دُورِ زَمَّ لَما أَقْفَرْتُ مِنْ عَلَفِ
وَمِنْ نَبِيذٍ وَمِنْ لَحْمٍ أُعَلُّ بِهِ | لٰكِنَّ شِعْرَكَ أَمْرٌ كانَ مِنْ حِرَفي
إنَّ الشَّقِيَّ بِمَرْوٍ مَنْ أَقامَ بِها | يُقارِعُ السُّوقَ مِنْ بَيْعٍ وَمِنْ حَلِفِ

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثني الرِّياشي عن الأصمعيّ قال: قال كعب الأشقريّ يهجو زياداً الأعجم: [الطويل]

وَأَقْلَفَ صَلَّى بَعْدَ ما ناكَ أُمَّهُ | يَرَى ذاكَ في دِينِ المَجوسِ حَلالا

فقال له زياد: يابن النّمامة أهي أخبرتك أنّي أقلف؟ فغلبه زياد.

والقصيدة التي أوّلها:

طَرِبْتُ وهاجَ لي ذاكَ ادِّكارا

وفيه الغناء المذكور بذكره خبرُ كعب الأشقريّ، يمدح بها المهلّب بن أبي صفرة ويذكر قتالَه الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء:

[الوافر]

غَرِضْنَ بِمَجْلِسي وَكَرِهْنَ وَصْلِي | أَوانَ كُسِيتُ مِنْ شَمَطٍ عِذارا[٤]
زَرَيْنَ عَلَيَّ حِينَ بَدا مَشِيبي | وصارَتْ ساحَتِي لِلْهَمِّ دارا[٥]
أَتانِي والحَدِيثُ لَهُ نَماءٌ | مَقالَةُ جائِرٍ أَخْفَى وجارا[٦]
سَلُوا أَهْلَ الأَباطِحِ مِنْ قُرَيْشٍ | عَنِ العِزِّ المُؤَيَّدِ أَيْنَ صارا
ومَنْ يَحْمي الثُّغورَ إذا اسْتَحَرَّتْ | حُروبٌ لا يَنونَ لَها غِرارا[٧]

---

(١) وضح عارضاه: شابا. والعارضان: صفحتا الخدين.
(٢) الحماقة المقابلة: الموروثة عن الأم والأب.
(٣) أجحفت به المؤونة: قلت مؤونته.
(٤) غرض به: ملّه وسئمه. والشمط: ابيضاض الشعر. والعذار: جانب اللحية.
(٥) زرى عليه: عابه، احتقره.
(٦) نمى الحديث: شاع.
(٧) لا ينون: لا يفترون، لا يتوانون. وغراراً: غافلين.

لَقَوْمي الأزْدُ في الغَمَرَاتِ أمْضى ... وَأوْفَى ذِمَّةً وَأعَزُّ جَارا
هُم قادُوا الجِيادَ على وَجَاها ... مِنَ الأمْصارِ يَقْذِفْنَ المِهارا(١)
بِكُلِّ مَفازَةٍ وَبِكُلِّ سَهْبٍ ... بَسابِسَ لا يَرَوْنَ لها مَنارا(٢)
إلى كَرْمانَ يَحْمِلْنَ المَنايا ... بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ يُوقِدْنَ نارا(٣)
شَوازِبَ لَمْ يُصِبْنَ الثارَ حتَّى ... رَدَدْناها مُكَلَّمَةً مِرارا(٤)
وَيشجرنَ العوالي السُّمْرَ حتَّى ... تَرَى فيها عَنِ الأسَلِ ازوِرارا
غداةَ تَرَكْنَ مَصْرَعَ عَبْدِ ربٍّ ... يُثِرْنَ عَلَيْهِ مِنْ رَهَجٍ عِصارا(٥)
وَيَوْمَ الزَّحْفِ بالأهْوازِ ظِلْنا ... نُرَوِّي مِنْهُمُ الأسَلَ الحِرارا(٦)
فَقَرَّت أعْيُنٌ كانَتْ حَدِيثاً ... وَلَمْ يَكُ نَوْمُها إلا غِرارا
صَنائِعُنا السَّوابغُ وَالمَذَاكي ... ومَن بالمِصْرِ يَحْتَلِبُ العِشارا
فَهُنَّ يُبِحْنَ كُلَّ حِمىً عَزِيزٍ ... ويَحْمِينَ الحَقائِقَ وَالذِّمارا
طَوالاتُ المُتُونِ يَصُنَّ إلا ... إذا سارَ المُهَلَّبُ حَيْثُ سارا
فَلَولا الشَّيْخُ بالمِصْرَيْنِ يَنْفِي ... عَدُوَّهُمُ لَقَدْ تَرَكُوا الدِّيارا(٧)
وَلكِنْ قارَعَ الأبطالَ حتَّى ... أصابُوا الأمْنَ واجْتَنَبُوا الفِرارا
إذا وَهَنُوا وحَلَّ بهِمْ عَظِيمٌ ... يَدُقُّ العَظْمَ كانَ لهُمْ جُبارا
ومُبْهَمَةٍ يَحيدُ النّاسُ عَنْها ... تَشُبُّ المَوْتَ شَدَّ لَها الإزارا
شِهابٌ تَنْجَلِي الظُّلْماءُ عَنْهُ ... يَرَى في كُلِّ مُبْهَمَةٍ مَنارا
بَلِ الرَّحْمنُ جارُكَ إذ وَهَنَّا ... بِدَفْعِكَ عَنْ مَحارِمِنا اخْتِيَارا
بَراكَ اللهُ حِينَ بَراكَ بَحْراً ... وَفَجَّرَ مِنْكَ أنْهاراً غِزَارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدّمةً فيما سلف من أخبار كعبٍ وشعرِه.

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال: حدّثني العُمَريّ عن

---

(١) الجياد: الخيل. والوجى: رقة الحافر من كثرة المشي. والمهار: جمع مهر وهو ابن الفرس.
(٢) البسابس والسهوب: الفلوات. والمنار: العلم على الطريق.
(٣) كرمان: ولاية وناحية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. (معجم البلدان ٤/٤٥٤).
(٤) الشوازب: الضوامر. والمكلّمة: الجريحة.
(٥) الرَّهج: الغبار. والعصار: الغبار الشديد.
(٦) الحرار: العطشى.
(٧) المصران: البصرة والكوفة.

العُتْبِيّ قال: قال عبد الملك بنُ مروان: يا معشر الشعراء، تشبِّهونَنا بالأسد الأبخر، والجَبَل الوَعْر، والمِلْح الأُجاج؟ ألا قلتم كما قال كعبٌ الأشقريّ في المهلب وولده: [الطويل]

لقد خاب أقوامٌ سَرَوْا ظُلَمَ الدُّجَى ... يَؤُمُّونَ عَمْراً ذا الشَّعِيرِ وذا البُرِّ[1]
يَؤُمُّونَ مَنْ نالَ الغِنَى بَعْدَ شَيْبِهِ ... وَقاسَى وَلِيداً ما يقاسِي ذوو الفَقْرِ
فَقُلْ لِلُجَيْمٍ يا لَبَكْرِ بن وَائِلٍ ... مَقالَةَ مَنْ يَلحَى أخاهُ وَمَنْ يُزْرِي[2]
فَلَوْ كُنْتُمُ حَيّاً صَمِيماً نَفَيْتُمُ ... بِخَيْلِكُمُ بالرَّغمِ مِنْهُ وبالصُّغْرِ[3]
وَلكنَّكُمْ يا آلَ بَكْرِ بنْ وائِلٍ ... يَسُودُكُم مَنْ كانَ في المَالِ ذا وَفْرِ
هُوَ المانِعُ الكَلْبَ النُّباحَ وَضَيْفُهُ ... خَمِيصُ الحَشَا يَرعَى النُّجُومَ التي تَسْرِي[4]

قال: وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا تباعد وعداوة، وكانت أمّه سوداء فقال يهجوه: [البسيط]

إنَّ السَّوادَ الَّذي سُرْبِلْتَ تَعْرِفُهُ ... مِيراثُ جَدِّك عن آبائِهِ النُّوبِ[5]
أشْبَهْتَ خالَكَ خالَ اللُّؤمِ مُؤتَسِياً ... بِهَدْيِهِ سالِكاً في شَرِّ أسْلُوبِ[6]

قال المَدائني في خبره: وكان ابن أخي كعب هذا عدوّاً له يسعى عليه، فلما سأل مَجزةُ بنُ زياد بن المهلب أباه في كعب فخلاَّه، دسّ إليه زيادُ بنُ المهلَّب ابن أخيه الشاعر، وجعل له مالاً على قتله، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، وذلك في فتنة يزيدَ بن المهلَّب وهو بعمان يومئذٍ، وكان لكعب أخ غيرُ أخيه الذي قتله ابنُهُ، فلما قُتل يزيد بنُ المهلَّب فرّق مسلمةُ بنُ عبد الملك أعمالَه على عمَّالٍ شتَّى فولَّى البصرةَ وعمانَ عبدَ الرحمن بن سليمان الكلبيّ. فاستخلف عبدُ الرحمن على عمانَ محمدَ بنَ جابر الراسبيّ، فأخذ أخو كعب الباقي ابن أخيه الذي قَتَل كعباً، فقدَّمه إلى محمد بن جابر، وطلب القودَ[7] منه بكعب،

---

(١) البرّ: القمح.
(٢) يلحاه: يلومه.
(٣) الصُّغْر والصَّغار: الذل.
(٤) خميص الحشا: ضامر البطن.
(٥) النُّوب: سكان بلاد النوبة جنوبي مصر.
(٦) ائتسى به: اتخذه أسوة، اقتدى به.
(٧) القود: القصاص.

فقيل له: قُتِلَ أخوك بالأمس، وتقتل قاتِلَه وهو ابن أخيك اليوم! وقد مضى أخوك وانقضى، فتبقَى فرداً كقَرْن الأعضب! فقال: نعم إن أخي كعباً كان سيِّدنا وعظيمَنا ووَجْهَنا، فقتله هذا، وليس فيه خير، ولا في بقائه عزّ، ولا هو خَلَفٌ من كَعب فأنا أقتلُه به، فلا خير في بقائه بعد كعب، فقدَّمه محمد بن جابر فضرب عنقه والله أعلم.

أخبرنا أبو بكر محمد بنُ خلف بن المَرْزُبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثنا العُمَري، عن الهيثم بن عديّ ولَقيط وغيرهما، قالوا: حاصر يزيدُ بنُ المهلَّب مدينةَ خُوارَزمَ في أيام ولايته، فلم يقدر على فتحها، واستصعَب عليه، ثم عُزِلَ ووُلِّيَ قتيبةُ بنُ مسلم، فزحف إليها، فحاصرها ففتحها، فقال كعب الأشقريّ يمدحه ويهجو يزيد بنَ المهلَّب بقوله: [البسيط]

رمتكَ فِيلٌ بما فِيها وما ظَلَمَتْ ... مِنْ بَعْدِ ما رامَها الفَجْفاجَةُ الصَّلِفُ[1]

قيسٌ صَرِيحٌ وَبَعْضُ النّاسِ يَجْمَعُهُمْ ... قُرًى وَرِيفٌ وَمَنْسُوبٌ ومُقْتَرِفُ[2]

مِنْهُم شُناسٌ ومَرْداذاءُ نَعْرِفُهُ ... وفَسْخَراء، قُبورٌ حَشْوُها القُلُفُ

لَمْ يَرْكَبُوا الخَيْلَ إلا بَعْدَما هَرِمُوا ... فَهُمْ ثِقالٌ على أكْتافِها عُنُفُ

قال: الفيل الذي ذكره هو حصن خُوارَزم يقال له الكُهُنْدَر، والكهُنْدَر: الحصن العتيق، والفَجْفاجة: الكثير الكلام. وشُناس: اسم أبي صُفرة، فغيَّره، وتسمَّى ظالماً، ومَرْداذاء: أبو أبي صُفْرَة، وسمَّوه بسراق لمَّا تَعَرَّبوا، وفَسْخَراء: جدُّه، وهم قوم من الخُوز[3] من أهل عُمان، نزلوا الأزْد، ثم ادَّعَوا أنهم صَليبةٌ صُرَحاءُ منهم. [الطويل]

صوت

لأسْماءَ رَسْمٌ أصْبَحَ اليَوْمَ دارِسا ... وَقَفْتُ بهِ يَوْماً إلى اللَّيْلِ حابِسا

---

(١) خوارزم: كانت قديماً تدعى فيل.

(٢) اقترف السوء: فعله.

(٣) هيت بلدة على الفرات من نواحي بغداد. (معجم البلدان ٥/ ٤٢١). والروامس: الرياح التي تدفن الآثار.

فجئنا بهيتٍ لا نَرَى غَيْرَ مَنْزِلٍ قليلٍ بهِ الآثارُ إلاّ الروامِسَا[1]
يَدُورُونَ بي في ظِلِّ كُلِّ كنيسةٍ فَيُنْسُونَني قَوْمِي وأهْوَى الكنائِسَا

البيت الأول من الشعر للعبّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ، وبيت العبّاس مصراعُه الثاني: [الطويل]

تَوهَّمتُ منهُ رَحْرَحَانَ فَراكِسا[2]

وغيَّره يزيد بن معاوية فقال مكان هذا المصراع: [الطويل]

وَقَفْتُ به يَوْماً إلى اللَّيْلِ حابِسا

والبيت الثاني للعبّاس بن مِرْداس، والثالث ليزيدَ بن معاوية، ذكر بعضُ الرُّواة أنه قاله على هذا الترتيب وأَمَر بُدَيحاً أن يغنّيَ فيه، ففعل؛ ولم يأت ذلك من جهة يوثَق بها، والصحيح أن الغناء لمالك، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ ويحيى المكيّ، وهذا صوت زعموا أن مالكاً صنعه على لحن سمعه من الرُّهبان.

أخبرني الحسن بنُ يحيى، عن حمّاد بن إسحاق، عن أحمد المَكّي، عن أبيه عن سِياط، أن مالكاً دخل مع الوليد بن يزيد دَيْراً، فسمع لَحْناً من بعض الرُّهبان فاستحسنه، فصنع عليه:

لَيْسَ رَسْمٌ عَلَى الدَّفِينِ بِبالِي

فلما غنَّاه الوليدَ قال له: الأوّل أحسن فعد إليه. اللحن الثاني الذي لمالك، ثقيل بالبِنصر عن الهشاميّ وعمرو، وأوله: [الخفيف]

دَرَّ دَرُّ الشَّبابِ وَالشَّعَرِ الأسْـ ـوَدِ والضَّامِراتِ تَحْتَ الرِّحالِ
وَالخَناذِيذِ كَالقِداحِ مِنَ الشَّوْ حَطِ يَحْمِلْنَ شِكَّةَ الأبْطالِ[3]

---

(١) رحرحان: جبل قريب من عكاظ. (معجم البلدان ٣/ ٣٦) وراكس: وادٍ.

(٢) الخناذيذ: جمع خنذيذ، وهو الفرس الأصيل. والشوحط: ضرب من الشجر تتخذ منه القسيّ. وشكة الأبطال: سلاحهم.

أخبار العباس بن مرداس ونسبه

[توفي نحو سنة ١٨هـ /نحو سنة ٦٣٩م]

[اسمه وكنيته ونسبه]

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مضر بن نزار، ويكنى أبا الهيثم، وإياه يعني أخوه سُراقة بقوله يرثيه: [المتقارب]

أعَــيْــنُ ألا أبْــكِــي أبــا الــهَــيْــثَــمِ وأذْرِي الــدُّمُــوعَ ولا تَــسْــأمِــي

وهي أبيات تُذكر في أخباره، وأمّه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشَّريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديد العارضة[1] والبيان، سيِّداً في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهليَّة والإسلام، ووفد إلى النبيّ ﷺ، فلما أعطى المؤلَّفة قلوبُهم فضَّل عليه عيينةَ بن حِصن والأقرعَ بنَ حابس، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع، والله أعلم.

[خبره مع صنم كان لهم يدعى ضماراً]

أخبرني محمد بنُ جرير الطبريّ، قال حدّثنا محمد بنُ حُميد قال: قال: حدّثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر، عن قَبيصة، عن عمرو الخُزاعِيّ عن العَبَّاس بن مِرداس بن أبي عامر أنه قال: كان لأبي صنم اسمه ضِمار، فلمَّا حضره الموتُ أوصاني به وبعبادته والقيام عليه، فعمَدتُ

(١) شديد العارضة: الجلد الصارم القويّ على الكلام، ذو البديهة الجيلة والرأي السديد.

إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت، وجعلت آتيه في كل يوم وليلة مرَّة، فلما ظهر أمرُ رسول اللهﷺ سمعتُ صوتاً في جوف الليل راعني، فوثبتُ إلى ضِمار، فإذا الصَّوت في جوفه يقول: [الكامل]

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّها ... هَلَكَ الأَنِيسُ وعاشَ أَهْلُ المَسْجِدِ
إنَّ الذي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى ... بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
أَوْدَى الضِّمارُ وكانَ يُعْبَدُ مَرَّةً ... قَبْلَ الكِتابِ إلى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

قال: فكتمتُ الناسَ ذلك، فلم أحدِّث به أحداً حتى انقضت غَزوة الأحزاب فبينا أنا في إبلي في طرف العقيق وأنا نائم، إذ سمعتُ صوتاً شديداً، فرفعتُ رأسي فإذا أنا برجل على حيالي[١] بعمامة يقول: إن النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء[٢]، في ديار بني أخي العَنْقَاء، فأجابه طائف عن شماله لا أُبصِره فقال: بَشِّر الجِنَّ وأجناسَها، أن وضعت المَطِيّ أحلاسها[٣]، وكفَّت السماء أحراسَها، وأن يُغِصَّ السَّوْقُ[٤] أنفاسَها، قال: فوثبتُ مذعوراً وعرفتُ أن محمداً رسول اللهﷺ مصطفى[٥]، فركبتُ فرسي وسرتُ حتَّى انتهيت إليه فبايعته وأسلَمتُ، وانصرفت إلى ضمار فأحرقتُهُ بالنار.

[إسلامه]

وقال أبو عبيدة: كانت تحت العبّاس بن مِرداس حبيبة بنتُ الضحَّاك بن سُفيان السُّلَمي أحد بني رِعْل بن مالك، فخرج عبَّاس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النَّبيَّ ﷺ، فبات بها، فلمَّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله، وقال له: من سألك عنِّي فَحَدِّثْهُ أنِّي لحقتُ بيثربَ، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلاّ آتياً محمداً وكائناً معه، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيراً لم أُسبَق إليه، وإن كان شرّاً نصرتُهُ لخؤولته، على أني قد رأيت الفضلَ البيِّن وكرامةَ الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته، واتّباعه ومبايعته، وإيثارِ أمرِهِ على جميع الأمور، فإن مناهج سبيله

---

(١) على حيالي: بإزائي.
(٢) العضباء: ناقة رسول اللهﷺ.
(٣) الأحلاس: جمع حلس، وهو ما يلي ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج.
(٤) السَّوْق: الدفع الشديد.
(٥) المصطفى: المختار، وهو من أسمائهﷺ.

واضحة، وأعلامَ ما يجيء به من الحقّ نيرة، ولا أرى أحداً من العرب يَنصب[١] له إلا أُعطي عليه الظفَرَ والعلوّ، وأراني قد أُلقِيتْ عليَّ محبةٌ له، وأنا باذلٌ نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض. قال: ثم سار نحو النّبيّ ﷺ، وانتهى الراعي نحو إبله، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبي ﷺ، فقامت فقوَّضتْ بيتَها[٢]، ولحقتْ بأهلها، فذلك حيث يقول عبّاس بنُ مرداس، حين أحرق ضِماراً ولحق بالنبيّ ﷺ: [الطويل]

لَعَمْرِي إنّي يَوْمَ أَجْعَلُ جاهِداً ... ضِماراً لِرَبِّ العالَمِينَ مُشارِكَا
وَتَرْكِي رَسولَ اللهِ والأَوْسُ حَوْلَهُ ... أولئكَ أنصارٌ لَهُ، ما أولئكا؟
كتارِكِ سَهْلِ الأرْضِ، وَالحَزْنَ يَبْتَغِي ... لِيَسْلُكَ في غَيْبِ الأمورِ المَسالكا
فآمَنْتُ باللهِ الّذي أنا عَبْدُهُ ... وخالَفْتُ مَنْ أمسَى يُرِيدُ المَمالكا
وَوجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ قاصِداً ... وتابَعْتُ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ المَبارِكا[٣]
نَبِيٌّ أتانا بَعْدَ عِيسى بِناطِقٍ ... مِنَ الحَقِّ فيهِ الفَصْلُ مِنْهُ كذلِكا
أمِيناً عَلَى الفُرْقانِ أوّلَ شافعٍ ... وآخِرَ مَبْعوثٍ يُجيبُ الملائِكا
تَلافَى عُرا الإسْلامِ بَعْدَ انْفِصامِها ... فأحكَمَها حتّى أقامَ المَناسِكا
رَأَيْتُكَ يا خَيْرَ البَرِيَّةِ كُلِّها ... تَوَسَّطْتَ في القُرْبَى مِنَ المَجْدِ مالكا[٤]
سَبَقْتَهُم بالمَجْدِ والجُودِ والعُلا ... وبالغايةِ القُصْوَى تَفوتُ السَّنابِكا[٥]
فَأَنْتَ المُصَفَّى مِنْ قُرَيْشٍ إذا سَمَتْ ... غَلاصِمُها تَبْغِي القُرومَ الفوارِكا

قال: فقدم عباس على رسول الله ﷺ المدينةَ حيث أراد المسير إلى مكّة عامَ الفَتْح، فواعَدَ رسولَ الله ﷺ قُدَيداً[٦]، وقال: القني أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله ﷺ قُديداً وهو ذاهب، لقيه عبّاس في ألف من بني سُليم، ففي ذلك يقول عبّاس بنُ مرداس: [الطويل]

بَلِّغْ عِبادَ الله أنَّ مُحَمَّداً ... رَسولَ الإلٰهِ راشِدٌ أيْنَ يَمَّمَا[٧]

---

(١) ينصب له: يعاديه.
(٢) قوضت بيتها: هدمته.
(٣) الأخشبان: جبلان بمكة. (معجم البلدان ١/ ١٢٢).
(٤) مالك: مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.
(٥) سنابك الخيل: أطراف حوافرها.
(٦) قديد: موضع قرب مكة. (معجم البلدان ٤/ ٣١٣).
(٧) يمّم: قصد.

دَعـا قَـوْمَـهُ واسْـتَـنْـصَـرَ الله رَبَّـهُ فَـأَصْـبَـحَ قَـدْ وافَـى الإلَـهُ وَأَنْـعَـمـا
عَـشِـيَّـةَ واعَـدْنـا قُـدَيْـداً مُـحَـمَّـداً يَـؤُمُّ بِـنـا أَمْـراً مِـنَ الله مُـحْـكَـمـا
حَـلَـفْـتُ يَـمِـيـنـاً بَـرَّةً لِـمُـحَـمَّـدٍ فَـأَوْفَـيْـتُـهُ أَلْـفـاً مِـنَ الـخَـيْـلِ مُـعْـلَـمـا
سَـرايَـا يَـراهـا الله وَهْـوَ أَمِـيـرُهـا يَـؤُمُّ بها في الدِّين مَنْ كانَ أَظْلَما[١]
عَلَى الخَيْلِ مَشْدُوداً عَلَيْنا دُرُوعُنا وَخَـيْـلاً كَـدُفَّـاعِ الأَتِـيِّ عَـرَمْـرَمـا[٢]
أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَحتَّى صَبَحْنا الخَيْلَ أَهْلَ يَلَمْلَما[٣]

وهي قصيدة طويلة.

[ارتحلت زوجته عنه بعد إسلامه]

قال: ولمَّا عرَّف راعي العبَّاس بن مرداس زوجتَه بنت الضحَّاك بن سفيان خبره وإسلامَه قوّضتْ بيتها، وارتحلتْ إلى قومها، وقالت تؤنّبه: [الطويل]

أَلَـمْ يَـنْـهَ عَـبَّـاسَ بْـنَ مِـرْداسَ أَنَّـنـي رَأَيْتُ الـوَرَى مَخْصُوصَةً بِالفَجائِعِ
أَتـاهُـمْ مِـنَ الأَنْـصَـارِ كُـلُّ سَـمَـيْـذَعٍ مِنَ القَوْمِ يَحْمِي قَوْمَهُ في الوقائِعِ[٤]
بِكُلِّ شَدِيدِ الوَقْعِ عَضْبٍ، يَقُودُهُ إلى المَوْتِ هامُ المُقْرَباتِ البَرائِعُ[٥]
لَعَمْري لَئِنْ تَابَعْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ وَفارَقْتَ إخْوانَ الصَّفا وَالصَّنائِعِ
لَـبَـدَّلْـتَ تِـلْـكَ الـنَّـفْـسَ ذُلاً بِـعِـزَّةٍ غَداةَ اخْتِلافِ المُرْهَفاتِ القَواطِعِ
وَقَوْمٍ هُمُ الرَّأْسُ المُقَدَّمُ في الوَغَى وَأَهْلُ الحِجا فينا وَأَهْلُ الدَّسائِعِ[٦]
سُيُوفُهُمُ عِزُّ الذَّلِيلِ وَخَيْلُهُمْ سِهامُ الأعادي في الأُمُورِ الفَظائِعِ

[خبر توزيع الغنائم من قبل النبي ﷺ]

فأخبرني أحمد بنُ محمَّد بنِ الجعد قال: حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال: حدّثنا محمد بنُ فُلَيح عن موسى بن عقبة، عن ابنِ شهاب، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غَيْلان الثَّقَفيّ قال: حدّثنا داود بن عمرو الضَّبيّ قال: حدّثنا

---

(١) يراها الله: يرعاها.
(٢) الأتيّ: السيل الجارف. والعرمرم: الكثير.
(٣) يلملم: موضع قريب من ملة. (معجم البلدان ٥/ ٤٤١).
(٤) السميذع: الرجل الشجاع الكريم.
(٥) المقربات: الخيل ذات المكانة عند أصحابها. والبرائع: الجميلات.
(٦) الدسائع: جمع دسيعة وهي العطية.

محمد بن راشد عن ابن إسحاق، وحدَّثَنيه محمد بنُ جرير قال: حدّثنا محمد بنُ حُمَيد قال: حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ـ وقد دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض ـ أن رسول الله ﷺ قسّم غنائمَ هَوازنَ، فأكثر العطايا لأهل مكّة، وأجزل القَسْم لهم ولغيرهم ممَّن خرج إلى حُنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزَوى كثيراً من القَسْم[1] عن أصحابه، فأعطى الأقرعَ بن حابس وعيينةَ بن حصن والعباسَ بن مرداس عطايَا فضّل فيها عيينةَ والأقرعَ على العبّاس، فجاءه العباس فأنشَدَه: [المتقارب]

وَكـانَـتْ نِـهـابـاً تَـلافَـيْـتُـهـا ... بِـكَرِّي عـلى الـمُـهْـرِ فـي الأجْـرَعِ[2]

وَإيـقـاظِـيَ الـحَـيَّ أنْ يَـرْقُـدوا ... إذا هَـجَـعَ الـقَـوْمُ لـم أهـجَـعِ[3]

فَـأَصْـبَـحَ نَـهْـبِـي ونَـهْـبُ الـعـبيـ ... ـدِ بَـيْـنَ عُـيَـيْـنَـةَ وَالأقْـرَعِ

وَقَـدْ كُـنْـتُ فـي الـحَـرْبِ ذا تُـدْرَءٍ ... فَـلَـمْ أُعْـطَ شَـيْـئاً وَلَـمْ أُمْـنَـعِ[4]

وَمَـا كَـانَ حِـصْـنٌ ولا حَـابِـسٌ ... يَـفُـوقـانِ مِـرْداسَ فـي مَـجْـمَـعِ

ومـا كُـنْـتُ دونَ امْـرِىءٍ مِـنْـهُـمـا ... وَمَـنْ تَـضَـعِ الـيَـوْمَ لا يُـرْفَـعِ

فبلغ قوله رسولَ الله ﷺ، فدعاه فقال له: أنت القائل: «أَصْبَح نَهِبِي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعرُ، وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرّك بأيّهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله ﷺ: اقطعوا عنّي لسانَه، وأمر بأن يُعطوه من الشّاء والنَّعَم ما يرضيه ليُمسِك، فأُعطي، قال: فوجَدَت الأنصارُ في أنفسها، وقالوا: نحن أصحاب مَوْطِن[5] وشدّة، فآثر قومه علينا، وقسم قَسْماً لم يقسمه لنا، وما نراه فعل هذا إلاّ وهو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولُهم رسولَ الله ﷺ أتاهم في منزلهم فجمعهم، وقال: من كان ها هنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار، قد بلغتني مقالةٌ قلتموها،

---

(١) القسم: النصيب من العطاء.
(٢) النهاب: الغنائم.
(٣) العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس.
(٤) التدرأ: المنعة والحفاظ والقوة.
(٥) أصحاب موطن: أراد أصحاب مشاهد في الحرب.

وموجِدة وجَدْتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم قليلاً فكثَّركم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم أعداءً فألّف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى.

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عيينة أنه قال: ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها؟ قالوا: بلى. قال: أفلا تجيبون يا معشر الأنصار؟ قالوا: لله ولرسوله علينا المنّ والفضل، جئتَنا يا رسول الله ونحن في الظلمات، فأخرَجَنا الله بك إلى النور، وجئتَنا يا رسول الله ونحن على شفا حُفْرة من النار، فأنقذنا الله، وجئتَنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزَّنا الله بك، فرضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً. فقال ﷺ: أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا، فقلتم: جئتَنا طريداً فآويناك، ومخذولاً فنصرناك، وعائلاً فأغنَيْناك، ومكذَّباً فصدَّقناك، وقبِلْنا منك ما ردَّه عليك الناسُ، لقد صدقتم. فقال الأنصار: لله ولرسوله علينا المنّ والفضل، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم، وبكى رسول الله ﷺ، وقال: يا معشر الأنصار وَجَدْتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرتُ بها ناساً أتألَّفهم على الإسلام ليُسلموا، ووكَلْتكم إلى الإسلام، أولا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده لو سلك الناسُ شِعْباً[١] وسلك الأنصار شِعْباً لسلكتُ شِعبَ الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ أمرأً من الأنصار، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضَلوا لِحاهُم[٢]، وقالوا: رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حَظّاً وقَسْماً، وتفرّق القوم راضِين، وكانوا بما قال لهم رسولُ الله ﷺ أشدَّ أغتباطاً من المال.

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر: أعطَى رسولُ الله ﷺ جماعةً من أشراف العرب عطايَا يتألّف[٣] بها قلوبَهم وقومَهم على الإسلام، فأعطى كلَّ رجل من هؤلاء النَّفر ـ وهم: أبو سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن هشام، وسُهَيل بن عمرو، وحُوَيْطِب بنُ عبد العُزَّى، وصفوان بن أميَّة، والعلاء بن حارثة الثَّقَفي حليفُ بني زُهرة، وعيينة بن حِصْن، والأقرع بن حابس ـ مائةً من الإبل، وأعطَى كلَّ واحد من مَخْرَمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤيّ وسعيد بن يربوع، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ، وأعطى العبَّاس بن مرداس أباعر، فتسخَّطها وقال الأبيات

---

(١) أخضل لحيته: بلّها.

(٢) يتألف: يستميل.

المذكورة، فأعطاه حتى رضي.

حدّثنا وكيع قال: حدّثنا الكُرَانيّ قال: حدّثنا عطاء بنُ مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال: كتب عبد الملك بن مروانَ إلى عبد الله بن الزبير كتاباً يتوعَّده فيه وكتب فيه: [الطويل]

إنِّي لَعِنْدَ الحَرْبِ تَحْمِلُ شِكَّتي ... إلى الرَّوْعِ جَرْداءُ السَّيَالَةِ ضامِرُ[1]

والشعر للعبَّاس بن مرداس. فقال ابن الزبير: أبالشعر يقوى عليّ؟ والله لا أجيبه إلاّ بشعر هذا الرجل؛ فكتب إليه: [الوافر]

إذا فُرِسَ العَوالي لَمْ يُخالِجْ ... هُمُومِي غَيْرُ نَصْرٍ واقْتِرابِ[2]

وإنّا والسَّوابِحَ يَوْمَ جُمْعٍ ... وما يَتْلُو الرَّسُولُ مِنَ الكِتابِ[3]

هَزَمْنا الجَمْعَ جَمْعَ بني قِسِيٍّ ... وَحَكَّتْ بَرْكَها بِبَني رِئابِ[4]

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العبّاس برسول الله ﷺ ونصره له، وفيها يقول: [الوافر]

بِذي لَجَبٍ رَسُولُ الله فِيهِ ... كَتِيبَتُهُ تُعَرَّضُ لِلضِّرابِ[5]

وَلَوْ أدْرَكْنَ صِرْمَ بَني هِلالٍ ... لآمَ نِساؤُهُمْ وَالنَّقْعُ كابي[6]

[مقتل أخيه هريم]

قال أبو عُبيدة: وكان هُرَيم بنُ مرداس مجاوراً في خُزاعة في جِوار رجل منهم يقال له عامر، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُوَيْلد، وبلغ ذلك أخاه العبَّاس بن مرداس، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره، فقال: [الطويل]

إذا كانَ باغٍ مِنْكَ نالَ ظُلامَةً ... فَإنَّ شِفاءَ البَغْيِ سَيْفُكَ فافْصِلِ

وَنُبِّئْتُ أنْ قَدْ عَوَّضُوكَ أباعِراً ... وَذٰلِكَ لِلْجِيرانِ غَزْلٌ بِمِغْزَلِ

(١) الشكة: السلاح. وجرداء السيالة ضامر: فرسه.

(٢) فرست العوالي: كسرت الرماح.

(٣) السوابح: الخيول السريعة.

(٤) البرك: كلكل البعير الذي يدوك به الشيء تحته.

(٥) اللجب: الجلبة والصياح.

(٦) الصرم: الفرقة القليلة من الناس. وآمت النساء: فقدن رجالهن. والنقع كابٍ: والغبار مرتفع.

فَخُذْها فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِنُصْرَةٍ وَفيها مَتاعٌ لامْرِئٍ مُتَذَلِّلِ

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لمَّا دعاه عليّ عليه السلام إلى البيعة، وتحدَّث الناسُ أنَّه وعده أن يولِّيه الشام إذا بايعه. قال: فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغُسل حتى يثأر بهُرَيم، ثم إن أبا حُلَيْس النَّصْرِيَّ لقي خويلداً قاتِلَ هُرَيم فقتَله، فقال بنو نصر: بُؤْبدم فلان النصريّ[1] ـ رجل كانت خزاعة قتلته ـ فقال أبو الحليس: لا، بل هو بُؤْ بدم هُرَيم بن مرداس، وبلغ العبَّاس، فقال يمدحه بقوله: [الطويل]

أتاني مِنَ الأنْباءِ أنّ ٱبْنَ مالِكٍ كَفَى ثائِراً مِنْ قَوْمِهِ مَنْ تَغَيَّبا
وَيَلْقَاكَ ما بَيْنَ الخَمِيسِ خُوَيْلِدٌ أرَى عَجَباً بَلْ قَتْلُهُ كانَ أعْجَبا
فِدًى لَكَ أُمِّي إذ ظَفِرْتَ بِقَتْلِهِ وَأُقْسِمُ أبْغي عَنْكَ أُمّاً ولا أبا[2]
فَمِثْلُكَ أدَّى نُصْرَةَ القَوْمِ عَنْوَةً وَمِثْلُكَ أعْيا ذا السِّلاحِ المُجَرَّبا

[خروجه لحرب بني نصر وشعره]

قال أبو عبيدة: أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سُليم، فبلغ ذلك العبّاس بن مرداس، فخرج إليهم في جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثرَ فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سُليم، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم، وأخذتْ بنو نصر فرساً للعبّاس عائرة[3] يقال لها زرّة، فانطلق بها عطية بنُ سُفْيان النَّصْري ـ وهو يومئذ رئيس القوم ـ فقال في ذلك العباس: [الطويل]

أَبَى قَوْمُنا إلاّ الفِرارَ وَمَنْ تَكُنْ هَوازِنُ مَوْلاهُ مِنَ النّاسِ يُظْلَمِ
أغَارَ عَلَيْنا جَمْعُهُمْ بَيْنَ ظالِمٍ وَبَيْنَ ٱبْنِ عَمٍّ كاذِبِ الوُدِّ أيْهَمِ[4]
كِلابٌ وما تَفْعَلْ كِلابٌ فإنَّها وَكَعْبٌ سَراةُ البَيْتِ ما لَمْ تُهَدَّمِ[5]
فَإنْ كانَ هٰذا صُنْعُكُمْ فَتَجَرَّدُوا لألْفَيْنِ مِنّا حاسِرٍ ومُلأَّمِ[6]

---

(١) باء بدم فلان: أخذ بثاره ممن يعادله قيمة ومكانة.
(٢) أُقسم أبغي: أُقسم لا أبغي.
(٣) العائرة: الضالّة، الشاردة.
(٤) الأيهم: من لا عقل له ولا فهم.
(٥) سراة كل شيء: أعلاه ومعظمه.
(٦) الملأّم: من عليه لأمة. واللأمة: الدرع.

وَحَرْبٍ إذا المَرْءُ السَّمِينُ تَمَرَّسَتْ بِأَعْطافِهِ بِالسَّيْفِ لَمْ يَتَرَمْرَمِ[١]
وَلَمْ أَحْتَسِبْ سُفْيانَ حَتَّى لَقِيتُهُ على مَأْقِطٍ إِذْ بَيْنَنَا عِطْرُ مَنْشِمِ[٢]
فَقُلْتُ وَقَدْ صاحَ النِّساءُ خِلالَهُمْ لِخَيْلِيَ شُدِّي إِنَّهُمْ قَوْمُ لَهذَمِ[٣]
فَما كانَ تَهْلِيلٌ لِدُنْ أَنْ رَمَيْتُهُمْ بِزَرَّةَ رَكْضاً حاسِراً غَيْرَ مُلْجَمِ
إذا هِيَ صَدَّتْ نَحْرَها عَنْ رِماحِهِمْ أُقَدِّمُها حَتَّى تَنَعَّلَ بِالدَّمِ
وما زَالَ مِنْهُمْ رائِغٌ عَنْ سَبِيلِها وآخَرُ يَهْوِي لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ[٤]
لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى اسْتُبِيحُوا عَشِيَّةً وذَلُّوا فَكانُوا لَحْمَةَ المُتَلَحِّمِ
فَآبُوا بِها عُرْفاً وَأَلْقَيْتُ كَلْكَلِي عَلَى بَطَلٍ شاكِي السِّلاحِ مُكَلَّمِ
وَلَنْ يَمْنَعَ الأَقْوامَ إِلاَّ مُشايِحٌ يُطارِدُ في الأَرْضِ الفَضاءِ وَيَرْتَمي[٥]

قال: ثم إن العبّاس بن مرداس جمع الأسارَى من بني نصر ـ وكانوا ثلاثين رجلاً ـ فأطلقهم، وظن أنّهم سيثيبونه بفعله، وأنّ سفيانَ سيردّ عليه فرسَه زِرّةَ، فلم يفعلوا، فقال في ذلك: [الطويل]

أَزِرَّةُ خَيْرٌ أَمْ ثَلاثُونَ مِنْكُمْ طَلِيقاً رَدَدْناهُ إِلَيْكُمْ مُسَلَّما

قال: وجعل العباسُ يهجو بني نصر، فبلغه أن سفيانَ بن عبد يغوث يتوعَّده في ذلك، فلقيَه عبَّاس في المواسم، فقال له سفيان: والله لتنتهينّ أو لأصرمنّك، فقال عباس: [الطويل]

أَتوُعِدني بِالصَّرْمِ إِنْ قُلْتُ أَوْفِني فَأَوْفِ وَزِدْ في الصَّرْمِ لِهزِمَةَ النَّتْنِ[٦]

وقال العباس أيضاً فيه: [الوافر]

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ سُفْيانَ عَنِّي وَظَنِّي أَنْ سَيُبْلِغُهُ الرَّسُولُ
وَمَوْلاهُ عَطِيَّةَ أَنَّ قِيلاً خَلا مِنِّي وَأَنْ قَدْ باتَ قِيلُ[٧]

---

(١) لم يترمرم: لم ينبس بكلمة.
(٢) المأقط: المضيق الذي يقتلون فيه. وعطر منشم: يضرب المثل به وبصاحبته بالشؤم. قيل إنها امرأة عطارة بمكة طيبت جماعة يريدون القتال فكثر فيهم القتل، فقيل: أشأم من عطر منشم.
(٣) اللهذم: كل شيء قاطع من سيف أو سنان أو ناب.
(٤) رائغ: مائل.
(٥) المشايح: المقاتل.
(٦) اللهزمتان: عظمان ناتئان في اللحيين تحت الأذنين، أراد: يا رأس النتن وأصله.
(٧) القيل: القول.

سَئِمْتُمْ رَبَّكُمْ وَكَفَرْتُمُوهُ وَذٰلِكُمْ بِأَرْضِكُمْ جَمِيلُ
أَلا تُوفِي كَما أَوفَى شَبِيبٌ فَحَلَّ لَهُ الوِلايَةُ والشُّمُولُ
أَبُوهُ كانَ خَيْرَكُمُ وَفاءً وَخَيْرُكُمُ إذا حُمِدَ الجَمِيلُ
أُلامُ على الهِجاءِ وَكُلَّ يَوْمٍ تُلاقِينِي مِنَ الجِيرانِ غُولُ
سَأَجْعَلُها لأَجْمَعِكُمْ شِعاراً وَقَدْ يَمْضِي اللِّسانُ بِما يَقُولُ

وهذه الأبيات من شعر العبّاس بن مرداس التي ذكرنا أخبارَه بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غَزاةٍ غزاها بني زُبَيْد باليمن.

[شعره في خروجه على بني زبيد]

قال أبو عمرو وأبو عُبيدة: جمع العباس بنُ مرداس بن أبي عامر ـ وكان يقال للعبّاس: مقطّع الأوتاد ـ جمعاً من بني سُليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبّح بني زبيد بتثليثَ من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عدداً كثيراً، وغنم حتّى ملأ يديه، فقال في ذلك: [الطويل]

لِأَسْماءَ رَسْمٌ أَصْبَحَ اليَوْمَ دارِسا وَقَفْتُ بِهِ يَوْماً إلى اللَّيْلِ حابِسا

يقول فيها:

فَدَعْ ذا وَلٰكِنْ هَلْ أَتاكَ مَقادُنا لِأَعدائِنا نُزْجِي الثِّقالَ الكَوادِسا[1]
سَمَوْنا لَهُمْ تِسْعاً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً نُجِيزُ مِنَ الأَعْراضِ وَحْشاً بَسابِسا[2]
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً ولا مِثْلَنا يَوْمَ الْتَقَيْنا فَوارِسا
إذا ما شَدَدْنا شَدَّةً نَصَبُوا لَنا صُدورَ المَذاكِي والرِّماحَ المَداعِسا[3]
وَأَحْصَنَنا مِنهمْ فَما يَبْلُغُونَنا فَوارِسُ مِنَّا يَحْبِسونَ المَحابِسا
وجُرْدٌ كَأَنَّ الأُسْدَ فَوْقَ مُتُونِها مِنَ القَوْمِ مَرْؤوساً كَمِيّاً وَرائِسا[4]
وَكُنْتُ أَمامَ القَوْمِ أَوَّلَ ضارِبٍ وَطاعَنْتُ إذْ كانَ الطِّعانُ مُخالِسا[5]
ولو ماتَ مِنْهُمْ مَنْ جَرَحْنا لأَصْبَحَتْ ضِباعٌ بِأَكْنافِ الأَراكِ عَرائِسا

(١) الكوادس: السريعة.
(٢) الأعراض: قرى بين الحجاز واليمن. والبسابس: القفار الخوالي.
(٣) المذاكي: الخيل التي أتي عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. والمداعس: الرماح الغليظة الشديدة.
(٤) الكميّ: التام السلاح.
(٥) تخالس القرنان: حاول كل منهما مخالسة الآخر لإعجاله بطعنة.

فأجابه عَمرو بن معديكرِبَ عن هذه القصيدة بقصيدة أوَّلها: [الطويل]

لِمَنْ طَلَلٌ بِالخَيْفِ أَصْبَحَ دارِساً تَبَدَّلَ آراماً وَعِيناً كَوانِسا

وهي طويلة، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها.

[جلاء بني النضير وقوله في ذلك وما جرى بينه وبين خوات بن جبير]

أخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار قال: حدّثنا أبو غَزِيّة عن فُليح بن سليمان قال: قال العبّاس يذكر جَلاَء بني النّضير ويبكيهم بقوله:

[الطويل]

لَوَ أنّ قَطِينَ الدّارِ لَمْ يَتَحَمَّلُوا وَجَدْتَ خِلالَ الدّارِ مَلْهًى ومَلْعَبا[1]

فَإِنَّكَ عَمْرِي هَلْ رَأَيْتَ ظَعائِناً سَلَكْنَ على رُكْنِ الشّطاةِ فَمَيْثَبَا[2]

عَلَيْهِنّ عِينٌ مِنْ ظِباءِ تَبالَةٍ أوانس يُصْبِينَ الحَلِيمَ المُجَرّبا

إذا جَاءَ باغِي الخَيْرِ قُلْنَ بَشاشَةً لَهُ بِوجُوهٍ كَالدَّنانِيرِ: مَرْحَبَا

وَأَهْلاً فلا مَمْنُوع خَيْرٍ طَلَبْتَه ولا أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنا أَنْ تُؤَنَّبا

فلا تَحْسَبَنّي كُنْتُ مَوْلى ٱبْنِ مِشْكَمٍ سَلامِ ولا مَوْلى حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبا

فقال خوّات بنُ جُبير يجيب العبّاس: [الطويل]

أَتَبْكِي عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَدْ تَرَى مِنَ الشَّجْوِ لَوْ تَبْكِي أَحَقَّ وَأَقْرَبا

فَهَلاّ عَلى قَتْلَى بِبَطْنِ أُوارةٍ بَكَيْتَ وما تَبْكِي مِنَ الشَّجْوِ مُغْضَبا

إذا السِّلْمُ دارَتْ في الصَّدِيقِ رَدَدْتَها وفي الدِّينِ صَدّاداً وفي الحَرْبِ ثَعْلَبا

وَإِنَّكَ لَمّا أَنْ كَلِفْتَ بِمِدْحَةٍ لِمَنْ كانَ مَيْناً مَدْحُهُ وتَكَذُّبا[3]

وَجِئْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أَهْلاً لِمِثْلِهِ وَلَمْ تُلْفِ فِيهِم قائِلاً لَكَ مَرْحَبا

فَهَلاّ إلى قَوْمٍ مُلُوكٍ مَدَحْتَهُمْ بَنَوا مِنْ ذُرا المَجْدِ المُقَدَّمِ مَنْصِبا

إلى مَعْشَرٍ سادُوا المُلوكَ وكُرِّموا وَلَمْ يُلْفَ فِيهِمْ طالِبُ الحَقِّ مُجْدِبا

---

(١) قطين الدار: أهلها وساكنوها. وتحملوا: ارتحلوا.

(٢) الشطاة: موضع قرب خيبر. وميثب: ماء بالحجاز، وقيل: وادٍ من أودية الأعراض، وقيل: مال بالمدينة. (معجم البلدان ٥/٢٤١).

(٣) المين: الكذب.

أولـئِـكَ أوْلَـى مِـنْ يَـهُـودَ بِـمِـدْحَـةٍ تَـراهُـمْ وَفِـيـهِـمْ عِـزَّةُ الـمَـجْـدِ تُـرْتَـبـا

فقال عبّاس بنُ مرداس يجيبه: [الطويل]

هَـجَـوْتَ صَـرِيـحَ الـكـاهِـنَـيْـنِ وَفِـيـكُـمُ لَـهُـمْ نِـعَـمٌ كـانَـتْ مِـنَ الـدَّهْـرِ تُـرْتَـبـا[1]
أولـئِـكَ أحْـرى إنْ بَـكَـيْـتَ عَـلَـيْـهِـمُ وَقَـوْمُـكَ لَـوْ أدَّوا مِـنَ الـحَـقِّ مـوجـبَـا
مِـنَ الـشُّـكْـرِ إنَّ الـشُّـكْـرَ خَـيْـرُ مَـغَـبَّـةٍ وَأوْفَـقُ فِـعْـلاً لِـلَّـذي كَـانَ أصْـوَبـا
فَـصِـرْتَ كَـمَـنْ أمْـسَـى يُـقَـطِّـعُ رَأسَـهُ لِـيَـبْـلُـغَ عِـزّاً كَـانَ فِـيـهِ مُـرَكَّـبـا
فَـبَـكِّ بَـنِـي هـارونَ واذْكُـرْ فَـعـالَـهُـمْ وَقَـتْـلَـهُـمْ لِـلْـجُـوعِ إذْ كُـنْـتَ مُـسْـغَـبـا[2]

قال الزبير: فحدّثني محمد بن الحسن عن مُحرِز بن جعفر قال: التقى عبّاس ابنُ مرداس وخوّات بنُ جبير يوماً عند عمَر ابن الخطّاب رضي الله عنه، فقال خوّات: يا عباس أأنت الذي رثيتَ اليهود، وقد كان منهم في عداوة رسول اللهﷺ ما كان! فقال عباس: إنهم كانوا أخلاّئي في الجاهلية، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرمونني، ومثلي يشكر ما صُنِع إليه من الجميل، وكان بينهما قول حتى تجاذبا، فقال له خوّات: أما والله لئن استقبلت غَرْب[3] شبابي، وشَبَا[4] أنيابي، وخَشِن جوابي، لتكرهنّ عتابي. فقال عباس: والله يا خوّات، لئن استقبلت عَنِّي وفَنِّي[5] وذكاءَ سِنِّي، لتَفِرّنْ منِّي، إيَّاي تتوعد يا خوّات، يا عاني[6] السوءات! والله لقد استقبلك اللؤمُ فَردَعك[7]، واستدْبَرك فكسَعَك[8]، وعَلاك فوَضَعك[9]، فما أنت بمهجوم عليك من ناحية إلاّ عن فضل لؤم؛ إيّاي - ثكِلتْك أمُّك - تروم؟ وعليّ تقوم؟ والله ما نُصِبتْ سُوقُك، ولأظهرنّ عليك بعدُ؛ فقال عمر لهما: إما أن تسكتا وإما أن أوجِعَكما ضرباً، فصمَتَا وكَفَّا. أخبرني بذلك علي بن نصر قال: حدّثني الحسن بن محمد بن جرير، وحدّثني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدّثنا عبد

---

(١) الكاهنان: بنو النضير وبنو قريظة.
(٢) المسغب: الجائع.
(٣) غرب الشباب: حدته ونشاطه.
(٤) الشبا من كل شيء: حدّته.
(٥) عني: اعتراضي. وفني: إتياني بالأمور العجيبة.
(٦) العاني: الأسير.
(٧) ردعه: لطخه.
(٨) كسعه: ضرب قفاه.
(٩) وضعه: صيّره وضيعاً دنيئاً.

الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك. وللعباس مع خَوّات مناقَضات أُخَرُ في هذا المعنى، كرهتُ الإطالةَ بذكرها.

[وفاته ورثاء أخيه سراقة له]

قال أبو عبيدة: وكان العباس وسراقة وحَزن وعمرو بنو مِرْداس كلّهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وكلّهم كان شاعراً، وعبّاس أشعرهم، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم، ومات في الإسلام، فقال أخوه سراقة يرثيه: [المتقارب]

أَعَيْنِ أَلا أَبْكي أَبا الهَيْثَمِ ... وأَذرِي الدُّمُوعَ ولا تَسْأَمي

وَأَثْني عَلَيْهِ بِآلائِهِ ... بِقَوْلِ امْرِئٍ مُوجَعٍ مُؤْلَمِ

فَمَا كُنْتُ بائِعَهُ بِامْرِئٍ ... أَراهُ بِبَذْوٍ ولا مَوْسِمِ

أَشَدُّ على رَجُلٍ ظالِمٍ ... وَأَدْهَى لِداهِيَةٍ مِيثَمِ[1]

وقالت أخته عَمرةُ ترثيه: [الطويل]

لِتَبْكِ ابْنَ مِرْداسٍ على ما عَراهُمُ ... عَشيرَتُهُ إِذْ حُمَّ أَمْسِ زَوالُها

لَدَى الخَصْمِ إِذْ عِنْدَ الأَمِيرِ كَفاهُمُ ... فَكانَ إِلَيْهِ فَضْلُها وَجِدالُها

ومُعْضِلَةٍ لِلحامِلِينَ كَفَيْتَها ... إِذَا أَنْهَلَتْ هُوجُ الرِّياحِ طِلالَها[2]

وقد روى العباسُ بنُ مرداس عن النبيّ ﷺ، ونقل عنه الحديث.

حدّثنا الحسين بن الطّيب الشجاعيّ البَلْخي بالكوفة قال: حدّثنا أيوب بن محمد الطّلحي قال: حدّثنا عبد القاهر بن السريّ السُّلمي قال: حدّثنا عبد الله بن كِنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدّثه عن جدّه عباس بن مرداس أن النبي ﷺ دعا لأمّته عشيّةَ عَرَفة قال: فأُجيبَ لهم بالمغفرة إلاّ ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض، قال: فإني آخذ للمظلوم من الظالم، قال: أيْ ربِّ إن شئت أعطيتَ للمظلوم من الجنة، وغفرتَ للظالم، فلم يجب في حينه، فلما أصبح في المزدلِفة أعاد الدعاء، فأُجيب لهم بما سأل، فضحك النبي ﷺ أو تبسّم، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بأبي أنت وأمي! إن هذه لساعة ما كنتَ تَضحك فيها أو تَبسَّم، فقال: إنّ إبليس لمَّا علم أن الله غفر لأمّتي جعل يَحثُو الترابَ على رأسه،

(١) الميثم: الشديد الوطء.

(٢) هوج الرياح: الرياح الشديدة العاتية. والطلال: المطر الخفيف.

ويدعو بالوَيْل والثُّبور، فضحكتُ مِن جَزَعه. تمَّت أخبارُ العبَّاس.

صوت

[البسيط]

أَزجُوكَ بَعْدَ أبي العبَّاسِ إِذْ بانا يا أكْرَمَ النَّاسِ أعْراقاً وَعِيدانا
أَرجُوكَ مِنْ بَعْدِهِ إِذْ بانَ سَيِّدُنا عنَّا وَلَوْلاكَ لاسْتَسْلَمْتُ إِذْ بانا
فَأنْتَ أكْرَمُ مَنْ يَمْشي عَلَى قَدَمٍ وَأنْضَرُ النَّاسِ عِنْدَ المَحْلِ أغْصانا
لَوْ مَجَّ عُودٌ عَلَى قَوْمٍ عُصارَتَهُ لَمَجَّ عُودُكَ فِينا المِسْكَ والبانا

الشعر لحمَّاد عَجْرد، والغناء لحَكَم الواديّ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوَّل بالبِنصر في مجراها.

أخبار حمّاد عَجْرد ونسبه

[توفي نحو سنة ١٦١هـ / نحو سنة ٧٧٨م]

[اسمه ونسبه وولاؤه ومجونه]

هو حمّاد بنُ يحيى بن عمر بن كُلَيب، ويُكَنّى أبا عُمَر، مولى بني عامر بن صعصعة، وذكر ابن النَّطاح أنه مولًى بني سَراةَ، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عُقيل، وأصلُه ومنشؤه بالكوفة، وكان يَبري النَّبل، وقيل: بل أبوه كان نَبّالاً، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

وقال صالح بنُ سليمان: كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس بن كليب، ـ وكانت له هيئة ـ وابن عمّه عُمارة بن حمزةَ بن كليب انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً، فكانوا بها، وحمّاد من مخضرَمي الدَّولتين الأمويّة والعباسيّة، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرتَه في أيام بني العباس، وكان خليعاً ماجِناً، متَّهماً في دينه، مرميّاً بالزندَقَةِ.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال: قال أبو دعامة: حدّثني عاصمُ بن أفلحَ بن مالك بن أسماء قال: كان يحيى أبو حمّاد عجرد مولًى لبني هندٍ بنت أسماءَ بن خارجة، وكان وكيلاً لها في ضَيْعتها بالسَّواد، فولدتْ هندٌ من بِشرِ بن مروان عبدَ الملك بن بشر، فجرَّ عبد الملك ولاء مَوالي أمّه فصاروا مَواليه، قال: ولما كان والدُ حمّاد عَجرد بالسواد في ضَيْعَتها نَبَّطه[1] بشَّارٌ لمّا هَجاه بقوله: [البسيط]

وٱشْـدُدْ يَـدَيْـكَ بِـحـمّـادٍ أبـي عُـمَـرٍ ... فَـإِنَّـهُ نَـبَـطِـيٌّ مِـنْ زَنـابِـيـرِ[2]

---

(١) نبطه: نسبه إلى النبط.

(٢) زنابير: أرض باليمن.

قال: وإنما لقّبه بعجرد عمرو بن سِنْدِيّ مولى ثقيف لقوله فيه: [الخفيف]

سَبَحَتْ بَغْلَةٌ رَكِبْتَ عَلَيْها عَجَباً مِنْكَ خَيْبَةً لِلْمَسِيرِ
زَعَمَتْ أَنَّها تَراهُ كَبِيراً حَمْلَها عَجْرَدَ الزِّنا والفُجورِ
إِنَّ دَهْراً رَكِبْتَ فِيهِ عَلَى بَغْـ ـلِ وَأَوْقَفْتَهُ بِبابِ الأَمِيرِ
لَجَدِيرٌ أَلاَّ نَرَى فِيهِ خَيْراً لِصَغِيرٍ مِنَّا ولا لِكَبِيرِ
ما امْرُؤٌ يَنْتَقِيك يا عُقْدَةَ الكَلْـ ـبِ لأَسْرارِهِ بِجِدٍّ بَصِيرِ[1]
لا ولا مَجْلِسٌ أَجَنَّكَ لِلَّـ ـذَّاتِ يا عَجْرَدَ الخَنَا بِسَتِيرِ[2]

يعني بهذا القول محمد بن أبي العَبَّاس السفاح، وكان عَجْرَدٌ في نُدمَائه، فبلغ هذا الشعر أبا جعفر، فقال لمحمد: ما لي ولعجرد يدخُل عليك؟ لا يَبلغُني أنَّك أذنتَ له، قال: وعَجْرَدُ مأخوذٌ من المعجرَد، وهو العُريان في اللغة، يقال: تعجرد الرَّجلُ إذا تَعَرّى فهو يتعجرد تعجرداً. وعجردتُ الرجلَ أُعجرِدُه عَجْرَدةً إذا عَرَّيتُهُ.

[إدمانه الشراب وزندقته وأخباره مع بشار بن برد]

أخبرني إسماعيلُ بن يونس قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، ونسختُ من كتاب عبد الله بن المعتز: حدّثني الثقفيُّ عن إبراهيم بن عمر العامريّ قال: كان بالكوفة ثلاثة نَفَر يقال لهم الحَمّادون: حَمّاد عَجْرد وحَمّاد الراوية، وحمّاد بن الزِّبرِقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرةً جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يُرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حمّادُ عَجرد.

أخبرنا الفضلُ بن الحُباب الجُمَحِيّ أبو خليفة إجازةً عن التُّوزيّ: أنّ حماداً لقِّب بعجرد لأن أعرابياً مرَّ به في يوم شديدِ البَرْد وهو عُريانٌ يلعب مع الصِّبيان فقال له: تعجردتَ يا غلام، فسمِّيَ عجرداً.

قال أبو خليفة: المتعجرد: المتعرِّي، والعَجْرد أيضاً: الذهب.

أخبرني أحمد بنُ يحيى بن علي بن يحيى، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممزّق، وأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ،

---

(١) عقدة الكلب: قضيبه.
(٢) أجنّه: ستره. والستير: الساتر، أو المستور.

قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبة قال: كان السبب في مهاجاة حمّاد عجردٍ بَشّاراً أنّ حمّاداً كان نديماً لنافع بن عُقبة، فسأله بشّار تنجُّز حاجة له من نافع، فأبطأ عنها، فقال بشّارٌ فيه: [الطويل]

مَواعِيدُ حَمّادٍ سَماءٌ مُخِيلَةٌ ... تَكَشَّفُ عَنْ رَعْدٍ وَلْكِنْ سَتَبْرُقُ[1]
إذا جِئْتَهُ يَوْماً أَحالَ عَلَى غَدٍ ... كما وَعَدَ الكَمُّونُ ما لَيْسَ يَصْدُقُ[2]
وفي نافعٍ عَنّي جَفاءٌ، وَإنَّني ... لأَطْرُقُ أَحْياناً، وذو اللُّبِّ يُطْرِقُ
وَلِلنَّقَرَى قَوْمٌ فَلَوْ كُنْتُ مِنْهُمُ ... دُعِيتُ وَلْكِنْ دونيَ البابُ مُغْلَقُ[3]
أَبا عُمَر خَلَّفْتُ خَلْفَكَ حاجَتي ... وَحاجَةُ غَيْري بينَ عَيْنَيْكَ تَبْرُقُ
وما زِلْتُ أَسْتَأْنِيكَ حَتَّى حَسَرْتَني ... بِوَعْدٍ كَجاري الآلِ يَخْفَى وَيَخْفُقُ[4]

قال فغضب حمّاد وأنشد نافعاً الشِّعرَ، فَمَنَعه من «صلة» بشّار، فقال بشّار: [الطويل]

أَبا عُمَرٍ ما فِي طِلابِيكَ حاجَةٌ ... ولا في الَّذي مَنَّيْتَنا ثُمَّ أَصْحَرا[5]
وَعَدْتَ فَلَمْ تَصْدُق وَقُلْتَ غَداً غَداً ... كَما وُعِدَ الكَمُّونُ شِرْباً مُؤَخَّرا

قال: فكان ذلك السببَ في التّهاجي بين بشّار وحمّاد.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدثني أبو إسحاق الطَّلْحِيّ قال: حدّثني أبو سُهيل قال: حدّثني أبو نواس قال: كنت أتوهّم أن حمّاد عجرد إنما رُميَ بالزندقة لمُجونه في شعره، حتى حُبِستُ في حبس الزَّنادقة، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمّتهم، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرأون به في صلاتهم، قال: وكان له صاحب يقال له حريث[6] على مذهبه، وله يقول بشّارٌ حين مات حمّادُ عجردٍ على سبيل التعزية له: [البسيط]

بَكَى حُرَيْثٌ فَوَقَّرْهُ بِتَعْزِيَةٍ ... ماتَ ٱبنُ نِهْيَا وَقَدْ كانا شَرِيكَيْنِ

---

(١) السماء المخيلة: التي تخالها ماطرة.
(٢) الكمون: نبات زراعي عشبي بزوره من التوابل، وأصنافه كثيرة. يضرب به المثل في المماطلة والتسويف.
(٣) النقرى: الدعوة الخاصة.
(٤) أستأنيه: أنتظر به ولا أعجله. وحسرتني: كشفتني. والآل: السراب.
(٥) أصحر الأمر وبالأمر: أظهره.
(٦) حريث: هو حريث بن أبي الصلت الحنفي.

تَفَاوَضَا حِينَ شَابَا في نِسائِهِما ... وحَلَّلاَ كُلَّ شَيْءٍ بَيْنَ رِجْلَيْنِ
أَمْسَى حُرَيْثٌ بِما سَدَّى لَهُ غَيَراً ... كَراكِبِ اثْنَيْن يَرْجُو قُوَّةَ اثْنَيْنِ
حَتَّى إذا أَخَذَا في غَيْرِ وَجْهِهِما ... تَفَرَّقَا وَهَوَى بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ

يعني أنه كان يقول بقول الثَّنَوِيَّة[1] في عبادة اثنين، فتفرّقا وبقي بينهما حائراً، قال: وفي حمّاد يقول بشّار أيضاً وينسُبه إلى أنّه ٱبن نِهْيَا: [الخفيف]

يا بن نِهْيَا رَأْسٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ ... وٱحْتِمالُ الرُّؤوسِ خَطْبٌ جَلِيلُ
أُدْعُ غَيْرِي إلى عِبادَةِ الأثْنَيْـ ... ـنِ فإنِّي بِواحِدٍ مَشْغُولُ
يا ٱبنَ نِهْيَا بَرِئْتُ مِنْكَ إلى اللَّـ ... ـهِ جِهاراً، وذاكَ مِنِّي قَلِيلُ

قال: فأشاعَ حَمّاد هذه الأبيات لبشّار في الناس، وجعل فيها مكان «فإنّي بواحد مشغول»: «فإني عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفرَ بالله تعالى، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى ٱنتهت إلى بشّار، فٱضطرب منها وتغيَّر وجزع وقال: أشاط ابنُ الزانية بِدَمِي[2]، والله ما قلت إلاّ «فإنّي بواحد مشغولُ» فغيّرها حتى شَهَرَنِي[3] في الناس بما يهلكني.

أخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني صالح بنُ سليمانَ الخَثْعَمِيّ قال: قيل لعبدالله بن ياسين: إن بشاراً المرعَّث هجا همّاداً فَنبَّطه، فقال عبد الله: قد رأيتُ جدّ حمّاد، وكان يسمَّى كُلَيباً، وكانت صناعَتُهُ صناعة لا يكون فيها نَبَطِيّ، كان يَبْرِي النِّبالَ ويَرِيشُها، وكان يقال له: كُلَيب النَّبّال، مولى بني عامر بن صعصعة.

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب، قال: حدّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزِيُّ قال: حدّثني أحمد بنُ خَلاَّد قال: كان بشّارٌ صديقاً لسُلَيْم بن سالم مولى بني سعد، وكان المنصورُ أيّامَ ٱستَتَر بالبصرة نزل على سلَيْم بن سالم، فولاّه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السُّوسَ وجُنْدَيْسابور[4]، فانضمَّ إليه حمّاد عجرد،

---

(١) الثنوية: فرقة تقول بإلهين اثنين: إله للخير وإله للشرّ.
(٢) أشاط بدمي: أهدره وعرضني للقتل.
(٣) شهرني: أذاع عني السوء.
(٤) السوس: بلدة بخوزستان. (معجم البلدان ٣/ ٢٨٠). وجند يسابور: مدينة بخوزستان. (معجم البلدان ٢/ ١٧٠).

فأفسده على بشّار، وكان له صديقاً، فقال بشّار يهجوهما: [البسيط]

أَمْسَى سُلَيْمٌ بأَرْضِ السُّوسِ مُرْتَفِقاً ... في خَزِّها بَعْدَ غِرْبالٍ وأَمْدادِ[١]
لَيْسَ النَّعِيمُ وإنْ كُنَّا نُزَنّ بِهِ ... إلاّ نَعِيمَ سُلَيمٍ ثُمَّ حَمّادِ[٢]
نِيكَا وناكَا وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَا أَحَدٌ ... في غَفْلَةٍ مِنْ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الهادي

فَنشِبَ الشَّرُّ بين حَمَّاد وبشَّار.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه، عن عمرَ بن شبَّة، عن أبي أيُّوب الزبالي، قال: كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشّار على اتفاق منهما ورِضاً بأن يَنْقُلَ إلى كلّ واحد منهما وعنه الشِّعر، فدخل يوماً إلى بشّار فقال له: إيهِ يا فلان، ما قال ابن الزانية فيّ؟ فأنشده: [السريع]

إنْ تاهَ بَشَّارٌ عَلَيْكُمْ فَقَدْ ... أَمْكَنْتُ بشّاراً مِنَ التِّيهِ

فقال بشّار: بأي شيءٍ ويحك؟ فقال:

وذاك إذْ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِهِ ... وَلَمْ يَكُنْ حُرٌّ يُسَمِّيهِ

فقال: سَخنَتْ عينُ، فبأي شيء كنت أُعْرَفُ؟ إيهِ، فقال:

فَصارَ إِنْساناً بِذِكْرِي لَهُ ... ما يَبْتَغي مِنْ بَعْدِ ذِكْرِيهِ؟

فقال: ما صنع شيئاً، إيهِ ويحك؟ فقال:

لَمْ أَهْجُ بَشَّاراً وَلٰكِنَّنِي ... هَجَوْتُ نَفْسِي بِهِجائِيهِ

فقال: على هذا المعنى دارَ، وحولَه حام، إيهِ أيضاً، وأيّ شيء قال؟ فأنشده: [مجزوء الكامل]

أَنْتَ ابنُ بُرْدٍ مِثْلُ بُرْ ... دٍ في النَّذالةِ والرَّذالَهْ
مَنْ كانَ مِثْلَ أَبِيكَ يا ... أَعْمَى أَبُوهُ فَلا أَبا لَهْ

فقال: جَوَّد ابنُ الزانية، وتمام الأبيات الأُوَل: [السريع]

لَمْ آتِ شَيْئاً قَطُّ فِيما مَضَى ... وَلَسْتُ فِيما عِشْتُ آتِيهِ
أَسْوَأَ لي في النّاسِ أُحْدُوثَةً ... مِنْ خَطَإٍ أَخْطأْتُهُ فِيهِ

---

(١) مرتفقاً: متكئاً على مرفقة. والخز: الحرير. والأمداد: جمع مدّ وهو مكيال معروف.

(٢) نزنّ به. نتهم به.

فَـأَصْـبَـحَ الـيَـوْمَ يِـسَـبِّـي لَـهُ أَعْـظَـمَ شَـأْنـاً مِـنْ مَـوالِـيـهِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بنُ شبَّة، عن خلّاد الأرْقَط قال: أنشَدَ بشاراً راويتُهُ قولَ عجردٍ فيه:

دُعِـيـتَ إلـى بُـرْدٍ وَأَنْـتَ لِـغَـيْـرِهِ فَهَبْكَ ٱبنَ بُرْدٍ نِكْتَ أُمَّكَ مَنْ بُرْدُ؟

فقال بشار لراويته: ها هنا أحد؟ قال: لا، فقال: أحسن والله ما شاء ابن الزانية.

أخبرني أحمد بن العباس العسكريُّ قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُليل العَنَزيُّ قال: حدّثني محمد بنُ يزيدَ المهلَّبي قال: حدّثني محمد بنُ عبد الله بن أبي عُيَيْنَة قال: قال حمادُ عجرد لمَّا أُنشِدَ قولَ بشَّار فيه: [الخفيف]

يـاٱبـنَ نِـهْـيَـا رَأسٌ عَـلَـيَّ ثَـقِـيـلٌ واحْـتِـمـالُ الـرَّأسَـيْـنِ أَمْـرٌ جَـلِـيـلُ

فـادْعُ غـيْـري إلـى عِـبـادَةِ رَبَّـيْـ ـنِ فـإنِّـي بِـواحِـدٍ مَـشْـغُـولُ

والله ما أبالي بهذا من قوله، وإنَّما يغيظني منه تجاهلُهُ بالزندقة، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجهَّال أنه لا يعرفها، لأن هذا قولٌ تقوله العامَّة لا حقيقة له، وهو والله أعلمُ بالزَّندقة من ماني.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار وحبيب بن نصر المهلَّبي، قالوا: حدّثنا عمرُ بنُ شبَّة، قال: حدّثنا أبو أيوب الزباليّ قال: قال بشار لراويةِ حمّاد: ما هجاني به اليومَ حَمّاد؟ فأنشده: [الهزج]

أَلا مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي الَّـذِي وَالـدهُ بُـرْدُ

فقال: صدق ابن الفاعلة، فما يكون؟ فقال:

إذا مـا نُـسِـبَ الـنَّـاسُ فـلا قَـبْـلٌ ولا بَـعْـدُ

فقال: كذب ٱبن الفاعلة، وأين هذه العرصات من عُقَيل؟ فما يكون؟ فقال:

وَأَعْـمَـى قَـلْـطَـبَـانٌ مـا عـلـى قـاذِفِـهِ حَـدُّ

فقال: كذب ٱبن الفاعلة، بل عليه ثمانون جَلْدةً، هيهِ، فقال:

وَأَعْـمَـى يُـشْـبِـهُ الـقِـرْدَ إذا مـا عَـمِـيَ الـقِـرْدُ

فقال: والله ما أخطأ ٱبن الزانية حين شبَّهني بقرد، حسبُك حسبُك، ثم صفَّق

بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشبّهُني ولا أراه فأُشبّهُهُ.

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بنُ محمد الخُزاعِيّ قال: حدّثنا أبو غسّان دَماذ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، وقال فيه: لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار: [الهزج]

شَبِيهُ الوَجْهِ بِالقِرْدِ إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

بكى بشّار، فقال له قائل: أتبكي من هجاء حمّاد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصِفُني ولا أصفُهُ، قال: وتمامُ هذه الأبيات:

وَلَوْ يَنْكَهُ في صَلْدٍ صَفاً لانصدعَ الصَّلْدُ
دَنِيٌّ لَمْ يَرُحْ يَوماً إلى مَجْدٍ وَلَمْ يَغْدُ
وَلَمْ يَحْضُرْ مَعَ الحُضّا رِ في خَيْرٍ وَلَمْ يَبْدُ
وَلَمْ يُخْشَ لَهُ ذَمٌّ وَلَمْ يُرْجَ لَهُ حَمْدُ
جَرَى بالنَّحْسِ مُذْ كانَ ولَمْ يَجْرِ لَهُ سَعْدُ
هُوَ الكَلْبُ إذا ما ما تَ لَمْ يُوجَدْ لَهُ فَقْدُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال: حدّثني خلاّد الأرْقط قال: أشاعَ بشّار في الناس أن حمّاد عجردٍ كان يُنْشدُ شعراً ورَجُلٌ بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه، فقال حماد: عَلاَمَ اجتمعوا؟ فوالله لَما أقولُ أحسنُ مما يقول.

قال: وكان بشّار يقول: لمّا سمعت هذا من حمّاد مَقَتُّه عليه.

أخبرني أحمد بنُ عُبَيْد الله بن عمّار قال: أخبرَني أبو إسحاق الطَّلْحي قال: حدّثني أبو سُهَيْل عبدُ الله بن ياسين أن بشاراً قال في حمّاد عجرد وسهيلِ بن سالم، وكان سهيلٌ من أشراف أهل البصرة، وكان من عمّال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حمّاد وسهيلٌ نديمَيْنِ: [البسيط]

لَيسَ النَّعِيمُ وإن كُنّا نُزَنّ بِهِ إلاّ نَعِيم سُهَيْلٍ ثُمَّ حَمّادِ
نَاكَا ونِيكَا إلى أن لاَحَ شَيْبُهما في غَفْلَةٍ عَنْ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الهادي
فَهْدَيْنِ طَوْراً وفَهّادَيْنِ آونةً ما كان قَبْلَهما فَهْدٌ بِفَهّادِ[1]

(١) الفهّاد: مدرب الفهود على الصيد.

سُبْحانَكَ الله لَوْ شِئْتَ امتَسَخْتَهُما قِردَيْنِ فاعْتَلَجَا في بَيْتِ قَرَّادِ[١]

قال: يعني بقوله: (ما كان قبلهما فهدٌ بفهَّاد) أي لم يكن الفهدُ فَهاداً، كما تقول: لم يكن زيد بظريف، ولم يكن زيدٌ ظريفاً، قال ابن ياسين: وفيه يقول بشار أيضاً: [السريع]

ما لُمْتُ حَمّاداً على فِسْقِهِ يَلُومُهُ الجاهِلُ والمائِقُ[٢]
وما هُما مِنْ أيْرِهِ وآسْتِهِ؟ مَلَّكَهُ إياهُمَا الخالِقُ
ما باتَ إلاَّ فَوْقَهُ فاسِقٌ يَنيكُهُ أوْ تَحْتَهُ فاسِقُ

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال: أنشدني ٱبنُ أبي سعد لحمّاد عجرد في بشّار ـ قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه ـ: [السريع]

نَهارُهُ أخْبَثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أخْبَثُ مِنْ أمْسِهِ
وَلَيْسَ بِالمُقْلِعِ عَنْ غَيِّهِ حَتَّى يُوارَى في ثَرَى رَمْسِهِ[٣]

قال: وكان أغلظَ على بشّار من ذلك كله وأوجعَه له قولُه فيه: [السريع]

لَوْ طُلِيَتْ جِلْدَتُهُ عَنْبَرا لأَفْسَدَتْ جِلْدَتُهُ العَنْبَرا
أوْ طُلِيَتْ مِسْكاً ذَكِيّاً إذاً تَحَوَّلَ المِسْكُ عَلَيْهِ خَرَا

قال ابن أبي سعد: وقد بالغ بشّارٌ في هجاءِ حماد، ولكن حكم الناسُ عليه لحمّاد بهذه الأبيات.

[اتصاله بالربيع بن يونس]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني أحمد بن إسحاق قال: حدّثني عثمان بن سُفيانَ العطّار قال: اتصل حماد عجرد بالربيع يؤدِّب ولدَه، فكتب إليه بشّارٌ رقعةً، فأُوصلَتْ إلى الربيع، فطرده لمّا قرأها، وفيها مكتوب:

يا أبا الفَضْلِ لا تَنَمْ وَقَعَ الذِّئْبُ في الغَنَمْ
إنَّ حَمّادَ عَجْرَدٍ إنْ رَأى غَفْلَةً هَجَمْ

---

(١) اعتلجا: اقتتلا. والقرّاد: مربي القردة.
(٢) المائق: الأحمق.
(٣) الرمس: القبر.

بَــيْــنَ فَــخْــذَيْــهِ حَــرْبَــةٌ ... فــي غِــلافٍ مِــنَ الأدَمْ
إنْ خَــلاَ الــبَــيْــتُ ســاعَــةً ... مَــجْــمَــجَ الــمِــيــمَ بــالــقَــلَــمْ

فلما قرأها الربيع قال: صيَّرني حمّاد دريئةَ الشعراء، أخرِجوا عنِّي حماداً، فأُخرج.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة، عن علي بن مهدي، عن عبدالله بن عطية، عن عبّاد بن الممزّق، أن حمّاد عجردٍ كان يؤدِّب ولدَ العباس بن محمد الهاشمي، فكتب إليه بشّارٌ بهذه الأبيات المذكورة، فقال العباس: ما لي ولبشّار؟ أخرجوا عنِّي حمَّاداً، فأُخرِجَ.

أخبرني يحيى بن علي قال: حدّثني محمد بنُ القاسم قال: حدّثني عبدالله بن طاهر بن أبي أحمد الزُّبَيْريّ قال: لما أخرج العباس بن محمد حمّاداً عن خدمته، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشّاراً: [الطويل]

لَــقَــدْ صــارَ بَــشَّــارٌ بَــصِــيــراً بِــدُبْــره ... ونــاظِــرُه بَــيْــنَ الأنــامِ ضَــرِيــرُ
لَــهُ مُــقْــلَــةٌ عَــمْــيــاءُ وَاسْــتٌ بَــصِــيــرَةٌ ... إلى الأيْرِ مِنْ تَحْتِ الثِّيابِ تُشيرُ
عَــلَــى وُدِّهِ أنَّ الــحَــمِــيــرَ تَــنِــيــكُــهُ ... وَأنَّ جَــمِــيــعَ الــعــالَــمِــيــنَ حَــمِــيــرُ

قال أبو الفرج الأصْبَهَاني: وقد فعل مثلَ هذا بعينه حمَّاد عجردٍ بقُطْرُب.

أخبرني عمِّي عن عبد الله بن المعتزّ قال: حدّثني أبو حفص الأعمى المؤدِّب، عن الزُّباليّ قال: اتُّخِذَ قطرب النحويُّ مؤدِّباً لبعض ولد المهديّ، وكان حماد عجرد يطمع في أن يُجعل هو مؤدِّبه، فلم يتمّ له ذلك، لتهتّكه وشهرتِهِ في الناس بما قاله فيه بشّار، فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالمُلقى على الرَّضَفِ[1]، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها:

[البسيط]

قُــلْ لِــلإمــامِ جَــزاكَ الله صــالِــحَــةً ... لا تَجْمَعِ الدَّهْرَ بَيْنَ السَّخْلِ والذِّيبِ
الــسَّــخْــلُ غِــرٌّ وَهَــمُّ الــذِّئْــبِ فُــرْصَــتُــهُ ... والذِّئْبُ يَعْلَمُ ما في السَّخْلِ مِنْ طِيبِ

فلما قرأ هذين البيتين قال: انظُروا لا يكون هذا المؤدِّب لُوطياً، ثم قال: انفوهُ عن الدار، فأُخرِجَ عنها، وجيء بمؤدِّب غيره، ووُكِّلَ به تسعون خادماً

(١) الرَّضَف: حجارة محماة بالنار أو الشمس.

يتناوبون، يحفظون الصَّبيّ، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى عيسى بن إدريس العِجْلي بن أبي دُلَف فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ، قال: لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار: [الهزج]

ويـا أقْـبَـحَ مِـنْ قِـرْدٍ إذا مـا عَـمِـيَ الـقِـرْدُ

قال بشّار: لا إله إلاّ الله، قد والله كنت أخاف أن يأتيَ به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقتُ به خوفاً من أن يُسمَعَ فأُهْجَى به، حتى وقع عليه النَّبَطِيُّ ابنُ الزانية.

[كتابه إلى أبي حنيفة]

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ حدّثني العِجْلِيّ قال: حدّثني أبو دُهْمَان قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحمّاد عجرد، فَنَسَكَ أبو حنيفة وطلبَ الفقه، فبلغ فيه ما بلغ، ورفَضَ حَمّاداً وبسط لسانَه فيه، فجعل حمّاد يلاطفه حتى يكفَّ عن ذِكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حَمّاد بهذه الأبيات:

[مجزوء الكامل]

إن كـانَ نُـسْـكُـكَ لا يَـتِـ مُّ بغيرِ شَتمي وانتقاصِي
أوْ لَـمْ تَـكُـنْ إلاّ بـهِ تَرْجُو النجاةَ من القِصاصِ
فـاقْـعُـدْ وَقُـمْ بي كيفَ شئـ ـتَ مـعَ الأداني والأقاصِي
فَـلَـطـالَـمـا زَكَّـيْـتَـنِـي وأنا المُقِيمُ على المعاصِي
أيّـامَ تَـأخُـذُهـا وتُـعـ ـطِي في أباريقِ الرَّصاصِ

قال: فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه.

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النَّضر بن حديد قال: كان حمّاد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد، وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يجتمع عليه مِثْلُهما، ثم إن يحيى بن زياد أظهر تورُّعاً وقراءةً ونزوعاً[1] عمّا كان عليه، وهَجَر حمّاداً وأشباهَه، فكان إذا ذُكر عنده ثَلَبَهُ

(١) نزع عن الشيء: كف عنه.

وذكر تَهتُّكه ومُجونَه، فبلغ ذلك حَمّاداً، فكتب إليه: [مجزوء الكامل]

هَــلْ تَــذْكُــرَنْ دَلَــجِــي إلــيــ ـكَ عــلــى الـمُـضَـمَّـرَةِ الـقِـلاصِ
أيّــامَ تُــعْــطِــيــنــي وتــأ خُــذُ مــن أبــاريــقِ الــرَّصــاصِ
إن كــانَ نُــسْــكُــكَ لا يَــتِــ ـمُّ بـغـيـرِ شَـتْـمـي وانْـتـقـاصِـي
أو كُــنْــتَ لــســتَ بــغــيــر ذا كَ تــنــالُ مــنــزلَــةَ الـخَـلاصِ
فــعــلــيــكَ فــاشْــتُــمْ آمِــنــاً كــلٌّ الأمــانِ مــن الــقِــصــاصِ
واقْــعُــدْ وقُــمْ بــي مــا بــدا لَــكَ فــي الأدانــي والأقــاصِــي
فَــلَــطــالَــمــا زَكَّــيْــتَــنِــي وأنــا الــمُــقــيــمُ عــلــى الـمـعـاصِـي
أيّــامَ أنْــتَ إذا ذُكِــرْ تُ مُــنــاضِــلٌ عَــنّــي مُــنــاصِــي[1]
وأنــا وأنْــتَ عــلــى ارتــكــا بِ الــمُــوبِــقــاتِ مــن الـحِـراصِ
وبِــنَــا مَــواطِــنُ مــا يُــنــا فــي الــبِــرَّ آهِــلَــةُ الـعِـراصِ[2]

فاتَّصل هذا الشعر بيحيى بن زياد، فنسب حمّاداً إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام، فقال حمّاد فيه: [السريع]

لا مُــؤمِــنٌ يُــعْــرَفُ إيــمــانُــهُ وَلَــيْــسَ يَــحــيَــى بِــالــفَــتَــى الــكــافِــرِ
مُــنــافِــقٌ ظــاهِــرُهُ نــاسِــكٌ مُــخــالِــفُ الــبــاطِــنِ لــلــظّــاهِــرِ

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو قال: كان لحمّاد عجردٍ إخوانٌ ينادمونه، فانقطع عنه الشراب، فقطعوه، فقال لبعضهم: [السريع]

لَــسْــتَ بِــغَــضْــبــانٍ ولــكــنّــنــي أعْــرِفُ مــا شَــأْنُــكَ يــا صــاحِ
الآن فَــقَــدْتُ الــرَّاحَ جــانَــبْــتَــنــي مــا كــان حُــبّــيــكَ عــلــى الــرَّاحِ
قَــدْ كُــنْــتَ مِــنْ قَــبْــلُ وَأَنْــتَ الــذي يَــغْــنــيــكَ إمْــســائــي وإصْــبــاحــي
ومــا أرَى فِــعْــلَــكَ إلاّ وقــد أفْــسَــدَنــي مِــنْ بَــعْــدِ إصْــلاحــي
أنــتَ مِــن الــنّــاسِ وإن عِــبْــتَــهــم دُونَــكَــهــا مــنّــي بــإفــصــاحِ[3]

(١) المناصي: المدافع الممسك بناصية عدو.
(٢) العراص: جمع عرصة، وهي ساحة الدار.
(٣) دونك: اسم فعل أمر بمعنى خذ.

[منادمته الوليد بن يزيد]

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال: حدَّثني ميمون بن هارون عن أبي محلِّم أن الوليد بن يزيدَ أمرَ شُراعةَ بن الزَّنْدَبُوذ أن يسمِّي له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة، فسمَّى له مطيع بن إياس وحمّادَ عجردٍ والمُطيعيَّ المغنّي، فكتب في إشخاصهم إليه، فأُشخصوا، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتِلَ، ثم عادوا إلى أوطانهم.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السَّكونيّ قال: تزوّج حمّادُ عجردٍ امرأة، فدخلْنا إليه صبيحَةَ بنائه بها نهنّئه ونسأله عن خبره، فقال لنا: كنت البارحة جالساً مع أصحابي أشرب، وأنا منتظرٌ لامرأتي أن يؤتى بها، حتى قيل لي: قد دخلتْ، فقمتُ إليها فوالله ما لبِّثتُها حتى افتضضتُها، وكتبت من وقتي إلى أصحابي: [المديد]

قد فَتَحْتُ الحِصْنَ بَعْدَ امْتِناعِ ... بِمُشِيحٍ فاتِحٍ لِلقِلاعِ
ظَفِرَتْ كَفِّي بِتَفْرِيقِ شَمْلٍ ... جاءنا تَفْرِيقُهُ بِاجْتِماعِ
فإذا شَعْبي وشَعْبُ حَبِيبي ... إنما يَلْتامُ بَعْدَ انْصِداعِ

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ عن أبيه، وأخبرني الحسن بن عليّ عن القاسم بن محمد الأنباري، قال: حدّثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم، عن إبراهيم بن محمّد بن عبد الحميد، قال: اجتمع عمّي سهمُ ابنُ عبد الحميد وجماعةٌ من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حُميد الطويل، ومعهم حمّاد عجرد، وهو يومئذٍ هاربٌ من محمد بن سليمان، ونازلٌ على عُقبة بن سلْم، وقد أَمِنَ، وحضر الغداء، فقيل له: سهمُ بنُ عبد الحميد يصلِّي الضحى، فانتظر وأطالَ سَهْمٌ الصلاةَ، فقال حماد: [الطويل]

ألا أيُّهذا القانِتُ المُتَهَجِّدُ ... صلاتُكَ للرَّحْمٰن أم لي تَسْجُدُ؟
أما والذي نادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ ... لِمَنْ غَيْرِ ما بِرٍّ تَقومُ وَتَقْعُدُ
فهلاً اتَّقَيْتَ الله إذ كُنْتَ والياً ... بِصَنْعاءَ تَبْرِي مَنْ وَليتَ وتَجردُ
ويَشْهدُ لي أنّي بذلك صادِقٌ ... حُرَيْثٌ وَيَحْيَى لي بذلك يَشْهَدُ
وَعِنْدَ أبي صَفوانَ فيكَ شَهادةٌ ... وبَكْرٍ وبَكْرٌ مُسْلِمٌ مُتَهَجِّدُ
فإنْ قُلْتَ زِدْنِي في الشُّهودِ فإنَّه ... سَيَشْهَدُ لي أيْضاً بذاك مُحَمَّدُ

قال: فلمّا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً، فقال له: قبحك الله يا زنديق، فعلتَ بي هذا كله لشرَهِكَ في تقديم أكلٍ وتأخيره! هاتوا طعامَكم فأطعِموه لا أطعَمَهُ الله تعالى، فقدِّمت المائدة.

[اعتذار محمد بن الفضل إليه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق الموصليّ، عن محمد بن الفضل السَّكُوني قال: لقيت حَمّاد عجردٍ بواسط وهو يمشي وأنا راكب، فقلت له: انطلق بنا إلى المنزل، فإني الساعةَ فارغ لتتحدّث، وحبستُ عليه الدّابة، فقطعني شُغْلٌ عَرَضَ لي لم أقدرْ على تَركه، فمضيتُ وأُنسِيتُه، فلما بلغتُ المنزلَ خفتُ شرَّه، فكتبت إليه: [الطويل]

أبـا عُـمَـرٍ اِغْـفِـرْ هُـدِيـتَ فـإنَّـنـي ... قَدَ أذْنَبْتُ ذَنْباً مُخْطِئاً غَيْرَ عامِدِ
فـلا تَـجِـدن فِـيـهِ عَـلَـيَّ فـإنَّـنـي ... أُقِـرُّ بـإجـرامـي وَلَـسْـتُ بـعـائِـدِ[1]
وَهَبْهُ لـنـا تَـفْـديكَ نَـفْـسي فإنَّني ... أرَى نِعْمَةً إنْ كُنْتَ لَسْتَ بواجِدِ
وعُدْ مِنْكَ بالفَضْلِ الذي أنْتَ أهْلُهُ ... فـإنَّـكَ ذو فَـضْـلٍ طـريـفٍ وتـالِـدِ

فكتب إليّ مع رسولي: [الطويل]

مُحَمَّدُ يابنَ الفَضْلِ يا ذا المحامِدِ ... ويا بَهْجَةَ النَّادي وزَيْنَ المَشاهِدِ
وحقِّكَ ما أذْنَبْتَ مُنْذُ عَرَفْتَني ... على خطإٍ يَوْماً ولا عَمْدِ عامِدِ
ولو كانَ، ما ألفَيْتَني مُتَسَرِّعاً ... إليكَ بِهِ يَوْماً تَسَرُّعَ واجِدِ

أي لو كان لَك ذنب ما صادفْتني مسرِعاً إليك بالمكافأة:

ولو كانَ ذو فَضْلٍ يُسَمَّى لِفَضْلِهِ ... بِغَيْرِ اسْمِهِ سُمِّيتَ أُمَّ القلائِدِ

قال: فبينا رقعتُه في يدي وأنا أقرأها إذ جاءني رسولُهُ برقعة فيها: [مجزوء الرمل]

قد غَفَرْنَا الذَّنْبَ يابن الـ ... ـفَضْلِ والذَّنْبُ عَظِيمُ
وَمُسِيءٌ أنتَ يابنَ الـ ... ـفَضْلِ في ذاك مُلِيمُ
حِينَ تَخْشاني على الذَّنْـ ... ـبِ كما يُخْشَى اللَّئِيمُ

(١) وجد عليه: غضب واغتاظ.

لَيْسَ لي إنْ كانَ ما خِفْـ ... تَ مِنَ الأمْرِ حَرِيمُ
أنا والله - ولا أَفْـ ... خَرُ - لِلْغَيْظِ كَظُومُ
ولأصحابي وَلاءٌ ... رَبُّهُ بَرٌّ رَحِيمُ
وبما يُرْضِيهم عنِّـ ... ـي ويُرْضِيني عَلِيمُ

أخبرني يحيى بن عليّ، عن أبيه عن إسحاق قال: خرج حمّادُ عجردٍ مع بعضَ الأمراء إلى فارسَ، وبها جِلَّةٌ من أبناء الملوك، فعاشر قوماً من رؤسائها، فأحمد معاشرتَهم، وسُرَّ بمعرفتهم، فقال فيهم: [مجزوء الرمل]

رُبَّ يَوْمٍ بِفَسَاءِ ... لَيْسَ عِنْدي بِذَمِيمِ[1]
قد قَرَعْتُ العَيْشَ فيهِ ... مَعَ نَدْمانٍ كَرِيمِ
مِنْ بَنِي صَيْهُونَ في البَيْـ ... ـتِ المُعَلَّى والصَّمِيمِ
في جِنانٍ بَيْنَ أنهارٍ ... وَتَغْرِيشِ كُرُوم
نَتَعاطى قَهْوَةً تُشْـ ... ـخِصُ يَقْظانَ الهُمومِ[2]
بنتَ عَشْرٍ تَتْرُكُ المُكْـ ... ـثِرَ منها كالأمِيمِ[3]
فَبِها ذَابَاً أُحَيِّي ... وَيُحَيِّيني نَدِيمي
في إناءٍ كِسْرَوِيٍّ ... مُسْتَخِفٍّ لِلْحَليمِ
شَرْبةً تَعْدِلُ منه ... شَرْبَتي أمّ حَكِيمِ
عِنْدنا دِهْقانَةٌ حُسَّـ ... ـانَةٌ ذاتُ هَمِيمِ[4]
جَمَعَتْ ما شِئْتَ مِنْ حُسْـ ... ـنٍ وَمِنْ دَلٍّ رَخِيمِ[5]
في اعْتِدالٍ مِنْ قَوامٍ ... وصَفاءٍ مِنْ أَدِيمِ
وبَنانٍ كالمَدارِي ... وثَنايا كالنُّجُومِ[6]
لَمْ أَنَلْ مِنْها سِوَى غَمْـ ... ـزَةِ كَفٍّ أو شَمِيمِ[7]

---

(١) فَسا: مدينة بفارس. (معجم البلدان ٤/ ٢٦١).
(٢) القهوة: الخمر.
(٣) الأميم: المصاب بالهذيان، وكأنه مصاب بأم رأسه.
(٤) الهميم: الدبيب.
(٥) الدلّ: الغنج والدلال. والرخيم: اللين السهل.
(٦) المداري: جمع مدرى، وهي المشط.
(٧) الشميم: الشمّ.

غَـيْـرَ أنْ أقْـرُصَ مِـنْـهـا عُـكْـنَـةَ الـكَـشْـحِ الـهَـضِـيـمِ[1]
وبَـلَـى ألْـطِـمُ مِـنْـهـا خـدَّهـا لَـطْـمَ رَحِـيـمِ
وَبِـنَـفْـسِـي ذاك يـا أسْـوَدُ مِـنْ خَـدٍّ لَـطِـيـمِ

يعني الأسودَ بن خلف كاتبَ عيسى بن موسى. أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه عن أبي النضر قال: كان حريث بن أبي الصلت الحنفيُّ صديقاً لحمّاد عجرد، وكان يعابِثُهُ بالشِّعر، ويَعيبُهُ بالبخل، وفيه يقول: [المتقارب]

حُـرَيْـثٌ أبـو الـفَـضْـلِ ذو خِـبْـرةٍ بـمـا يُـصْـلِـحُ الـمِـعَـدَ الـفـاسِـدَهْ
تَـخَـوَّفَ تُـخْـمَـةَ أضْـيـافِـهِ فَـعَـوَّدَهـم أكْـلَـةً واحِـدَهْ

أخبرني هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بنُ إسماعيل تينَةَ، عن ابن عائشة قال: ضَرَط رجل في مجلس فيه حمّاد عجرد ومطيع بنُ إياس، فتجلَّد ثم ضرط أُخرى متعمّداً، ثم ثَلَّث، ليظنوا أن ذلك كلّه تعمُّد، فقال له حماد: حَسْبُكَ يا أخي فلو ضرطت ألفاً لعُلم بأن المُخلِف الأوّل مُفلِت.

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا سليمانُ بن أبي شَيْخ قال: حدّثني مُعاذ بنُ عيسى مولَى بني تميم قال: كان سليمانُ بنُ الفرات على كَسْكَر[2]، ولاّه أبو جعفر المنصور، وكان قُرَيْشٌ مولى صاحب المصلّى بواسِط في ضِياع صالح ـ وهو سِنْدِيّ[3] ـ فحدّثني مُعاذُ بنُ عيسى قال: كنّا في دار قريش، فحضرت الصلاةُ، فتقدَّم قريشٌ فصلَّى بنا وحمّاد عجرد إلى جَنْبي، فقال لي حمّاد حين سلَّم: اسمع ما قلتُ، وأنشدَني: [مجزوء الرمل]

قَـدْ لَـقِـيـتُ الـعـامَ جَـهْـداً مِـنْ هَـنـاتٍ وهَـنـاتِ[4]
مِـنْ هُـمـومٍ تَـعْـتَـرِيـنـي وبـلايـا مُـطْـبِـقـاتِ
وجَـوًى شَـيَّـبَ رَأْسـي وحَـنَـى مِـنّـي قَـنـاتـي[5]

(١) العكنة: ما تثنى من لحم البطن سمناً. والكشح: ما بين الخاصرة والأضلاع.
(٢) كسكر: كورة كبيرة قصبتها واسط (معجم البلدان ٤/٤٦١).
(٣) سندي: نسبة إلى السند.
(٤) من هنات وهنات: من شدائد وأمور عظام.
(٥) الجوى: الحزن.

وغُـــــدُوِّي ورَواحـــــي نَـحْـوَ سَـلْـمِ بْـنِ الـفُـراتِ
وأئْـتِـمـامِـي بـالـقَـمَـارِيِّ قُـرَيْـشٍ فـي صَـلاتـي[١]

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني محمد بنُ خلف وكيع قال: حدّثنا أبو أيّوب المَدينيُّ عن مصعبٍ الزُّبيريّ قال: حدّثني أبو يعقوبَ الخُرَيمي قال: كنت في مجلس فيه حمّاد عجرد، ومعنا غلام أمرَد[٢]، فوضع حمّاد عينَه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه، فلما كان الليلُ اختلفتْ مواضعُ نومِنا، فقمتُ فنِمْتُ في موضع الغلام، قال: ودَبَّ حمَّاد إليَّ يَظنُّني الغلامَ، فلما أحسست به أخذتُ يدهُ فوضعتُها على عيني العَوْراء - لأعلمه أنّي أبو يعقوب - قال: فنتر يدَه ومضى في شأنه وهو يقول: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

أخبرني عمِّي قال: حدّثني مصعب قال: كان حمّاد عجردٍ ومُطيعُ بن إياس يختلفان إلى جوهر جاريةِ أبي عَوْن نافع بن عون بن المُقْعَد، وكان حمّاد يحبّها ويُجَنّ بها، وفيها يقول: [مجزوء الكامل]

إنّـي لأهْـوَى جَـوْهَـراً ويُـحِـبُّ قَـلْـبِـي قَـلْـبَـهـا
وأُحِـبُّ مِـنْ حُـبِّـي لـهـا مَـنْ وَدَّهـا وَأَحَـبَّـهـا
وَأُحِـبُّ جـارِيَـةً لـهـا تُـخْـفِـي وتَـكْـتُـمُ ذَنْـبَـهـا
وَأُحِـبُّ جِـيـرانـاً لـهـا وأبـنَ الـخَـبِـيـثـةِ رَبَّـهـا

أخبرني عمِّي قال: حدّثني محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال: حدّثني أبيضُ بن عمرو قال: كان حمّاد عجردٍ يعاشر الأسودَ بن خلَف ولا يكادان يفترقان، فمات الأسود قبله، فقال يرثيه - وفي هذا الشعر غناء -: [مخلع البسيط]

صوت

قُـلْـتُ لِـحَـنّـانـةٍ دَلُـوحٍ تَـسُـحُّ مِـنْ وابِـلٍ سَـفُـوحِ[٤]

(١) القماريّ: نسبة إلى قمار وهو موضع بالهند ينسب إليه العود.
(٢) الأمرد: الذي طرّ شاربه ولم تبد لحيته.
(٣) سورة الصافات الآية ١٠٧.
(٤) الحنانة الدلوح: السحابة الكثيرة الماء. وتسحّ: تسيل.

جادَتْ عَلَيْنا لَها رَبابٌ بِواكِفٍ هاطِلٍ نَضُوحِ[1]
أُمّي الضَّريحَ الذي أُسَمّي ثُمَّ اسْتَهِلّي على الضَّريحِ[2]
على صَدَى أسْوَدَ المُوارَى في اللَّحدِ والتُّرْبِ والصَّفِيحِ
فاسْقِيهِ رِيّاً وأوْطِنِيهِ ثُمَّ اغْتَدي نَحْوَه ورُوحي
إغْدي بسُقْيايَ فاصْبِحِيهِ ثُمَّ اغْبِقِيهِ مَعَ الصَّبوحِ
لَيْسَ مِنَ العَدْلِ أن تَشِحّي على امْرِئٍ لَيْسَ بالشَّحيحِ

الغناء ليونسَ الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنّسْه.

أخبرني عمّي قال: أنشدنا الكُراني قال: أنشد مصعبٌ لحمّاد عجردٍ يهجو أبا عَوْن مولَى جَوْهَر، وكان يُقيِّنُ[3] عليها، وكان حمّاد عجردٍ يميل إليها، فإذا جاءهم ثقل، ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها، فيضرّ ذلك بأبي عون، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته، فحجبها عنه، فقال فيه: [السريع]

إنَّ أبا عَوْنٍ وَلَنْ يَرْعَوي ما رقَّصتْ رَمْضاؤها جُنْدُبَا[4]
لَيْسَ يَرَى كَسْباً إذا لَمْ يَكُنْ مِنْ كَسْبِ شُفْرَيْ جَوْهَرٍ طيِّبَا[5]
فَسَلَّطَ الله على ما حَوَى مِئْزَرُها الأفْعَى أو العَقْرَبا
يُنْسَبُ بِالكشخِ ولا يَشْتَهِي بِغَيْرِ ذاكَ الاسْمِ أنْ يُنْسَبا[6]

وقال فيه أيضاً: [المديد]

إنْ تَكُنْ أغْلَقْتَ دُونيَ باباً فَلَقَدْ فَتَّحْتَ لِلكَشْخِ بابا

وقال فيه أيضاً: [المديد]

قَدْ تَخَرْطَمْتَ عَلَيْنا لأنّا لَمْ نَكُنْ نَأْتِيكَ نَبْغِي الصَّوابا
إنَّما تُكْرِمُ مَنْ كانَ مِنّا لِسنانِ الحَقْوِ مِنْها قِرابا

وقال فيه أيضاً: [مجزوء الرجز]

يا نافِعُ ابْنَ الفاجِرَهْ يا سَيِّدَ المُؤاجِرَهْ

(١) الواكف: المطر. والنضوح: الكثير الماء.
(٢) أمّي: اقصدي. واستهلّي: ارفعي الصوت بالبكاء.
(٣) يقيِّن: يزين.
(٤) الرمضاء: الحجارة التي حميت من شدة الحرّ. والجندب: نوع من الجراد.
(٥) الشفران: حرفا الفرج.
(٦) الكشخ: القوّاد على أهله، الديوث.

يـــا جِــلْــفَ كُــلِّ داعِـــرٍ وزوْجَ كُـــلِّ عـــاهِـــرَهْ
مـــا أَمَـــةٌ تَـــمْـــلِـــكُـــهـــا أو حُـــرَّةٌ بـــطـــاهِـــرَهْ
تِـــجـــارةٌ أَحْـــدَثْـــتَـــهـــا فـــي الـــكَـــشْـــخِ غَـــيْـــرُ بـــائِـــرهْ(1)
لَـــوْ دَخَـــلَـــتْ عَـــفِـــيـــفـــةٌ بَـــيْـــتَـــكَ صـــارَتْ فـــاجِـــرَهْ
حَـــتَّـــى مَـــتَـــى تَـــرْتَـــع فـــي الـــخُـــسْـــرَانِ يـــابْـــنَ الـــخـــاسِـــرَهْ
تَـــجْـــمَـــعُ فـــي بَـــيْـــتِـــكَ بَـــيْـــنَ الـــعِـــرْسِ والـــبَـــرابِـــرَهْ

وقال يهجوه: [مجزوء الرمل]

أَنْـــتَ إنْـــســـانٌ تُـــسَـــمَّـــى دارُهُ دارَ الـــــزَّوانـــــي
قَـــدْ جَـــرَى ذلـــكَ بـــالـــكَـــرْخِ عـــلـــى كُـــلِّ لِـــســـانِ
لَـــكَ فـــي دارِ حِـــرٌ يـــزْنِـــي وفـــي دارِ حِـــرانِ

وقال فيه: [السريع]

تَـفْـرَحُ إن نيـكَـتْ، وإنْ لَـمْ تُـنَـكْ بِتَّ حَزِينَ الـقَـلْـبِ مُـسْـتَـعْـبِـرَا
أَسْـكَـرَكَ الـقَـوْمُ فَـسـاهَـلْـتَـهـم وَكُـنْـتَ سَـهْـلاً قَـبْـلَ أَنْ تَـسْـكَـرا

وقال فيه: [الكامل]

قُلْ لِلشَّقيِّ الجَدِّ غَيْرِ الأَسْعَدِ أَتُحِبُّ أَنَّكَ فقحةُ ابنِ المُقْعَدِ؟(2)
لَوْ لَمْ يَجِدْ شَيْئاً يُسَكِّنُها بِهِ يَوْماً لَسَكَّنَها بِزُبِّ المَسْجِدِ

وقال فيه: [الهزج]

أَبـــا عَـــوْنٍ لَـــقَـــدْ صَـــفَّـــرَ زُوَّارُكَ أُذْنَـــيْـــكَـــا؟
وَعَـــيْـــنـــاكَ تَـــرَى ذاك فـــأَعْـــمَـــى اللهُ عَـــيْـــنَـــيْـــكَـــا

أخبرني حبيب بنُ نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: لما قال حمّاد عجردٍ في بشّار: [الطويل]

نُسِبْتَ إلى بُرْدٍ وَأَنْتَ لِغَيْرِهِ وهَبْكَ لبُرْدٍ نِكْتَ أُمَّكَ مَن بُرْدُ؟

قال بشّار: تهيّأ له عليّ في هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء، قوله «نُسبتَ

(1) البائرة: الكاسدة.
(2) الفقحة: حلقة الدبر.

إلى بُرد» معنًى؛ ثم قوله: «وأنت لغيره» معنًى آخر، ثم قوله: «فهبك لبرد» معنًى ثالث، وقوله: «نكت أمّك» شتمٌ مفرّد، وٱستخفافٌ مجدَّد، وهو معنًى رابع، ثم ختمها بقوله: مَنْ بُرْدُ؟ ولقد طَلَب جرير في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني، ونحا هذا النحوَ، فما تَهَيَّأَ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت، وهو قوله: [الكامل]

لمّا وَضعتُ على الفَرَزْدَقِ مِيْسَمِي ... وضَغَا البَعِيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ

فلم يُدرِك أكثر من هذا.

أخبرني حبيب بنُ نصر قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال أبو عبيدة: ما زال بشّارٌ يهجو حمّاد ولا يرفث[1] في هجائه إيّاه حتى قال حمّاد: [مجزوء الكامل]

مَـنْ كـانَ مِـثْـلَ أبـيـك يـا ... أعْـمَـى أبُـوه فـلا أبـا لَـهْ
أنْـتَ ٱبْـنُ بُـرْدٍ مِـثْـلُ بُـرْ ... دٍ فـي الـنَّـذالـةِ والـرَّذالَـهْ
زَحَـرَتْـك مِـنْ جُـحْـرِ ٱسْـتِـهـا ... فـي الـحُـشِّ خـارِئـةٌ غَـزالَـهْ[2]
مِـنْ حَـيْـثُ يَـخْـرُجُ جَـعْـرُ مُـنْـ ... تِـنـةٍ مُـدَنَّـسـةٍ مُـذالَـهْ[3]
أعْـمَـى كَـسَـتْ عَـيْـنَـيْـهِ مِـنْ ... وذَحِ ٱسْـتِـهـا وَكَـسَـتْ قَـذَالَـهْ[4]
خِـنْـزيـرةٌ بَـظْـراءُ مُـنْـ ... تِـنَـةُ الـبُـداهـةِ والـعُـلالَـهْ[5]
رَسْـحـاءُ خَـضْـراءُ الـمَـفـا ... بِـنِ رِيـحُـهـا رِيـحُ الإهـالَـهْ[6]
عَـذْراءُ حُـبْـلَـى يـا لَـقَـوْ ... مِـي لـلـمَـجَـانـةِ والـضَّـلالـهْ
مَـرَقَـتْ فـصـارتْ قَـحْـبَـةً ... بِـجِـعـالـةٍ وبـلا جِـعَـالَـهْ[7]
وَلَـقَـدْ أقَـلْـتُـكَ يـاٱبْـنَ بُـرْ ... دٍ فـاجْـتَـرَأْتَ فـلا إقـالَـهْ

فلما بلغتْ هذه الأبياتُ بشّاراً أطرق طويلاً، ثم قال: جزى الله ابنَ نِهْيَا خيراً فقيل له: علامَ تَجْزِيه الخيرَ؟ أعلى ما تسمع؟ فقال: نعم، والله لقد كنت أردّ على شيطاني أشياء من هجائه إبقاءً على المودّة، ولقد أطلقَ من لساني ما كان مقيَّداً

(١) يرفث: يصرح بكلام قبيح.
(٢) زحرتك: ولدتك. والحش: البستان، وهو الكنيف لأنهم كانوا يقضون حوائجهم بالحشوش.
(٣) الجعر: ما يبس في الدبر من العذرة. والمذالة: الأمة.
(٤) الوذح: ما تعلق بصوف الغنم من البعر والبول. والقذال: جماع مؤخر الرأس.
(٥) البداهة: أول الجري. والعلالة: الجري بعد الجري.
(٦) رسحاء: قليلة لحم الفخذين والعجز. والإهالة: الشحم والزيت.
(٧) مرقت: خرجت عن عفافها. وقحبة: فاجرة. والجعالة: الأجر.

عنه، وأهدَفني عورةً ممكِنةً منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أمَّ حمَّاد في هجائه إيَّاه، ويذكُرُ أباه أقبحَ ذِكر، حتى ماتت أمُّ حمّاد، فقال فيها يخاطب جاراً لحمّاد:

[الطويل]

أبا حامِدٍ إنْ كُنْتَ تَرزِني فَأَسْعِد وبكَّ جِراً ولَّتْ به أمُّ عَجرَدِ
جِراً كانَ لِلعُزَّابِ سَهْلاً وَلَمْ يَكُنْ أبِيّاً على ذي الزَّوْجةِ المُتَوَدِّدِ
أُصِيبَ زُناةُ القَوْمِ لمَّا تَوَجَّهتْ به أمُّ حمَّادٍ إلى المَضْجَعِ الرَّدي
لَقَدْ كانَ لِلأدْنى وللجارِ والعِدا وَلِلقاعِدِ المُعْتَرِّ والمُتَزَيِّدِ

أخبرنا محمد بنُ الحسن بن دُرَيد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: قال يحيى بن الجَوْن العبدِيّ راويةُ بشَّار: أنشدتُ بشَّاراً يوماً قولَ حمّاد: [الطويل]

ألا قُلْ لِعَبْدِ الله إنَّكَ واحِدُ وَمِثْلُكَ في هذا الزَّمانِ كَثِيرُ
قَطَعْتَ إخائي ظالِماً وَهَجَرْتَني وَلَيْسَ أخي مَنْ في الإخاء يَجُورُ
أُدِيمُ لأَهْلِ الوُدِّ وُدّي، وإنَّني لِمَنْ رامَ هَجْري ظالِماً لَهَجُورُ
وَلَوْ أنَّ بَعْضِي رابَنِي لَقَطَعْتُهُ وإنِّي بِقَطْعِ الرَّائِبِينَ جَدِيرُ[1]
فلا تَحْسَبَنْ مَنْحِي لكَ الوُدَّ خالِصاً لِعِزٍّ ولا أنِّي إلَيْكَ فَقِيرُ
وَدُونَكَ حَظِّي مِنْكَ لَسْتُ أُرِيدُهُ طَوالَ اللَّيالي ما أقامَ ثَبِيرُ

فقال بشَّار: ما قال حمّادٌ شعراً قطُّ هو أشدُّ عليَّ من هذا، قلتُ: كيف ذاك ولم يَهْجُك فيه؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع. قال: لأن هذا شعر جيّد ومِثْلُهُ يُروى، وأنا أَنْفَس[2] عليه أن يقول شعراً جيّداً.

أخبرني علي بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثني هارون بن علي بن يحيى المنجِّم قال: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني محمد بن النطاح قال: كنت شديدَ الحبّ لشعر حمّاد عجرد، فأنشدتُ يوماً أخي بكرَ بن النَّطاح قولَه في بشَّار:

[السريع]

أَسَأْتُ في رَدِّي على ٱبنِ ٱسْتِها إساءةً لَمْ تُبْقِ إحْسانا[3]
فَصارَ إنْساناً بِذِكْري لَهُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ إنْسانا

---

(١) الرائبون: الشاكّون.
(٢) أنفس عليه: أحسده.
(٣) كانت العرب تسمي أبناء الإماء: أبناء أستها.

قَـرَعْـتُ سِـنّـي نَـدَمـاً سـادِمـاً لَـوْ كـانَ يُـغْـنِـي نَـدَمـي الآنـا
يـا ضَـيْـعَـةَ الـشـعْـرِ ويـا سَـوْءَتـا لـي ولأزمـانـيَ أزْمـانـا
مِـنْ بَـعْـدِ شَـتْـمـي الـقِـرْدَ لا والـذي أنْـزَلَ تَـوْراةً وَقُـرْآنـا
مـا أحَـدٌ مِـنْ بَـعْـدِ شَـتْـمِـي لَـهُ أنْـذَلَ مِـنّـي، كـانَ مَـنْ كـانـا

قال: فقال لي: لمن هذا الشعرُ؟ فقلتُ: لحمّاد عجردٍ في بشَّار، فأنشأ يتمثَّل بقول الشاعر: [الرمل]

مـا يَـضُـرُّ الـبَـحْـرَ أمْـسَـى زاخِـراً أنْ رَمَـى فِـيـهِ غُـلامٌ بِـحَـجَـرْ

ثم قال: يا أخي، إنْسَ هذا الشعر فنسيانه أزينُ بك، والخَرَسُ كان أسترَ على قائله.

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثني هرون بن يحيى قال: حدّثني عليّ بنُ مهديّ قال: أجمَعَ العلماءُ بالبصرة أنه ليس في هجاء حمّاد عجردٍ لبشَّارٍ شيءٌ جيِّد إلا أربعين بيتاً معدودةً، ولبشَّار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيِّد، قال: وكلّ واحد منهما هو الذي هَتَك صاحبَه بالزَّنْدَقَةِ وأظهَرَها عليه، وكانا يجتمعان عليها، فسقط حمّاد عجردٍ وتهتَّك بفضل بلاغة بشَّار وجَوْدة معانيه، وبقي بشَّارٌ على حاله لم يسقط، وعُرِف مذهبه في الزندقة فقُتِلَ به.

أخبرني محمد بنُ العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي الفضلُ عن إسحاق الموصليّ أنّ مجاشع بن مسعدة أخا عَمرو بن مسعدة هجا حمّاد عجردٍ وهو صبيٌّ حينئذٍ ليرتفع بهجائه حماداً، فتركه حمّاد وشبَّب بأمه، فقال:

راعَـتْـكَ أمُّ مُـجـاشِـعِ بـالـصَّـدِّ بَـعْـدَ وِصـالِـهـا[1]
وآسْـتَـبْـدَلَـتْ بِـكَ والـبَـلا ءُ عـلـيـك فـي آسْـتِـبْـدالِـهـا
جِـنِّـيَّـةٌ مِـنْ بَـرْبَـرٍ مَـشْـهـورةٌ بِـجَـمـالِـهـا
فَـحَـرامُـهـا أشْـهَـى لـنـا ولَـهـا مِـنِ آسْـتِـحْـلالِـهـا

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة، فبعث إلى حماد بصلة، وسأله الصفحَ عن أخيه، ونال أخاه بكلِّ مكروه، وقال له: ثكلتْكَ أمُّك، أتتعرض لحمّاد وهو يناقِف[2] بشَّاراً ويقاومهُ، والله لو قاومتَه لما كان لك في ذلك فخر، ولئن تعرَّضت

(١) الصدّ: الهجران.
(٢) ناقفه: هنا ضاربه بالشعر.

له ليهتِكَنَّك وسائر أهلك، وليفضحَنّا فضيحةً لا نغسلها أبداً عنّا.

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال: حدثني أبو عليّ بن عمّار قال: كان حمّاد عجردٍ عند أبي عمرو بن العلاء، وكانت لأبي عَمرو جاريةٌ يقال لها مَنِيعة، وكانت رسحاء عظيمةَ البَطْن، وكانت تَسخَر بحمّاد، فقال حمّاد لأبي عمرو: أغن عنّي[1] جاريتَك فإنَّها حَمْقاء، وقد آستغلقت[2] لي، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد: [الخفيف]

لَوْ تَأتّى لَكِ التَّحَوُّلُ حَتّى ... تَجعلِي خَلْفَكِ اللَّطيفَ أماما
وَيَكُون القُدّامُ ذو الخِلْقَةِ الجَزْ ... لةِ خَلْفاً مُؤَثَّلاً مُسْتَكاما[3]
لَإذاً كُنْتِ يا مَنِيعةُ خَيْرَ الـ ... نّاسِ خَلْفاً وَخَيْرَهُمْ قُدّاما

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال: حدثني الحسن بن عُمارة قال: نزل حمّاد عجرد على محمد بن طلحة، فأبطأ عليه بالطعام، فاشتد جوعه، فقال فيه حمّاد: [السريع]

زُرْتُ آمْرأً في بَيْتِهِ مَرَّةً ... لَهُ حَياءٌ وَلَهُ خِيرُ
يَكْرُه أنْ يُتخِمَ أضيافَهُ ... إنَّ أذَى التُّخْمَةِ مَحْذورُ
وَيَشْتَهِي أنْ يؤجَرُوا عِنْدَهُ ... بالصَّوم والصّالِحُ مَأجورُ

قال: فلما سمعها محمد قال له: عليك لعنة الله، أي شيء حملك على هجائي، وإنما انتظرتُ أن يُفرغَ لك من الطعام؟ قال: الجوع وحياتِك حملَني عليه، وإن زدتَ في الإبطاء زدتُ في القول، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة.

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزهر قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حفص بن أبي وَزّة صديقاً لحمّاد عجرد، وكان حفص مرمياً بالزّندقة، وكان أعمشَ أفطسَ أغضفَ[4] مقبّح الوجه، فاجتمعوا يوماً على شراب، وجعلوا يتحدّثون ويتناشدون، فأخذ حفص بن أبي وَزّة يطعن

(١) أغنها عني: اصرفها عني وكفّها.
(٢) استغلقت لي: لم أستطع ردّها.
(٣) المؤثل: المجتمع. المستكام: اسم مفعول من استكام الرجل المرأة إذا واقعها.
(٤) الأغضف: المسترخي الأذنين.

على مرقِّش ويعيب شعرَه ويلحّنه[١]، فقال له حمّاد: [الطويل]

لَقَدْ كانَ في عَيْنَيْكَ يا حَفْصُ شاغِلٌ وَأَنْفٌ كَثِيلِ العَوْدِ عمّا تَتَبَّعُ[٢]
تَتَبَّعُ لَحْناً في كَلامِ مُرَقِّشٍ وَوَجْهُكَ مَبْنِيٌّ على اللَّحْنِ أَجْمَعُ
فأُذْناكَ إقْواءٌ وأَنْفُكَ مُكْفَأٌ وَعَيْناكَ إيطاءٌ فأَنْتَ المُرَقَّعُ[٣]

أخبرني عمّي قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أبو دِعَامَة عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال: رأى حمَّاد عجردٍ على بعض الكُتّاب جُبَّة خزٍّ دَكناء[٤] فكتب إليه: [الخفيف]

إنَّني عاشِقٌ لِجُبَّتِكَ الدَّكْـ ـناءِ عِشْقاً قَدْ هاجَ لي أَطْرابي
فَبِحَقِّ الأَميرِ إلا أَتَتْني في سِراحٍ مَقْرُونَةً بالجَوابِ[٥]
ولَكَ اللهُ والأمانَةُ أَنْ أَجْـ ـعَلَها أَشْهُراً أَميرَ ثِيابي

فوجه إليه بها، وقال للرسول: قل له وأيّ شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك؟ وأيّ شيء عليّ من الضرر في غير ذلك من فِعْلِكَ، لو جعلتَ مكانَ هذا مدحاً لكان أحسن، ولكنَّك رَذَّلْت لنا شعرك فاحتملناك.

[عتابه مطيع بن إياس]

أخبرني أحمد بن العبَّاس العسكريّ والحسن بن عليّ الخَفَّاف، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العَنَزِيّ عن عليّ بن منصور قال: مرض حمّاد عجردٍ فلم يَعُدْه مطيع بن إياس، فكتب إليه: [الوافر]

كَفاكَ عِيادَتي مَنْ كانَ يَرْجو ثَوابَ اللهِ في صِلَةِ المَريضِ
فإنْ تُحْدِثْ لَكَ الأَيّامُ سُقْماً يَحُولُ جَرِيضُهُ دُونَ القَرِيضِ[٦]
يَكُنْ طُولَ التَّأَوُّهِ مِنْكَ عِنْدي بِمَنْزِلَةِ الطَّنينِ مِنَ البَعُوضِ

أخبرني عمّي قال: حدَّثنا ابن أبي سعد، قال: زعم أبو دِعامَة أن التَّيحان بن

(١) لَحّنه: عابه باللحن في الكلام.
(٢) الثيل: القضيب. والعود: المسن من الإبل.
(٣) استعمل الشاعر في البيت عيوب القافية في العروض.
(٤) دكناء: سوداء قاتمة.
(٥) السراح: السهولة.
(٦) الجريض: ابتلاع الريق بجهد ومشقّة من حزن وهم.

أبي التَّيَّحان قال: كنت عند حمَّاد عجردٍ فأتاه والِبة بن الحباب، فقال له: ما صنعت في حاجتي؟ فقال: ما صنعت شيئاً، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى عليَّ: [مجزوء الكامل]

عُثْمانُ ما كانَتْ عِدا ... تُكَ بالعِداتِ الكاذِبَهْ
فَعَلامَ يا ذا المَكْرُما ... تِ وذا الغُيوثِ الصَّائِبَهْ
أخَّرْتَ وهيَ يَسيرةٌ ... في الرُّزْءِ حاجةَ والِبَهْ؟
فأبُو أُسامةَ حَقُّهُ ... أحَدُ الحُقوقِ الواجِبَهْ
فاسْتَحْيِ مِنْ تَرْدادِهِ ... في حاجةٍ مُتَقارِبَهْ
لَيْسَتْ بِكاذِبَةٍ، وَلَوْ ... واللهِ كانَتْ كاذِبَهْ
فَقَضَيْتَها أحْمَدْتَ غِبْـ ... ـبَ قَضائِها في العاقِبَهْ
إنِّي وما رَأيي بِعا ... دِمِ عاتِبٍ أو عاتِبَهْ
لأرى لِمِثْلِكَ كُلَّما ... نابَتْ عَلَيْهِ نائِبَهْ
ألاَّ يَرُدَّ يَدَ امْرِئٍ ... بُسِطَتْ إلَيْهِ خائِبَهْ

قال: فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له: ما صنعتَ؟ فقال: قَضَى حاجتي وزاد.

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن الزبالي قال بلغ حمَّاد عجردٍ أنّ المفضّل بنَ بلالٍ أعانَ بشَّاراً عليه وقدَّمه وقرَّظه، فقال فيه:

[الخفيف]

عَجَباً لِلمُفَضَّلِ بن بلالٍ ... ما لَهُ يا أبا الزُّبَيْرِ وما لي
عَرَبِيٌّ لا شَكَّ فيهِ ولا مِرْ ... يةَ ما بالُهُ وبالُ الموالي

قال: وأبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بنُ الزبير، وكان قُبَيْس ويونُس بنُ أبي فَروة كاتبُ عيسى بن موسى صديقَين له، وكانوا جميعاً زنادقة، وفي يونس يقول حمّاد عجردٍ وقد قَدِم من غَيبة كان غابها: [مجزوء الرمل]

كَيْفَ بَعْدي كُنْتَ يا يو ... نُسُ لا زِلْتَ بِخَيْرِ
وَبِغَيْرِ الخَيْرِ لا زا ... لَ قُبَيْسُ بنُ الزُّبَيْرِ
أنْتَ مَطْبوعٌ على ما ... شِئْتَ مِنْ خَيْرٍ ومَيْرِ[1]
وَهوَ إنْسانٌ شَبيهٌ ... بِكُسَيْرٍ وعُوَيْرِ

(١) المير: الطعام.

رَغْمُهُ أَهْوَنُ عِنْدَ النَّـ ـاسِ مِنْ ضَرْطَةِ عَيْرِ[1]

أخبرني عليّ بنُ سليمانَ الأخفش ووَكيع قالا: حدّثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيديّ قال: حدّثني إسحاق المَوْصِليّ عن السَّكوني قال: ذَكر محمدُ بنُ سنان أنّ حمّادَ عجردٍ حضر جاريةً مغنّية يقال لها سُعاد ـ وكان مولاها ظريفاً ـ ومعه مطيع بنُ إياس، فقال مطيع: [الخفيف]

قَبِّلِيني سُعادُ بالله قُبْلَهْ وأَسْأَلِيني لها فَدَيْتك نِحلهْ[2]
فَوَرَبِّ السَّماءِ لو قُلْتِ لي صَلِّ لِوَجْهي جَعَلْتُهُ الدَّهْرَ قِبْلَهْ

فقالت لحمّاد: اكفِنِيه يا عمّ، فقال حمّاد:

إنّ لي صاحِباً سِواكَ وَفِيّاً لا مَلُولاً لنا كما أنْتَ مَلّهْ
لا يُباعُ التَّقْبِيلُ بَيْعاً ولا يُشْـ ـرَى فلا تَجْعَلِ التَّعَشُّقَ عِلَّهْ

فقال مطيع: يا حمّاد، هذا هجاء، وقد تعدّيتَ وتعرَّضتَ، ولَم تأمرْك بهذا؛ فقالت الجارية ـ وكانت بارِعة ظريفة ـ: أَجَل؛ ما أردنا هذا كلّه، فقال حماد:

[الخفيف]

أنا واللهِ أشْتَهِي مِثْلَها مِنْـ ـكِ بِنُحْلٍ، والنُّحْلُ في ذاكَ حِلَّهْ[3]
فَأجِيبي وَأَنْعِمي وخُذي البَذْ لَ وَأطْفِي بِقُبْلَةٍ مِنْكِ غُلَّهْ

فرضيَ مطيع، وخجلت الجارية، وقالت: اكفِياني شرّكما اليوم، وخُذا فيما جئتُما له.

أخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال: حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ، عن مصعب الزبيريّ عن أبي يعقوب الخُرَيمي قال: أهدى مطيعُ بنُ إياس إلى حمّاد عجرد غلاماً وكتب إليه: قد بعثتُ إليك بغلام تتعلّم عليه كَظْمَ الغيظ.

أخبرني وكيع قال: حدّثنا أبو أيوبَ المدينيّ قال: ذكر محمدُ بنُ سِنانٍ أنّ مطيع بن إياس خرج هو وحمّاد عجردٍ ويحيى بن زياد في سفر، فلمّا نزلوا في بعض القرى عُرِفوا، ففرِّغ لهم منزل، وأُتُوا بطعامٍ وشراب وغناء، فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار، إذ أشرفتْ بنتُ دِهْقان مِن سطح لها بوجه مشرق

(١) العَيْر: الحمار الوحشيّ.
(٢) النحلة: العطية.
(٣) النحل: العطاء. والحِلّة: الحلال.

رائق، فقال مطيع لحماد: ما عِندَك؟ فقال حماد: «خذ فيما شئت» فقال مطيع: [الهزج]

ألا يـا بـأبـي الـنَّـاظِـ ـرِ مِـنْ بَـيْـنِـهِـمُ نَـحْـوي

فقال حمّاد عجرد: [الهزج]

ألا يـا لَـيْـتَ فَـوْقَ الـحَـقْـ ـوِ مِـنْـهـا لاصِـقـاً حَـقْـوِي[1]

فقال مطيع: [الهزج]

وأنّ الـبُـضْـعَ يَـا حـمّـا دُ مِـنْـهـا شَـوْبُـك الـمُـرْوِي[2]

فقال يحيى بن زياد: [الهزج]

ويـا سَـقْـيـاً لِـسَـطْـحٍ أشْـ ـرَقَـتْ مِـنْ بَـيْـنِـهِـمْ حَـذْوِي[3]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا حماد بنُ إسحاقَ عن أبيه: أن حمّادَ عجردٍ قال في جوهر جاريةِ أبي عَوْن ـ قال: وفيه غناء:

صوت

[مجزوء الكامل]

إنِّـي أحِـبُّـكِ فَـاعْـلَـمـي إنْ لَـمْ تَـكُـونـي تَـعْـلَـمِـيـنَـا

حُـبّـاً أقَـلُّ قَـلِـيـلِـهِ كَـجَـمِـيـعِ حُـبِّ الـعـالَـمِـيـنَـا

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حمّاد عَجْردٍ صديقاً لأبي خالد الأحوَل أبي أحمد بن أبي خالد، فأراد الخروج إلى واسِط، وأرادَ وداعَ أبي خالد، فلما جاءه لذلك حَجَبَه الغلام وقال له: هو مشغول في هذا الوقت، فكتب إليه يقول: [المتقارب]

عَـلَـيْـكَ الـسَّـلامُ أبـا خـالِـدٍ ومـا لِـلْـوَداعِ ذَكَـرْتُ الـسَّـلامَـا

وَلٰـكِـنْ تَـحِـيَّـةُ مُـسْـتَـطْـرِبٍ يُـحِـبُّـك حُـبَّ الـغَـوِيِّ الـمُـدامـا[4]

أَرَدْتُ الـشُّـخُـوصَ إلـى واسِـطٍ وَلَـسْـتُ أطِـيـلُ هـنـاك الـمُـقـامـا

---

(١) الحقو: الخصر.

(٢) الشوب: العسل.

(٣) حذوي: مقابلي، إزائي.

(٤) المدام: الخمر.

فَإِنْ كُنْتَ مُكْتَفِياً بالكِتا ... بِ دُونَ اللِّمام تَركْتُ اللِّماما(١)
وَإِلاَّ فَأَوْصِ هَدَاكَ المَلِيـ ... ـكُ بوَّابَكم بي وَأَوْصِ الغُلاما
فَإِنْ جِئْتُ أُدْخِلْتُ في الدَّاخِلِيـ ... ـن إمَّا قُعوداً وإمَّا قِياما
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ أَهْلاً لِذاكَ ... فَلا لَوْمَ لَسْتُ أُحِبُّ المَلاما
لأنّي أَذُمُّ إلَيْكَ الأَنا ... مَ أَخْزاهُمُ الله طُرّاً أَناما(٢)
فَإِنّي وَجَدْتُهُمُ كُلَّهُمْ ... يُمِيتُونَ حَمْداً ويُحيُون ذاما(٣)
سِوى عُصْبَةٍ لَسْتُ أَعْنِيهِمُ ... كِرامٍ فَإِنّي أُحِبُّ الكِراما
وأَقْلِلْ عَدِيدَهُمُ إنْ عَدَدْتَ ... فَما أَكْثَرَ الأَرْذَلِينَ اللِّئاما

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال: قال ابن عبد الأعلى الشيبانيّ: حضر حمّاد عجردٍ ومطيعُ بنُ إياس مجلسَ محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العباس، فتَمَازَحا، فقال حماد:

يا مُطِيعٌ يا مُطيعُ ... أَنْتَ إنْسانٌ رَقِيعُ
وَعَنِ الخَيْرِ بَطِيءٌ ... وإلى الشَّرِّ سَرِيعُ

فقال مطيع: [مجزوء الرمل]

إنَّ حَمّاداً لَئِيمُ ... سِفْلَةُ الأَصْلِ عَدِيمُ
لا تَراهُ الدَّهْرَ إلاَّ ... بِهَنِ العَيْرِ يَهِيمُ

فقال له حماد: ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراهتي لِتَمادي الشرّ ولِجَاج الهجاء لقلتُ لك قولاً يَبقَى، ولكنّي لا أُفسد مودّتك، ولا أُكافئك إلاّ بالمديح، ثم قال: [مجزوء الرمل]

كُلُّ شَيْءٍ لي فِداءٌ ... لِمُطِيعِ بنِ إياسِ
رَجُلٌ مُسْتَمْلَحٌ في ... كُلِّ لِينٍ وشِماسِ(٤)
عِدْلُ رُوحي بَيْنَ جَنْـ ... ـبَيَّ وَعَيْنَيَّ بِراسي(٥)

(١) اللمام: الزيارة القصيرة.
(٢) طرّاً: جميعاً.
(٣) الذام: الشين والعيب.
(٤) الشماس: النفور وعسر الصحبة، والإباء.
(٥) العِدْل: النظير.

غَرَسَ اللهُ لَهُ في كَبِدي أَحْلَى غِراسِ
لَسْتُ دَهْري لِمُطيعٍ بـ ـنِ إِياسٍ ذا تَناسِ
ذاكَ إِنْسانٌ لَهُ فَضْـ ـلٌ على كُلِّ أُناسِ
فإذا ما الكَأْسُ دارَتْ وأْحْتَساها مَنْ أُحاسي[1]
كانَ ذِكْراناً مُطيعاً عِنْدَها رَيْحانَ كاسي

[هجاؤه عيسى بن عمرو]

أخبرني أحمد بنُ العبّاس العسكريّ ومحمد بنُ عمرانَ الصَّيْرفيّ قالا: حدّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثنا التَّوزيّ قال: كان عيسى بنُ عمرو بن يزيدَ صديقاً لحمّاد عَجْرد، وكان يواصله أيّامَ خدمته للربيع، فلمّا طرده الربيع واْختلّت حالُه جفاه عيسى، وإنما كان يصله لحوائجَ يَسأل له الربيعَ فيها، فقال حمّاد عجرد فيه: [الرمل]

أَوْصَلُ النّاسِ إذا كانَتْ لَهُ حاجةٌ عِيسَى وَأَقْضاهُمْ لِحَقْ
ولِعيسى إنْ أَتَى في حاجةٍ مَلَقٌ يُنْسى بِهِ كُلّ مَلَقْ
فَإِنِ اسْتَغْنَى فَما يَعدِلُهُ نَخْوةٌ كِسرَى على بَعْض السُّوَقْ
إنْ تَكُنْ كُنْتَ بِعيسى واثِقاً فَبِهذا الخُلْقِ مِنْ عِيسَى فثِقْ

قال العَنَزيّ: وأنشدني بعضُ أصحابنا لحمّاد في عيسى بن عمرو أيضاً: [الكامل]

كَمْ مِنْ أَخٍ لَسْتَ تُنْكِرُهُ ما دُمْتَ مِنْ دُنْياكَ في يُسُرِ
مُتَصَنِّعٍ لَكَ في مَوَدَّتِهِ يَلْقاكَ بِالتَّرحِيبِ والبِشْرِ
يُطرِي الوَفاءَ وذا الوَفاءِ ويَلْـ ـحَى الغَدْرَ مُجْتَهِداً وذا الغَدْرِ
فإذا عَدَا والدَّهْرُ ذو غِيَرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَاْرْفُضْ بِإِجْمالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَقلي المُقِلَّ ويَعشَقُ المُثْري[2]
وَعَلَيْكَ مَنْ حالاهُ واحِدَةٌ في العُسْرِ إمّا كُنْتَ واليُسرِ
لا تَخْلُطَنَّهُمُ بِغَيْرِهِمُ مَنْ يَخْلُطُ العِقْيانَ بالصُّفْرِ

(١) احتسى الكأس: شربها.

(٢) المقل: الفقير. والمثري: الغني.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: حدثني ٱبن أبي فَنَن قال: حدثني العتّابي، وأخبرني عمّي عن أحمدَ بن أبي طاهر قال: قال العتّابي: وحديث ٱبن أبي طاهر أتمّ، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعِثَة يقال له حُشَيش وكانت أمّه حارثيّة، فمدحه حمّاد عجردٍ فلم يُثِبه، وتَهاوَن به، فقال يهجوه: [مجزوء الرمل]

يا لَقَومي لِلْبَلاءِ ... ومَعاريضِ الشَّقاءِ
قَسَمَتْ ألوِيةٌ بَيْـ ... نَ رِجالٍ ونِساءِ
ظَفِرَتْ أختُ بَني الحا ... رِثِ مِنْها بِلِواءِ
حادِثٌ في الأرْضِ يَرْتا ... عُ لَهُ أهْلُ السَّماءِ

قال: فعُرِضتْ أسماء العمّال على المنصور فكان فيها ٱسم حُشيش، فقال: أهو الّذي يقول فيه الشاعر: [مجزوء الرمل]

يا لَقَومي لِلْبَلاءِ ... ومَعارِيضِ الشَّقاءِ؟

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر، ولم يستعمله. قال: وقال حمّاد فيه أيضاً يخاطب سعيدَ بنَ الأسود ويعاتبه على صحبة حُشَيش وعِشرته: [مجزوء الرمل]

صِرْتَ بَعْدي يا سَعِيدُ ... مِنْ أخِلاَّءِ حُشَيْش
أتَلَوَّطْتَ أم اسْتَخْـ ... لِفْتَ بَعْدِي أم لأيش[1]
خَلَقِيٌّ اسْتُهُ أوْ ... سعُ مِن اسْتِ بُحَيْش
ثُمَّ بَغّاءٌ على ذا ... أبْلَغُ النَّاسِ لِفَيْش[2]
يا بَني الأشْعَثِ ما عَيْـ ... شُكُم عِندي بِعَيْش
حِينَ لا يُوجَدُ مِنكُمْ ... غَيْرَهُ قائِدُ جَيْش

قال: وكان بُحَيْش هذا رجلاً من أهل البَصْرة لم يكن بينه وبين حمّاد شيء، فلمّا بلغه هذا الشعرُ وَفَد من البَصرة إلى حمّاد قاصداً، وقال له: يا هذا، ما لي ولك، وما ذنبي إليك؟ قال: ومَن أنت؟ قال: أنا بُحَيْش، أما وجدتَ أحداً أوسعَ

---

(١) العقيان: الذهب. والصفر: النحاس الأصفر.

(٢) تلوّط: عمل عمل قوم لوط.

(٣) الفيش: جمع فيشة وهي رأس الذكر.

دُبُراً منّي يُتمثّل به؟ فضحك ثم قال: هذه بليّة صبّتها عليك القافية، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله.

[هجاؤه أبا عون]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بنُ الحسن بن الحَرون. قال: كان حماد عجرد يعاشر أبا عَوْن جدَّ ٱبن أبي عون العابد، وكان ينزل الكرخ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدِّث الناسَ أنه يهوى جاريةً يقال لها جوهر، فحجبه وجفاه واطّرحه، فقال يهجو أبا عون: [الهزج]

أبا عَوْنٍ لَحَاكَ اللّـ ـهُ - يا عُرَّةُ - إنسانا[1]
فَقَدْ أَصْبَحْتَ في النّاسِ إذا سُمِّيتَ كَشْخانا[2]
بَنَيْتَ اليَوْمَ في الكَشْخ لأهْلِ الكَرْخِ بُنْيانا
وَشَرَّفْتَ لَهُم في ذا لنا أَبْواباً وحِيطانا
وَأُلْفِيتَ على ذاكَ مِنَ الفُسّاقِ أعْوانا
ومُجّاناً ولَنْ تَغْدَ مَ مَنْ يَمْجُن مُجّانا
فَأَخْزَى اللهُ مَنْ كُنْتَ أخاهُ كانَ مَنْ كانا
ولازِلْتَ ولا زالَ بِأَخْلاقِكَ خَزْيانا
وعُرْياناً كما أصْبَحْـ ـتَ مِنْ دِينِكَ عُرْيانا

وقال فيه أيضاً: [مجزوء الرجز]

إنَّ أبا عَوْن ولا أَقُولُ فِيهِ كَذِبا
غاوٍ أتى مَدِينَةً فَسَنَّ فِيها عَجَبا
إخوانُهُ قد جَعَلُوا أُمَّ بَنِيهِ مَرْكَبا
واتّخَذوا جَوْهَرَةً مِبْوَلَةً ومَلْعَبا
إن نكْتَها أَرْضَيْتَهُ أوْ لَمْ تَنِكْها غَضِبا
أحبُّهمْ إليهِ مَنْ أدْخَلَ فِيها ذَنَبا
ومَنْ إذا ما لَمْ يَنِكْ جَرَّ إليها جَلَبا

(١) العُرّة: الجرب.
(٢) الكشخان: الديوث.

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا الغلاّبيّ عن مهديّ بن سابق قال: أستعمل محمد بن أبي العبّاس وهو يَلي البَصرة غَيلانَ جدَّ عبد الصَّمد بن المعَذَّل على بعض أعشار البصرة، وظهرَ منه على خيانة، فعزَله، وأخَذ ما خانه فيه، فقال حمّاد عجردٍ يهجوه: [الكامل]

ظَـهَـرَ الأمِـيـرُ عَـلَـيْـكَ يـا غَـيْـلانُ ... إذْ خُـنْـتَـهُ إنَّ الأمِـيـرَ مُـعَـانُ
أمَعَ الـدَّمـامـةِ قَـدْ جَـمَـعْـتَ خِـيـانَـةً ... قُـبْـحَ الـلَّـئِـيـمُ الـفـاجِـرُ الـخَـوَّانُ[1]

[متفرقات من شعره]

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامة قال: أنشد بشّارٌ قولَ حمّاد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بِشر:

صوت

[الطويل]

أخي كُفَّ عَنْ لَوْمي فإنَّك لا تَدْرِي ... بِما فَعَلَ الحُبُّ المُبَرِّحُ في صَدْري
أخـي أنْـتَ تَـلْـحـانـي وقَـلْـبُـكَ فـارِغٌ ... وقَلْبِيَ مَشْغُولُ الجَوانِحِ بالفِكرِ
أخِـي إنَّ دائِـي لَـيْـسَ عِـنْـدي دَواؤهُ ... ولـكنْ دَوائي عِنْدَ قَلْبِ أبي بِشْرِ[2]
دَوائـي ودَائـي عِـنْـدَ مَـنْ لَـوْ رَأَيْـتَـهُ ... يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ لأقْصَرْتَ عَنْ زَجْري
فَأُقْسِمُ لَوْ أصْبَحْتَ في لَوْعَةِ الهَوَى ... لأقْصَرْت عَنْ لَوْمي وَأطْنَبْتَ في عُذْري[3]
ولـكـنْ بَـلائـي مِـنْـكَ أنّـكَ نـاصِـحٌ ... وأنَّـكَ لا تَـدْري بـأنَّـكَ لا تَـدْري

فطرِب بشّار ثم قال: وَيْلَكم، أحسنَ والله، مَن هذا؟ قالوا: حمّاد عجرد، قال: أوَّه، وَكَلْتُمُوني والله بقيَّةَ يومي بهَمٍّ طويل، والله لا أطعَم بقيَّةَ يومي طعاماً ولأصوم غمّاً بما يقول النَّبَطيّ أبنُ الزانيةِ مثل هذا.

في الأول والثاني من هذه الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ذكر الهشاميُّ أنه لعَطرّد.

أنشدَني جَحظة، عن حمّاد بن إسحاقَ، عن أبيه لحمّاد عجرِدٍ:

---

(١) الدمامة: القبح.
(٢) أبو بشر: كنية الغلام الذي كان يهواه.
(٣) أطنبت: بالغت وأكثرت.

[مجزوء الوافر]

خَلِيلِي لا يَفِي أَبَداً يُمَنِّينِي غَداً فَغَدا
وَبَعْدَ غَدٍ وبَعْدَ غَدٍ كَذا لا يَنْقَضِي أَبَدا
لَهُ جَمْرٌ على كَبِدي إذا حَرَّكْتَهُ اتَّقَدا

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمر بنُ شَبَّة قال: حدّثنا الزّباليّ قال: كان المهديّ سأل أباه أن يولّي يحيى بن زياد عملاً، فلم يجبه، وقال: هو خليعٌ متخرِّق في النفقة ماجن، فقال: إنه قد تاب وأناب، وتضمَّنَ عنه ما يُحبّ، فولّاه بعض أعمال الأهواز، فقصَدَه حمّاد عجردٍ إليها، وقال فيه: [المتقارب]

فَمَنْ كانَ يَسْأَلُ أَيْنَ الفَعالُ فَعِنْدي شِفاءٌ لِذا الباحِثِ
مَحَلُّ النَّدى وفَعالُ النُّهى وَبَيْتُ العُلا في بَنِي الحارِثِ
حَلَلْن بِيَحْيَى فَحالَفْنَهُ حَياءً مِنَ الباعِثِ الوارِثِ
فَلا تَعْدِلَنَّ إلى غَيْرِهِ لِعاجِلِ أَمْرٍ ولا رائِثِ[1]
فَإِنَّ لَدَيْهِ بِلا مِنَّةٍ عَطاءَ المُرَحِّلِ والماكِثِ

قال: وقال فيه أيضاً:

يَحْيَى امْرُؤٌ زَيَّنَهُ رَبُّهُ بِفِعْلِهِ الأَقْدَمِ والأَحْدَثِ
إِنْ قالَ لَمْ يَكْذِبْ، وإنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ، وإنْ عاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
أَصْبَحَ في أَخْلاقِهِ كُلِّها مُوَكَّلاً بِالأَسْهَلِ الأَدْمَثِ[2]
طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْها جَرَى في خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
ورَّثَهُ ذاكَ أَبُوهُ فَيا طِيبَ نَثا الوارِثِ والمُورِثِ[3]

فوصله يحيى بصلة سنيّة وحَمَله وكساه، وأقام عنده مدّةً ثم انصرف.

أخبرني عمّي قال: حدثني الكُراني عن النضر بن عمرو قال: وليَ عيسى بنُ عَمرو إمارةَ البصرة من قِبَل محمد بن أبي العبّاس السفّاح لمّا خرج عنها عليلاً، فقال له حمّاد عجرد: [الخفيف]

قُلْ لِعِيسى الأَميرِ عِيسى بنِ عَمرٍو ذِي المَساعي العِظَامِ في قَحْطانِ

(١) الرائث: البطيء.
(٢) الأدمث: الألين.
(٣) النثا: الحديث عن إنسان مدحاً أو قدحاً.

والبناءِ العالي الَّذي طالَ حتَّى قَصُرَتْ دونَهُ يَدا كُلِّ بانِ
يابنَ عَمْرٍو عَمْرِو المَكارمِ والتَّقْـ ـوَى وعَمْرِو النَّدَى وعَمْرِو الطِّعانِ
لَكَ جارٌ بالمِصْرِ لَمْ يَجْعَلِ اللـ ـهُ لَهُ مِنْكَ حُرْمَةَ الجيرانِ
لا يُصَلِّي ولا يَصومُ ولا يَقْـ ـرأُ حَرْفاً مِنْ مُحْكَمِ القُرآنِ
إنَّما مَعدِنُ الزُّناةِ مِنَ السِّفْـ ـلةِ في بَيتِهِ ومأوَى الزَّواني[1]
وهو خِدنُ الصِّبيانِ وهو ابنُ سَبْعيـ ـنَ، فماذا يَهْوَى مِنَ الصِّبيانِ[2]
طَهِّرِ المِصْرَ مِنْهُ يا أيُّها المَوْ لى المُسَمَّى بالعَدْلِ والإحْسانِ
وَتَقَرَّبْ بِذاكَ فِيهِ إلى اللـ ـهِ تفُزْ مِنْهُ فَوْزَ أهْلِ الجِنانِ
يابنَ بُرْدٍ إخسَأْ إليكَ فَمِثْلُ الـ ـكَلْبِ في النَّاسِ أنْتَ لا الإنْسانِ
ولَعَمْري لأنْتَ شَرٌّ مِنَ الكَلْـ ـبِ وأَوْلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوانِ

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال: حدّثني محمد بنُ صالح الجَبُلِيّ قال: كان حمّاد عجردٍ قد مدح يَقْطِيناً فلم يُثبه، فقال يهجوه: [السريع]

مَتَى أرَى فيما أرَى دَوْلَةً يَعِزُّ فيها ناصِرُ الدِّينِ
مَيْمُونَةً مَجْدُها رَبُّها بِصادِقِ النِّيَّةِ مَيْمُونِ
تَرُدُّ يَقْطِيناً وَأشْياعَهُ مِنْها إلى أبْزارِ يَقْطِينِ

قال: وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخُراسانَ حائكاً.

قال: ومرّ يوماً بيونسَ بن فَروةَ الذي كان الربيع يزعم أنه ابنُه، فلَم يَهَشَّ له كما عوّده، فقال يَهجوه: [الكامل]

أمّا ابْنُ فَرْوَةَ يونسٌ فَكأنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ ابْنٌ للإمامِ القائِمِ

وقال فيه: [الكامل]

وَلَقَدْ رَضِيتَ بِعُصْبَةٍ آخَيْتَهُمْ وإخاؤُهُمْ لَكَ بالمَعَرَّةِ لازِمُ[3]
فَعَلِمْتُ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دِخْلَةً أنّي لِعِرْضِي في إخائِكَ ظالِمُ[4]

(١) الزواني: جمع زانية، وهي العاهرة.
(٢) الخدن: الصديق.
(٣) المعرّة: الإثم، والمساءة.
(٤) الدِّخلة: البطانة.

أخبرني عمّي قال: حدَّثني المغيرة بنُ محمد المهلَّبيّ قال: حدّثني أبو مُعاذ النُّميريُّ أن بشّاراً وُلد له ابنٌ، فلمّا وُلد قال فيه حمَّاد عجرد: [مجزوء الكامل]

سائِلْ أُمامَةَ يابْنَ بُرْ دٍ مَن أبو هذا الغلام؟
أمِنَ الحَلالِ أتَتْ بِهِ أم مِن مقارَفَةِ الحَرامِ
فَلَتُخْبِرَنَّكَ أنَّهُ بَيْنَ العِراقِي والشّآمِي
وَالآخَرِ الرُّومِيّ والنَّـ ـبَطِيِّ أيضاً وابْنِ حامِ
أجَعَلْتَ عِرسَكَ شِقْوَةً غَرَضاً لأسْهُمِ كُلِّ رامِ

أخبرني أحمد بنُ العبّاس العسكريُّ قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثني مسعود بنُ بشر قال: مرّ حمّاد عجردٍ بقصرِ شِيرينَ، فاستَظلَّ من الحرّ بين سِدْرَتين[1] كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغنّي في شعر مطيع بن إياس:

[الخفيف]

أسعداني يا نَخْلَتَيْ حُلْوانِ وأرْثِيا لي مِن رَيْبِ هذا الزّمانِ
أسعِداني وأيقِنا أنَّ نَحْساً سَوْفَ يَلْقاكُما فَتَفْتَرِقانِ

فقال حمّاد عجرد: [الخفيف]

جَعَلَ اللهُ سِدْرَتَيْ قَصْرِ شِيرِيـ ـنَ فداءً لِنَخْلَتَيْ حُلْوانِ
جِئْتُ مُسْتَسْعِداً فلم يُسْعِداني وَمُطِيعٌ بَكَتْ لَهُ النَّخْلَتانِ[2]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن أبيه، عن إسحاق، عن محمد بن الفضل السَّكوني قال: كان محمد بن أبي العباس قد وعد حمّاد عجردٍ أن يحمله على بغل، ثم تشاغَل عنه، فكتب إليه حمّاد: [الهزج]

طَلَبْتُ البَذْلَ مِمَّنْ خُـ ـلِقَتْ كَفّاهُ لِلْبَذْلِ
ومَن يَنفِي عن المُمحِـ ـلِ بالجُودِ أذى المَحْلِ[3]
ألا يابْنَ أبي العَبّا سِ يا ذا النائِلِ الجَزْلِ[4]
أما تَذْكُرُ يا مَوْلا يَ مِيعادَكَ في البَغْلِ؟

---

(١) السدر: شجر النبق.
(٢) مطيع: هو ابن إياس.
(٣) الممحل: المصاب بالمحل والمحل: الجدب.
(٤) النائل الجزل: العطاء الكثير.

وذاكَ الـرَّجْـسُ فـي الـدَّار جَـلِـيـسٌ لأبـي سَـهْـلِ
يُـريـكَ الـحَـزْمَ فـي الإخـلا فِ لِـلْـمِـيـعـادِ وَالـمَـطْـلِ

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدثنا هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال: حدّثنا سليمانُ المَدِينيّ قال: كان عثمان بنُ شيبةَ مبخّلاً، وكان حمَّاد عجردٍ يهجوه، فجاء رجل كان يقول الشعرَ إلى حمَّاد فقال له: [الوافر]

أَعِـنِّـي مِـنْ غِـنـاكَ بِـبَـيْـتِ شِـعْـرٍ عـلـى فَـقْـرِي لِـعُـثْـمَـانَ بْـنِ شَـيْـبَـهْ

فقال له حمّاد: [الوافر]

فَـإنَّـكَ إنْ رَضِـيـتَ بـه خَـلِـيـلاً مَـلأتَ يَـدَيْـكَ مِـنْ فَـقْـرٍ وَخَـيْـبَـهْ

فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عرّفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه، فصنتُ وجهي عنه.

[هجاؤه مطيع بن إياس]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورَّاق قال: حدّثنا أبن إسحاقَ عن أبيه قال: كان حمّاد عجردٍ يهوَى غلاماً من أهل البَصْرة من موالي العَتِيك يقال له: أبو بشر الحلو ابن الحلال ـ أحسبه من موالي المهلَّب ـ وكان موصوفاً بالجمال، فأندس له مطيع ابُن إياس، ولم يزلْ يحتالُ عليه حتى وطِئَه، فغضب حمّاد عجرد من ذلك، ونَشِب بينهما بسببه هجاء، فقال فيه حمّاد: [مجزوء الرمل]

يـا مُـطِـيـعُ الـنَّـذْلُ أنْـتَ الـ ـيـومَ مَـخْـذُولٌ جَـهُـولُ
لا يَـغُـرَّنْـكَ غَـرُورٌ ذو أفـانِـيـنَ مَـلُـولُ
لـيـسَ يَـحْـلُـو الـفِـعْـلُ مـنـه وهـو يَـحْـلُـو مـا يَـقُـولُ
مَـلْـذانِـيٌّ مـع الـرِّيـ ـحِ إذا مـالـت يـمـيـلُ[1]
وَجَـوادٌ بـالـمـواعـيـ ـدِ وبِـالـبَـذْلِ بـخـيـلُ
لـيـسَ يُـرضِـيـهِ مـن الـجُـعْـ ـلِ كَـثِـيـرٌ أو قَـلِـيـلُ
ذاكَ مـا اخْـتَـرْتَ خـلـيـلاً بـئـسَ واللهِ الـخَـلِـيـلُ
إنـمـا يَـكْـفِـيـكَ أن يـأ تِـيـكَ فـي الـسِّـرِّ رَسُـولُ
سـاخِـراً مـنـكَ يُـمـنِّـيـ ـكَ أمـانِـيَّ تَـطُـولُ

(١) الملذاني: الكذاب الذي يظهر غير ما يضمر.

وقال في مطيع أيضاً وقد لَجَّ الهجاء بينهما: [البسيط]

عَجِبْتُ لِلْمُدَّعي في النّاسِ مَنْزِلَةً وَلَيْسَ يَصْلُحُ لِلدُّنيا وَلِلدِّينِ
لو أبصَروا فيكَ وَجْهَ الرَّأيِ ما تَرَكُوا حتى يَشُدُّوكَ كَرْهاً شَدَّ مجنونِ
ما نالَ قَطُّ مُطِيعٌ فَضْلَ مَنْزِلَةٍ إلاَّ بأنْ صِرْتُ أهْجُوهُ وَيَهْجُوني
ولو تَرَكْتُ مطيعاً لا أُجاوِبُهُ لكانَ ما فيهِ م الآفاتِ يَكْفِيني
يَخْتَارُ قُرْبَ الفُحُولِ المُرْدِ مُعْتَمِداً جَهْلاً وَيَتْرُكُ قُرْبَ الخُرَّدِ العِينِ

أخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى إجازةً عن أبيه عن إسحاق قال: قال حمّاد عجرد في داود بن إسماعيل بن علي بنِ عبد الله بن العباس يمدحه ويعزِّيه عن ابنٍ مات له ويستجيزه: [الخفيف]

إنَّ أرْجَى الأنامِ عِنْدِي وأوْلا هُمْ بِمَدْحِي وَنُصْرَتِي داودُ
إنْ يعِشْ لي أبو سليمانَ لا أحْـ فِلْ ما كادني به مَنْ يَكِيدُ[1]
هَدَّ رُكْني فَقدِي أباكَ فقد شـ ـدَّ بكَ اليومَ رُكْنِيَ المَهْدودُ
قائِلٌ فاعِلٌ أبِيٌّ وَفِيٌّ مُتْلِفٌ مُخْلِفٌ مُفِيدٌ مُبِيدُ
وَفَتَى السِّنِّ في كَمالِ ابنِ خَمْسِيـ ـنَ دَهاءً وإرْبَةً بلْ يَزِيدُ[2]
مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ أرِيبٌ أديبٌ راتِقٌ فاتِقٌ قَرِيبٌ بَعِيدُ[3]
وَهُوَ الذَّائِدُ المُدافِعُ عَنِّي وَعَزِيزٌ مُمَنَّعٌ مَنْ يَذُودُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبَّة قال: حدّثني عبد الملك بنُ شيبان قال: ولِّي أبو جعفر المنصورُ محمدَ بنَ أبي العباس السفاح البصرة، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنِّين منهم حمّاد عجرد، وحَكَم الوادي ودَحْمان، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشَرِبَ الشراب وعاث[4]، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبي العبّاس كثيرَ الطِّيب، يملأ لحيتَه بالغالية حتى تسيلَ على ثيابه فتسودّ، فلقَّبوه أبا الدِّبس، وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة:

صِرْنَا مِنَ الرِّبْحِ إلى الوَكْسِ إذْ وَلِيَ المِصْرَ أبو الدِّبْسِ[5]

---

(١) يحفل: يهتمّ.
(٢) الإربة: العقل.
(٣) المزيل: الكيس اللطيف. والأريب: العاقل.
(٤) عاث: أفسد.
(٥) الوكس: الخسارة.

مـا شِـئْـتَ مـن لُـؤْمٍ عـلـى نَـفْـسِـهِ	وَجِـنْـسُـهُ مِـنْ أكْـرَمِ الـجِـنْـسِ

[مجونه وزندقته]

أخبرني أحمد بنُ عبيدِ الله بنِ عمّار قال: حدّثنا عليّ بنُ محمدٍ النّوْفليّ قال: حدّثني أبي قال: كان أبو جعفر المنصور يُبْغِض محمدَ بن أبي العباس ويُحبّ عيبَه، فولاّه البصرة بعقِب مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقدِمَها، وأصحبَهُ المنصورُ قوماً يعاب بصُحبتهم مُجّاناً زنادقة: منهم حمّاد عجرد، وحمّاد بنُ يحيى، ونُظَراء لهم، ليَغُضّ منه ويرتفع ابنُه المهدي عند الناس، وكان محمد بنُ أبي العباس محمَّقاً، فكان يغلّف لحيته إذا ركبَ بأواقٍ من الغالية فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة، فلقَّبه أهلُ البصرة أبا الدِّبس. قال ولمّا أقام بالبصرة مدّة قال لأصحابه: قد عزمتُ على أن أعترضَ أهلَ البصرة بالسيف في يوم الجمعة، فأقتلَ كلَّ من وجدتُ، لأنهم خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاءوا إلى أمّه سلمة بنت أيوب بن سلمةَ المخزوميَّة فأعلَموها بذلك، وقالوا: والله لئن هَمّ بها ليُقْتلنَّ ولنُقْتَلنّ معه، فإنما نحن في أهل البصرة أكلةُ رأس، فخرجتْ إليه وكشفتْ عن ثدييها وأقسمتْ عليه بحقّها حتى كفَّ عمّا كان عزم عليه.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال: حدَّثني أبي عن إسحاق الموصلي قال: كان حمّاد عجرد في ناحية محمد بن أبي العبّاس السَّفاح، وهو الذي أدّبه، وكان محمد يهوَى زينبَ بنتَ سليمان بن علي، وكان قد قدم البصرة أميراً عليها من قِبَل عمّه أبي جعفر، فخطبها، فلم يزوِّجوه لشيء كان في عقْله، وكان حمّاد وحكَم الوادي ينادمانه، فقال محمد لحمّاد: قل فيها شعراً، فقال حمّاد فيها على لسان محمد بن أبي العباس، وغنَّى فيه حَكَم الوادي:

صوت

[السريع]

زَيْـنَـبُ مـا ذَنْـبِـي ومـاذا الّـذي	غَـضِـبْـتُـمُ مِـنْـهُ وَلَـمْ تُـغْـضَـبُـوا
والله مـا أعْـرِفُ لـي عِـنْـدَكُـمْ	ذَنْـبـاً فَـفِـيـمَ الـهَـجْـرُ يـا زَيْـنَـبُ؟
إن كُـنْـتُ قـد أغْـضَـبْـتُـكُـمْ ضَـلّـةً	فـاسْـتَـعْـتِـبُـونـي إنَّـنِـي أُعْـتِـبُ
عُـودُوا عـلـى جَـهْـلـي بـأحْـلامِـكُـمْ	إنِّـي ـ وإنْ لَـمْ أُذنـبِ ـ الـمُـذْنِـبُ

الغناء لحَكم في هذه الأبيات خفيف ثقيل، الأوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وفيه هَزَج يقال: إنه لخليد بن عبيد الواديّ، ويقال لعَريب.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حدّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال: حدّثني عمرو بن بانَة قال: كان لمحمّد بن أبي العبّاس السَّفّاح شعر في زينبَ، وغنّى فيه حَكَم الوادي:

صوت [مجزوء الكامل]

قُـولاَ لِـزَيْـنَـبَ لـو رأيـتِ تَشَـوّفِـي لـكِ وأشْـتِـرافِـي[1]
وَتَـلَـفُّـتِـي كَـيْـمـا أرا كِ وكـانَ شَـخْـصُـكِ غَـيْـرَ خَـافِ
وَشَـمَـمْـتُ رِيـحَـكِ سـاطِـعـاً كـالـبَـيْـتِ جُـمِّـرَ لِـلـطَّـوافِ
فَـتَـرَكْـتِـنِـي وكـأنَّـمـا قـلـبـي يُـغَـرَّزُ بـالأشـافِـي[2]

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال: حدَّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ قال: خطب محمد بنُ أبي العباس زينبَ بنتَ سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلاّ أنه قال فيه: فقال محمد بن أبي العبّاس فيها، وذكر الأبيات كلَّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّاداً.

قال أبو الفرج مؤلّف هذا الكتاب: هذا فيما أراه غَلطٌ من رواته، لمّا سمعوا ذكر زينبَ ولحنَ حَكَم، نسبوه إلى محمد بن أبي العباس، وقد ذكر هذا الشعرَ بعينه إسحاقُ المَوْصَليّ في كتابه، ونسبه إلى ابن رُهَيْمَة وهو من زيانِب يونس الكاتب المشهورة معروفٌ ومنها فيه يقول: [مجزوء الكامل]

فـذَكَـرتُ ذاكَ لِـيـونـسٍ فَـذَكَـرْتُـهُ لأخٍ مُـصـافِ

وذكر إسحاقُ أن لحن يونسَ فيه خفيف رمل بالبِنصر في مجرى الخِنصر، وأنّ لحن حَكَم من الثقيل الأوّل بالبنصر، قال محمد بن يحيى: ولمحمد بن أبي العباس في زينبَ أشعارٌ كثيرة مما غَنّى فيها المغنُّون، منها:

(١) تشوفي: تطلعي وتطاولي وإشرافي. والاشتراف: الانتصاب.
(٢) الأشافي: جمع إشفى، وهو المثقب.

صوت [السريع]

زيـنـبُ مـا لِـي عَـنْـكِ مِنْ صَـبْـرِ ... وَلَـيْـسَ لـي مِـنْـكِ سِـوى الـهَـجْـرِ
وَجْــهُــكِ واللهِ وإنْ شَــفَّــنِــي ... أحْـسَـنُ مِنْ شَـمْـسٍ وَمِـنْ بَـدْرِ[١]
لَـوْ أبْـصَـرَ الـعـاذِلُ مِـنْـكِ الَّـذِي ... أبْـصَـرْتُـهُ أسْـرَعَ بِـالـعُـذْرِ

الغناء في هذه الأبيات لحَكم خفيف رمل بالوسطى.

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغَلاَّبي قال: حدّثني عبد الله بنُ الضَّحّاك عن هشام بنِ محمد قال: دخل دَحْمَانُ المغنّي مولَى بني مخزوم ـ وهو المعروف بدحمانَ الأشقر ـ على محمد بن أبي العَبّاس وعنده حَكَم الوادي، فأحضر محمدُ عشرةَ آلاف درهم وقال: من سبق منكما إلى صوت يُطربني فهذه له، فابتدأ دَحمانُ فغنّى في شعر قيس بن الخطيم: [المنسرح]

حَـوْرَاءُ مَـمْـكُـورَةٌ مُـنَـعَّـمَـةٌ ... كـأنَّـمـا شَـفَّ وَجْـهَـهـا تَـرَفُ[٢]

فلم يهشّ له، فغنّى حكم في شعر محمَّدٍ في زينب: [السريع]

زَيـنـبُ مـا لِـي عَـنْـكِ مِـنْ صَـبْـرِ ... ولـيـسَ لـي مـنـكِ سِـوى الـهَـجْـرِ

قال: فطرب وضرب برِجله وقال له: خُذْهَا، وأمَر لدَحمانَ بخمسة آلاف درهم. قال: ومن شعرِه فيها الذي غَنّى فيه حَكم أيضاً:

صوت [مجزوء الكامل]

أحـبـبـتُ مَـن لا يُـنْـصِـفُ ... وَرَجَـوْتُ مَـن لا يُـسْـعِـفُ
نَـسَـبٌ تَـلِـيـدٌ بَـيْـنَـنـا ... ووِدادُنَـا مُـسْـتَـطْـرَفُ
بـاللهِ أحْـلِـفُ جـاهِـداً ... وَمُـصَـدَّقٌ مَـن يَـحْـلِـفُ
إنِّـي لأكْـتُـمُ حُـبَّـهـا ... جَـهْـدِي لِـمَـا أتَـخَـوَّفُ
وَالـحُـبُّ يَـنْـطِـقُ أنْ سَـكَـ ... ـتُ بِـمَـا أُجِـنُّ وَيُـعْـرَفُ

---

(١) شفني: أنحلني.
(٢) الممكورة: الممتلئة الساقين.

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم الواديّ، ولحنه ثقيل أوّل. قال: ومن شعر محمد فيها الذي غنّى فيه حَكَم:

صوت

أسْعِدِ الصَّبَّ يا حَكَمْ وأعِنْهُ على الألَمْ
وأدِرْ في غنائه نَغَماً تُشْبِهُ النِّعَمْ
أجَميلٌ بأنْ تُرَى نائِماً وهو لَمْ يَنَمْ
لائِمي في هوايَ زَيْـ ـنَبَ أنْصِفْ ولا تَلُمْ
لَبِسَ الجِسْمُ حُلَّةً في هَواها مِنَ السَّقَمْ

غنّاه حَكَم، ولحنُه هَزَج. وقد أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيُّوب المَديني قال: قال بُرَيْه الهاشميّ حدّثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حمّاد وحَكَمٌ الواديُّ يغنّيه وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سَكِرَ وسَكِرُوا، فكان محمّد أول من أفاق منهم، فقام إلى جماعتهم ينبّههم رجلاً رجلاً، فلم يجد فيهم فضلاً سوى حمّاد عجرد وحَكَم الواديّ، فأنتبَها، وابتدأوا يشربون، فقالَ عجردٌ على لسانه، وغنّى فيه حَكَم:

أسْعِدِ الصَّبَّ يا حَكَمْ وأعِنْهُ على الألَمْ
أجَميلٌ بأنْ تُرَى نائِماً وهو لَمْ يَنَمْ

هكذا ذكر هذا الخبرَ الحسن، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً.

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنشدني أبو خليفة وأبو ذَكْوان والغلاّبيّ لمحمد بن أبي العبّاس في زينبَ بنتِ سليمان بن عليّ: [السريع]

يا قَمَرَ المِرْبَدِ قد هِجْتِ لي شَوْقاً فما أنْفَكُّ بالمِرْبَدِ
أراقِبُ الفَرْقَدَ مِنْ حبِّكُمْ كأنَّني وُكِّلْتُ بالفَرْقَدِ[1]
أهِيمُ ليلي ونهاري بكُمْ كأنّني مِنكُمْ على مَوْعِدِ
عُلِّقْتُها رَيَّا الشَّوَى طَفْلَةً قريبةَ المَوْلِدِ مِنْ مَوْلِدِي[2]
جَدِّي إذا ما نُسِبَتْ جَدُّها في الحَسَبِ الثاقِبِ والمَحْتِدِ[3]

---

(١) الفرقد: النجم الذي يهتدى به.
(٢) علقتها: علقت حبها. وريا الشوى: ممتلئة اليدين والرجلين. والطفلة: الرخصة، الناعمة.
(٣) المحتد: الأصل.

وَاللّهِ ما أنساكِ في خَلْوَتي ... يا نُورَ عَيْنَيَّ ولا مَشْهَدِي

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني الحارث بن أبي أسامة قال: حدّثني المدائني قال: كان محمدُ بن أبي العبّاس نهايةً في الشدّة، فعاتبَه يوماً المهديُّ، فَغَمَزَ محمدٌ ركابَه حتى انضغطت رِجْلُ المهديّ في الركاب، ثم لم تخرج حتى ردّ محمّد الركابَ بيدِه، فأخرَجَها المهديّ حينئذٍ. أخبرني محمد قال: حدّثنا أبو ذَكْوَان قال: حدّثنا العُتْبِيّ قال: كان محمد بن أبي العبّاس شديداً قوياً جواداً ممدَّحاً، وكان يلوي العمودَ ثم يلقيه إلى أخته رَيْطَة فتردّه، وفيه يقول حمّاد عجرد: [البسيط]

أرجوكَ بعدَ أبي العبّاسِ إذ بانا ... يا أكْرَمَ النّاسِ أعْراقاً وعِيدانَا
فأنْتَ أكْرَمُ مَنْ يَمْشِي على قَدَمٍ ... وأنْضَرُ النّاسِ عندَ المَحْلِ أغْصانَا
لَوْ مَجَّ عُودٌ على قَوْمٍ عُصارَتَهُ ... لَمَجَّ عُودُكَ فينا المِسْكَ والبانَا

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغلاّبيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن قال: لما أراد محمد بن أبي العبّاس الخروجَ عن البصرة لمّا عزله المنصورُ عنها قال: [المتقارب]

أيا وَقْفَةَ البَيْنِ ماذا شَبَبْتِ ... مِنَ النّارِ في كَبِدِ المُغْرَمِ!
رَمَيْتِ جوانحَهُ إذ رَمَيْتِ ... بِقَوْسٍ مُسَدَّدَةِ الأسْهُمِ
وَقَفْنا لِزَيْنَبَ يومَ الوَداعِ ... على مِثل جَمْرِ الغَضَى المُضْرَمِ[1]
فَمِنْ صَرْفِ دَمْعٍ جَرَى لِلفراقِ ... لِمُمْتَزِجٍ بَعْدَهُ بالدَّمِ

أخبرني محمد قال: حدثنا الفضلُ بن الحُباب قال: حدّثنا أبو عثمانَ المازنيّ قال: قال حمّاد عجردٍ يشبِّب بزينبَ بنت سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس: [الطويل]

ألا مَنْ لِقَلْبٍ مُسْتَهام مُعَذَّبِ ... بِحُبِّ غَزالٍ في الحِجالِ مُرَبَّبِ[2]
يراهُ فلا يَسْطِيعُ ردّاً لَطَرْفِهِ ... إليه حِذَارَ الكاشِحِ المُتَرَقِّبِ[3]
وَلَوْلا مَلِيكٌ نافِذٌ فيهِ حُكْمُهُ ... لأدْنَى وصالاً ذاهباً كلَّ مَذْهَبِ

---

(١) الغضى: شجر صلب. وأهل الغضى: أهل نجد لكثرته فيها.
(٢) الحجال: جمع حجلة وهي ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس. والمربب: المربى.
(٣) الكاشح: المبغض.

تَغَبَّرْتُ خلْفَ اللَّهوِ بعدَ صِراوةٍ ... فَبُحْتُ بما ألقاهُ من حُبِّ زَيْنَبِ[(١)]

قال: فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان، فنذَرَ دمهُ، ولم يقدر عليه لمكانه من محمّد.

[رثاؤه محمد بن أبي العباس]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني الغلاّبيّ عن محمد بن عبد الرحمن قال: مات محمد بن أبي العبّاس في أول سنة خمسين ومائة، فقال حمّاد يرثيه بقوله: [الخفيف]

صِرْتُ لِلدَّهْرِ خاشِعاً مُستكيناً ... بعدما كنتُ قد قَهَرْتُ الدُّهورا
حينَ أودى الأميرُ ذاكَ الَّذِي كنـ ... ـتُ به حَيْثُ كنتُ أُدْعَى أمِيرا
كنتُ إذ كانَ لي أجيرُ بهِ الدَّهْـ ... ـرَ فقد صِرْتُ بَعْدَهُ مُسْتَجِيرا
يا سَمِيَّ النبيِّ يابْنَ أبي العباسِ ... حَقَّقْتَ عِنْدِيَ المَحْذورا
سَلَبَتْنِي الهُمُومُ إذ سَلَبَتْنِيـ ... ـكَ سُرورِي فلستُ أرْجُو سُرورا
ليتني مِتُّ حينَ مَوْتِكَ لا بَلْ ... لَيتني كُنْتُ قبلكَ المَقْبورا
أنتَ ظَلَّلتني الغمامَ بنُعما ... كَ ووطَّأتَ لِي وِطاءً وَثِيرا[(٢)]
لم يَدَعْ إذ مَضَيْتَ فينا نَظِيرا ... مِثْلَ ما لم يَدَعْ أبوكَ نَظِيرا

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن سلاَّم الجُمَحِي قال: كان خَصيب الطبيب نصرانيّاً نبيلاً، فسقى محمد بن أبي العباس شربةَ دواءٍ وهو على البصرة، فمرِض منها، وحُمل إلى بغداد فمات بها، واتُّهم خصيب، فحُبس حتى مات، وسئل عن علّته وما به فقال: قال جالينوس: إن مثل هذا لا يعيش صاحبه، فقيل له إن جالينوس ربّما أخطأ، فقال: ما كنت قطّ إلى خطئه أحوجَ منّي اليوم، وفي خصيب يقول ابن قنبر:

وَلَقد قُلتُ لأَهلي ... إذ أتَوْنِي بخَصِيبِ
لَيسَ والله خَصِيبٌ ... لِلَّذِي بي بِطَبِيبِ

---

(١) تغبر الناقة: احتلب غبرها. والغبر: بقية اللبن في ضرع الناقة. والخِلْف: حلمة الضرع. والصرار: ما يشدّ فوق خلف الناقة من خيط لئلا يرضعها ابنها.

(٢) الوثير: المريح.

إنَّما يَعْرِفُ ما بي   مَن بهِ مِثْلُ الَّذي بي

[بينه وبين محمد بن سليمان]

أخبرني حبيبُ بن نصر وأحمدُ بن عبد العزيز وإسماعيل بنُ يونسَ، قالوا حدّثنا عمر بنُ شبَّة قال: حدثني عبد الله بن شيبان وابن داحة، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدثني أبي عن إسحاق قال: لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بنُ سليمانَ حمّاد عجردٍ لما كان يقوله في أخته زينبَ من الشعر، فعلم أنه لا مُقام له معه بالبصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمانَ بن عليّ، وقال فيه: [الخفيف]

مِن مُقِرٍّ بالذَّنْبِ لم يوجب اللـ   ـه عليهِ بِسَيِّىءٍ إقرارا
ليسَ إلاّ بفضلِ حِلْمِكَ يَعتـ   ـدُّ بلاءً، وما يُعِدُّ اعتذارا[1]
يابن بنتِ النبيِّ أحْمَدَ لا أجـ   ـعَلُ إلاَّ إليكَ منكَ الفرارا
غيرَ أنِّي جَعَلْتُ قَبْرَ أبي أيو   بَ لي من حَوادِثِ الدَّهْرِ جارا
وحَرِيٌّ من استجارَ بذاكَ الـ   ـقبرِ أن يأمَنَ الرَّدى والعِثارا[2]
لم أجِدْ لي من العبادِ مُجِيراً   فاسْتَجَرْتُ التُّرابَ والأحجارا
لستُ أعتاضُ منكَ في بُغْيَةِ العِـ   ـزَّةِ قَحْطانَ كلَّها ونِزارا
فأنا اليومَ جارُ مَنْ ليس في الأر   ضِ مُجِيرٌ أعَزُّ منه جِوارا
يابْنَ بنتِ النَّبيِّ يا خَيْرَ من حَـ   ـطَّتْ إليه الغوارِبُ الأكْوارا[3]
إن أكُنْ مُذْنِباً فأنتَ ابنُ من كا   نَ لِمَنْ كانَ مُذنباً غَفّارا
فاعْفُ عنّي فقد قَدَرْتَ وخيرُ الـ   ـعفوِ ما قلتَ كُنْ فكانَ اقتدارا
لو يُطيلُ الأعمارَ جارٌ لِعِزٍّ   كانَ جاري يُطَوِّل الأعمارا

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ ومحمَّد بنُ عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا: حدثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزِيّ قال: حدثني علي بنُ الصبَّاح قال: كان محمد بن سليمانَ قد طلب حمّاد عجردٍ بسبب تشبيبه بأخته زينب، ولم يكن يقدر عليه لمكانه من

(١) البلاء: هنا الإنعام.
(٢) الردى: الهلاك. والعثار: الزلّة.
(٣) الغوارب: جمع غارب، وهو أعلى الظهر وأعلى مقدم السنام. والأكوار: جمع كور، وهو الرحل بأدواته.

محمد بن أبي العبَّاس، فلما هلك محمَّد جَدَّ ابنُ سليمانَ في طلبه، وخافَه حمّاد خوفاً شديداً، فكتب إليه: [الخفيف]

يـابـنَ عَـمِّ الـنَّـبـيِّ وابْـنِ الـنَّـبِـيِّ لِـعَـلِـيٍّ إذا أنـتَـمَـى وَعَـلِـيِّ
أنـتَ بـدرُ الـدُّجى الـمُـضِـيءُ إذا أظـ لَـمَ واسْـوَدَّ كُـلُّ بَـدْرٍ مُـضِـيِّ
وحَـيَـا الـنَّـاسِ فـي الـمُـحُـولِ إذا لـم يُـجْـدِ غيـثُ الـرَّبـيـعِ والـوَسْـمِـيِّ[1]
إنَّ مَـوْلاكَ قـد أسـاءَ ومـن أعْـ تَـبَ مـن ذنـبـهِ فَـغَـيْـرُ مُـسِـيِّ
ثُـمَّ قَـدْ جـاءَ تـائـبـاً فـاْقْـبَـلِ الـتـو بـةَ مـنـه يـابْـنَ الـوَصِـيِّ الـرَّضِـيِّ

قال: ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن عليّ فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلّنَّ قبرَ أبي من دمه، فهرب حمّاد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرْضى أو تهجوَ محمد بنَ سليمان، فقال يهجوه: [الخفيف]

قُـلْ لِـوَجْـهِ الـخَـصِـيِّ ذي الـعـارِ إنّـي سـوفَ أُهْـدِي لـزيـنـبَ الأشـعـارا
قـد لَـعَـمْـرِي فَـرَرْتُ مـن شِـدَّةِ الـخَـوْ فِ وأنْـكَـرْتُ صـاحِـبَـيَّ نـهـارا
وظَـنَـنْـتُ الـقُـبُـورَ تَـمْـنَـعُ جـاراً فـاْسْـتَـجَـرْتُ الـتُّـرابَ والأحْـجـارا
كُـنْـتُ عـنـدَ اْسْـتِـجـارتـي بـأبـي أيّـ ـوبَ أبْـغِـي ضـلالـةً وَخَـسـارا
لـم يُـجِـرْنـي ولـم أجِـدْ فـيـهِ حَـظّـاً أضْـرَمَ الله ذلـكَ الـقَـبْـرَ نـارا

قال: وقال فيه: [الطويل]

لـه حَـزْمُ بُـرغـوثٍ وحِـلْـمُ مُـكـاتِـبٍ وغُـلْـمَـةُ سِـنَّـوْرٍ بـلـيْـلٍ تُـوَلْـوِلُ[2]

وقال فيه يهجوه: [المنسرح]

يـابـنَ سـلـيـمـانَ يـا مـحـمَّـدُ يـا مَـنْ يـشـتـري الـمـكرُماتِ بـالـثَّـمَـنِ
إنْ فَـخَـرَتْ هـاشِـمٌ بـمَـكْـرُمَـةٍ فـخَـرْتَ بـالـشَّـحْـمِ مـنـكَ والـعُـكَـنِ
لُـؤْمُـكَ بـادٍ لِـمَـنْ يَـراكَ إذا أقْـبَـلْـتَ فـي الـعـارِضَـيْـن والـذَّقَـنِ
لَـيْـتَـكَ إذْ كُـنْـتَ ضَـيِّـقـاً نَـكِـراً لَـمْ تُـدْعَ مـن هـاشِـمٍ ولـم تَـكُـنِ
جَـدَّاكَ جَـدَّانِ لـم تُـعَـبْ بِـهِـمـا لٰـكِـنَّـمـا الـعَـيْـبُ مـنـكَ فـي الـبَـدَنِ

قال: فبلغ هجاؤه محمدَ بن سليمان فقال: والله لا يُفلِتني أبداً، وإنما يزداد

(١) الحيا: المطر. والمحول: جمع محل، وهو الجدب والقحط. والوسمي: مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنبات.
(٢) ولول: أعول وبكى.

حنَقاً بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً.

[مقتل حماد]

وقد اُختُلِفَ في وفاة حَمّاد.

فأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدّثني أبو داحة وعبد الملك بنُ شيبان أن حمّاداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتراً، وبلغ محمداً خبرهُ، فأرسل مولًى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلُبُه حتى ظفر به فقتله غِيلة.

وأخبرني أحمد بن العبّاس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عِمران قالوا: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي عن أحمد بن خَلاَّد أن حماداً نزل بالأهواز على سُلَيم بن سالم فأقام عنده مدَّةً مستتراً من محمد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البَصرة، فمرَّ بشِيرُ زاذانَ[1] في طريقه، فَمَرِضَ بها، فاضطرَّ إلى المُقام بها بسبب علّته، فاشتدَّ مرضُه، فمات هناك ودُفِنَ على تَلَعة[2]، وكان بشَّار بلغه أن حمّاداً عليل لِما به، ثم نُعِيَ إليه قبل موته، فقال بشّار: [السريع]

لـو عـاشَ حـمَّـادٌ لَـهَـوْنـا بـهِ ... لـكِـنَّـهُ صـارَ إلـى الـنَّـارِ

فبلغ هذا البيتُ حماداً قبل أن يموت وهو في السِّيَاقِ[3]، فقال يردّ عليه:

[السريع]

نُـبِّـئْـتُ بـشَّـاراً نَـعـانـي ولِـلـ ... ـموتِ بـرانـي الـخـالِـقُ الـبـاري

يـا لَـيْـتَـنِـي مِـتُّ ولـم أَهْـجُـهُ ... نَـعَـمْ ولـو صِـرْتُ إلـى الـنَّـارِ

وأيُّ خِـزْيٍ هـو أخْـزَى مِـنَ أنْ ... يُـقـالَ لـي يـا سِـبَّ بَـشَّـارِ

قال: فلما قتل المهديُّ بشَّاراً بالبَطيحة[4] اتفق أن حُمل إلى منزله ميتاً، فدفن مع حماد على تلك التلعة، فمرَّ بهما أبو هشام الباهليُّ الشاعر البَصْرِيّ الذي كان

---

(١) شيرزاذان: مدينة بفارس.

(٢) التلعة: المرتفع من الأرض.

(٣) السياق: الاحتضار، نزع الروح.

(٤) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة (معجم البلدان ١/ ٤٥٠).

يُهاجِي بشاراً، فوقف على قبريهما وقال: [السريع]

قَـدْ تَـبِـعَ الأعْـمَـى قَـفـا عَـجْـرَدٍ فـأصْـبـحـا جـارَيْـنَ فـي دارِ
قـالَـتْ بِـقـاعُ الأرْضِ لا مَـرْحـبـاً بِـقُـرْبِ حَـمّـادٍ وبَـشّـارِ
تَـجَـاوَرَا بـعـدَ تـنـائِـيـهِـمـا ما أبْـغَـضَ الـجـارَ إلـى الـجـارِ[١]
صـارا جَـمِـيـعـاً فـي يَـدَيْ مـالِـكٍ فـي الـنّـارِ والـكـافِـرُ فـي الـنّـارِ[٢]

صوت

[البسيط]

هَلْ قَلْبُكَ اليومَ عن شَنْبَاءَ مُنْصَرِفُ وأنْتَ ما عِشْتَ مَجْنُونٌ بها كَلِفُ
مـا تُـذكَـرُ الـدَّهـرَ إلا صَـدَّعَـتْ كَـبِـداً حَـرَّى عَـلَـيْـكَ وأذْرَتْ دَمْـعَـةً تَـكِـفُ

ذَكَر أبو عمرو الشيبانيّ أن الشعر لحُرَيث بن عتَّاب الطائيّ، وذكر عمرو بن بانَة أنه لاسماعيل بن يسار النّساء، والصحيح أنه لحُرَيث، والغناء لغَريض[٣] ثقيل أوَّل بالوسطى عن عمرو، وذَكَر الهشاميُّ أنه لمالِك.

(١) التنائي: التباعد.
(٢) مالك: خازن النار.

أخبار حُرَيث ونسبُهُ

[توفي نحو سنة ٨٠هـ / نحو سنة ٧٠٠م]

[اسمه ونسبه]

حُرَيث بن عَنَّاب (بالنون) أبن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عُنَيِّن بن نائل بن أسوَدان، وهو نبهان بنُ عمرو بنِ الغَوْث بن طيِّىء، شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور من الشعراء، لأنه كان بدويّاً مُقِلاً غيرَ متصدٍّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء، ولا يَعْدُو شعره أمرَ ما يخصّه.

[تشبيبه بحبّى بنت الأسود]

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمّي عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني، عن أبيه، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأوّلين قوله:

[البسيط]

يَدُومُ وُدِّي لِمَنْ دامَتْ مَوَدَّتُهُ ... واصْرِفُ النَّفْسَ أحياناً فَتَنْصَرِفُ
يا وَيْحَ كلِّ مُحِبٍّ كيفَ أرْحَمُهُ ... لأنني عارفٌ صِدْقَ الذي يَصِفُ
لا تأمنَنْ بَعْدَ حُبَّى خُلَّةً أبَداً ... على الخِيانَةِ إنَّ الخائنَ الطَّرِفُ[1]
كأنَّها رِيشَةٌ في أرْضِ بَلْقَعَةٍ ... منْ حَيْثُما واجَهَتْهَا الرِّيحُ تَنْصَرِفُ[2]
يُنسِي الخليلينِ طُولُ النأي بينهما ... وتَلْتَقِي طُرَفٌ شَتَّى فَتَأتَلِفُ

قال أبو عمرو، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبَّى بنت الأسود

(١) الخلّة: الصداقة. والخلة: الزوجة. الطَّرِف: من لا يثبت على صاحب.

(٢) الأرض البلقعة: المجدبة، المقفرة.

من بني بُحْتُر بن عَتُود، وكان يهواها ويتحدَّث إليها، ثم خطبها، فوعَدَه أهلُها أن يزوّجوه ووعدتْه ألاّ تجيب إلى تزويج إلا به، فخطبها رجل من بني ثُعَل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حُرَيثاً، وقد خُيِّرت بينهما فاختارت الثُّعَليّ، فتزوّجها، فَطَفِقَ حريث يهجو قومَها وقوم المتزوّج بها من بني بُحْتُر وبني ثُعَل، فقال يهجو بني ثُعَل: [الطويل]

بني ثُعَلٍ أهْلَ الخَنا ما حَدِيثُكُمْ ... لكم منطقٌ غاوٍ وللنّاس مَنْطِقُ

كأنَّكُم مِعْزَى قَواصِعُ جِرَّةٍ ... من العِيِّ أو طَيْرٌ بِخَفّانَ يَنْعِقُ[1]

دِيافيَّةٌ قُلْفٌ كأنَّ خَطِيبَهُمْ ... سَراةَ الضُّحَى في سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ[2]

قال أبو عمرو: ولم يزل حريثٌ يهجو بني بُحْتُر وبني ثُعَلٍ من أجل حُبَّى، فبينا هو ذات يوم بخيبَرَ وقد نزل على رجلٍ من قريش وهو جالس بفنائه ينشِد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثُعَل وبني بُحْتُر أبنَي عَتود، وبخيبَر يومئذٍ رجل من بني جُشم بن أبي حارثة بن جُدَيّ بن تَدُولَ بن بُحْتُر يقال له أَوْفَى بنُ حُجْر بن أَسيد بن حُيَيّ بن ثُرْمُلَة بن ثرغل بن خيثم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش، فمرَّ أوفَى هذا بحريث بن عنَّاب وهو يُنشِد شعراً هجا به بني بحتر، فسمعه أوفَى وهو ينشد قولَه: [الطويل]

وَإنَّ أَحَقَّ النَّاس طُرّاً إهانَةً ... عَتُودٌ يُبارِيهِ فَرِيرٌ وَثَعْلَبُ

العَتود: التيس الهَرِم. والفَرير: ولد الظبية. ويباريه: يفعل فعلَه. فدنا منه أوفَى وقال: إني رجل أَصَمُّ لا أكاد أسمع، فتقرَّبْ إليَّ، فقال له: ومن أنتَ؟ فقال: أنا رجل من قيس، وأنا أُهاجي هذا الحَيَّ من بني ثُعَلٍ وبني بُحتُر، وأُحبّ أن أرويَ ما قيل فيهم من الهجاء فأَدْنوه منه، وكانت معه هِراوة قد اشتمل عليها، فلما تمكَّن من ابن عَنَّاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفَه فحطَمه، وسقط على وجهه ووثب القرشيّ على أوفَى فأخذه، فوثَبَ بنو أخته فانتزَعوه من القرشيّ، وكاد أن يقع بينهم شرّ، وأفلَتَ أوفَى ودُوِيَ ابنُ عنَّاب حتى صَلَحَ واستوى أنفُهُ، فقال

---

(١) قصعت الناقة بجرتها: ردتها إلى فمها أو مضغتها. يصفهم بالعيّ.

(٢) يتمطق: يضم إحدى شفتيه على الأخرى ويحدث صوتاً بلسانه وغاره الأعلى كأنه يتذوق طعاماً ويلذّه.

أوفَى في ذلك: [الكامل]

لاقَى ابنُ عَتَّاب بخيبرَ ماجِداً يَزَعُ اللئامَ وينصرُ الأحسابا[1]

فَضَرَبْتُهُ بِهِراوَتِي فَتَرَكْتُهُ كالجِلْسِ مُنْعَفِرَ الجَبِينِ مُصابا

قال: ثم لَحِقَ أوفَى بقومِهِ، فلمَّا كان بعدَ ذلك بمدَّة اتهمه رجل من قريش بأنه سرق عبداً له وباعه بخيبر، فلم يزل القرشيُّ يطلبُه حتى أخذه وأقام عليه البيِّنة، فحُبس في سجن المدينة، وجُعلتْ للقرشيّ يدُه، فبعَث ابنُ عتَّاب إلى عشيرته بني نَبْهان، فأبوا أن يعاونوه، وأقبلَ عُرفاء بني بُحتُر إلى المدينة يريدون أن يؤدُّوا صدقاتِ قومِهِم فيهم حصن وسلامة ابنا معرِّض، وسعدُ بنُ عمرو بن لأم، ومنصور ابنُ الوليد بن حارثة، وجَبَّار بن أُنَيف، فَلَقُوا القرشيَّ وانتَسبوا له وقالوا: نحن نعطيك العِوَضَ من عَبْدِكَ ونرضِيك، ولم يزالوا به حتى قَبلَ وخلَّى سبيلَهُ، فقال حُرَيثٌ يمدحُهم ويهجو قومه الأدْنَيْنَ من بني نَبْهان: [الطويل]

لما رَأيتُ العبدَ نَبْهانَ تارِكِي بِلماعَةٍ فيها الحَوادثُ تَخْطُرُ[2]

نُصِرتُ بمنصورٍ وبابْنَيْ مُعَرِّضٍ وَسَعْدٍ وجبَّارٍ بلِ اللهِ يَنْصُرُ

وذو العَرْشِ أعطاني المَوَدَّةَ منهُمُ وثَبَّتَ ساقِي بَعْدَما كِدْتُ أعْثُرُ

إذا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رأيتَهُمْ لَهُمْ خابِطٌ أعْمَى وآخَرُ مُبْصِرُ

لِكُلِّ بَني عمرو بن غَوْثٍ رِباعَةٌ وَخَيْرُهُمُ في الشَّرِّ والخَيْرِ بُحْتُرُ[3]

وقال أبو عمرو: مرَّ ابن عَتَّاب بعدما أسنَّ بنسوةٍ من بني قُلَيع وهو يتوكَّأ على عَصاً فضحكن منه، فوقف عليهنَّ وأنشأ يقول: [الكامل]

هَزِئَتْ نساءُ بَني قُلَيعِ أنْ رأتْ خَلَقَ القَمِيصِ على العصا يَتَرَكَّعُ

وَجَعَلْنَنِي هُزُؤاً وَلَوْ يَعْرِفْنَنِي لَعَلِمْنَ أنِّي عندَ ضَيْمِيَ أرْوَعُ[4]

[إغارته على قوم من بني أسد وشعره في ذلك]

قال أبو عمرو: وكان حريثُ بنُ عتَّاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق

---

(١) يزع اللئام: يكفهم ويزجرهم.

(٢) اللماعة: الفلاة يلمع فيها السراب.

(٣) الرباعة: السيادة.

(٤) الأروع: الشجاع الذي يروعك بشجاعته.

إبلاً لهم، فَطَلَبَهُ السلطان، فهرب من نواحي المدينة وخيبرَ إلى جبلَيْنِ في بلاد طيّىء يقال لهما: مُرَّى والشَّمُوس حتى غَرِمَ عنه قومُه ما طلب، ثم عاوَدَ وقال في ذلك:

[الطويل]

إذا الدِّين أوْدَى بالفسادِ فقلْ لهُ ... يَدَعْنَا ورُكْناً من مَعَدٍّ نُصادِمُهْ
بِبيضٍ خِفافٍ مُرْهَفاتٍ قَواطِعٍ ... لداودَ فيها أثْرُهُ وخواتِمُهْ
وزُرْقٍ كَسَتْها رِيشَها مَضْرَحِيَّةٌ ... أثِيثٌ خَوافِي رِيشِها وقوادِمُهْ[1]
إذا ما خَرَجْنا خَرَّت الأُكْمُ سُجَّداً ... لِعِزٍّ عَلاً خَيْزُومُهُ وعلاَجِمُهْ[2]
إذا نَحْنُ سِرْنَا بينَ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ ... تَحَرَّكَ يَقْظانُ التُّرابِ ونائِمُهْ
وَتَفْزَعُ مِنَّا الإنْسُ والجِنُّ كلُّها ... ويُشْرَبُ مَهْجُورُ المِياهِ وعائِمُهْ
سَتَمْنَعُ مُرَّى والشَّموسُ أخاهُما ... إذا حَكَمَ السلطانُ حُكْماً يُضاجِمُهْ

يميل فيه. ويروى: يصاحمه، وقال أبو عمرو: يصاحمه: يزاحمه. والأصحم منه مأخوذ.

صوت

[المنسرح]

هَلْ في ادِّكارِ الحبيبِ من حَرَجِ ... أمْ هَلْ لِهَمِّ الفؤادِ مِن فَرَجِ
أمْ كَيْفَ أنْسَى رَحِيلَنا حُرُماً ... يومَ حَلَلْنا بالنَّخْلِ من أمَجِ
يومَ يقولُ الرَّسُولُ قد أذِنَتْ ... فأْتِ على غَيْرِ رِقْبةٍ فَلِجِ
أقْبَلْتُ أسْعَى إلى رحالِهِمُ ... في نَفْحَةٍ من نَسِيمِها الأرِجِ

الشعر لجعفر بن الزّبير، والغناء للغَرِيض، خفيفُ ثقيلٍ أوّل، بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر، عن إسحاق. وذكر عَمرو بن بانَةَ أنه لدَحْمانَ في هذه الطريقة والمجرى. وذكره يونُس بغير طريقةٍ وقال: فيه لحنان: لابن سُريج والغَرِيض. وذكر الهشاميّ أنَّ لحن ابن سُريج رملٌ بالوُسطى.

إلى هنا انتهى الجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس عشر منه
وأوّله أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

---

(١) الزرق: النصال. والمضرحية: جمع مضرحيّ وهو الصقر. والأثيث: الغزير. والقوادم: ريش مقدم الجناح.

(٢) الأكم: جمع أكمة، وهي الهضبة. والعلاجم: جمع علجم، وهو الطويل من الإبل.

الفهرس

